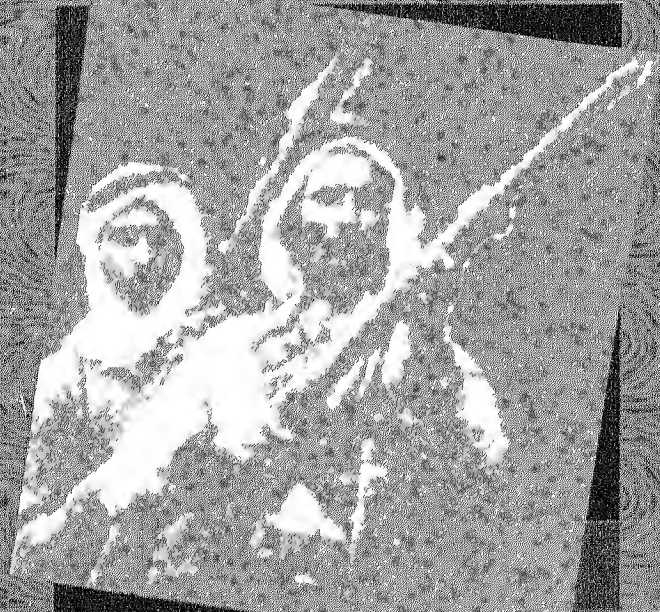
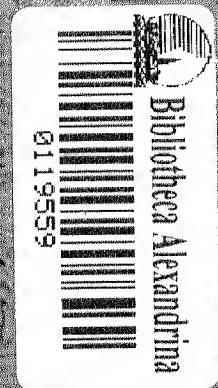


قدري قلعي

الثورة العربية الكبرى



١٩١٦ - ١٩٢٥



جيل الفداء يوما بيوم مع كامل الأسماء
و الوثائق و الأدوار

الثورة العربية الكبرى

شركة المطبوعات



للتوزيع والنشر

بناية الوهاد - شارع جان - دارك

ص.ب. ٨٣٧٥

بيروت - لبنان

هاتف: ٣٤٤٢٣٦ - ٣٤٥٤٦٠ / ٢ - ٣٥٠٧٢١

فاكس: ٥٢٢١٠٧ - ٩ - ٣٥٧ / ٦٠٢٠٢٩ - ٩٦١١

تلکس: ٢٢٦٦١

الطبعة الثانية ١٩٩٤ م

تصميم الغلاف : عباس مكي

الثورة العربية الكبرى

١٩١٦-١٩٢٥

جيل الفداء يوماً بيوم مع كامل الأسماء
والوثائق والأدوار

مقدمة

بقلم دكتور الأستاذ سعد حميد

الأستاذ قذافي القاعجي ، ليس بحاجة إلى تعريف ، وإلى من يقدمه إلى قراء العربية ، فهو كاتب معروف ، على أوسع ما تكون المعرفة في البلاد العربية ، بما قدّم من إنتاج أصيل غزير ، أسهم في نهضتنا الفكرية والأدبية ... وكتابه هذا - جيل الفداء ، قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب - هو واحد من هذه الكتب ، المتميزة في أسلوبها وأفكارها .. فقد عرض الثورة ورجالها وما أعطت للأمة العربية ، بقلم المؤرخ الأمين الصادق ، وبأسلوب الكاتب الأصيل ، الذي نهزّ خياله ، أريجاً للمواقف ، ومشاهد البطولة والفداء . فجاء كتابه سجل تاريخ صادق ، وكتاب أدب في الذروة ...

وحسبك من إعزاز هذا المؤرخ الأديب ، للغة العربية وبيانها ، انه يتعلق - باللغة - واللغة وحدها ، فبراها السبب في وحدة الأمة ، والرباط الأوثق لقوميتها ، ويدلل على ذلك بأقوال كثيرة . لأعلام من الشرق والغرب . وهو يرى ، ان هذه اللغة ، هي التي جعلت العرب ، في العراق وسورية ، يملون إلى جيوش العرب الفاتحة ، بقيادة خالد في الشام ، والمثنى في العراق . وهذا صحيح ، على ان نضيف اليه شيئاً آخر وهو ان هذه القبائل العربية ، من مناذرة

وغسانة ، هي عربية العرق نزحت من الجزيرة ، وقد طلبت بعض هذه القبائل من قادة العرب ان تحارب فارس ، نصره للنسب فحسب ، ومن هنا يتبين ان الشعور بالقومية العربية ، ووحدة الدم واللغة ، أبعد في التاريخ من اليوم الذي جاءت فيه جيوش العرب المسلمين إلى الشام ، كما يذكر الكاتب ، فالغسانة هم العرب الذين يقول فيهم حسّان بن ثابت في الجاهلية :

بيض الوجوه كريمة أنسابهم
شمّ الأنوف من الطراز الأول

والمناذرة يأنفون من مصاهرة الأكرسة ، إدلالاً بقوميتهم العربية .
ويمضي المؤلف في هذا الفصل الممتع الذي بدأ به الكتاب ، « نشأة القومية العربية » فيمزج الحقائق وهو أحرص ما يكون عليها ، بطائفة جميلة من أعذب الشعر ، لرواد القومية العربية ، وهي كثيرة في ثنايا الكتاب . فلا يحسّ القارئ انه يقرأ كتاب تاريخ ، يقصد صاحبه عرض الحقائق أولاً ، وإنما هو يقرأ كتاب أدب فيه تاريخ ، تشرح له نفسه ، فلا يملّ من قراءته ، وتلك هي ميزة الصديق قدري فيما يكتب .

*

جميل هذا الوفاء من كتّاب العربية ، إذ يلتفتون إلى تاريخهم يعرضونه ويشنون على ما صنع الأجداد ، يأخذ هذا الوفاء أجمل صورته عندما يلتفتون إلى تاريخهم الحديث ، وقصة ثورتهم العربية الكبرى ، ليعطوا آباءهم ما يستحقون من حب وتقدير لما صنعوه ، وضحووا من أجله ، في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ العربية ، التي تتنازع فيها الفكر العربي شتى التيارات المتضاربة والتي منها ما يتجنى على هذه الثورة .

انه جيل الفداء العربي ، الذي يشدّ الباقيون منه ، وهم قلة ، على الرحيل ، من هذه الدنيا .

وحسبهم ، لترتاح نفوسهم ، ان يشعروا بوفاء الأبناء ، رغم كل التناقضات التي

يعيش فيها هؤلاء الأبناء .

ان الثورة العربية ، كما قال المؤرخ ، من أروع معطياتها ، هذه اللحظة ، وهذا الوعي ، للقومية ، والوحدة العربية ...

لقد أزاحت حكم الغزاة عن الديار العربية ، وإذا كانت الظروف التاريخية ، لم تمكنها من تحقيق كل أهدافها ، فحسبها انها أيقظت العرب ، كل العرب ، على هذه الأهداف ، وجعلتها مطلباً يتعمق معناه في ضمير العرب يوماً بعد يوم .
والآن ، من الذي قام بهذه الثورة ، من الذي خطط لها ، من الذي قاد جحافلها ، من هو الأصل فيها ??

يقول المؤلف - الفصل الثامن - الشريف حسين هو الأمل .
أي هو الأصل في قصة هذه الثورة المباركة ، ومن حوله أبنائه ، وهي بعد كما يروي المؤرخ كانت « أمانة قومية في يده » وأيدي أبنائه ..

والمؤلف الكريم ، إذ يدرك هذا كله ، يهتف من أعماقه ، ان يومها وهو التاسع من شعبان ، يجب ان يكون يوم عيد جامع للعرب ، في كل مكان . وما أحرى العرب اليوم ، وفاء منهم للثورة وقائدها ، ان يكون لهم مثل هذا اليوم .
لقد كان الشريف حسين وحده ، هو القادر ، على حمل لوائها ، لأنه كما كتب اليه نواب العرب في مجلس المبعوثان قائلين : « اننا نعتزف لك دون سواك بالرئاسة الدينية على جميع الأقطار العربية ، لأنك الآن خلاصة بيت الرسول ، ﷺ ، واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا ، نجهر به ، عند الحاجة ، والله يحفظك لأمتك ويساعدك لدفع الشر عن دينك » .

يضاف إلى هذا الإرث العظيم ، من النسب الذي يعني له العربي ، رأسه إجلالاً واحتراماً ، شخصية الحسين الأول ، ذاتها .

يقول عنه جورج انطونيوس ، كما روى المؤرخ ، ويكاد يجمع على هذه الصورة كل من كتب عنه :

« وكان الحسين شخصية بارزة موقرة ، وهو أمر لا بد منه ، لرجل من سلالة رسول الله ، فضلاً عن شرف محتده ، فان تقواه ، ومسلكه الرفيع ، وحياته

المستقيمة النقية ، كل ذلك أكسبه عدداً كبيراً من المعجبين » .
ويجيب مع هذا لتمام الصورة ، ما عرف عنه ، وانتبه اليه مؤرخوه ، حبه لقومه
العرب ، وغيرته وحرصه على ان يوفر لهم حياتهم المستقلة ، ويصل اليهم ما انقطع
من تاريخهم المجيد .

لقد كانت الثورة شاقة ، تنازع الحسين قبلها ، وأراد ان يكون معه ، كل
من الفريقين المتحاربين في الحرب العالمية الأولى .
ولكنه كان للعرب ، فأخذ جانب الحلفاء لأن حدسه الملم أن سيكون لهم
النصر ، فقاتل معهم ، بعد ان أخذ الموائيق والعهود ، لخير العرب ووحدة بلادهم .
كما يكشف عن هذا الفصل السادس عشر وغيره من فصول الكتاب .
عاش الثورة ، وعاش بعد الثورة ، واكن فتى قريش ، كما يسميه الكتاب ،
تقدمت به السن ، فأصبح - شيخ قريش - بل شيخ العرب قاطبة .
ولكن هذا الشيخ الجليل ، لم يروِ التاريخ قصة كقصة صموده على الحق ،
والحفاظ على حقوق أمته ، وعدم الترخص ولو بشيء قليل منها ، ولو كان في ذلك
ذهاب عرشه .

وذهب العرش .

وانتهى به المطاف ، منفياً عن بلاده .

غير ان حياته بما فيها من عزيمة وتضحية بقيت الرمز الخالد ، للعرب في كفاحهم
ونضالهم .

ان له في قلب كل عربي مخلص ، عرشاً ، وسبقاً خالداً في تاريخ هذا الانسان .
ومن هنا كانت هذه اللفتة كريمة من المؤلف ، يستحق من أجلها الشناء ، وهي
إهداء الكتاب إلى الحسين العظيم ، ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، فهو الوارث
لهذا البيت الكريم وأمجاده عبر تاريخ العرب ومنها ، ثورة جده .
يرثه نسباً .

ويرثه عملاً دائباً ، ومسعى صادقاً كريماً ، لخير العرب أجمعين .
وها هو البطل العظيم ، يعلو على النكسة ، ويطوي الجوانح على آلامها ، عاملاً

في يومه ما وسعه للعمل، الذي هو فوق طاقة البشر، ليزيل آثارها، وسيقدر بفعل
العزيمة المصممة على ذلك في غده .

وانه لغد مشرق بفضله، وبعظيم تضحياته .
عاشت ذكرى الحسين الجدة، وبورك فيما صنع .
وعاش الحسين، الحفيد، وبارك الله فيما صنع وبصنع .

*

وبعد فليس هذا إلا إيماة صغيرة لما في هذا الكتاب النفيس، من حقائق
وأحاديث، أجهد المؤلف نفسه، في جمعها وتجميعها، ولكم أتمنى ان يطيل القارئ
وقفته كما أطلتها عند فصل « في ظلال المشائق »، ايرى كم ضحى الآباء من أجلنا،
بل وعند سائر الفصول، فكلها بمتعة حقاً .

وفقه الله .

عمان في ١٠/٤/١٩٦٧

سعد جمعة

الفصل الأول

نشأة القومية العربية

كان يوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ (١٠ حزيران ١٩١٦) وهو اليوم الذي أعلنت فيه الثورة العربية الكبرى ، بدء النهضة العربية ومنطلق التاريخ العربي الحديث .

ولا ريب في ان النهضة أبعد من ذلك عهداً وأعمق جذوراً ، غير ان الثورة قد أعلنت عنها وجسدها ، فاقتوت بها وغدت تاريخاً لها ، وكانت المنطلق الذي أدى إلى ظهور العرب مجدداً على مسرح التاريخ كأمة ذات شخصية أصيلة مبدعة ، متمسكة بحريتها واستقلالها . فإذا كان لكل بلد عربي عيده الوطني ، فات يوم التاسع من شعبان هو العيد القومي للبلاد العربية جميعاً ، لأنه أعظم الأيام في تاريخها الحديث ، فهو يوم الوثبة الأولى والثورة الكبرى ، وبقظة الشعور القومي ، وتلاقي آمال العرب على اختلاف مذاهبهم ومنابتهم . وستظل ذكراه حافزاً لشحن الهمم ، وتجديد النعمة على كل مغتصب ، وإذكاء الشعور الوطني في النفوس ، حتى تتحرر كل أرض عربية من الاحتلال ، وينعم كل وطن عربي بالاستقلال .

واقتران النهضة العربية بالثورة على الترك ، ينبه الأذهان إلى الصفة الأولى من صفاتها ، وهي اليقظة القومية ، وشعور العرب بأن ثمة رابطة قوية تجمع شتاتهم

وتؤلف بين قلوبهم، وهذه الرابطة هي القومية العربية التي تجعل منهم كياناً متماسكاً
موصول الشعور متحد الأهداف .

لقد فقد العرب ملكهم وأضاعوا شخصيتهم ، منذ بدأ تحكم الموالي الفرس
والمماليك الأتراك في الدولة العباسية ، فتسابق الأعاجم من بعد ذلك إلى السيطرة
عليهم باسم الدين . وكانت الدولة العثمانية أبرع من استغل هذا الشعار ، حتى كاد
العرب ينسون قوميتهم ، ويتنازلون عن استقلالهم وحريتهم ، للدولة التي قتلت فيهم
كل عوامل الابداع ونوازع الطموح ، وأغرقتهم بالخرافات والأكاذيب ، فجاءت
النهضة توقظ العرب من سباتهم ، وتبعث شخصيتهم ، وتنبه الغافل منهم إلى أنه عربي
قبل أن يكون مسلماً ، وإلى أن الاسلام يجب أن يكون مبعث عزة وكرامة
لا مصدر مذلة واستعباد . وكان من معجزات هذه النهضة القومية ان يتسلم قيادتها
ويتولى زعامتها أمير هاشمي قرشي من نسل النبي العربي ، وان يكون هو الذي
أطلق الرصاصة الأولى ، في ذلك اليوم التاريخي ، يوم التاسع من شعبان ، على
الدولة التي استعبدت العرب باسم الاسلام ، واستطالت عليهم باسم خلافة المسلمين !

والفكرة القومية في الغرب حديثة النشأة ، يرجعها الباحثون إلى القرن التاسع
عشر الذي سمي بحق « عصر القوميات » ، فقد كان ملوك أوربة يحكمون بمالكمهم
بقوة السيف وبشرعة الحق الإلهي ، فيهيمنون على البلاد التي تمتد سيطرتهم إليها ،
ويتوادونها ، أو يتهادونها كما يشاءون ، فنشأت من جراء ذلك بمالك تضم أمماً مختلفة
اللغات والأجناس ، كما ان أمماً أخرى كان يخضع كل قسم منها لدولة قد تكون
معادية للأخرى . وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر نشأت
الفكرة القومية التي تهيب بكل أمة إلى ان تعي وحدة وجودها ونحيي الروابط التي
تشد أفرادها بعضهم إلى بعض ، فأصبح مفهوم الأمة هو الأساس في بناء الدول
وليس إرادة هذا المسيطر أو ذاك ، وأدى ذلك إلى سلسلة من الحروب والانقلابات
والثورات استغرقت معظم القرن التاسع عشر ، وانتهت إلى تغيير خارطة أوربة ،
ونشوء دول جديدة اتحدت فيها القوميات المشتتة وغدا لكل منها كيانها المستقل

ومصيرها الموحد^(١) .

ولكن الشعور القومي في تاريخ العرب أقدم منبتاً وأعرق أصولاً ، فهو يرجع إلى ذلك اليوم المجيد الذي جاءت فيه جيوش العرب المسلمين إلى الشام بقيادة أبي عبيدة الجراح وخالد بن الوليد ، فإذا بالغسانيين وهم عرب مسيحيون ، يأتون اليهم وفي مقدمتهم ملكهم جبلة بن الأيهم ، وكان الغسانيون حرسة أبواب الشام لدى ملوك الروم ، إلا أنهم بدلاً من مقاومة المسلمين والوقوف في وجوههم ، تركوا الروم المسيحيين وناصروا المسلمين لأنهم عرب مثلهم ، وكانوا يدلونهم على دخائل الروم ، فهدوا لهم السبيل إلى قلب البلاد وآزروهم في فتحها . ولما حاصر عمرو بن العاص غزّة ، ذهب بنفسه إلى حاكمها البيزنطي متخفياً ، فأمر الحاكم بقتله عند وصوله إلى باب المدينة خارجاً منها ، فعلم رجل عربي من نصارى غسان بالأمر فلحق بعمرو وقال له سرّاً : يا عمرو ، لقد أحسنت الدخول فاحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراد وعمل على إنقاذ نفسه^(٢) . قال البلاذري : « وانحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار قائلاً لهم : أنتم إخواننا وبنو أئينا^(٣) » . وقد كان لنصاري العرب الذين يقطنون جزيرة الفرات وانضمامهم إلى جيش المسلمين الأثر الأكبر في انتصار هؤلاء في معركة حمص ، تلك المعركة الفاصلة التي غادر هرقل البلاد على أثرها وهو يهتف مودعاً يائساً : « السلام عليك يا سورية »^(٤) .

إن الشعور القومي في تاريخ العرب يرجع إلى ذلك اليوم المجيد كما يرجع إلى يوم آخر لا يقل عنه توهجاً وإشراقاً ، يوم جاء المثنى بن حارثة الشيباني إلى العراق ليقاتل الفرس في عهد الفتوح ، وكان المثنى زعيم بني بكر يغير على الفرس بغية تحرير سواد العراق قبل الحملات الإسلامية ، وهو الذي طلب إلى الخليفة أبي بكر

١ - كانت المانية قبل وحدنها مقسمة الى ما يزيد على ثلاثمائة دولة ، وكانت ايطاليه تنال من ثمانى دول واقطار .

٢ - العقد الفريد ج ١ ، ص ٦٥

٣ - انظر البلاذري ص ١٤٢ - ١٤٣

٤ - انظر البلاذري ص ١٥١ والطبري ج ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩

مؤازرته في نضاله القومي ، فلما كانت موقعة جسر الحابطة ، بعد هدنة حشد
 الفرس خلالها كل قوتهم ، سار الجيش العربي باتجاه الجيش الفارسي ، حتى كان
 أحدهما قبالة الآخر ، في قرية يقال لها « قس الناطف » يفصل بينها الفرات ذلك
 الشريط المائي الحالد ، إذ كان العرب على ضفته الغربية والفرس على الضفة الشرقية ،
 وثمة جسر يصل بين الضفتين . ونادى منادي الفرس بالعرب : « اعبروا النهر أو
 دعونا نعبه !.. » فنصح المثني قائده أبو عبيد قائلاً له : « ليعبروا النهر ، ودعنا
 نحارب بحمي ظهرنا متسع الصحراء ان بشنا بالفشل ، وإلا زحمنهم بسيفونا نودهم
 قتلاً أو غرقاً .. » ولكن المثني المتحمس أبى ان يكون الفرس أجراً على الموت
 من العرب ، وأمر الجند فعبروا النهر إلى الأعداء^(١) وطلع فجر ذلك اليوم من أيام
 الحريف على تلك البطاح ، واشتبكت القوات العربية بالجموع الفارسية الحاشدة ،
 وأبو عبيد يتقدم بالراية فرسانه الصناديد ، وصبر الفريقان لثخين الجراح حتى قبل
 الغروب ، وهو يضرب يمينا لينثني يساراً ، حتى جندله فيل من القبلة العشرين التي
 تتقدم صفوف الفرس ، وهرع رديفه بحمي الراية ذل الانتكاس فلحق بأبي عبيد ،
 وتبعه ستة آخرون يتجندلون صرعى الحمية والإقدام . وكانت الحملة شديدة على
 العرب ، ثقيلة على أبطال الصحراء . ولما فقد الجيش العربي الآلاف من محاربيه ،
 لم يسع الباقيون إلا طلب النجاة عبوراً على الجسر ، ولكن الهزيمة لم ترق لأحد بني
 ثقيف واسمه عبد الله بن مزيد ، فأطلقها صيحة مجلجلة : « موتوا على ما مات به
 أمراؤكم أو تظفروا » وأسرع ففقطع الجسر ، فازداد الاضطراب والبلبلة . وفي
 هذه اللحظة الحرجة تقدم المثني وقد تسلم لواء الامارة ، وحمل الراية ، وهدأ روع
 الناس ، وأعاد نصب الجسر ، وحمل مؤخرة الجيش العربي بعملية انسحاب بارعة .
 وكان هذا البطل آخر من عبر الجسر ، ثم قطعته لمنع الفرس من تعقب العرب
 المنكسرين ، ولكن تحت وطأة جرح بعيد الغور نفذ إلى جنبه من خلال حلقات
 الدرع .

١ - الطبري ج ٢ ، ص ٦٥٨ - ٦٦٠

والجدير بالذكر ان بدوياً نصرانياً من قبيلة طيء يدعى أبا زيد كان بين
الشجعان القلائل الذين صمدوا إلى جانب المثنى في تغطيته لحركة انسحاب المسلمين
الذين سيطر عليهم الذعر ، ولا ريب في ان حافزه على هذا كان العصية العربية إذ
ان بني جلده كانوا يجاربون الأجانب الفرس ، ولا ريب في ان الحماس الديني لم
يكن هو حافز المثنى أيضاً ، وإنما كان العصية العربية ، إذ ان المثنى لم يكن قد
اعتنق الإسلام إلا من نحو عام^{١١} وكانت هذه هي المعركة الأولى التي ينى فيها
العرب بالحسran ، إلا ان ذلك لم يكن إلا حافزاً جديداً للمثنى القائد الشجاع
الذي استطاع ان يرد الصاع صاعين للفرس ، بعد ان بعث الرسل إلى من يليه من
العرب يستنجدهم على الفرس ، فتوافدوا اليه من كل صوب ، وكان فيمن لبى نداء
الاستغاثة قبيلتنا تغلب ونمير اللتان وفد رجالهما في جمع عظيم وهم يقولون : « نقاتل
مع قومنا » . ويقول الجنرال غلوب في ذلك : « وكانت هذه القبائل من النصارى
يقودها شيخها أنس بن هلال الذي يروى انه قال : ان عليه وعلى قومه ، وان لم
يكونوا من المسلمين ، ان يقاتلوا إلى جانب أبناء عمومتهم^(٢) . وكان الرد الطبيعي
لتلك المعركة الحاضرة ، معركة البويب وهي إحدى ضواحي الكوفة الآن ، التي
قاد المثنى حركاتها وقد زاد إيمانه بالنصر لما كان يتلقى من منجذات تصله من أعماق
الجزيرة ، حتى إذا استشعر بقوة العضد بما امتد تحت بصره من قوافل الجهاد ،
وأفواج العرب النصارى الذين أخذ عامل الجنس والعصية القومية يتغلبان في أعماقهم
على أي حافز آخر ، سار بجموعه هذه نحو الحيرة ، فنهذ اليه الفرس بكثيف عددهم ،
والتقى الجمعان في البويب ، واشتد أوار القتال ، ولا سيما في القلب حيث عقد نثار
النقع كلفة سوداء حجبت سماء الحلبة حتى غابت أطراف الأجنحة عن المثنى ،
والفرس يشددون ضغطهم حيث يصول ويجول ، ولكن دون ان يستطيعوا زحزحة
العرب قيد ذراع من الأرض . وعلى حين غرة ، ومن حيث لم يحتسب الأعاجم ،
انعطف المثنى بفرسانه على جناح الفرس الأيمن ، متقدماً القبائل العربية المسيحية

١ - الفتوحات العربية الكبرى ص ٢٨٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٨٧

التي عززت الصفة القومية للمعركة . وفي الوقت نفسه أخذ قائد يمينه المثني يضغط على نفس الجناح الفارسي الذي انكشف أمام فرسان العرب . حينئذ اشتد الهجوم العربي بكل ما فيه من طاقات متوهجة على قلب العدو . وما كان أشدها مفاجأة عندما تغلغل غلام تغلي نصراني نافذاً إلى مقر قيادة الفرس ، وعلا نحاسه مفرق قائدهم مهران ، ثم انثنى وهو يرفع صوته فخراً ببطولته وانتساباً لقبيلته : أنا الغلام التغلي ، أنا قتلت المرزبان !

ان الشعور القومي في تاريخ العرب يرجع إلى العديد من تلك الأيام التاريخية المجيدة^(١) ، ممتداً في جذوره إلى عهد عمر بن الخطاب الذي عرف كما يقول الدكتور حسين مؤنس : « كيف يستخرج من العربي خير ما كانت تضمه نفسه من خصال ، واجتهد بعقليته القرشية الحالصة حتى حول الأمة الإسلامية إلى دولة عربية^(٢) » . ولا ريب في ان الشعور القومي والشعور الديني كانا متقاربين في فجر الدعوة الإسلامية وبدء الحضارة العربية ، إذ قضى الإسلام على العصبية الجاهلية والخلافات القبلية التي كانت تمزق الكيان العربي ، وحطم الأصنام التي كانت رمزاً لاختلاف العرب وتخلّفهم الفكري ، ودعا إلى مقاومة الجبل والظلم والفقر ، فألف بين قلوب العرب وجمع شتاتهم ، وحطم الحواجز التي كانت تفصل بينهم ونجعل منهم جماعات متعادية مغلقة على ذاتها ، ونفخ فيهم روح العزة والكرامة والاباء ، فثجروا من اضطهاد الفرس والروم ، وانطلقوا من الجزيرة العربية شرقاً وغرباً رسل خير وحق ونور .

وقد تداخل التاريخ العربي والتاريخ الاسلامي تداخلاً حثيثاً بعض الباحثين ، إذ أسهم في التاريخ العربي عدد كبير من المسلمين غير العرب ، ولكنهم كانوا يتكلمون العربية ويتجنون بالعربية ، وقد نشأوا في بيئة عربية واندجوا في تقاليدها ومصالحها ، وعاشوا في كنف الحضارة العربية وعملوا لها دون سواها ، فهم إذن

١ - انظر الطبري ج ٢ ، ص ٦٤٩ ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ،

ص ٢١٢

٢ - مجلة الثقافة العدد ٦٤٢

جزء من التاريخ العربي أياً كانت منابتهم الأولى والاعراق التي تحدروا منها، وهذه الظاهرة قائمة في جميع البيئات الأخرى . وكذلك كانت انتصارات الإسلام ومنجزاته ، من حيث هو تاريخ وحضارة وثقافة ، إنما هي انتصارات ومنجزات عربية ، يشترك في الاعتزاز بها العربي المسلم والعربي غير المسلم ، ما دامت البلاد العربية مسرحها ، واللغة العربية لسانها ، والأمة العربية هدفها وغايتها^(١) ، وهذا ما جعل العرب يعدون الأخطل المسيحي التغلبي بين شعراء الإسلام ويسميه الخليفة شاعر بني أمية ، فقد كان أبو عبيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير والفرزدق ، وقال الخليفة عبد الملك بن مروان : ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بني أمية الأخطل^(٢) .

وقد عبر عن هذا المعنى كثير من أدباء العرب المسيحيين المحدثين نذكر منهم مارون عبود وأمين نخلة ويوسف ابراهيم يزبك و خليل مطران الذي خاطب الأمة العربية بقوله :

داع إلى العهد الجديد دعاك فاستأنقي في الحافقين علاك
بأمة العرب التي هي أمنا أيّ الفخار بمته وناك ؟
يمضي الزمان وتتقضي أحداثه وهواك من ، في القلوب هواك

والشاعر القروي رشيد الحوري الذي يقول في إحدى قصائده :

أنا العروبة في كل مملكة انجيل حب وقرآن انعام
سل عهد شامي وبغدادى وأندلسي عن عمق فلسفتي ، عن عدل أحكامي
شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتى مثلي الأعلى وإسلامي
والذي يقول في قصيدة أخرى :

١ - انظر هذه فومينا ص ٢٢٠ - ٢٤٢ ، حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ، ص

٨ - ٩

٢ - الاغانى ج ٨ ، ص ٢٩٤

اني على دين العروبة واقف
انجليي الحب المقيم لأهلها
قلبي على سبحاتها ولساني
والذود عن حرمانها فرقاني

ومحبوب الحوري الشرتوني القائل :

قالوا: تحب العرب ! قلت : أحبهم
قالوا : لقد بخلوا عليك ! أجبتهم :
قالوا: البدواة ! قلت : أظهر عنصر
ومحمد بطل العروبة كلها
يقضي الجوار عليّ والأرحام
أهلي وان ضنوا عليّ كرام
صفت القلوب هناك والأجسام
هو للأعارب أجمعين إمام !..

والياس طعمة الذي عرف باسم أبي الفضل الوليد القائل في محاولة لإسباغ هالة
قومية على الديانتين المسيحية والإسلامية :

كان الرسول حجازياً بولده
وكان عيسى شامياً فما وطئت
فشرّف الشام لما زار غسانا
رجلاه أرباض يونان ورومانا

واسكندر الحوري الذي يضع الرابطة القومية فوق الرابطة الدينية :

قبل المسيح وأحمد
كانت وما زالت لنا
كنا ومازلنا عرب
أوطاننا أمماً وأب
لا دين يجمعنا سوى
دين المحبة والنسب

وايليا أبو ماضي الذي يعتز بانتسابه إلى قحطان :

ومن كان قحطان أباه فانه
وان بني قحطان إذ جد جدهم
له الصدر دون العالمين أو القبر
لأعظم من ان يستقيم بهم حر

والياس فرحات القائل :

لا تقولوا ما لنا والعرب كي
تضربهم مثلاً يا شعراء

انهم أجدادنا بالرغم من قائل أنا من العرب براء
انهم أجدادنا ان شرفوا أو دنوا ، فالدم لا يصبح ماء
هيبم الشوك فهل من وردة تنكر الشوك لتوضي الكبرياء؟

وأديب اسحق الذي يذكر العرب بماضيهم الأبي ويحرضهم على حاضرم الذليل
قائلاً : « شعلة سرت من الحجاز فأثارت الشام والعراقين ومصر والمغرب والهند ،
واتصلت بأطراف الفرنجة فلأثارتها نوراً وناراً ، فهي بنورها تستضيء ، ومن نارها
تقتبس . ثم هبت عليها عاصفة الفتنة ونكباء الحنة ، فلم يبق من ذلك النور غير
شفق التصور في أفق التذكر . فمن رأى العرب مئات من الرجال يقتحمون مصر
الفراعنة ، وملك القياصرة ، وسلطنة الأكاسرة ، ينكرهم إذ يراهم ألوف ألوف
يقادون بخيط مما نسجت العنكبوت ، ومن سمعهم يقولون لأميرهم : « ان رأينا
فيك اعرجاجاً قومناه بجذ السيف ، يعجب من رضام بفساد الأحكام وصبرهم على
التواء الحكام »^(١) .

ومثله نعمة الحاج الذي يقول في الموضوع نفسه :

يا معشر العرب كيف صبركم وذا مضام ، وذاك مضطهد
أترضون الخنوع عن جزع أم استهانت هوانها الأسد
أين الإباء الذي به اشتهرت آباؤكم ، أين منه ما ولدوا
هذي بطون التاريخ شاهدة فاستشهدوها عن الأولى شهدوا

ونحجب الحداد القائل :

آن الأوان لأن أخطر بالدم من لم يخاطر بالدم لم يسلم
أجزيرة العرب التي أحبتها كم من أكف قد رمتك بأسهم

لعبت أكف الترك فيك وغادروا في كل قطر منك نهراً من دم

لقد أثبت البحث العلمي انه ليس من أمة معاصرة تنتمي إلى جنس واحد أو عنصر ثابت لم يمتزج بغيره أو يطرأ عليه أي تغيير، فالشعوب يحثك بعضها ببعض في عهود السلم وعهود الحرب والهجرات المستمرة فيتداخل بعضها في بعض ويتفاعل كل منها مع الآخر^(١). وقد اختلطت بالعرب فئات كثيرة من سكان منطقة الشرق الأوسط، فتأثرت بهم وتأثروا بها، ومرت القرون والأحقاب الطويلة وتلك الفئات تزداد امتزاجاً بالبيئة العربية والمشاعر العربية والتاريخ العربي، حتى غدت اللغة العربية لغتهم التي بها يتكلمون والوطن العربي وطنهم الذي ينتسبون.

وإذا كان المؤرخ البريطاني مكولي يشير في تاريخه لانكلترا إلى القبائل والعناصر المختلفة والدويلات العديدة التي قامت في الجزر البريطانية ليخلص إلى ان الأمة الانكليزية اليوم هي الأمة التي تتكلم الانكليزية وتجعل من شكسبير وملتن أعظم شعرائها، ومن ما كولي وويلز أعظم كتابها، وهي الجماعة التي انصهرت، على الرغم من أصولها المختلفة وعقائدها المتباينة، في هذه الجزر، فأصبح أفرادها يسمون بالانكليز^(٢)، فأحرى بنا ان نطلق هذا القول نفسه على الأمة العربية وعلى اللغة العربية التي غدت بمثابة الوطن للعرب أجمعين. وفي الحديث الشريف: «ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي باللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي^(٣)».

وما أصدق قول الفيلسوف الألماني هيردر في علاقة اللغة بنفسية الأمة

١ - يقول الاستاذ ساطع الحصري: نستطيع ان نقول بكل جزم وتأكيد ان وحدة الاصل والدم، في أية أمة من الامم، إنما هي من الاوهام التي استولت على العقول والاذهار، من غير ان نسنند الى برهان (محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ٢٢).

٢ - هذه قوميتنا ص ٢٤٥

٣ - لا يعني هذا ان اللغة هي العنصر الوحيد الذي سالف منه القومية، ولكنها العنصر الاول للفعال من عناصرها المتعددة وأهمها الارض المشتركة والتاريخ المشترك والتراث المشترك والمصير المشترك.

وشخصيتها وكيف انها والأمة أمران متلازمان ومتعادلان : « الطبيعة فرقّت الشعوب بعضها عن بعض ، ليس بواسطة الغابات والجبال والبحار والصحارى والانهار فحسب ، بل فرقها أيضاً - وبوجه أخص - بواسطة اللغة والميول والسجايا . ان اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه ، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب . اللغة ، سواء أقلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ، أم ذهبنا إلى أنها تكونت تدريجياً بعمل العقل ، لا يمكن أن نشك في انها في الحالة الحاضرة ، هي التي تخلق العقل ، أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيراً عميقاً وتسده وتوجهه اتجاهاً خاصاً . والأدب الذي يسود بين الطبقات العليا من الأمة قد يكون عاكساً للتأثيرات الخارجية والأجنبية ، ولكن لغة الشعب تمثل في كل الأحوال ، روح الشعب . ان لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين . ان قلب الشعب ينبض في لغته . ان روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد ^(١) . »

وشبه بهذا قول فيخته : « ان الحدود الأساسية التي تستحق التسمية باسم الطبيعة ، هي الحدود الداخلية التي ترسمها اللغات . فان الذين يتكلمون اللغة الواحدة ، يرتبط بعضهم ببعض ، بحكم نوااميس الطبيعة ، بروابط عديدة ، فيكونون كلاً لا يقبل الانقسام ^(٢) . »

وأعمق من هذا وذاك قول أرنولد فان جينيب ورينيه جوهانيه : « ان روح الأمة وسر كيانها وعنوان وعيها ، تكمن كلها في اللغة ، هذه الرابطة العضوية الخفية ، غير المادية ، العاملة للوحدة في هدوء وخفاء ، القوية كأعظم ما تكون القوة ، ليس في اللغة نوع من الفلسفة القومية ، ينم عن أعمق خصائص الجنس ، ويؤدي إلى تمثل العناصر الانسانية المتأثرة بها ؟ والنطق بلغة معينة ، ليس هو إلى حد ما ، تبني قومية تلك اللغة ، أو بدء الاتجاه في ذلك السبيل ^(٣) . »

١ - ما هي القومية ، لساطع الحصري ، ص ٥٦

٢ - ما هي القومية ، ص ٥٩

٣ - المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٧

وقد صاغ هذه المعاني جميعاً موريس آرنت أحد شعراء الألمان في القرن التاسع عشر ، في قصيدة شهيرة أراد أن يحدد فيها معنى « الوطن الألماني » وهو يبدأ قصيدته بهذا السؤال : « ما هو وطني الألماني ؟ » ثم يردف هذا السؤال العام بسلسلة أسئلة تفصيلية وتوضيحية :

« هل هو بروسيا ، هل هو الشواب ؟
وهل يقع على الراين ، حيث تزدهر الكروم ؟
أم هو على البلت ، حيث ترفرف أجنحة الطيور ؟ »

وبعد ذلك يرد على هذه الأسئلة بقوله :

« أوه ، كلا .. كلا ..
وان الوطن الألماني هو أكبر من ذلك ؟ »

بعد هذه القطعة الأولى من القصيدة ، ينظم سلسلة قطع أخرى ، يكرر فيها الأسئلة عن كل قطر من الأقطار الألمانية الأخرى ، مثل بافاريا ووستفاليا وأوستريا .. وينهي كل واحدة منها بالرد الآنف الذكر :

« أوه ، كلا .. كلا ..
والوطن الألماني يجب أن يكون أكبر من ذلك . »

وبعد الانتهاء من هذه السلسلة ، يغيّر شكل السؤال :

« إذن ، قل لي ما هو اسم هذا البلد الكبير ؟ »

ثم يرد على جميع الأسئلة السابقة بقوله :

« كل البلاد التي ترن في أجوائها اللغة الألمانية ..
« كل البلاد التي يرتفع فيها إلى السماء الحمد لله باللغة الألمانية »

« كل تلك البلاد ، يجب ان تكون وطن الألمان
« فيا أيها الألماني الشجاع ! يجب ان تعتبر كل تلك البلاد وطنك ونحبها بكل
قلبك .. »

وفي الأخير ينهي الشاعر قصيدته بالتضرع إلى الله :

« يا إله السماء ، استجب لدعائنا ، وامنحنا شجاعة الألماني الحقيقي ، لكي نحب
ذلك الوطن بكل اخلاص وحماس ، ونراه وطناً فعلياً لجميع الألمان . »^(١)

والواقع ان اللغة ليست ألفاظاً وحسب ، وإنما هي آداب وتقاليده وعادات
وطرق تفكير ووسائل تعبير ، وسبيل لنقل التراث القديم إلى الجيل الجديد ،
بحيث تغدو جزءاً من حياة الأمة الفكرية والروحية وعاداتها الوطنية . وفي عهد
الاضطهاد القومي ، ومحاولة الدولة الغالبة القضاء على جميع عناصر القومية في الشعب
المغلوب ، كانت اللغة تصبح لدى أبناء هذا الشعب ، بمثابة الوطن الروحي ،
وتجسداً لكل ما يقدسونه . وهذا ما حدث في العالم العربي عندما حاولت القومية
الطورانية القضاء على جميع الوشائج التي تشد العربي إلى قوميته وتراثه وتؤلف قوام
شخصيته ووجوده وفي مقدمتها اللغة العربية .

*

ولا ريب في أن ذلك المعنى الجليل ، معنى التجدد والتحرر والنهوض ، الذي
تميز به الاسلام في أول عهده ، لا يتفق مع ما طرأ على حياة المسلمين من بعد ،
ولا سيما في عصور الانحطاط ، من فساد وفساد فساد فيهم الخنوع والاستسلام ،
وتخاذلوا أمم الطغيان ، وتمسكوا بكل ما يقصيه عن الحياة ، وينأى بهم عن
أسباب القوة والعزة والابداع

وقد أصيب العرب بكثير من هذه الآفات التي تسرب معظمها من بيئات أعجمية وأصول غير عربية ، فذلوا بعد مجد ، وضعفوا بعد قوة ، وانحطوا بعد ارتقاء ، وأظلمت حياتهم وركدت بعد نبض وإشراق . وبعد أن كان الدين حافظاً لهم للتحرر والتوئب والاقتحام ، جعل الأعاجم يحكمونهم باسم الدين .

وحين حتل السلطان سليم العثماني بلادهم في الربع الأول من القرن السادس عشر^(١) ، رحبوا به في كل قطر من أقطارهم متطلعين اليه كمنقذ يحررهم من جور المماليك ، « فباسم الدين فتحت البلاد له الأبواب ، وباسم الدين انتقلت الخلافة إلى البيت العثماني^(٢) » ولأول مرة في التاريخ انتقلت الخلافة إلى حاكم غير عربي^(٣) .

وغدت عاصمة العالم الاسلامي تقع في قطر غير عربي ، وضاع ذلك التراث الخالد الذي حافظت عليه العروبة منذ خرجت من موطنها الأصلي في بلاد العرب مع الجيوش الاسلامية ، إذ كانت الحركات السياسية الكبرى التي اضطرم بها العالم الاسلامي ، وما نجم عنها من قيام دولة مكان أخرى ، تتخرج من نقل مركز الحكم إلى بلاد غير عربية ، فظلت العاصمة تنتقل بين مدنها الكبرى ، من المدينة إلى دمشق إلى بغداد ثم إلى القاهرة^(٤) .

١ - افتتح الاتراك العثمانيون العراق سنة ١٥١٠ (٩١٦ هـ) وسورية سنة ١٥١٦ (٩٢٢ هـ) ومصر واليمن ١٥١٧ (٩٢٣ هـ) ثم تغلبوا في شمال افريقية وافتتحوها الجزائر سنة ١٥٤٧ (٩٥٤ هـ) .

٢ - المراحل التاريخية للقومية العربية ، ص ٧

٣ - كان المماليك قد احيوا الخلافة في مصر باسنادها الى أحد افراد بني العباس الذين نجوا من مذبحه المغول في بغداد ، واصبحت منذ ذلك الحين منصباً روحياً صرفاً يتوارثه الامراء العباسيون دون ان يكون لهم من السلطان سوى تعيين السلاطين (انظر صلاح الدين الايوبي لقدري قلعي ص ٥٨٢ - ٥٨٣) وقد شاع عن العلاقات بين السلطان سليم والخليفة المتوكل آخر أولئك الخلفاء العباسيين ، ان الخليفة نقل رسمياً منصبه للفتح وقدم له رمزا لهذا النقل الآثار المقدسة التي كان يعتقد أنها من أيام النبي ، كالبردة التي كان يلبسها الخلفاء العباسيون في احتفالاتهم الرسمية وبعض شعرات من لحيته وسيف الخليفة عمر ، وقد نقل السلطان هذه الآثار الى القسطنطينية حيث لم تزل محفوظة في جامع أيوب كقسم من الفنائم التي غنمها بفتح مصر ، ولكن ليس هناك دليل قاطع على نقل الخلافة من المتوكل الى السلطان سليم ، فضلاً عن ان شرعية انتقال الخلافة على هذا الشكل امر لا يمكن التسليم به دون نقاش (انظر الخلافة لتوماس أرنولد ، ص ٨٦) .

٤ - قادة التحرير العربي في العصر الحديث ، ص ٢٨

ولم يزد الحكم العثماني على أن ضرب نطاقاً عسكرياً حول البلاد وفرض عليها جبايات منظمة تؤدي كل عام ، ولم تكسب الأحداث الإسلامية شيئاً بهذا الفتح الجديد ، حتى الأمن الذي مثلها في السنوات الأولى منه ، لم يلبث أن اضطرب حبله وعاد الأمر فوضى كما كان... واستمر الركود بل استحالت خموداً ، وزادت الهمم هبوطاً والعقول جهلاً ، وتضاءلت من نواحي الدولة بوارق النهوض الأدبي أو الفني التي كانت تنبئ بالحخير في بعض نواحي مصر والشام ، فسكن كل شيء وركد في ظل هذه الوحدة الظاهرة التي عرفت بالدولة العثمانية ، وانقطعت الصلات التجارية بين الشرق والغرب ، بعد أن كانت قائمة ماضية في سبيل القوة في أواخر أيام المماليك ، فكان انقطاع الصلات هذا أكبر العوامل في تقوق أوربة على العالم الإسلامي إذ إنه وقف في مكانه ومضت أوربة في سبيلها قدماً .^(١)

لقد استغل الأتراك الرابطة الدينية في حكم العرب ، ونسي هؤلاء موقفهم يوم انهارت الدولة العربية في الأندلس ، وكان الأتراك في عنفوان دولتهم وأوج قوتهم ، فلم ينهضوا لنصرة العرب وأغلغوا آذانهم عن استغاثتهم ، بل ابتهجوا لسقوطهم لأنه يفسح لهم مجال التفرد بالسلطان ، حالف سليمان القانوني فرنسوا الأول ولم يشأ أن يحالف عرب الأندلس في محنتهم ، وقد أشار إلى ذلك أبو البقاء الرندي في مراثيه للأندلس فقال :

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وانهدت نهلان
أصابها العين في الاسلام فارتأت	حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسة	وأي شاطبة أم أين حيان ؟
وأي قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شأن
وأي حمص وما تحويه من نزه	ونهرها العذب فياض وملآن ؟
قواعد كنى أركان البلاد فما	عسى البقاء إذا لم تبق أركان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة	إن كنت في سنة فالدهر يقظان

١ - رفاعة الطهطاوي ، للدكتور حسين فوزي النجار ، ص ١٥

وماشياً مرحباً ببله موطنه
 تلك المصيبة أنست ما تقدمها
 يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
 وحاملين سيوف الهند مرهفة
 ورائعين وراء النهر في دعة
 أعندكم نبأ من أهل أندلس
 كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
 ماذا التقاطع في الاسلام بينكم
 الا نفوس أبيات لها همم

أبعد حص تغر المرء أوطان
 وما لها من طوال الدهر نسيان
 كأنها في مجال السبق عقبان
 كأنها في ظلام النقع نيرات
 لهم بأوطانهم عز وسلطان
 فقد سرى بجديث القوم ركبان
 قتلى وأسرى فما يهتز لإنسان
 وأنتم يا عباد الله اخوات
 اما على الخير أنصار وأعوان ؟ !

والواقع ان الاتراك العثمانيين قد اضطلعوا ببطولة الفصل الختامي من مأساة العروبة وتحطيم مجدها القديم الذي ما فتى يتعرض لمحاول الهدم منذ بدأت الشعوبية تتغلغل في عاصمة العباسيين ، وورثوا باسم الاسلام مكانها في التاريخ ، وزعامتها للشعوب الإسلامية . ولكن الاسلام الذي لم يعرف في عهد العرب ، التعصب ضد مذهب أو جنس أو دين وإنما عمل على إرساء دعائم الحرية والتسامح ، وكأفح الفتنة والإكراه ، فقد في ظل العثمانيين كثيراً من مبادئه ومبادئه ، وانتشرت تحت عنوانه ترهات وأوهام . وبطول بنا المقال لو ضربنا الأمثلة وعددنا البراهين ، ويكفي ان نذكر ان عمر بن الخطاب لما فتح القدس أبى ان يصلي في كنيسة مخافة ان يتخذ المسلمون مصلاه مسجداً ، أما محمد الفاتح فقد بادر إلى تحويل كنيسة ايا صوفيا إلى مسجد جامع لما فتح القسطنطينية بعد ذلك بسبعة قرون .

لقد كان الإرث الحضاري الذي آل إلى العثمانيين أكبر من طاقتهم الروحية ، فتخلوا عنه بدلاً من ان يضيفوا اليه من إبداعاتهم ووحى ضمائرهم ، وانسحبوا من ميادين الحياة والتقدم ، وانسحب معهم أبناء الشعوب التي يحكمون ، تاركين العمل فيها لحضارات أقوى وشعوب أكثر تجاوباً مع التطور وأسرع استجابة لنداء العصور الحديثة . لقد نجحوا في كسب معارك عسكرية عظيمة في البر والبحر ، جعلت الامبراطورية التركية من أكبر الامبراطوريات في العالم . ولكن هذا النجاح لم

يستمر طويلاً ، ولعله كان من مدخرات الإسلام الأدبية في فرونه الأولى . ولم تؤت هذه الانتصارات ثمناً ذات بال ، لأنها لم تقف بقدره علمية ولا مهارة إدارية ولا بصيرة سياسية . ولم تكن الدولة لتضع نصب عينها يوماً أن لها رسالة حضارية فأفقرت من العلماء والمفكرين الذين نهضوا في كنف الحكم العربي وكانوا النجوم الهادية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة . ومن ثم تحولت فتوح الدولة إلى عبء عليها بدل أن تكون مدداً لها ^(١) .

وإذا كانت هذه الفتوح قد جلبت للدولة خيراً يذكر ، فإن هذا الخير ما كان لساوي شيئاً إلى جانب خسارة الشعوب الإسلامية نفسها . « أجل ، ان الدولة التركية ، بقصورها الأدبي ، خسرت رأسها من المسلمين أنفسهم ، في بلادهم الطويلة العريضة ، فإن هؤلاء المسلمين أخذوا ينحدرون قليلاً قليلاً في مجال العلم والعمران ، فاذا العواصم التي طالما دوت بالدروس والمناظرات يخفت صوتها ، وتقفر عرصاتنا ، وتغلق مكاتبنا . وإذا المدائن والقرى التي كانت أسواقاً للخيرات ، ومجالاً للفنون والصناعات ، تذوي وتضر وتعتل ^(٢) »

لقد كانت الرابطة الدينية السلاح الذي تذرعت به الدولة العثمانية لاحتكام قبضتها على الشعوب العربية ، فأحاط الحكم أنفسهم بطوائف المرتقة من الدجالين والمشعوذين الذين ضربوا ستاراً كثيفاً حول الشريعة السمحاء ، وحرقوا أصول الدين ، ونشروا البدع والخرافات ، ونفشوا السم القاتل في كتبهم ومواعظهم ، فتراكم الجهل ، وران الظلام ، وتلبدت السحب التي تحجب نور العقل وصحة الفكر واشراق البصيرة ، وسادت الأوهام المثبطة للهمم ، المضعفة للعزائم ، الداعية إلى الاستسلام المبهين .

ومن هنا كانت حركات المقاومة والاصلاح التي تمخضت بها الدول العربية في القرن الثامن عشر ، حركات امتزجت فيها نزعة التحرر القومي بالدعوة إلى الاصلاح الديني ، والرجوع بالشريعة إلى أصولها وقواعدها ، وإزالة ما أدخل عليها في عهود

١ - انظر حقيقة القومية العربية ، ص ٢٦٦

٢ - المرجع السابق ، ص ٢٦٧

الظلام والانحطاط من بدع وأكاذيب مناهضة للعقل مناقضة للاسلام ، دخيلة على العرب وعلى قيمهم الفكرية وجذورهم التاريخية .

وأول هذه الحركات دعوة المصلح محمد بن عبد الوهاب في نجد ، الذي دعا الناس إلى مذهب الإمام احمد بن حنبل ، وحث مريديه على مطالعة كتب شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، فلاقت دعوته الاصلاحية انتشاراً كبيراً ، واتسع نطاقها حين وضع الأمير سعود الكبير نفسه في خدمتها ، فاقترن السيف والفكر ، وعمت الدعوة جميع شرق الجزيرة العربية واليمن والحجاز ، وبدأت تمتد إلى بلاد الشام وتطرق أبواب بغداد ، فخشيت الدولة العثمانية ذلك ، وعهدت إلى محمد علي واليها في مصر بالحملة على الأمراء السعوديين في معاقلمهم ، فقام ولداه طوسون وابراهيم على التوالي بحملات عنيفة على نجد والحجاز أنزلت بها أضراراً فادحة . إلا أن نجم الأمراء السعوديين ما لبث أن لمع من جديد في عهد تركي بن عبد الله الذي اتخذ الرياض عاصمة له وأعاد للسعوديين عزتهم ووطد أركان دولتهم . ويتفق المؤرخون على أن ظهور الدعوة الوهابية ، بما اشتملت عليه من تحريض على الجهاد ، وتطهير للنفس ، وإذكاء للوعي بصفة عامة ، قد أيقظ العرب من سباتهم ، وأثار فيهم الوعي القومي وان لم تكن هذه الاثارة مقصودة لذاتها . وهم يرون ان الدعوة إنما توقفت عند حدود جزيرة العرب ، نظراً لضعف الوعي القومي العربي في ذلك الزمن ، إذ استطاع العثمانيون التغرير بالعرب وإيهامهم ان الحركة الوهابية حركة إلحادية تآثرة على الاسلام ، وسرعان ما انتصر باطل العثمانيين على حق الوهابيين ، إلا أن الحركة الوهابية التي كانت من الناحية السياسية سلسلة من المحاولات الرامية إلى استقلال قلب جزيرة العرب استقلالاً تاماً عن الدولة العثمانية ، قد تركت مع ذلك أثراً عميقاً بين العرب جعلهم يعتقدون أنهم قوة لا تغلب ، وأنهم إذا انحسروا غلبوا ، وأن الأتراك جسم غريب عن الكيان العربي . ومن السهل التخلص منه إذا ما تمت الحركات القومية الوطنية ، وأن الإمامة كما يقول ابن تيمية إنما تقوم على عقد بين الحاكم والأمة يوجب على الإمام تطبيق الشريعة بمعاونة أهل العلم واشرافهم ، وله في مقابل ذلك البيعة والطاعة ، فإذا أخل بأحكام الشريعة وجب الخروج عليه ، وقد

اعتبر الوهابيون الخليفة العثماني خارجاً على العقد الشرعي بين الإمام والأمة ، فكانت حركتهم أول حركة تناهض الخلافة العثمانية على أساس من العقيدة الإسلامية نفسها ، وقد حطمت هذه الحركة تلك الهالة التي كانت تحيط خليفة المسلمين في استانبول بما يشبه العصمة والقداسة (١) .

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعو إلى الإصلاح في المشرق قام السيد محمد بن علي السنوسي بنشر الطريقة السنوسية في المغرب . وكانت دعوة السنوسي الكبير أساسها الإسلام الصحيح البعيد عن البدع ، فلما اشتد ساعدها في عهد مؤسسها ونجله المهدي أخذت تلاقي مقاومة شديدة من الدولة العثمانية . أما في اليمن التي كان تاريخها منذ أن احتلها الأتراك تاريخ جهاد مستمر في سبيل التحرر من نير هذا الاحتلال ، فقد كان الأئمة الزيديون يحاربون الدولة العثمانية باسم المذهب الزيدي . وكذلك كان شأن الأدارسة في عسير الذين حاربوها باسم الإصلاح الديني . ولكن من الخطأ الاعتقاد بأن الإمام الزيدي في اليمن ، أو الأمراء السنوسيين في ليبيا والصحراء الأفريقية أو الأدارسة في عسير ، كانوا يحاربون الأتراك بدافع العامل الديني وحده ، فإن العامل القومي كان وراء هذه الحركات جميعاً (٢) .

ويذكر المؤرخون في حركات الإفاقة والمقاومة العربية حركة محمد علي والي مصر الذي ثار على تركية محاولاً استغلال رغبة العرب في التمتع باستقلالهم ، وأطلق على نفسه لقب « سلطان العرب وخاقان البحرين » غير أن نزعة النفعية الامبراطورية انتهت بالإخفاق ، لأن العرب لم يشتركوا فيها اشتراكاً فعلياً ، إذ تبين لهم أن خروجه على السلطان العثماني وهو الألباني الأصل ، ليس مبعثه إلا الرغبة في إنشاء دولة عربية تدين له بالطاعة كما كانت تدين من قبل للسلطان العثماني . وقد كانت الثورات المحلية التي هبت في وجه ولده إبراهيم باشا في بلاد الشام عنصراً رئيسياً بين العناصر التي عملت على إجلاء جيشه عن هذه البلاد . ولكن هذه الحركة

١ - انظر : تاريخ الأمة العربية ، عصر الانبعاث ص ٢٤ ، الاحداث العربية في تاريخها الحديث ص ١٩ - ٢٠ ، قلب جزيرة العرب ص ٣٢٠ ، سطور من الرسالة ص ٢١ - ٢٢

٢ - محاضرات في الاستعمار ، ج ٢ ص ٢٣

المعادية للدولة العثمانية ، والتي كان مسرحها قلب البلاد العربية ، قد تركت ولا شك أثرها في تربية المواطنين إلى ضعف هذه الدولة ، وإلى إمكان مقاومتها بالتكتل والاتحاد ، فضلاً عما قام به إبراهيم باشا من محاولات إصلاحية في ميداني الإدارة والتعليم تقرباً من أهل البلاد^(١) .

لقد كان العامل القومي يعلن عن ذاته بين حين وآخر في انتفاضات جريئة وثورات محلية وصرخات أبية . فمنذ مطلع عهد السلطان سليمان القانوني ، أي بعد أربع سنوات فقط من الفتح العثماني ، ثارت دمشق على الحكم التركي بقيادة الوالي الغزالي ثورة كبدت سورية ألوف الضحايا . ثم تعاقبت بعد ذلك ثورات وانتفاضات كانت تقمع بوحشية لا مثيل لها ، إلا عندما كانت تلك الأحداث تقفون بظروف خارجية تدعو ذلك الذئب إلى ارتداء ثوب الحمل ، كما حدث حين هاجم أبناء دمشق الوالي التركي سليم باشا سنة ١٨٣٠ (١٢٤٧ هـ) وقتلوه عقاباً له على مظالمه ، وكانت حكومة الاستانة تخشى ان تستجد دمشق بالقاهرة في عهد محمد علي الكبير ، فأخذت تبرر عمل أهل دمشق وأصبحت كالحامية عنهم تحتلق لهم الأعذار عما بدر منهم^(٢) .

ومن تلك الانتفاضات الرائعة ثورة لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي أراد ان ينتهز انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسة وحلفائها ، فيؤلف دولة عربية مستقلة كانت حدودها تتسع باستمرار ، فأخذت الدولة العثمانية تستميله وتسترضيه ، حتى استجمعت قواها فأنقضت عليه واعتقلته في عاصمتها مع اثنين من أولاده ثم قضت عليهم جميعاً في سنة ١٦٣٥ (١٠٤٥ هـ)^(٣) .

ومنها ثورة الشيخ ظاهر العمر الذي قاوم الدولة العثمانية في عكة ، وغدا السيد المطاع في الساحل السوري ، وحارب والي دمشق العثماني وهزم جيشه ، ثم جهزت

١ - انظر الاحداث العربية في تاريخها الحديث ص ٢١٢ ، بريطانيا والدول العربية

٢ - خطط الشام ، ج ٣ ص ٤٢

٣ - انظر : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، لميسى اسكندر المعلوف .

الدولة سنة ١٧٨٠ (١١٩٥ هـ)^(١) .

وثورة سليمان الشاوي في العراق سنة ١٧٨٦ (١٢٠١ هـ) ، تلك الثورة التي اتخذت طابعاً قومياً وانضم اليها الشيخ تويني صاحب المنتفق وشيخ الحزاعل . وكان الشاوي كما يقول ابن سند ، من أفراد الدهر عقلاً وحلماً وكرماً وشجاعة^(٢) .

وثورة الشيخ سعدون السعدون في المنتفق بالعراق ومقاومته للسلطة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر ، وقد النف حوله أكثر البدو الضارين بين النجف والكويت ، فوجهت اليه الحكومة العثمانية قوة من جيشها فقاتلها وانتصر عليها ، ثم احتال عليه والي البصرة فاعتقله وأرسله إلى بغداد ثم إلى حلب حيث حوكم بتهمة العمل لاستعادة الحكم للعرب ، وقد توفي قبل انتهاء محاكمته^(٣) .

وثورة الكرك عام ١٩١٠ (١٣٢٨ هـ) التي تزعمها الشيخ قدر المجالي وقد اشتركت في إشعال نيرانها عوامل عدة ، كان أهمها سوء الإدارة العثمانية ، وما تعتمد من وسائل الإرهاب في جباية الضرائب وتطبيق الأنظمة والقوانين التعسفية التي لا تتفق وأوضاع البلاد ، وآخر هذه الأنظمة قيام الأتراك بإحصاء السكان تمهيداً لتجنيدهم وإرسالهم إلى البلقان كما فعلوا في حوران وجبل الدروز . وقد احتل الثوار دار الحكومة ومؤسساتها ، وضربوا الحصار على الجامعة التركية ، وامتدت نار الثورة من الكرك إلى القرى المجاورة لها والمنطقة كلها ، إلا أن الحملة العسكرية التي كانت تحتل جبل الدروز ما لبثت أن أنجحت الجامعة التركية المحاصرة في الكرك ، وأخذت الثورة ينتهي الشدة والقسوة^(٤) .

على أن هذه الانتفاضات الفردية العفوية في سائر أقطار العروبة ، ان دلت على أن طبيعة العرب التي تعشق الحرية والاستقلال لم تخضع للذل ولم ترض بالهوان ، فإنها لم تكن تدل على يقظتهم القومية ، وشعورهم بحقهم كأمة وعت حقيقة .

١ - انظر : سيرة ظاهر العمر ، لميخائيل الصباغ .

٢ - انظر : التحفة النبهانية ، جزء المنتفق ، ص ١١٠ - ١٤٥ .

٣ - انظر : مطالع السعود ، ص ٢١ ، ولب الإلياب ، ص ١٧٨ - ١٨١ .

٤ - انظر : تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص ١٨ وما بعدها .

وجودها ، وأمنت بشخصيتها الخاصة المتميزة ، وأعلنت تلك الحقيقة باعتبارها الصفة
الأصلية الثابتة لمجتمعها . ويجب ان نتقل إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل
القرن العشرين ، حتى نشهد بنور هذه القومية وقد تأصلت جذورها ، ونرى غراسها
الباينة تنمو وتؤتي أكلها .

الفصل الثاني ذلك الليل الطويل

كان القرن التاسع عشر أحلك الحقب في ذلك الليل الطويل الذي رأت على البلاد العربية ، منذ أдал القدر منها في موقعة بغداد سنة ١٢٥٨ (١٦٥٦ هـ) إذ احتلها هولاء كوك و قتل خليفته المعتصم ، وأحرق مكاتبها وذبح مئات الألوف من أبنائها ، ثم تبعه تيمورلنك فعاكل أثر للمدينة فيها .

وقد كان اكتشاف البخار والثورة الصناعية ، مبعث نهضة رائعة في أوربة اختصرت المسافات وقرّبت الأبعاد وربطت بين الشرق والغرب ، وكانت من المبادئ التي انتشرت وانتشرت في العالم المتمدن ، وانتقلت إلى آسية وأفريقية ، مبدأ القومية الذي استثار الشعوب البلقانية والعربية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية التي أخذت تطمح إلى الظفر بحريتها واستقلالها .

وكانت الدولة العثمانية قبل ذلك تحارب أعداءها في الخارج فقط، فصارت تحارب الأمم التي تحت حكمها أيضاً محاولة القضاء على فكرة الاستقلال في تلك الأمم ثمرة بالوعد وثمرة بالوعد^(١) .

وكان حكام الامبراطورية العثمانية يرون إلى قمع الشعوب التي يحكمونها، فبلجاً بعضهم في معالجة ذلك إلى شيء من الإصلاح، وبلجاً غيرهم إلى مزيد من البطش والإرهاب.

وقد بدأت محاولات الإصلاح في أواخر عهد السلطان محمود الثاني، بل في سنة وفاته بالذات (١٨٣٩ م ١٢٥٥ هـ) إذ أدخل بعض الإصلاح على أنظمة الجيش وجهاز الحكم. ثم خلفه ابنه عبد المجيد، وتولى وزارة الخارجية في عهده رشيد باشا أحد المثقفين البارزين، فأصدر سنة ١٨٥٥ (١٢٧٢ هـ) «الفرمان كل خانة»، وهي مجموعة من الأنظمة تعتبر بمثابة قانون أساسي. ولما توفي السلطان عبد المجيد وخلفه أخوه السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦١ (١٢٧٨ هـ)، انكفأت حركات الإصلاح، وساد الظلم والطغيان حتى تولى رئاسة الوزارة في عهد عبد المجيد الثاني المصلح العظمى مدحت باشا ووضع دستوراً تقدماً يوطد دعائم الحرية والديمقراطية في البلاد.

وكانت الدول الأوروبية الكبرى التي تتنازع لحاف «الرجل المريض»، وهو اللقب الذي أطلق على الدولة العثمانية يومذاك، قد اتفقت على عقد مؤتمر في الاستانة لمعالجة المشاكل القائمة في البلقان وإصلاح الإدارة العثمانية، مبررة ذلك برغبتها في حماية الأقليات المسيحية والعناصر المضطهدة في الامبراطورية. ولم يكن هناك من يستطيع إخراج الدولة من ذلك الموقف العصيب إلا مدحت باشا، فان دستوره المقترن لدى الرأي العام في الولايات العثمانية النائرة وفي أوربة نفسها، بالمبادئ التي تشدها تلك الولايات، ينزع من الدول الأوروبية أكثر الحجب التي تتدفع بها للتدخل في شؤون الدولة العثمانية واقتطاع الولايات التابعة لها.

وفي اليوم الثاني عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦ (١٢٩٣ هـ) وهو يوم افتتاح مؤتمر الدول الأوروبية الست في الاستانة، بينما كان أعضاء المؤتمر مجتمعين لتقرير طرق الإصلاح التي ينبغي للدولة العثمانية انتهاجها، إذا بهم يسمعون مدافع الأسطول التركي تطلق نيرانها، وإذا بصفوت باشا وزير الخارجية العثمانية يقف بينهم قائلاً: «أيها السادة ان هذه المدافع التي تقصف على جهة الخليج، تؤذن بإعلان النظام الدستوري الجديد الذي رأى جلالة السلطان تطبيقه في الدولة. ولما

كان هذا النظام يكفل لسائر العناصر العثمانية حريتها الشخصية فلم يعد ثمة من حاجة إلى اجتماعنا بعد هذا الانقلاب .

وقد تلقى المندوبون هذه الكلمات بصمت عميق ، وتولاهم الذهول لهذه المفاجأة ثم قال مندوب انكلترة بلهجة اليأس : « إن مهمتنا قد انتهت أيها السادة » ولكن المندوب الروسي اعترضه قائلاً : « ان هذه المظاهر يجب ألا يكثر لها ، وألح على ضرورة الشروع في بحث الموضوع الذي انعقد المؤتمر من أجله ، إذ ليس هناك ما يضمن ان الدستور الذي أعلن سينفذ ، فوافق زملاؤه على رأيه .

وبينا الدول الست ماضية في مؤتمرها بالاستانة ، في التآمر على الدولة العثمانية بحجة حماية الأقليات والعناصر المضطهدة ، أخذ مدحت باشا يعمل على تنفيذ الدستور حالاً كي يثبت للرأي العام في تلك الدول ان سياسة الدولة العثمانية قد تغيرت حقاً بعد اعتناقها النظام الجديد ، فأطلق حريصة الرأي والنشر والاجتماع ، وعفا عن المبعدين السياسيين ، وأحسن معاملة الأقليات والطوائف المسيحية .

وما لبث المؤتمر ان أنهى أعماله بعد ان اتخذ عدة مقررات تنتقص من سيادة الدولة العثمانية ، ووجه إلى الباب العالي مذكرة جاء فيها ان مندوبي الدول الست وسفراءها عازمون على مغادرة الاستانة إذا رفضت هذه المقررات ، وقد أمهل الباب العالي أسبوعاً واحداً للإجابة عليها ، ولم يشأ مدحت باشا ان ينفرد الباب العالي بالجواب على هذا الانذار ، بل أراد ان يجيب عليه الشعب نفسه ، وبما ان مجلس النواب لم يكن قد تم انتخابه ، فقد دعا مائتين وخمسين رجلاً من قادة الرأي في البلاد على اختلاف طوائفهم وهيئاتهم ، إلى عقد مجلس وطني كبير ، فالتأم هذا المجلس في الباب العالي في ١٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ (١٢٩٤ هـ) وبحث مطالب المؤتمر فقرر رفضها في جو يلهب وطنية وحماسة .

وبادر مدحت فأرسل قرار المجلس الوطني إلى مندوبي الدول ، فلم يبطئ هؤلاء حتى غادروا الاستانة في ٢٠ كانون الثاني (يناير) . وما كاد السلطان الأحمر يطمئن إلى انتهاء الأزمة ، وزوال الضغط الأوروبي ، حتى أقال مدحت باشا في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ونفاه ، ثم ما لبث ان ألغى الدستور ، وحل مجلس

للنواب ، وأوقف حركة الإصلاح ، واضطهد المصلحين الأحرار ، وفرض على الامبراطورية أشد ألوان العنف والارهاب ^(١) .

ومرت الدولة بعد ذلك بأسوأ حقبة في تاريخها ، واستطاع السلطان عبد الحميد وبعطائه ان يستمروا في الهيمنة على أجزاء المملكة فترة طويلة ، كما استطاعوا ان يؤخروا بعث الوعي القومي ، وبخاصة الوعي العربي ، فترة ما ، فتفسخت المملكة ودب الفساد إلى كافة أجزائها ^(٢) .

وهكذا عانت البلاد العربية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ، أشد ضروب الظلم ، وأرهق الخطوب وأفدحها ، وأقسى أساليب الحكم الاستبدادي ، ولم يكن زبانية العثمانيين ، من مدنيين وعسكريين ليهتموا بشيء اهتمامهم باتخاذ خزائهم يستنزفونها من دماء الشعوب الفارقة في أقم دياجير البؤس والشقاء .

على أشلاء هذه الشعوب المختلفة الأجاس والقوميات ، شيد أولئك الحكام الذين لا يربطهم بمحكومهم إلا رباط التسلط ، قصوراً باذخة لم تكن في حقيقتها إلا هياكل للظلم والاستبداد ، والعنف والاستعباد ، تطل على الجموع البائسة ، وتقوم على أنقاض الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي انقسمت حياتها ما بين أفات مكبوتة وانفاضات يائسة لا تلبث أن تغرق البلاد في زكي الدماء وطاهر النجيع ، اللهم إلا إذا كانت تلك البلاد في الديار الأوروبية ، تحتضن حركاتها وتغذيها في آن واحد ، الدول العظمى الطامعة بأسلاب الرجل المريض .

وكانت الانباء ما تفتأ تترى إلى السلطان الأحمر عن طريق أولئك الحكام ، متحدثة عن الرفاهية التي ينعم فيها الناس ، في رعية لا تكف ألسنتها تتحدث بأي الشكر والثناء على السلطان ، صاحب الفضل الأول بالحياة السعيدة التي يحياها ملايين المحكومين !

ولم يكن السلطان نفسه بأفضل من ولاته ، وإنما كان أشد منهم وأظلم ،

١ - انظر مدحت باشا ابو المستور العثماني وخالف السلاطين لقديري قلمجي ص

٥١ - ٨٢

٢ - تاريخ الامة العربية ، عصر الانبعاث ص ٢٢

وأقسى وأعتى ، يعيش في جو مشحون بالفسق ، ودنيا غاصة بالجواسيس والعيون الذين لا هم لهم إلا تضخيم الأخطار التي يزعمون بأنهم تهدد حياته ، فيدفعونه إلى الامعان في غوايته ومضاعفة جواسيسه .

وكانت السياسة العامة تقضي بأن تبقى تلك الشعوب ، وفي مقدمتها الشعوب العربية ، في جهالاتها ، تتخبط في تيه العماية ، وتسيطر عليها ترهات رجال الدين الذين أخرجوا الشريعة عن محورها الأساسي ، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى طقوس وبدع هي أقرب إلى التمثيل الكوميدي منها إلى التعبد . وكان الدراويش - في ذلك الوقت - يشكلون قوة روحية ذات أثر بعيد ، يعتمد عليها السلطان كل الاعتماد ، تمكيناً لمركزه وتضليلاً لشعبه .

وهذا أبو الهدى الصيادي يتخذ من الدين سلاحاً بتاراً ، ويرفع السلطان إلى درجة الأولياء دينياً ، ليمتري هو ضرع الدنيا . وكثير من كانوا على شاكلة هذا الدجال الذي كشفه حكيم الشرق جمال الدين الافغاني .

لقد كان التعليم العالي وفقاً على أبناء الأمراء والولاة الحاكمين ، الذين كانوا يعلمون أولادهم في الاساتنة ليتولوا من بعدهم شؤون الادارة ويتبوأوا مراكز الحكم . وكانت البرامج المدرسية الهزيلة تتفق وروح السياسة الهادفة إلى تجهيل الشعب لا إلى تعليمه ، ولا سيما في العالم العربي .

وكان الطلاب العرب يواجهون مصاعب لا قبل لهم بتذليلها ، وأهمها قضية اللغة السائدة آنذاك ، لغة الحاكم التركية ، وهي اللغة الوحيدة التي تدرس في مدارس الدولة . أما اللغة العربية فلم تكن تدرس إلا في الكتاتيب والمدارس الدينية .

وقد انتشرت الكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم والخط العربي في كل حي من أحياء المدن العربية . وكان الأطفال يتراكمون فيها بعضهم فوق بعض ، يجلسون على الحصر القنطرة وينشأون في جو انعدمت فيه الوسائل الصحية الأولية . وكأكثر الآباء يكتفون بتعليم أولادهم ذلك القسط اليسير من المعرفة ، بينما يرسل غيرهم أبناءهم بعد تخرجهم من الكتاب إلى المدارس الدينية لدراسة الفقه والنحو على أيدي رجال الدين ذوي السلطة الروحية الذين كانوا يشنون الحملات على المدارس

العصرية ويفتون بأنها دور كفر والحاد ، مما يتفق وسياسة الدولة العثمانية التي كانت تشجع علماء الدين ورجال الطرق والمذاهب الصوفية القائمة على الخرافات ومحاربة العقل .

وهكذا نقشت روح الجبر والاتكال والزهد في الحياة ، وأفرغت الصفات القدسية على السلطان ، والسلطان يحشر في قصوره مئات المحظيات ، ويحيط نفسه بالوف الجواسيس ، منغمساً في حمأة الإثم والرذيلة ، بينما الشعب يعاني مرارة الجوع وعادية المرض وفداحة الجهل ، وتملأ عقله خرافات الأولياء والصوفيين والأدعية والأوراد .

في ذلك الجو المظلم عاش الانسان العربي خلال القرن التاسع عشر ، تملأ مخيلته الأوهام ، وتكتنفه الأباطيل ، وتغشى أبصاره ظلمات تمتد من ورائها ظلمات ، بينما كانت أنوار المعرفة تغمر عالم الغرب ، وأهازيج الحرية تنطلق من حناجر المصلحين هناك ، ومواكب الحضارة تتقدم في كل مكان بحثاً عن المواهب واستغلالاً للعبقريات . وعندما كانت شرارات المعرفة والحرية تلامس نفوس الأفاضل من شباب العرب ، أبناء الطليعة ورعيل الفداء ، كانت السلطات الحاكمة تبادر إلى اطفاء ما توهج من قبس وتوقد من نار ، فتعقل الألسنة وتكم الأفواه ، وتقمع كل حركة تنادي بالتححر وتدعو إلى الاصلاح ، حتى أضحت غياهب السجون وبجاهل المنافي وقفاً على رجال الفكر والمواطنين الاحرار ، فضلاً عن كان نصيبهم القتل والاعتقال أو من أغرقوا في لجج البحار^(١) .

لكن ما هو أشد وأدهى ، ان جهاز الادارة بار كبت عليه من اتقان محكم ، لم تسيطر فقط على عقول العامة ، ونفوس السواد ، بل وصلت سمومها وأوهامها إلى سويداء فئة كبيرة من ذوي الرأي وحملة الاقلام ، الذين لم يستطيعوا أن ينفذوا إلى الأعماق ، اما لبعدهم عن دار الخلافة ، وأكثر هؤلاء من المصريين الذين دهموا بالاحتلال البريطاني ، فكانوا يرون شعلة الأمل في العرش العثماني . واما لأنهم

١ - انظر عبد الرحمن الكواكبي لتقري فلعجي ص ٥ وما بعدها .

الطبول التي عملت أجهزة الدعاية على استخدامها ، فكانت أقلامهم وأفكارهم - مشاهير أم أم ، علموا أم لم يعلموا - موضوعة في خدمة التضليل ، وتجهيل الشعب ، وإن كنا نغفل إلى أن هؤلاء ، ولا سيما اعلام الوطنية منهم ، لم يرفعوا الراية العثمانية إلا فزاعة في وجه الاحتملال البريطاني ، وعلى رأسهم الزعيم الوطني الخالد مصطفى كامل^{١١} الذي قال في خطاب له ألقاه في الطلاب المصريين الذين يدرسون في باريس عام ١٨٩٥ ، ١٣١٣ هـ :

« حقاً ان سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكام السياسات وأرسلها ، فضلاً عن الأسباب العظيمة الداعية لهذا التقرب ، فإن العذر واحد . ولا يليق بنا أن نكون في فشل وشقاق في وقت يعمل فيه أعداؤنا على تجزئة دولتنا . ولا غرو إن كنا نتألم لآلام الدولة العلية ، فما نحن إلا أبناءها المستظلون بظلها الوريف المجتمعون حول رايها ... »

« وقصارى القول إن الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها ، ولا تحقق وحدتنا بغير الاتحاد والاتلاف ، فلتتحد قلباً ولساناً ، ولكن بدأ واحدة في خدمة الأوطان واسعادها ، ولنقل اليوم جميعاً من صميم أفئدتنا ليحيى جلالة السلطان عبد الحميد ، وليحيى العباس ، وليحيى العثمانية ومصر ... »^{١٢} ، وكثيرون هم الكتاب والشعراء والساسة والفقهاء الذين كانوا ينحون هذا النحو ، ويعزفون على هذا الوتر ، ويكفي أن يكون بينهم شوقي ، وحافظ ، واسماعيل صبري ، ورشيد رضا ، وعبدالله النديم ، وعبدالله فكري ، وتوفيق البكري ، وكل واحد من هؤلاء علم من أعلام الفكر وقائد من قادة النهضة . ومن أقوال شوقي في مخاطبة السلطان عبد الحميد قوله في قصيدة « صدى الحرب » :

١ - يخلط بعض الكتاب بين حركات النضال الوطني المحلية والحركة القومية العربية ، فمن الواضح مثلاً ان نضال الحزب الوطني في مصر لا علاقة له بالوعي القومي العربي ، وإن كان يؤلف صفحة رائعة من صفحات الكفاح العربي ضد الاستعمار .
٢ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص - ١٩ - ٢٠ .

بسيّفك يعلو الحق والحق أغلب
وما السيف إلا آية الملك في الوري
وينصر دين الله إياك قُضِر
ولا الأمر إلا لذي يتغلب

وقوله في قصيدة « نجمة الترك » :

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين

وقوله في قصيدة « ضيف أمير المؤمنين » :

رضي المسلمون والاسلام فرع عثمان دم ، فداك الدوام

وقوله في قصيدة « نجمة أمير المؤمنين » :

هنيئاً أمير المؤمنين فإنما نجاتك للدين الخفيف نجاة

والواقع ان الحركة الفكرية في مصر قد افترقت عن الحركة الفكرية في بلاد الشام منذ الاحتلال البريطاني في سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) واتبعت اتجاهاً وطنياً خاصاً بها ، فكانت العاطفة السائدة فيها هي العاطفة الاسلامية أولاً ، وكانت تحت تأثير الكيان المصري المحلي ثانياً ، فاكسبت شخصية ذاتية مستقلة عن بقية أجزاء العالم العربي ، وأدى هذا إلى انعزالها عن حركة القومية العربية انعزالاً يكاد يكون تاماً ، واتجهت مصر نحو افريقية وظلت الوحدة السياسية بينها وبين السودان مركز الثقل في نشاط الحركة الوطنية المصرية ، فساعد ذلك على انصراف مصر عن الشرق العربي بقضاياها ومشاكله جميعاً^(١) .

١ - للتوسع في هذا الموضوع انظر : حول الحركة العربية الحديثة ج١ ص ١٩ الدولة المشرقية والشرق العربي ص ٢٧٠ ذكريات المجلوني ص ٦ ، مذكراتي عيسى هاشم القصبة العربية ص ١٠ ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص ١٦ ، الوحدة العربية ص ١١٦ ، هذه قوميتنا ص ٢٨٨ ، الحقيقة عن العالم العربي ص ٦٢ ، الاحداث العربية في تاريخها الحديث ص ٢٢ تاريخ سورية لعلي ص ٢٥٢ .

ويقول جورج انطونيوس في ذلك : « كانت القاهرة وبيروت مركزين لألوان من النشاط متوافقة ، وكانت منزلتها التي بلغها مستمدة من مصدر ثقافي مشترك ، ولذلك كانا يؤثران معاً في سائر البلاد الناطقة بالضاد . ولكن حينما احتلت بريطانيا العظمى مصر سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) في الفترة التي بدأت فيها اليقظة القومية تتخذ طابع الحركة الفكرية - السياسية ظهر اتجاه فكري جديد ذو صبغة مصرية محددة ويرمي إلى هدف واحد لا يتعداه ، وهو السعي لإرغام جيش الاحتلال البريطاني على الانسحاب . وهكذا ولدت القومية المصرية ، واتجه قادتها وجهة جعلتها بمرور الأيام تزداد انفصالاً عن الحركة العربية العامة . ومع ذلك فقد ظلت الصلات الثقافية تربط بين مصر وسائر الاقطار العربية ، وخاصة ان وادي النيل قد زاد رخاؤه وأمنه في ظل وصاية انكلترة وحمايتها ، فأصبح لذلك مأوى يلتجئ اليه ضروب متعددة من الناس من طلاب العلم والكتاب والمفكرين السياسيين ، من البلاد العربية التي ظلت خاضعة لحكم السلطان . وكانت آمال المصريين لا تزال آنثى - كما هي اليوم - متفقة اتفاقاً كبيراً مع آمال العرب ، ولكن الانفصال كان تاماً في مجال العمل القومي الخالص . وهذا ما حدث أيضاً مع تونس التي كانت تحت الحماية الفرنسية . وهكذا وجدت الحركة العربية القومية نفسها محصورة حينئذ - أكثر من أي زمن مضى - في نطاق بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية (١) » .

وقد كانت الحدود غير واضحة لدى المفكرين العرب بين مفهوم الوطنية ومفهوم الدين . والحق ان اقتران الحكم العثماني بالاسلام ، ثم عدم تمييز أكثر المسلمين بين خليفة عربي عادل يحكم على أساس من الشورى ، وسلطان تركي مترفع على عرش الاستبداد ، بحجة أن كلا منهما هو « خليفة المسلمين » ، قد أساء إلى حركة العرب التحريرية وأخر تطور وعيهم القومي (٢) .

١ - يقظة العرب ص ١٧٤

٢ - انظر الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ص ٣٦ الامة العربية في معركة تحقيق

الذات ص ٦٠

وقد كان أولئك المفكرون يرون العثمانية والمصرية من معدن واحد هو الاسلام ولا تنقسم الواحدة عن الأخرى^(١).

وليس يعبر عن ذلك كما يعبر عنه هذان البيتان لأحمد محرم :

يا آل عثمان من ترك ومن عرب وأي شعب يساوي الترك والعربا
صونوا الملل وزيدوا مجده علماً لا مجد من بعده إن ضاع أو ذهب

وكما كانت العاطفة الدينية تسير أحياناً إلى جانب الشعور القومي ، أو تختلط به ، كانت النزعة الشرقية أيضاً تبرز أحياناً أخرى^(٢) في صورة غامضة تبرز بالقومية والاسلام ، كقول شوقي :

وما الشرق إلا اسرة أو عشيرة تلم بنينا عند كل مصاب
أو قوله يخاطب عبد الحميد :

وضع الشرق في يديك يديه وأنت من حماه الأقسام
أو قوله :

مالك ضمها الاسلام في رحم وشيعة، وخواها الشرق في نسب
أو قوله :

ناهيك بالسبب الشرقي من نسب وحبذا الاسلام من رحم

وقد بلغ من تعصب بعض المفكرين لهذه الاتجاهات الساذجة ، انه لما ظهرت الدعوة إلى القومية العربية رأى فيها بعضهم ضرباً من الحيانة ، واعتبرها آخرون بدعة ترمي إلى إضعاف الوحدة الدينية أو هدمها ، ودسيعة تهدف إلى تحطيم الدولة العثمانية التي هي دولة الخلافة العظمى وحامية الاسلام^(٣).

١ - الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ص ٣٧

٢ - انظر المرجع السابق ص ٧٢ - ١٠٤

٣ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٤

أما سكان جزيرة العرب فكانت أوضاعهم الاجتماعية وممارتهم الجغرافية ، لا تساعد على تأثرهم بفكرة القومية العربية عندها الحديث تأثراً سريعاً . باستثناء من أقام منهم في الاستانة وتفاعل نفاعلاً إيجابياً مع دعاة الفكرة العربية وتفاعلاً سلبياً مع دعاة القومية الطورانية . وفي مقدمة هؤلاء الشريف حسين بن علي وولده عبد الله نائب مكة في مجلس المبعوثين وفيصل نائب حدة . وبطبق هذا المعنى على من كان في الاستانة من المصريين وأبناء المغرب العربي وفي مقدمتهم عزيز علي المصري .

١ - انظر حول الحركة العربية الحديثة ص. ٢٠ .

الفصل الثالث

المفكرون العرب رواد القومية العربية

إذا كان شعور مفكري مصر ونجوى أفنديهم قد ظل متعلقاً بالاستانة ، وإذا كانت صيحات الأحرار هناك لم تخرج عن نطاق الولاء للرابطة العثمانية ، فإنها كانت أكثر انطلاقة وتفجراً قومياً في لبنان وسورية والعراق ، على أقلام الأدباء والمفكرين الذين عاشوا تحت النير العثماني ، واصطلوا بنار الاستبداد ، فلم يروا في الدولة العثمانية تلك الأم الرؤوم ولا في السلطان العثماني ذلك الأب الحادب ، وإنما رأوا فيها الدولة المسيطرة المستبدة ، ورأوا فيه السفاح والجزار .

ولم يكن يسيراً على هؤلاء الأدباء والمفكرين الجهر برأيهم والتعبير عن عاطفتهم ، وقد هاجر عدد منهم إلى مصر والبلاد الأميركية . ومن هؤلاء سليم سر كيس (١٨٦٠ - ١٩٢٧ م ، ١٢٧٧ - ١٣٤٦ هـ) صاحب جريدة « المشير » التي عرفت بعدائها للسلطان عبد الحميد ومؤلف كتاب « سر مملكة » الذي ندد فيه بسياسة الدولة العثمانية ، ومن أقواله رداً على أولئك الذين كانوا يعقدون الآمال على إصلاح الدولة العثمانية :

نرجو صلاح الترك قد	خابت أمانينا الكواذب
هي دولة ظلمت وليس العد	ل عن ظلم بذهاب

فانشد معي قولاً تردده المشارق والمغارب
ليس العجيبة فقدها بل عيشها احدى العجائب

ومن أروع الصرخات القومية الواعية التي تعالت في سماء البلاد العربية وأسبغها، قصيدة الشيخ ابراهيم اليازجي البائية التي قيل انه ألقاها في افتتاح الجمعية السورية في بيروت، ولكن المراجع الموثوقة تؤكد انه ألقى في هذه الحفلة قصيدة أخرى^(١). أما قصيدته البائية فقد نشرت غفلاً من التوقيع، وكان لها في إشعال الحماسة وإثارة النفوس، ما كان لنشيد المارسيليز من أثر في نفوس الفرنسيين، ومن المرجح انه نظمها في حدود سنة ١٨٦٨ م (١٢٨٥ هـ) وقد قال فيها :-

تبهوا واستفيقوا أيها العرب	فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالأمال تخدعكم	وأنتم بين راحات القنا سلب
الله أكبر ما هذا المنام فقد	شكاكم المهد واشتاتكم التوب
كم تظلمون ولستم تشككون، وكم	تستغضبون، فلا يبدو لكم غضب
ألفم الهون، حتى صار عندكم	طبعاً، وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتكم، لطول الذل، نخوتكم	فليس يؤلمكم خسف، ولا عطب
له صبركم لو ان صبركم	في ملتقى الخيل، حين الخيل تضطرب
كم بين صبر غدا للذل مجتلباً	وبين صبر غدا للعز مجتلب
فشمروا، وانفضوا للأمر، وابتدروا	من دهركم فرصة ضنت بها الحقب
لا تبتغوا بالمنى فوزاً لأنفسكم	لا يصدق الفوز، ما لم يصدق الطلب
خلوا التعصب عنكم، واستووا عصباً	على الوثام، ودفع الظلم، تعصب
لأنتم الفئة الكثوى، وكم فئة	قليلة، تم إذ ضمت لها الغلب

١ - الاتجاهات الأدبية للمقنسي ص ١٠٦ وهو يقول ان اليازجي ألقى في هذه الحفلة

قصيدته التي يقول في مطلعها :

سلام أيها الصرب الكرام	وجاد ربوع قلوبكم الفمام
لقد ذكر الزمان لكم عهداً	مغت قلما لكم يبع اللمام

هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم
وسلط الجور في أقطاركم ، فغدت
وحكم العليج فيكم ، مع مهاتته
سلاحهم في وجوه الخصم مكرهم
لا يستقيم لهم عهد ، إذا عقدوا
أعناقكم لهم رق ومالككم
بالت سماء نعاج بين أذرعكم
فصاحب الأرض منكم ضمن ضيعته
بالله يا قومنا هبوا لشأنكم
ألستم من سطوا في الأرض واقتحموا

وغادر الشمل منكم ، وهو منشعب
وأرضها ، دون أقطار الملا ، خرب
يقتادكم لهواه ، حيث ينقلب
وخير جندهم : التدليس والكذب
ولا يصح لهم وعد ، إذا ضربوا
بين الدمى والطلی والفرد منتهب
وبات غيورك للدر محتلب
مستخدم وريب الدار مغترب
فكم تناديكم الأسفار والحطب
شرقا وغربا وغزوا أينما ذهبوا

وتلت ذلك حقبة تمتع العرب خلالها بقسط أوفر من الحرية حين تولى مدحت
باشا ولاية سورية (١٨٧٨ - ١٨٨٠ م ١٢٩٥ - ١٢٩٨ هـ) وساعد على إيقاظ
النزعات القومية فيها ، وأسس الجمعيات والمدارس الخيرية . وفي هذه الحقبة نظم
ابراهيم اليازجي قصيدة لا تقل قوة وروعة عن قصيدته الأولى ، دعا العرب فيها
إلى الاتحاد القومي ، والكفاح في سبيل الحرية ، منوهاً بما تحقّق من ذلك للجبل
الأسود ، وبما جاء فيها :

دع مجلس الغيد الاوانس
ابن النعيم لمن يبيت على
ولمن تراه بائساً
ولمن ازمته بكف عداه
ولمن تباع حقوقه
ولمن يرى أوطانه
فالترك قوم لا يفوز
أولستم العرب الكرام

وهوى لواحظها النواعس
بساط الذل جالس
أبدأ لذيل الترك « بائس »
يظلم وهو آيس
ودماؤه بيع الحسائس
خربا كأطلال دوارس
لديهم إلا المشاكس
ومن هم الشم المعاطس

فاستوقدوا لقتالهم فاراً تروّع كل قاسب

وإذا كان ابراهيم اليازجي رائد الشعر القومي في أدبنا الحديث ، فات عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٣ م ١٢٦٦ - ١٣٢٠ هـ) قرينه في ميدان النثر . وقد أنشأ الكواكبي في حلب صحيفة باسم « الشهاب » فانطلقت من حروفها شهب أنارت معالم الطريق أمام القافلة الوطنية ، فاقبل الناس على التهام هذا الغذاء العقلي والزاد الروحي بنفوس متعطشة ونشطت القوى العربية الفتية للبحث عن شخصيتها الضائعة ، وترددت على الألسن أسئلة لم تكن قبل ذلك الحين لتلامس الأخيلة .

وقد أغلقت السلطة التركية هذه الصحيفة فعمد إلى إصدار صحيفة أخرى باسم « الاعتدال » ولم تكد أعداد هذه الجريدة تصل إلى أيدي القراء حتى رأى جميل باشا والي حلب انها أبعد ما تكون عن الاعتدال ، فبين حروفها تهدر نذر العاصفة التي تتجمع في آفاق العالم العربي لتهب عاتية مزججة تسف جذور الحكم العثماني ، فعمد إلى تعطيلها بعد فترة قصيرة من صدورها ^(١) .

إلا أن رسالة الكواكبي إنما انعكست في كتابيه « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » اللذين لم يستطع نشرهما في حلب ، فهرب بها إلى القاهرة حيث شاهدها النور ، والكتاب الأول هو مجموعة فصول رائعة في بيان أخطار الاستبداد وفضائل الحكم الشورى ، فهو يحتمل مسؤولية تأخر الأمة للحكم الارهابي للتعسفي الذي يسخر الدين والمجتمع والدولة جميعاً لخدمة أهواء الحاكم المستبد ، ثم يدعو مواطنيه إلى الأخذ بأهداب الحرية والعلم والديمقراطية لبناء مجتمع جديد .

وقد جاء في ختام « طبائع الاستبداد » هذا الهتاف الحار الموجه إلى الشعوب العربية :

« أترى اني أمام أحياء لهم حق التجة أو أمام أموات لهم حق الرحمة ؟ يا للتعساء ! ليس لكم راحة الأموات ولا قوة الأحياء . فإلى متى ترزحون تحت

١ - انظر : عبد الرحمن الكواكبي لقنري قلمجي ص ١٥ - ١٦

عبء غفلتكم ؟ انهضوا قبل أن تسحقكم يد القدر ...

« ساحكم الله الذي خلقكم أحراراً كالنور والنسيم !.. فماذا صنعتُم بحريتكم ؟.. آباؤكم لم يعرفوا السجود إلا للخالق ، وهم الآن يرقدون مستقيمين في أجدانهم آتئين في رقادهم ، أما أنتم حتى في حياتكم مقوسو الظهور لكثرة سجودكم .

» أيها العرب المسلمون ، اعلموا ان الاستبداد لمن أشد المظالم فاخلعوه إن كنتم مؤمنين ... وأنتم أيها العرب غير المسلمين ، تناسوا ضغائنكم . أنتم الأولون الأكثر تنويراً وثقافة ، وعليكم أن تجدوا الوسيلة لترحيد الصفوف . انظروا إلى النمسا والمجر وإلى الولايات المتحدة الاميركية كيف أدى التطور فيها إلى التضامن القومي . لماذا لا نحذو حذوها ونقول لهذا الاجنبي الذي لا يتكلم لغتنا : دعنا نتدبر أمورنا بنفسنا ؟ ! فلنتحد ولنصرخ قائلين : لتحي الأمة ، ليحي الوطن ، ولننش أحراراً كرماء .

أما كتاب « أم القرى » فقد نخل فيه ان جمعية سرية عقدت مؤتمراً لها في مكة المكرمة ، وكان المؤتمرين يمثلون معظم البلدان الاسلامية ، وقد عكفوا على مناقشة قضايا مجتمعاتهم كل بحسب ما يرى من طرق الاصلاح للقضاء على الآفات الضارة في بلاده ، وإذا كان الاتجاه العام في أبحاث الكتاب إسلامي الطابع ، فانه لم يخل مع ذلك من لمحات قومية ذات أهمية كبرى .

لقد كان عبد الحميد بخدر أعصاب العرب ويصرفهم عن الوعي القومي بسلطته المستمدة من الخلافة الإسلامية ، فجاء الكواكبي يدعو إلى فصل الملك عن الخلافة والدين عن السياسة ، وإلى عودة الخلافة إلى الأمة العربية ، منبهاً إلى ان دعوى الخلافة في القسطنطينية يجب ان تعوق العرب عن طلب الحرية والاصلاح ، داعياً إياهم إلى الاستقلال في حكم أنفسهم بمثل قوله : « إن التطابق في الجنس بين الراعي والرعية يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأسها فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي :

ولما الناس بالملوك ولا يفلح عرب ملوكها عجم !

وقد أوضح أسباب ميل « الجمعية » إلى العرب من دون الشعوب الإسلامية الأخرى ، فسجل لهم ستاً وعشرين مزية يفضلون بها غيرهم من الأقوام، منها الحرص على الحرية والاستقلال والتمسك ببادئ الشورى ومكارم الأخلاق ، وختم هذا «القرار» بقوله: « ف هذه هي الأسباب التي جعلت جمعية «أم القرى» ان تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية (١) » .

وفي تلك الفترة نفسها لمع في دمشق اسم الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥١-١٩٢٠م ١٢٦٨ - ١٣٣٩ هـ) ، واشتهر فيها بسعة الاطلاع وقوة الحججة ومضاء العزيمة والعمل على إنشاء المدارس ، وإصلاح طرق التعليم ، ووضع الكتب المدرسية ، ومن آثاره الباقية دار الكتب الظاهرية التي أنشأها ليجمع شتات الكتب النفيسة ، المخطوطة والمطبوعة ، الموقوفة على طلاب العلوم ، وكانت مبعثرة في مكاتب المدارس الدينية ، تعبت بها أيدي النهب والتلف ، فخشي أن تفقد بأجمعها ويحرم الناس من فوائدها ، فضمها جميعاً في مكتبة واحدة .

وانتقد طاهر الجزائري الأسلوب الأدبي السائد في عصره ، وأخذ يرشد الناس إلى نفائس الاعلاق من كتب المتقدمين وأمهات اللغة العربية التي كانت كنزاً دفيناً قل من سمع بها أو اطلع عليها ، فكان يبذل جهده لبعثها ونشرها ، وكذلك عرف أهمية التاريخ كمرآة للعصور الغابرة ومراقبة للأجيال الحاضرة ، فعني بإحياء التاريخ العربي وإرشاد الطلاب إلى دراسته وانعام النظر فيه ، والدلالة على كنهه المفيدة والسعي لطبعها كي يتخذ الخلف من تجارب السلف نبزاً يهتدي بأنواره إلى الطريق القويم .

وكان يقاوم الظلم ، ويكره الاستعمار ، وينتقد السياسة العثمانية ، ويرى أن سيطرة الاجنبي على بلاد العرب هي التي أوقفت تطورها وأخرتها عن مسايرة ركب الحضارة ، إلا أنه لم يكن قانطاً من التحرر أو يائساً من الإصلاح ، وإنما كانت ثقته قوية بمستقبل الأمة العربية ، واستعدادها للنهوض من عثرتها ، متى أخذت

نأسباب العلم ، ونشأ أبناؤها على التربة القومية الواعية التي تقوي القلوب ونشد العزائم وتمزق عن العيون غشاء الأوهام .

ومن التهم التي أخذت عليه وحورب بها ، المروق من العثمانية ، والحيانة الوطنية والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية المملكة . وقد توسل خصومه بذلك فألغوا منصبه في الحكومة - وكان مفتشاً عاماً في المدارس الأميرية - خوفاً من انتشار أفكاره ، فازداد نشاطه ، وأخذ يعلن بصراحة ما كان يتحدث عنه بشيء من الحذر ، فدوهم منزله وهو غائب عن دمشق ، فأظلم الأفق في عينه وبادر بالرحيل إلى مصر^(١) .

وكذلك كان شأن أدب سحقي (١٨٥٦ - ١٨٨٥ م ١٢٧٣ - ١٣٠٣ هـ) الذي غادر دمشق إلى بيروت فاقاهرة ، وكان من أنصار الحرية والشورى ، ودعاة البقطة العربية ، ومن أقواله في هذا الصدد :

« ألم يكن في هذه الأفطار نفر من أولي العزم تبعهم الغيرة والحمية ، على جمع الكلمة العربية ، فيلاقون حولها قبل التلاف ؟ بل ما ضرّ زعماء هذه الأمة لو سارت بينهم الرسائل بتعين الوسائل ، ثم حشدوا إلى مكان يتداكروا فيه ويتجادون ، ثم ينادون بأصوات متفقة المقاصد كأنهم من فم واحد ... فلموا بنشد الضالة ونطلب النهوب ، لا نقوم في ذلك بأمر فئة دون فئة ، ولا نتعصب لمذهب دون مذهب . فنحن في الوطن إخوان نجمعنا جامعة اللسان ، فكلنا وان تعددت الافراد إنسان . أمحبون ان ذلك الصوت لا يكون له من صدى ، أم نحافون أن يذهب ذلك الاجتهاد ، أم لا يعلمون أن مثل هذا الاجتماع منزهاً عن المقاصد الدينية ، منحصرأ في العصبية الجنسية والوطنية ، مؤلفاً من أكثر النحل العربية ، يزلزل الدنيا اضطراباً ، ويستميل الدول جذباً وارهاباً ، فتعود للعرب الضالة التي ينشدون ، والحقوقي التي يطلبون^(٢) »

١ - انظر الفصل طاهر الجزائري في كتاب « السابقون » لقددي طلعجي

٢ - انشد ص ٢٠١ - ٢٠٣

وكما ارتفعت في مصر أصوات عريضة تحرض العرب على النهوض وتحثهم على التحرر، ارتفعت في باريس أصوات بمائلة منها صوت نجيب غازوري المسيحي السوري الذي ستنحدث عنه في الفصل المقبل ، ومنها صوت شكري غانم المسيحي اللبناني الذي نشرت مجلة « مراسلات الشرق » بتاريخ ١٥ حزيران (يونيه) ١٩١٠ بياناً له شرح فيه الاسباب التي حملته على الدفاع عن بني قومه قال فيه :

« اني شقيق نائب سورية السابق الذي توفي في باريس وكان صديقاً حميماً لمدحت باشا أبي الدستور ، وقد دفعني الواجب المقدس أن أبسط بكل نزاهة واعتدال قضية العرب في تركيا التي يعتبر حلها فوق كل اعتبار لأنها تم جميع العثمانيين . وقد فعلت ذلك خدمة للمصلحة العامة ، والقضية ليست بجديدة .

« أمن حسن السياسة أو العدالة أن يمس حتى في أدق شعوره ذاك العربي الفخور الكريم والمقاتل الباسل ذو المجد التليد الذي يؤلف نصف شعب السلطنة العثمانية ، ولماذا يحاول القضاء على نصف قوى الدولة من الثروة البشرية عفواً لوجه الله ؟ فإضعاف العربي يعني إضعاف تركية وبالتالي تحقيق تاريخ ومدنية تجلبها الانسانية » .

وقد اتخذ شكري غانم لنفسه صفة المدافع عن حقوق العرب بعد أن فاجأ العالم بشاعريته الفذة . والواقع إن رواية « عنتره » التي وضعها باللغة الفرنسية ومثلت لأول مرة على مسرح الاوديون بباريس في ١٢ شباط (فبراير) ١٩١٠ ، قد أحرزت نجاحاً باهراً لأنها لم تكن ظاهرة أدبية وفنية وحسب ، بل ظاهرة سياسية أيضاً باللغة الخطورة جاءت إبان معمران الثورة في تركية . وعنتره لم يمثل فيها ذاك الشاعر الثائر المغرم برمال الصحراء بل كان رمزاً للبعث العربي وللوحدة العربية . وفي هذه المسرحية الرائعة يقول عنتره :

— إني أسير طائعاً لحكم الواجب المقدس الذي يلي عليّ خطة سيوري ، فقد أخذت على عاتقي نصره حصّاد كبار وقد يحل اليوم بدء الحصاد ...

ويسأله راعٍ : ولكن إلى أين أنت ذاهب ؟

فيجيب : إلى مملكة لا تزال تبنى . ويقتني أن بهاءها سوف يبهز العالم !

وقد حدد عنبرة هذه المملكة بقوله :
 « الوحدة العربية في قبضة سيد أوحده »
 واتخذ الشاعر موت عنبرة في الفصل الخامس من المسرحية مناسبة لتوكيد رأيه
 في مصير العرب :

— يجب أن يكون موتى حياة لأتباعي وللمجد ، لمجد العرب ، ويخط أحرفاً
 ذهبية في صفحة التاريخ ... ان مستقبل الوطن لا يقوم برجل واحد ، وما من
 قوة تقدر أن توقف شعباً عن مسيره ، فالعرب يشون اليوم وثبة السباع ، وأراهم
 من خلال غشاء عيني يصعدون المراقي إلى المجد . ماذا يضير النسر الطموحة إذا
 فقدت ريشة من أجنحتها . يجب أن يولد الألم لتولد الحياة . يجب أن تموت القمم
 في التراب لتنمو ، فالحياة هي ثمرة من شجرة الموت . اذهب ، ستبصرني فيما بعد
 بارزاً في ثلم الردى . اذهب واحترس على القمة الملقاة في التراب (١) .

وقد حاول عبد الحميد لإخماد هذه الشعلة التي اضطربت في صدور العرب ، بآثاره
 التعصب الطائفي والقضاء على كل فكرة قومية ، وبلغ من تطرفه في هذا السيل
 جعله اللغة التركية لغة التعليم ، وكانوا يسمونها « اللغة العثمانية » لإيهام الطلاب
 العرب انها لغتهم باعتبارهم عثمانيين ، فقابل العرب ذلك بالاقبال على اللغة العربية
 وآدابها وعلومها ، باعتبارها الرابطة المشتركة فيما بينهم (٢) ، وأحد المقومات الأساسية
 للقومية العربية ، ولأن النهضة الأدبية والعلمية هي الأساس الذي ترتكز عليه
 الحركات السياسية والسبيل القويم لدفع الأمم نحو سيادتها واستخلاص حقوقها (٣) .
 وبلغ من حماسهم لها أن وضعوا الأناشيد في التغني بها والحث عليها كقول أنيس
 المقدسي في مطلع أحد الأناشيد وكان لا يزال في سن الشباب :

لغة العرب اذكرينا واذكري ما فات

١ - نهضة العرب ، التحرر للاستقلال فالدولة ، ص ٣٢ ، انظر ايضا ترجمة
 الياس ابو شبكة لمسرحية عنبرة .

٢ - انظر المراحل التاريخية للقومية العربية ص ١٢ .

٣ - انظر قادة التحرير العربي في العصر الحديث ، ص ٥٥ .

كيف نساك وفينا نفحة الحياة ؟

وقد ترامى صدى هذه الحماسة إلى وادي النيل فقال حافظ ابراهيم من قصيدة
كبرى على لسان اللغة العربية :

رجعت لنفسي فأنهت حصاتي رموني بعقم في الشباب ولتني ولدت ولما لم أجد لعرائسي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة أنا البحر في أحشائه الدر كامن فيا ويحك أبلي وتبلى محاسني فلا تكلوني للزمان فياني أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة	وناديت قومي فاحتسبت حياتي عقمت فلم أجزع لقول عدائي رجالاً وأكفاء وأدت بنياني وما ضقت عن أي به وعظمت وتسقى أسماء لختوعات فهل سألوا الغواص عن صدفاي ومنكم وان عزّ الدواء اساني أخاف عليكم أن تحين وفاني وكم عزّ أقوام بعزّ لغات
--	---

ولعبد الحميد الرفاعي وأبي الفضل الوليد وفؤاد الحطّيب ومحمد غنيم وقسطاكي
الحصي ومعروف الرصافي والشاعر القروي قصائد ملتهبة في الدفاع عن اللغة العربية
وبيان مزاياها والدعوة إلى التمسك بها ، أمام محاولات القضاء عليها أو الانتقاص
منها^(١) ، ويمكن تلخيصها جميعاً بأن اللغة العربية هي أحد المقومات الأساسية
للشعور القومي والرابطة الأساسية بين الشعوب العربية ، وقد أجل الرصافي
ذلك بقوله :

وتجمعنا جوامع كبريات وأكبرهن سيدة اللغات

وقد رافقت تلك السياسة الحميدية حركة ارهابية قلّ أن عرف التاريخ لها مثيلاً،
ولكن بذرة الحرية كانت قد زرعت في أرض طيبة، وهيئات ان يستطيع الارهاب

١ - انظر الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ص ١٩٩ - ٢٢٠

سحق غرسة الحرية إذا تعهدا أبطال يقتحمون الموت في سبيلها .
ومن هؤلاء الأبطال الذين لم ينهم إرهاب عبد الحميد عن الدعوة لإيقاظ العرب
والسعي لتحريرهم ، الشاعر الحلبي جبرائيل دلال ، ومن قصائده الذائعة قصيدة
« العرش والهيك » ، وهي تمتاز بجبرأتها وصراحتها ، وكان قد نظمها في باريس فعبّر
عن آرائه في جور السلطان وشعوذة الكهنوت ، إلا أنه ما لبث أن اعتقل وقضى
في أعماق السجن ، وقد قال فيها مندداً بالاستبداد الحميدي ، داعياً قومه إلى الثورة
على الطغيان (١) :

فلم الخضوع لذي البغاة وما لها	عجباً تيه بتاجها وقضيها
هل إنها إلا أناس مثلنا	وبنا ومنا العزم في تغليبها
فالجيش من أولادنا لقتالها	والبنخ من أموالنا لمعيبها
يا غافلين تنهروا من رقدة	طالت لسعد الوحش في تأديها
ها انفضوا وبطردوا اجتهدوا فقد	ساد الدمار وعمّ من تخريبها
حتى يرى كل الوري فوق الثرى	بالأمن يرعى شأنها مع ذيبها

ومن أحرار ذلك العهد، شاعرا الرافدين الصنوان الطليعيان الزهاوي (١٨٦٣ -
١٩٣٦ - ١٢٨٠ هـ - ١٣٥٥ هـ) والرصافي (١٨٧٥ - ١٩٤٥ م ١٢٩٢ - ١٣٦٥ هـ)
وشاعر البوسفور والنيل معاً ولي الدين يكن (١٨٧٣ - ١٩٢١ م ١٢٩٠ - ١٣٤٠ هـ)
الذي كان لا يرى حيث التفت إلا ماتم ذلك الوطن الغارق في لجة دماء أبنائه، وقد
استحالت أسلاؤهم سفناً في ذلك اليم القاني :

أبا وطناً قد جرى الفساد به	متى يرينا اصلاحك الزمن
دفنت حياً وما دنا أجل	ما ضرت لو دافنوك قد دفنوا
دماء أبنائك الكرام جرت	بجراً ، فأسلاؤهم لها سفن

وقد أنشد الزهاوي في الاستانة سنة ١٨٩٧ (١٣١٥ هـ) قصيدة اعتقل على

١ - الحركة الأدبية في حلب ص ٧٣ - ٨٥ ، الانجاه القومي في الشعر الحديث ص ٢٣ .

أثرها ثم أخرج من العاصمة التركية وأعيد إلى بغداد على ألا يروحها ، كأنما خشي
السلطان ان يذهب الشاعر إلى مصر ، وكانت قد سبقت له رحلة إليها ، فيتسع المجال
ليراعه في محاربة الاستبداد^(١) وقد قال في هذه القصيدة مخاطباً المواطن العربي:

ألا فانتبه للأمر حتام تغفل	أما علمتك الحال ما كنت تجهل
أغث بلداً منها نشأت فقد عدت	عليها عواد للدمار تعجل
وما رابني إلا غرارة فتية	تؤمل إصلاحاً ولا تتأمل
تؤمل إصلاحاً وترجو سعادة	ألا باطل ما ترنجي وتؤمل
وما هي إلا دولة همجية	تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالإعزاز من كان جاهلاً	وتخفض بالإذلال من كان يعقل

ومن نفاثاته الرائعة قوله بمخاطبة السلطان :

ان الرعية أغنام بحجة لهم	ولائك المستبدون السكاكين
يا عدل ان التفاتاً منك يسعدنا	يا عدل ان ابتساماً منك يكفينا
ما جاءنا الشر إلا من تهاوننا	وعننا الظلم إلا من تغاضينا
لا بدّ من فك ما قد شدّ من عقد	كف الاسار - بأيدينا - بأيدينا
ان الذين استحبوا قتل أنفسهم	فراً من الظلم ما كانوا مجانينا

أما الرصافي فكان أكثر إيجابية ، ولم يكن من رأيه ان ينتحر المظلوم وإنما
ان يستشهد تحت علم العدالة ، والدفاع عن حقه ، ولا عنذ للجباب ما دام الموت
غاية كل حي :

يا عدل طال الانتظار فعجل	يا عدل ضاق الصبر عنك فاقبل
كيف القرار على أمور حكومة	حادث بنا عن الطريق الأمثل
حتام نبقي لعبة لحكومة	دامت نجرعنا نقيع الحنظل

١ - الزهاوي للدكتور ماهر حسن فهمي ص ٩٤ .

تنحو بنا طرق البوار تحيفاً وتسومنا سوء العذاب الأهول
ما بالنا منها نخاف القتل ان قمنا ، اما سنموت ان لم نقتل ؟..

وينظر الشاعر بطرف خفي إلى قول المعري بحكام زمانه :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

فيولد منه معنى حديثاً جريئاً يلتقي في الوقت نفسه مع المعنى الذي ذهب اليه
جبرائيل دلال في قصيدته الآنفة الذكر :

عجبت لقوم يخضعون لدولة يسوسهم في الموبقات عميدها
وأعجب من ذا انهم يرهبونها وأموالها منهم ، ومنهم جنودها

ومن المهاجر العربية ارتفعت أصوات ثائرة تدعو العرب إلى اليقظة وتحثهم على
النهوض ومنها صوت ايليا أبو ماضي الذي قال في إحدى قصائده :

أدركت غاياتها كل الشعوب نهض الصين وما زلنا نيام

وقال في لوعة مرة :

متى كان جنكيز لقحطان سيداً فيمسي بنو هذا لذاك موالياً

وقال مستكراً تحكم الأتراك بالعرب وهؤلاء هم الأكثرية في الدولة العثمانية :

إلى كم يحصرون الحكم فيهم وكم ذابيتغون بنا احتكاما
ألسنا نحن أكثرهم رجالاً إذا عدوا ، وأرفعهم مقاما

الفصل الرابع الفجر والكاذب

كان الظلم والاستبداد الحميديان لا يشملان القوميات المغلوبة على أمرها ، وإنما كان بغى هذا الطاغية ينبخ على العنصر التركي نفسه ، يسوم الأحرار أياً كانت قوميتهم وجنسياتهم بغياً وعتواً . وكان المستغيرون من الأتراك ولا سيما أولئك الذين كحلوا أنظارهم برؤية الديار الأوروبية ، واحتكوا احتكاكاً مباشراً بالثقافة الغربية ، موضع المراقبة المستمرة والملاحقة الدائمة .

ولكن الظلمة مها اشتدت ، والعسف مها سيطر ، لن يحولا دون رؤية النور وتنسم أنفاس الحرية ، وكان عام (١٨٨٩ م ١٣٠٧ هـ) عام تمخض فكري لتيار جديد في أفكار الطليعة المثقفة في الديار العثمانية . . . إذ يصادف هذا العام الذكرى المئوية للثورة الفرنسية وكان يوم ١٤ تموز من تلك السنة يوماً خالداً ، أوقد باريس شعلة من المهرجانات وفجرها مشاعر أفراح ومشاتل أعراس ، تتجيداً ليوم الحرية ، وقد لامس ذلك النور الرضاء شغاف قلوب أولئك الفتية الذين يدرسون في مدينة النور ، فقرروا ان يكون لهم كذلك يوم حريتهم . . . وكان مدير معارف بروسة أحمد رضا ، في حاضرة فرنسة يشهد مهرجان النور ، فوقر في نفسه أن يتخلل عن وظيفته ، ويبقى خارج سجن العبودية ، مؤثراً العمل في الحاضرة الفرنسية ، حيث

أصدر صحيفة دعاها «المشورة» ودعا فيها إلى المبادئ الدستورية والحياة الديمقراطية. وكانت ظلال النور هذه قد غزت فيما غزته قلوب فئة مختارة من طلاب كلية الطب في استانبول ، فعقدوا الحناصر فيما بينهم على إنشاء جمعية سرية تعمل لإعلان الدستور .

ثم كانت هناك وشائج روحية ما بين طلاب الكلية ومريدي أحمد رضا، تمخضت عن تشكيل جمعية واحدة باسم « جمعية الاتحاد والتقدم العثمانية » وكان من أبرز القادة في تاريخها الطويل الضباط أنور ونيمازي وطلعت وجمال ومصطفى كمال . أما البيئة الصالحة والتربة الخصبة التي نمت فيها مبادئ تلك الجمعية فكانت مقاطعة مقدونية (التي تعرف بالولايات الثلاث) وذلك لأنها كانت تحت المراقبة الدولية من جهة ، وقد اجتمع فيها من جهة ثانية عدد كبير من العسكريين الناهين والمدنيين المثقفين .

وبعد إعداد وتنظيم استمر منذ سنة ١٨٨٩ (١٣٠٧ هـ) ، وكفاح صامت اتخذ أشكالاً مختلفة وأسماء متعددة وكانت له ضحاياه الكثيرون ، قام الضباط الأتراك في مقدونية بحركة خاطفة لقيت التجاوب الكلي من سائر القطع ، وأخذت مدافع الابتهاج تجلجل في أنحاء الامبراطورية تحية لإعادة الدستور (المشروطة) ، بحيث لم يجد القابع على عرش البغي الا وخيال مدحت باشا يمسك بأنفاسه ، فسلم صاغراً بإعادة الدستور . ووافق إعلان الدستور في ٢٤ تموز (يولييه) سنة ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) بإبطال شبكة التجسس ، وإلغاء نظام المراقبة وإخلاء سبيل المعتقلين السياسيين .

وقد تبع إعلان الدستور دعوة البلاد العثمانية إلى الانتخابات النيابية ، وتألف مجلس المبعوثان في دورته الأولى من ٢٧٥ نائباً ، بينهم ٦٠ نائباً للعرب و ٢٥ نائباً للآلبان و ٢٤ نائباً لليونان و ١٢ للأرمن و ٥ لليهود و ٤ للبلغار و ٣ للصرب و ١ للفلاخ ، فكانت نسبة نواب العناصر غير التركية بمجموعها متعادلة تقريباً مع نواب العنصر التركي بفردته ^(١) .

وقابل العرب الدستور بحماسة عظيمة ، وتناسوا في غمرة هذه الحماسة كل شيء ، وانضموا إلى الترك قلباً وقالاً ، اعتقاداً منهم بأنه لم يبق في الدولة عرب ولا ترك ولا أرمن ولا أكراد بل صاروا كلهم عثمانيين ، متساوين في الحقوق والواجبات ، وانجحت أنظارهم إلى جمعية الاتحاد والتوقي اتجاهها لم يعهد له مثل في تاريخ الانقلابات^(١) .

وكان المفكرون العرب ، ثقة بأحرار الأتراك ، أول من محضوا هؤلاء أخلص الود وأنبل العواطف ، لا سيما وانهم كانوا من مؤيدي حركتهم قبل انتصارها ومن المناضلين في سبيلها ، حتى ان أديباً عربياً هو خليل غانم (اللبناني) قد أصدر في باريس صحيفة بالفرنسية باسم «تركية الفتاة» وان ضابطاً عربياً هو محمود شوكت^(٢) (العراقي) تولى قيادة الجيش الذي زحف من سلانيك واحتل استانبول في حركة سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) التي أسقطت السلطان عبد الحميد كما سنرى بعد قليل .

وقد تحولت أرجاء الامبراطورية على اختلاف أصقاعها وديارها إلى أعراس ومهرجانات أقيمت للحريّة التي كان من عنادها الشعراء ، ومن الناطقين باسمها الكتاب والخطباء ، وعلى رأسهم الزهاوي الناقم والرصافي الشاعر ، اللذان لم يطرحا نقمتها فحسب وإنما راحا يغنيان الشعب فرحتها بسائر جوارحها ، وقد طغى عليها حاد الشعور ، حتى هاجت مدامع الزهاوي أمام جموع الشعب المبتهج ، وتمثل فيه صورة لليم الطامي الأمواج المتدفق التيارات :

وقفت والعين تبكي من مسرتها أمام شعب من الأفراح عجاج
أمام بحر من الأفكار مضطرب أمام جيش من الأصوات رجراج
قد أعلنت للورى حرية فمضى زمان سخرة ذي أمر وكرجاج
ان الشعوب إذا هاجت عواطفها كالبحر يضرب أمواجاً بأمواج

وقال الرصافي وقد أذهلته الفرحة وخيل اليه ان إعلان الدستور قد حقق كل

- ثورة العرب ص ٤٩ .

٢ - هو شقيق حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ .

يا شرق بشراك أبدى شمك الفلك وزال عنك وعن آفاقك الحلك
أضحى به القوم أحراراً قد اعتصموا من النجاة بجبل ليس ينتبك
ناد به القول عن أهليه مستمع والحق متبع والأمر مشترك

هذا في ديار الرافدين ، أما في أرض الكنانة فقد بلغت النشوة ذروتها على لسان
كل من شوقي وحافظ اللذين راحا يكيلان المديح للسلطان عبد الحميد معتبرين
الدستور هبة وعطاء من ذلك المستعلي على عرش الطفيان .
وبما قاله شوقي في قصيدته في الدستور العثماني :

بشرى البرية قاصيها ودانيها	حاط الخلافة بالدستور حاميا
أسدى إلينا أمير المؤمنين يداً	جلّت كما جل في الاملاك مسديا
وليس مستعظماً فضل ولا كرم	من صاحب السكة الكبرى ومنشيا
ان الندى والرضى فيه وأمرته	واث للخير هاديه وهاديا
خلافة الله في أحضان دولتهم	شاب الزمان وما شابت نواصيا

أما في سورية ولبنان فلندع حديث الشعور بنعمة الدستور لأحد كتاب ذلك
العهد وهو سليم سر كيس الذي كتب في جريدة « لسان الحال » في أول آب
(أغسطس) سنة ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) واصفاً أفراس الشعب ، واضعاً يده على
مكمن الداء وصر الدواء :

« هذه أول مرة شعرت فيها بالوطنية التي يشعر بها كل من قدر الوطنية
قدوها بتزاور الناس من جميع الطبقات وهم فرحون منشرحو الصدور ، فاليوم
شعر السوريون بطيب الحوية وأدركوا سوء مغبة الاستبداد والضغط ، وعرفوا أن
التعصب الذي يفرق الكلمة يفرق القلوب . اليوم دعوا ان أوروبة لم تستفل صولتها
إلا بالاتحاد ، ولا اتحاد مع التعصب ^(١) »

١ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص ٤٦ .

ويلاحظ الاستاذ عمر الدقاق ان اعلان الدستور أحدث هزة في النفوس ففرت بالوعي إلى الأمام ، كما أدى إلى انطلاق أغاريد الشعراء لاهجة بالحرية التي طال احتباسها . ومع أن جميع شعراء العرب في شتى أقطارهم ومهاجرهم هلّلوا لاعلان الدستور الجديد ، فإن هذا التهليل لم يبلغ لدى شعراء مصر المدى الذي بلغه في سائر البلاد ، وما ذلك إلا لأن مصر كانت غير خاضعة للحكم العثماني المباشر . ويبدو هذا الفارق بشكل أوضح فيما نُظِم من قصائد إثر سقوط عبد الحميد . وإذا استثنينا ولي الدين يكن الذي عانى أهوال الاستبداد ، فإن أكثر شعراء مصر ومنهم اسماعيل صبري وحافظ ابراهيم واحمد شوقي ومحمد عبد المطلب وأحمد محرم، أظهروا عطفاً بالغاً على السلطان الخلع . وهم في ذلك إنما يتجاوبون مع مشاعر المصريين الذين ما زالوا حتى ذلك الحين يرجون خيراً في نظام الخلافة العثمانية ^(١) . كما يلاحظ الدكتور أمجد الطرابلسي ان الحماسة التحررية الداعية إلى تمرد العرب على الترك والانفصال عنهم ، قد فتر في فورة هذه الفرحة الدستورية ، لأن الانفصال لم يعد له في الظاهر ما يسوغه بعد ان جاء الدستور يطمئن المواطنين على حرياتهم ، ويعلن المساواة التامة بينهم على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم ولغاتهم ^(٢) . ومن أطرف ما رواه يوسف الحكيم ان نجيب بك مدير الشرطة والأمن العام في بيروت آنئذ ، كان يدخل المقاهي والمجتمعات التي يرتادها عامة الشعب ويقف خطيباً في موضوع الساعة ، وهو موضوع الإخاء الوطني ، طالباً ، كدليل على اعتناق مستمعيه هذا المبدأ ، ان يلقي كل واحد أرضاً ما بحمله من سلاح حين يضع هو منديله على عينيه ، فتم له ما أراد ، وبلغ ما جمع من الأسلحة في ذلك اليوم ملء مائة صندوق ^(٣) .

والواقع ان أبناء القوميات المضطهدة وفي مقدمتهم العرب ، قد استقبلوا ذلك الفجر الكاذب بكل مشاعرهم الصادقة وآمالهم الحارة ، متوهمين ان تاريخاً جديداً قد

١ - الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ص ٢٧ .

٢ - شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص ٢٠ .

٣ - سورية والعهد العثماني ص ١٥٨ .

بدأ بإعلان الدستور ، وإن هذا الدستور كفيل بإزالة جميع المساوئ والمظالم ، وإقرار شرعة العدالة والتأخي والمساواة .

ولعل الشيخ طاهر الجزائري الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق ، وروينا كيف غادر دمشق إلى القاهرة هرباً من الاضطهاد العثماني ، هو المفكر الوحيد ، أو أحد المفكرين القلائل ، الذي لم يطمئن إلى العهد الجديد ، ورفض العودة إلى سورية ، لاعتقاده بأن الوضع فيها لم يختلف بالنسبة إلى العرب ، وكل ما حدث أن البلاد العربية قد انتقلت من استبداد إلى استبداد .

إن الحاكم المستبد إنما يريد الحرية وفقاً على مشيئته وإرادته ، أما مشيئة الآخرين وإرادتهم فلا قيمة لها في ميزانه ، ولا أثر لها في نفسه ، ولذا فإن القابع في قصر بلدز عرف كيف يحرك جواسيسه وعيونه المرتدين حلة الدروشة ، واستطاع هؤلاء أن يحركوا جنود العاصمة فيثوروا في ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) بضباطهم ويقتلوا الكثيرين منهم وبينهم عدد من الضباط العرب ، وهاجموا المجلس النيابي ، وبغتالوا وزير العدل والأمير محمد أرسلان أحد النواب العرب مرددين صائحين : « باشا سون شريعة محمدية » أي : « لنحيا الشريعة المحمدية »^(١) .

ولكن تلك الثورة لم تستطع أن تتخطى جدران الاستانة ، وسرعان ما تحرك الجيش من مقدونية بقيادة الضابط العربي محمود شوكت فدخل الاستانة ، وأحال نيران تلك الفتنة إلى رماد بارد ، وأدال السلطان الأحمر عن عرشه ، فحمل منفيّاً إلى سالونيك. أثر قرار اتخذه مجلس الأعيان ومجلس النواب مجتمعين ، وخلفه محمد رشاد الذي سمي السلطان محمد الخامس ، وكان كبير السن ضعيف الشخصية قليل الطموح ، فغدا لجمعية الاتحاد والترقي باسناد العرش إليه السيطرة التامة ، وكانت ذلك في ١٤ نيسان (أبريل) سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) .

وقد استند رجال الانقلاب في خلع السلطان عبد الحميد إلى فتوى شرعية

أصدرها شيخ الاسلام محمد ضياء الدين أفندي ، وهذا نصها مترجماً إلى العربية :
 « إن زيدا الذي هو إمام المسلمين قد طوى بعض المسائل الفقهية ومنع الكتب
 الشرعية وأحرقها ، وتصرف في بيت المال تصرفاً مقروناً بالاسراف والتبذير واعتماد
 الإيقاع بالرعية ظلماً وتقتيلاً وحسباً وتعذيباً ، ثم أقسم بأن يرجع إلى الصلاح ،
 ولكنه حث بيمينه وأصر على إحداث فتنة كبرى تلحق بأموال المسلمين خللاً كلياً
 وأثار بينهم القتال ، فتوالت الأخبار عن تغلبهم عليه واعتباره مخلوعاً ، وقد تحقق
 وجود الضرر في بقاءه والصلاح في زواله . فهل يجب والحالة هذه تنفيذ ما يراه
 أولياء الأمور من أرباب الحل والعقد من ترجيح بين تكليفه للاستقالة من الامامة
 والسلطنة وبين خلعه ؟ الجواب : نعم يجب ذلك ^(١) . »

ومن أروع ما قيل في سقوط عبد الحميد قصيدة فارس الحوري التي يقول فيها :

الله أكبر فالظلام قد علموا لأي منقلب يفضي الألى ظلموا
 لقد هوى اليوم صرح الظلم وانتقض أركانه وتولت أهله النقم

أما شوقي فقد رثاه بقصيدة طويلة جاء فيها :

خطب الامام على النظيم	يعز شرحاً والنشير
شيخ الملوك وان تضع	في الفؤاد وفي الضمير
نستغفر الله له	والله يعفو عن كثير
ونواه عند مصابه	أولى بياك أو عذير

أما كيف كانت سياسة أولئك الأحرار من رجالات جمعية الاتحاد والترقي ،
 بعد ان انتفع المجال أمامهم لتحقيق مبادئهم والعمل على إصلاح الفاسد ومعالجة المعتل
 في جسم الامبراطورية ، فتلك قضية تستدعي وقفة طويلة ، لأنها كانت نقطة
 التحول الأساسية في سياسة العرب تجاه الدولة العثمانية .

لقد كان أعضاء ذلك الحزب السياسي الحاكم ، يرغبون في بناء دولة حديثة ، وكانت النزعة القومية آنذاك قد بلغت الأوج في أوروبا ، فأقاموا دعائمها على ذلك الأساس ، ولكن ليس على قاعدة تآخي القوميات ، مما يتنافى كل التنافي وطبيعة تركيب الدولة العثمانية ، التي تضم عناصر شتى ، وأعراقاً متباينة ، وبكثافة كبيرة جداً بالنسبة للعصر التركي الحاكم ، ، وأكثرها - ولا سيما العنصر العربي فيها - ذات أبعاد تاريخية ، أين منها التاريخ التركي ؟

وبعد ان كانت الرابطة العثمانية تسوس الناس جميعاً بعضا الطغيان الفردي ، لا فرق في ذلك بين تركي وعربي أو غيرهما إلا من حيث الصبغة الدينية فحسب ، فقد أخذ الغرور العرقي ينفخ أوداج أولي الأمر ، وشرعت القرائح تتضح بالآراء التي تدعو إلى العرقية الطورانية ^(١) ، وتمجيد العنصر التركي وحده . فبعد ان كان أبو الوطنية ناصح كمال يتمثل الوطن عادة حسناء يخاطبها بقوله :

« هذا أنت ؟ أنت ؟ أيتها ^(٢) الوطن الجميلة ؟ .. »

ثم يخاطبها مستعطفاً وملحاً في وقت واحد :

« اذهبي .. أيتها الوطن .. تدثري بالسواد في الكعبة ، ثم ابسطي إحدى ذراعيك إلى روضة النبي ، ومدّي الثانية إلى المشهد في كربلاء .. واظهري على الكائنات على هذه الهيئة ، ولا ريب في ان الخالق نفسه يعشق هذه الهيئة ... »

١ - نسبة إلى طوران ارمية الترك والمغول القدامى ، وكان أول من لفت الانظار الى هذا الماضي البعيد المستشرق المجري فمبيري ثم تلاه العالم الفرنسي اليهودي ليون كوهين ، فقد كشفنا عن اوليات التاريخ التركي المغولي الطوراني ، وتأثر بهما بعض أدباء الترك في القريم وجنوبي روسيا وألفوا جميعيات سرية تدعو إلى « الجامعة الطورانية » وترمي إلى إنشاء امبراطورية تركية (لا عثمانية) تمتد من جنوبي البلقان إلى الاناضول والقريم وجنوب روسيا مجتازة إيران من الورداء إلى التركستان على اختلاف بقاعه حتى جدار الصين .

٢ - رأى المترجم الاستاذ الحصري أن يستعمل صيغة التأنيث لأن الخطاب موجه إلى الفادة الحسنة .

« ثم افتحي صدرك ، واخرجي منها شهداءك ، وانثريهم على الملأ ، وقولي :
يا رب .. هؤلاء هم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيلك .. بينهم من استشهد
في بدر ومن استشهد في حنين ^(١) » .

إذا بنا نسمع تلك الطنطنة على لسان الشاعر التركي أحمد أمين :

« أنا تركي ، ديني سام ، جنسي عظيم ، قلبي مفعم بالنار ... »

ونقرأ أحمد شريف في جريدة طنين يقول : « لا يزال العرب يلهجون بلغتهم ،
وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً ، كأنهم ليسوا تحت حكم الترك . فمن واجبات
الباب العالي في هذه الحال ان ينسبهم لغتهم ، ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي
تحكمهم . فإذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه ، لأن العرب
ان لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً على استرجاع مجدهم
الضائع ، وتشيد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك ^(٢) » .

لقد اتخذت الحركة الطورانية ثلاثة خطوط : أولاً تخلص التراث التركي
الفكري من المؤثرات الفارسية والعربية ، ثانياً خلق صلة قوية دائمة بين أتراك
الامبراطورية العثمانية والأتراك خارج الامبراطورية ، ثالثاً تفوق العنصر التركي
وسادته في الدولة العثمانية . وقد كان لهذا الخط الثالث أثره البعيد في اتجاهات الحركة
العربية ومواقفها من الدولة العثمانية ^(٣) .

ولم يختار رجال الاتحاد والترقي من الأنظمة إلا أسوأها وأشدّها جوراً ، وهو
نظام المركزية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما عمدوا إلى جلب المغانم
لأفراد حزبهم ، وحرصوا على ألا يضم مجلس المبعوثان من الأعضاء إلا من

١ - محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٢٠

٢ - ثورة العرب ص ١٥٩

٣ - الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٦١

عرف بالولاء لهم ، وشرعوا يرشحون الترك للنيابة عن الولايات غير التركية ^(١) ، واستهدفوا الديار العربية في الدرجة الأولى ، مما فسخ مجال التنافس ما بين الشيعين التركي والعربي ، وشعر ابن العرب بأن التركي ينظر إليه نظرة استعلاء ، مما أدخل المرارة في نفسه . وهكذا صح في الاتحاديين القول بأنهم أحرار ، ولكنهم يريدون الحرية لأنفسهم فقط !

واشتد تعصب الاتحاديين للغة التركية ، تعصباً ، يقول محمد جميل بيهم انه لم يقتصر على الأمور الجدية فحسب ، وقد شاهد بنفسه ألواناً من هذا التحيز ، وفي جملة ذلك إيعازهم إلى أفراد الشرطة للتدخل كيما تكتب اللوحات فوق الحوانيت والمحازن باللغة التركية بدلاً من العربية . وكانت عنايتهم من أجل طغيات اللغة التركية على غيرها في المدارس أشد وأعظم ^(٢) .

إلا ان الاتحاديين لم يكونوا فرسان الإصلاح وحدهم ، إذ غزا التيار الاصلاحي عقول فريق آخر من رجالات البلاد ، ويمكننا ان نعارض شخصية أحمد رضا رئيس جمعية الاتحاد والترقي بشخصية البرنس صباح الدين الذي انزعج عن الوطن هرباً مع والده الداماد محمود باشا ، وقد ساقته دراسته للأنظمة الاجتماعية إلى ان اللامركزية خير من المركزية وأبقى ، فألف جمعية سياسية عرفت باسم حزب الحرية والائتلاف تدعو إلى إقرار هذا النظام .

ويقول الدكتور نقولا زيادة ان هذه الجماعة كانت تنظر إلى القضية من وجهة نظر عثمانية ، أو جامعة عثمانية إذا شئت . فقد كانت تحب ان يمنع غير الأتراك نوعاً من الحكم الذاتي ، وبذلك يحتفظ بهم ثروة وقوة للامبراطورية بدلاً من إثارهم

١ - كان قانون الانتخاب العثماني يسوغ لأي شخص مستكمل لشروط الانتخاب ان يرشح نفسه عن اية منطقة شاء ، فصارت حكومات الاتحاد والترقي ترشح بعضاً من متسببيها الأتراك في الولايات العربية ، وتستعمل نفوذها لضمان انتخابهم ، وكثيراً ما كانت الأمور تخرج من ساحة التنافس الشخصي أو الحزبي إلى ساحة التنافس العنصري والقومي وتأخذ شكل نضال بين التركي والعربي يوسع هوة الخلاف بين الشيعين . انظر محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٧٣ - ١٧٤

٢ - العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ص ١٣٩

ضدها ، ورميهم في أحضان حركات مناوئة داخلية ^{١١} .
ومن البدهي ان تلاقى فكرة اللامر كزية هوى في نفوس النواب العرب
وغيرهم من سائر الجنسيات ، مما جعلهم ينسحبون من حزب الاتحاد والتوقي ،
وينسلكون في صفوف حزب الحرية والائتلاف الذي شكل جناح المعارضة في
مجلس المبعوثان ، وتسبب دست الحكم فترة قصيرة من الزمن ، والذي أخذت تتبلور
تحت لوائه الشخصية العربية شيئاً فشيئاً ، ولكن حزب الاتحاد والتوقي لم يلبث ان
هيمن ثانية على البلاد ، وكثر عن زرق الأنباب ، إذ اعتمد هذه المرة سياسة
التريك وأعاد مظالم عبد الحميد إلى الأذهان ، حتى رأينا أمثال ولي الدين يكن وهو
عثماني صميم يقول ، وقلبه يطفح أسى وألماً :

« قلت حين نبشوا لنا جيفة الدستور نوازر هؤلاء القوم ، القائمين فينا بالأمر ،
ربما أصابوا من حيث لا يشعرون . كم رمية من غير رام . وقلت اطمئني أيتها
القلوب واسكتي يا ثائرات النفوس . ووقف اخواني العثمانيون يتفرجون ، فما راعنا
إلا مذابح وفتن ، وغارات تتلوها غارات ، وصخب وضجيج ، بينا نواب الأمة
يتجادلون أطراف الفوائد كل يريد ان يضمن كبشه .

« إخواننا الذين يظلمهم الدستور العثماني لا قبل لهم بمعارضة الحكم ، ثمّ سفار
أرهفت ، وسيوف سلت ، تقتطف الرقاب كما تقتطف الثمار ... » ^{١٢} .

وقد تفرعت عن جمعية الاتحاد والتوقي عدة جمعيات عنصرية تعمل على تترك
العناصر غير التركية ، منها جمعية « ترك اوجساغي » أي « العائلة التركية » ،
و « ترك يوردي » أي « المملكة التركية » و « ترك درنكي » أي « ثبات الترك »
و « ترك بلكيشي » أي « العلم التركي » ، وكانت وزارة الداخلية ووزارة الأوقاف
تتفقان بسخاء على هذه الجمعيات ^{١٣} وكانت مهمة هذه الجمعيات محاربة اللغة العربية
والآداب العربية ، ونشر الكتب القومية والأناشيد الحماسية بين الترك ، وتدريبهم

١ - مقدمة تركية الفساة وثورة ١٩٠٨ ص ٢٢

٢ - التجارب ص ٢٤ - ٢٥

٣ - الاحداث العربية في تاريخها الحديث ص ٤٢

التاريخ الطوراني القديم ولا سيما تاريخ هولاء واورغوز وكنكيزخان ، وإفهامهم ان الترك أعظم أمة في الدنيا ، وقد اختارتها الأقدار لسيادة العالم ^(١) . وقد قامت بحملة واسعة لإرغام الناس على تغيير أسمائهم ، فمن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيماً أو سعيداً صار اسمه تيموراً أو كنكيزاً أو هولاءكو أو اورغوز الخ ... وشاعت الأناشيد الحماسية على ألسنة النشء الجديد ، ومنها النشيد الرسمي الذي كان يورده طلاب المدارس المدنية والحربية وهو يتبدى بهذا المطلع :

كنكيز خانك بايراغي انلي شانلي صانلا ندي
آيت خانك بايراغي حريده بويله اكلا تدي

أي : لقد تموجت أعلام كنكيزخان في جو المجد والشرف ، وأرشدتنا أعلام آيت خان إلى نهج الطريق المجيد في الحرب .

انتقامي اله مزسك تركلك يزه نافله
صوحتره لم بابقو شلوي تشير بو ولوله

أي : لا يحق لنا ان ندعى أتراكاً ما لم ننتقم من أعدائنا . فلنسكت البوم عن نعيه وليكفنا ما سمعناه من الضجيج والنحيب ..

والأغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي ألفته جمعية «ترك يوردي» وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم ، ثم قورت استعماله في الجوامع في الاستانة والأناضول وهذه ترجمته :

« أيها الإله القدير على كل شيء انعم على الترك بالصحة والعافية ، واحسن اليهم

١ - بلغ الفرور من أعضاء هذه الجمعيات مبلغاً لا يتصوره العقل ، فبينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجة تهدد كيان العولة كان احدهم أحمد اغايف بك ينشئ سلسلة مقالات في جريدة « تصوير افكار » قال فيها « ان على تركية ان تهتم بشؤون ايران اعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين » (انظر ثورة العرب ص ١٣٩) .

بذنب أبيض^(١) ، واشملهم برعاية مولانا السلطان الأعظم .
 « وأنت يا مملكة طوران الجميلة المحبوبة ارشديننا إلى الطريق المؤدية إليك لأن
 جدنا اوغوز الكبير ينادينا .
 « أيها الإله القادر على كل شيء أنو طريق طوران أمامنا ، واجعل أمتنا كالورد
 الناضر ، واهدنا الصراط المستقيم^(٢) .

ولا يقل اثر الصحافة في هذا المضمار عن أثر الجمعيات ، بل كان أعظم فعلاً
 وأبعد مدى ، إذ كانت تعمل على تعزيز القومية الطورانية ، وتنحامل على القوميات
 الأخرى ، وتحض الحكومة على مقاومتها والقضاء عليها ، ولا يخفى ان الصحافة
 الحرة قد ولدت مع الدستور وترعرعت في ظله ، ولم تكن وقفاً على دعاة القومية
 التركية بل نشأت صحف عربية وأرمنية وبونانية والبانية فأخذت تجهر بالشكوى
 من تصرفات أقطاب العهد الجديد ، مطالبة بإزالة الظلم النازل بأبناء قومها ، داعية
 إلى إنصافهم واحترام قوميتهم ورد حقوقهم اليهم . وكانت صحافة الترك ترد عليهم
 وتسفه آراءهم ، وتتدد بمطالبهم ، وهكذا شهدت الامبراطورية في السنة الثانية
 للدستور حرباً قلمية شعواء تدور بين الصحافة التركية وصحافة القوميات الأخرى ،
 وكل ينقر على وتر ، ويدكي الحماسة القومية في صدور أبناء أمته^(٣) .

ومن أبرز الصحف العربية التي خاضت هذه المعركة وقابلت الحملات الطورانية
 بمنتهى جريئة النهضة في بغداد لمزاحم الباجه جي ، والمقتبس في دمشق لمخير الرئيس
 ومحمد كرد علي ، والمفيد لعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني في بيروت ، والاتحاد
 العثماني للشيخ أحمد طباره في بيروت^(٤) .

وبما نشرته الصحافة التركية لكتائب المتطرفين قول أحدهم : « ان المصلحة
 تقضي على حكومة الاستانة بإكراه السوريين على ترك أوطانهم ، وان بلاد العرب

١ - الذنب الأبيض اله من الهة الترك الاقمنين وقد كان شعارا لهم أيضا .

٢ - للتوسع في هذا الموضوع انظر كتاب ثورة العرب ص ١٢٨ - ١٥٩

٣ - الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٥

٤ - العرب والترك هي الصراع بين الشرق والغرب ص ١٥٢

ولا سيما اليمن والعراق ، يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية ، التي يجب أن تكون لغة الدين . وبما لا مندوحة لنا عنه ، للدفاع عن كيانات تحول جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية ، لأن النشء العربي الحديث صار يشعر بعصية جنسية ، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نخطأ لها من الآن . ، وقال كاتب آخر : « ان العرب لا يزالون يلهجون بلغتهم وهم يجيئون باللغة التركية جهلاً تاماً ، كأنهم ليسوا تحت حكم الترك ، فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال ان ينسبهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم ، فإذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى إلى حلقه بظلفه ، لأن العرب لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم ، فانهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع ، وتشيد دولة عربية جديدة على أنقاض الترك (١) » .

وهكذا انهارت الأحلام في العهد الجديد ، وتبددت الآمال التي عقدت على الدستور ، واتضحت أذاليل دعوة الإصلاح المزعوم الذي إفادت به جمعية الاتحاد والترقي ، لأن المساواة وهي المبدأ الأساسي من مبادئ الدعوة لم يوضع موضع التنفيذ ، وانتشر نقي العفونة التي تعيشها الدولة العثمانية حتى زكم الأنوف .. وزاد الأمر هولاً موقف تلك الدولة من ديار العروبة على الصعيد الدولي ونحاذلها أمام أطماع الغرب في تلك الأصقاع قبل الحرب العالمية الأولى .

وكانت شكاوى العرب في سنة ١٩١٠ (١٣٢٨ هـ) تنحصر في ما يلي :

- ١ - إقصاء عدد كبير منهم عن الوظائف التي كانوا يشغلونها في الاستانة ولاسيا في وزارتي الخارجية والداخلية بحكم قانون التنسيق ، بحيث تناول هذا التنسيق جميع الموظفين من أبناء العرب عمداً ، فكان الاتحاديون يكتبون في جدول التنسيق حرف (ع) أمام اسم كل موظف من أبناء العرب ليعرف المنسقون جنسيتهم .
- ٢ - عدم دعوة أبناء العرب إلى أي اجتماع غايته التأليف بين العناصر العثمانية .
- ٣ - عدم إدخال أي عربي من أعضاء الجمعية الاتحادية في اللجنة المركزية في

- سلانيك حتى الضباط العرب الذين كانوا أول من أعلن الدستور .
- ٤ - عدم قبول أي عربي من أعضاء الجمعية في المذاكرات السياسية التي كانت الجمعية تجتمع لأجلها في الاستانة .
- ٥ - عدم قبول أي عربي في اللجان المركزية الاتحادية وتحويل جمعية الاتحاد والترقي من جمعية عثمانية إلى جمعية تركية بحتة .
- ٦ - انتزاع وزارة الأوقاف من وزير عربي وإسنادها إلى وزير تركي بحيث لم يبق أحد من أبناء العرب في الوزارة .
- ٧ - استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من أبناء العرب بولاة ومتصرفين وقضاة من الترك ، وعدم تعيين أي موظف عربي أو عارف باللغة العربية في سورية والعراق .
- ٨ - معارضة الاتحاديين لكل مشروع علمي أو أدبي في البلاد العربية . مثال ذلك أنهم عملوا على حل جمعية « النهضة السورية » التي تألقت في نابلس لإنشاء مدرسة منظمة فيها .
- ٩ - مناهضتهم للغة العربية مناهضة غربية في بابها فقد نشر سفير الدولة في واشنطن سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) إعلاناً حظر فيه على العثمانيين المقيمين في أميركا مخاطبة السفارة بغير اللغة التركية مع علمه بأن الجالية السورية هناك لا يقل عددها عن نصف مليون ، وأنه ليس بينها رجل واحد يحسن اللغة التركية ^(١) .
- وانتشر نقن العفونة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية ، وقد هال الدول الغربية التي كانت تنظر إلى أقطار الامبراطورية العثمانية على انها تركية الرجل المريض ، تدفق الدم الجديد في جسم تلك الدولة ، كائناً ما كان عليه فساد أو ضاع الامبراطورية ، فسارعت تكيل لها الضربات المتتالية القتالة بغية الإجهاد عليها ، فحزكت الولايات الأوروبية ضدها في ثورات متتابعة كان من نتائجها انحسار ظل الامبراطورية العثمانية عن أوروبا وقد احتلت بريطانيا قبرص سنة ١٨٧٨ (١٢٩٦ هـ) ومصر

سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) وضمت النمسة اليها البوسنة والهرسك سنة ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) واستولت ايطالية على طرابلس الغرب بعد ان ناضل العرب فيها نضالاً مستميتاً بقيادة الشريف السيد أحمد السنوسي والقائد عزيز علي المصري سنة ١٩١٢ حين تركهم الجنود العثمانيون بلاقون وحدهم مصيرهم المشؤوم . ثم امتدت محالب الدول الأجنبية تعمل في القلب مهددة للغزو السياسي والعسكري بالغزو الاقتصادي ، مستهدفة بالدرجة الأولى ديار العروبة ، فاستطاعت فرنسا ان توطن نفوذها الأدبي في كل من سورية ولبنان ، وتنزع من الدولة العثمانية امتياز إنشاء مرفأ بيروت ، وسكة حديد دمشق - حلب ، ودمشق - بيروت . وتمكنت بريطانيا ان تبرم مع الدولة العثمانية اتفاقية إنشاء شركة الملاحة في شط العرب ، رغم معارضة نواب بغداد والبصرة الذين هالم ان تكون ربوع الرشيد والمأمون ميدان المساومة . وأما المانية فقد استحصلت على امتياز مد سكة حديد الأناضول - بغداد ، في حين كان الأتراك يشددون النكير على الديار اليمنية ، التي استعصت عليهم .. والأنكى من ذلك ان الأحداث قد أثبتت إقدام رجالات الدولة علي سحب أكثر حمايتها من طرابلس وبرقة لضرب الثورة اليمنية . فخرست ذلك الصقع ، ولم تستطع ان تحمد تلك الثورة .. وهل من حاجة إلى القول بأن المؤامرة الصهيونية علي فلسطين أخذت ترى النور منذ أيام الاتحاديين ...

كل ذلك دفع العرب للتفكير جدياً بكتابة صفحة تاريخهم بأيديهم وبطريقتهم الخاصة ، وبصورة مستقلة عن الدولة العثمانية ، ولم تكذب غيب شمس يوم لتشرق من جديد ، إلا والشعبات الأساسيان في تلك الدولة يزدادان بعداً عن بعضهما ، لفك ذلك الوثاق الذي شد كلاً منها إلى الآخر طوال أربعائة عام ..

على اننا إذا كنا قد أسهبنا في بيان النزعات العنصرية التركية وأثرها في إثارة النزعات القومية لدى العرب وغيرهم من الأمم التي كانت الدولة التركية تفرض سيطرتها عليها ، فنحن حرصاء ألا يتوهم القارئ انه لولا تطرف القومية التركية وغلو دعائها ، لما قدر للقومية العربية وغيرها من القوميات المضطهدة ان تعلن عن ذاتها ، فقد كان العصر كما قلنا عصر القوميات ويقظة الشعوب . وشعورها بوحدة كيائها

ووحدة مصيرها ، وتطلعها إلى الاستقلال والسيادة والتحرر ، ومثلما كانت مظاهر القومية التركية حافزاً للقوميات المضطهدة إلى الكفاح ، كان كفاح هذه القوميات ووعيا لذاتها القومية وعزمها على الدفاع عن هذه الذات أمام محاولات القضاء عليها ، واندفاعها في النضال من أجل تحقيق أهدافها في الاستقلال والتحرر ، حافزاً للقومية التركية ، وهي القومية الحاكمة ، إلى مزيد من التعصب والتعالي والاندفاع أكثر فأكثر في العدوان والإرهاب ، مما أدى إلى ثورة الشعوب البلقانية وتحررها في سنة ١٩١٢ (١٣٣١ هـ) كما أدى إلى ثورة الشعوب العربية وتحررها خلال الحرب العالمية الأولى .

الفصل الخامس المنظمات والجمعيات العربية

تبددت الأحلام الحسان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم وكشفوا القناع عن سياستهم العنصرية المتطرفة ونياتهم المريبة ، وشرعوا باضطهاد العرب وغيرهم من المواطنين غير الأتراك ، فكان هذا الاضطهاد حافزاً جديداً لنهضة العرب الذين آمنوا بالحرية وناضلوا من أجلها ، فانتقلوا إلى أسلوب جديد من الكفاح ، وهو تأليف الجمعيات السرية والعلنية في الاسكندرية والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد .

وكان مطلب العرب باديء الأمر إقرار المساواة بين الأتراك والعرب في الحقوق والواجبات ، وقد أتاح انتخاب مجلس المبعوثان لعدد من النواب العرب أن يدافعوا عن هذا الحق البسيط من حقوقهم أمام ممثلي الامبراطورية العثمانية ، فأثار ذلك غضب حزب الاتحاد والترقي ، واشتبك الفريقان يوماً في مشادة عنيفة إثر خطاب جرى لنائب دمشق شكري العسلي ، وانتهت هذه المشادة بصفعة أليمة وجهها شفيق المؤيد نائب دمشق الآخر إلى طلعت باشا زعيم الحزب ، ولم يصبر الاتحاديون طويلاً على أخذ الثأر ، إذ قضوا بشنق العسلي والمؤيد في دمشق ذاتها فيما بعد ، ولكن تلك الصفعة وما تلاها من أحداث انتقامية إرهابية أثارت مشاعر العرب وأذكت حماسهم ، فانتقلوا من طلب المساواة إلى المطالبة باللامركزية .

ومن مطلب الاصلاح إلى مطلب اللامركزية والحكم الذاتي ، انتقل العرب إلى طلب الاستقلال ، ثم تنادوا إلى الثورة لبلوغ ذلك الهدف العظيم . وهذه لحظة سريعة عن الجمعيات السرية أو العلنية التي تألفت داخل الوطن العربي وخارجه وناضلت في سبيل تحقيق أمانه .

لقد كثرت الجمعيات الأدبية والحلقات الوطنية في بيروت ودمشق ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، وكان لها أثر كبير في النهضة العربية ، وبعث الثقافة العربية ، وإيقاظ المواطنين العرب .

ولعل أبرزها « الجمعية العلمية السورية » التي أسسها في بيروت عام ١٨٦٨ (١٢٨٥ هـ) الأمير محمد أرسلان ، وكان من أبرز رجال عصره علماً وأدباً وخلقاً ، ويبدو ان عمل هذه الجمعية لم يقتصر على الناحية العلمية بل تعداها إلى إثارة الوعي الوطني عن طريق بعث التراث العربي والاعتزاز به ^(١) .

أما الجمعيات السياسية المنظمة فيصعب ان نعين على وجه التحديد بدء تكوينها كما يصعب تعيين الجمعية التي أرسلت الصيحة الأولى في وجه الاستعمار العثماني . ويتحدث جورج انطونيوس والأمير مصطفى الشهابي في شيء من الغموض عن جمعيتين اثنتين لعلهما كانتا منطلق العمل السياسي المنظم في بلاد الشام .

وخلاصة ما يرويه جورج انطونيوس ان جمعية سرية قد تألفت في بيروت سنة ١٨٧٥ (١٢٩٢ هـ) وأنشأت فروعاً لها في بعض المدن اللبنانية ، وكان عمل أعضائها مقصوراً على الاجتماعات السرية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء ويبحثون الخطط ، وعلى نشر أفكارهم السياسية بوسائلهم واتصالاتهم الشخصية . وبعد ان قضوا ثلاث أو أربع سنوات وهم يتآمرون متهامين في الخفاء ، أدركوا ان استمرارهم في الاقتصار على تلقين أنفسهم هذه المبادئ لن تكون له من جدوى إلا زيادة حماسهم هم أنفسهم فقط ، فعزموا على توسيع نطاق دعوتهم ، واختاروا الوسيلة الوحيدة التي كان من الممكن ان تتاح لهم في ظل الحكم الاستبدادي التركي اليقظ ، وهي لصق

المنشورات في الشوارع ، من غير ان يكون عليها ما يدل على مصدرها . وكانت هذه المنشورات تتضمن تنديداً عنيفاً بمساوىء الحكم التركي ، ونهب بالمواطنين العرب ان يثوروا عليه ويطيحوا به .

ولم يذكر جورج انطونيوس اسم هذه الجمعية ، وإنما سماها « جمعية بيروت السرية » للتعريف بها ، كما انه لم يذكر من أسماء أعضائها سوى اسم الدكتور فارس نمر الذي قال انه صاحب الفضل الأكبر في معلوماتها عنها ، وقد حدثه بالتفصيل عن كيفية تأسيسها وحوادثها الرئيسية وأسماء أعضائها الاثني والعشرين ، إلا انه لم ينقل إلينا من ذلك شيئاً ^(١) .

أما الأمير مصطفى الشهابي فيقول ان « الجمعية الخيرية » التي تأسست في دمشق في أواخر أيام ممدت باشا سنة ١٨٧٨ (١٢٩٥ هـ) تعد أول أساس قام عليه التعليم الحديث في عاصمة الأمويين ، وان النهضة الأدبية الحديثة في تلك العاصمة تبدأ في الحلقة التي كان واسطة عقدها الشيخ طاهر الجزائري ، وكان من أعضائها رفيق العظم والشيخ سليم البخاري والشيخ جمال القاسمي وعطا الكيلاني والأمير شكيب أرسلان ، ومحمد كرد علي وغيرهم . وكان إلى جانب هذه الحلقة الأدبية حلقة سياسية سرية مؤلفة من عرب وأتراك ، فمن العرب ضابطان في الأركان هما أسعد درويش الطرابلسي وسليم الجزائري ، ومنهم شكري العسلي وفارس الحوري وعبد الوهاب الانكليزي وغيرهم ، أما الأتراك فكان منهم أمير اللواء بدري بك ومدير المعارف حسين عوني بك ، وكانت غاية هذه الحلقة أو الجمعية السعي لنشر الدستور ، أي لجعل الحكم شورى في الدولة العثمانية ، وكان لهم اتصال وثيق برجال « تركية الفتاة » الذين قاموا فيما بعد بانقلاب سنة ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ) .

ويضيف الأمير مصطفى الشهابي انه كانت هنالك حلقة أخرى تألفت في سنة ١٩٠٤ (١٣٢٢ هـ) من بعض الشبان النابهين ، وكان من أركانها الدكتور صالح قنباز والأمير عارف الشهابي ومحب الدين الخطيب ، والدكتور صلاح الدين القاسمي .

وعثمان مردم بك ، وكانت لهؤلاء الشبان خطة قومية وضعوها بعد تفكير، وساروا عليها وتحملوا تبعاتها بصبر وأناة . وكان الظاهر من خططهم مدرسة آداب اللغة العربية ، وتاريخ الأمة العربية ، وإلقاء محاضرات في هذه الموضوعات وتدريسها ، وافتتاح مدارس وطنية وغرف قراءة ، وتلقين أسس القومية في المدارس الوطنية ، لكن المستر من أعمالهم إنما كان الدعوة إلى انتزاع حقوق العرب المهضومة من أيدي الترك الغاصبين ، أما ضمن الجامعة العثمانية وكان ذلك الأصلح في نظرهم ، وأما بالانفصال عن الدولة العثمانية إذا لجأ العرب إلى الانفصال عنها .

ويقول الأمير مصطفى الشهابي ان هذه الحلقة الصغيرة كانت متصلة بالأعضاء العرب من الحلقة الكبيرة الآنف الذكر ، وكانت تستمد النضال منهم لأنهم كانوا أكبر سناً وأكثر خبرة . ثم اتصل بعض أعضائها بشباب بيروت المتعلمين كاشهدين عبد الغني العريسي ومحمد الحمصاني وبعض تلامذة كلية الشيخ عباس الأزهري والجامعة الأميركية وبالتلامذة العرب في استانبول^(١) .

وقد أشار الدكتور صلاح الدين القاسمي في خطاب ألقاه في دمشق في مطلع سنة ١٩١٠ (١٣٢٨ هـ) إلى جمعية كان قد أسسها محب الدين الخطيب وفريق من إخوانه باسم « جمعية النهضة العربية » في استانبول وإنشاء فرع لها في دمشق ، فتحدث عن ظروف تأسيسها وغاياتها وبعض أعمالها ، ويبدو من هذا الحديث انها الحلقة الصغيرة التي أشار إليها الأمير مصطفى الشهابي أو انها امتداد لها ، وقد قال الدكتور القاسمي في خطابه :

« بدأت الجمعية بادئ بدء صغيرة ، متبعة ناموس النشوء العام في ارتقائها ، فكانت ذرة حية فعالة ، تسعى في ان تطفح حولها أبناء الأمة العربية جمعاء ، وان هذه الذرة كان مهدا الأول محيط القسطنطينية ، ومولدها ٧ ذي القعدة عام ١٣٢٤ هـ (٢٣ كانون الأول ١٩٠٦) حيث ردّ الفعل يبيء للانسان أسباباً سريعة كبرى قلما يعرف لها لأول وهلة معنى .

١ انظر محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٢٥ - ٣٧ ، محاضرات في القومية العربية ص ٥١ - ٥٢

« فكان أولئك الأصدقاء الذين انصبغت رابطة صداقتهم بصبغة «جمعية» يجتمعون في غرفة أحدهم ، ويقرأون في ليلة من كل أسبوع درساً عربياً غايته إحياء نفوسهم بإحياء اللغة العربية ، لأنهم كانوا يعلمون ان اللغة من أحكم الصلوات بين البشر ، وانها من أعظم عوامل النهوض والارتقاء في حياة الأمم العامية والاجتماعية والسياسية .

« وكانوا بعد ان كثر عددهم يشنون على قانون عري في سنوه فيما بينهم سراً ، فكان يضع كل واحد من الأعضاء في كل ليلة قطرات قليلة من المال يقتصدونها من مداخيلهم .

« وبعد فان هذه الجمعية ما زالت تتقدم بهمة أعضائها ومشايرتهم ، حتى قويت لحة الارتباط بينهم ، وعلى هذه النسبة قويت آمالهم وميولهم ، فكانت أول حفلة أقامتها الجمعية هي من قبل المركز العام في منتزه الحديقة البصرية في القسطنطينية في ٥ جمادى الآخرة عام ١٣٢٥ هـ - ١٦ تموز (يولييه) ١٩٠٧ م .

« وقد ألقى محب الدين الخطيب ، مؤسس هذه النهضة ، خطاباً عنوانه «واجباتنا» والأخ عارف الشهابي قصيدة عنوانها «نحن والاغيار» .

« وكان لبعض أعضاء الجمعية أصدقاء في دمشق لهم من الثقة فيهم ما يؤهلهم لأن يلتحقوا بهم ويؤلفوا لهم فرعاً في الفيحاء . فبعث الأخ محب الدين الخطيب رسالتين في بريد واحد . الواحدة للأخ صلاح الدين القاسمي والثانية للأخ لطفي الحفار ينبئها عن تأليف الجمعية في القسطنطينية ، ويقترح عليها ان يشتركا معهم ، وكان قد أشار الكاتب على كل منها بأن يري أحدهما كتابه للآخر ، فاجتمع هذان معاً وتذاكرا ملياً ، وقرّر رأيهما في الحتام على الالتحاق بالمركز الأول في القسطنطينية ، وقاما بتأسيس فرع لها مؤلف من خمسة أعضاء ، فكانوا يجتمعون ليلتين من كل أسبوع ويوفرون شيئاً من المال في صندوق صغير .

« لم يمس على ذلك إلا حقبة من الزمن لا تزيد على ثلاثة أشهر تقريباً حتى اجتمع أغلب أعضاء المركز في العطلة المدرسية بالفرع المؤسس بدمشق . ومن ثم توحد الفرع والمركز وقرّر رأي الجمعية على جعل المركز العام في دمشق حاضرة الشام ،

وتعاقدوا جميعاً على خدمة المبادئ الأصلية ، بعد ان توثقت بينهم عرى الاتحاد والوثام .

« وقد أقام الأخ صلاح الدين العظم في ٧ رجب عام ١٣٢٥هـ (١٧ آب - أغسطس ١٩٠٧ م) مأدبة في أرض الوادي بدمشق ، في حفلة ضمت أغلب أعضاء الجمعية . وقد ألقى الأخ رشدي الحكيم خطاباً في « التقدم الذاتي » ، والأخ ذكي الخطيب خطاباً في « الانسان والتربية » ، والأخ صلاح الدين القاسمي خطاباً عنوانه « العلم والاجتماع » ، والأخ لطفي الحفار في « اللغة العربية » ، والأخ محب الدين الخطيب في « الدين والاصلاح » ، ورفضت الحفلة وقد عاهد بعضهم بعضاً على خدمة الأمة العربية وأبنائها ^(١) . »

وثمة حلقة أخرى كانت أحد منابع النور في دمشق ، وقد تحدث عنها فخري البارودي في فصل عقده في مذكراته عن بقطة الروح العربية ، فقال ان الشعور القومي كان قد بدأ يتغلغل بين صفوف الطلاب حوالي سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٦ . (١٣٢٢ - ١٣٢٤ هـ) وأخذ بعض هؤلاء في مكتب عتبر يتمردون على المعلمين الاتراك ، كما كان الشجار يحدث بين الطلبة الاتراك وزملائهم العرب . وكان قد بدأ يتكون في دمشق جمهور من الشباب من خريجي المدارس العالية كالطب والحقوق والمكتب الملكي ، وهو أعلى مدرسة لاجرا الموظفين الاداريين . وكانوا يعقدون اجتماعات خاصة ، ويخوضون في أحاديث جديدة غير مألوفة عند الدمشقيين آنذاك . فبينما كان الدمشقي يومئذ من أية طبقة ، لا يتحدث إلا عن طعام يومه ، وعن الاشكال التي أكلها وكيفية طبخها والدعوات التي دعي اليها ، والحفلات الكبيرة التي أقامها وجهاء البلدة ، كان هؤلاء الشبان الناهضون يتحدثون عن أوروبة وتقدمها وعلومها وعن نهضات الشعوب ، والشكوى من ظلم الحكومة ، واستبداد السلطان عبد الحميد ، وسرد الحكايات عن اغراق الاحرار في بحر

١ - الدكتور صلاح الدين القاسمي ، اثاره : صفحات من تاريخ النهضة العربية في اوائل القرن العشرين ، ص ٤ - ٦

مرمرة ، وتعذيب الألوف من الشبان المطالبين بالاصلاح ، وكنا نسمع هذه الأحاديث في مجالس الشبان كلما سنحت لنا فرصة بالاجتماع اليهم ، ومن بينهم السادة شكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وسليم الجزائري والاستاذ محمد كرد علي والدكتور عبد الرحمن شهنذر ، وعلى رأسهم شيخ أحرار العرب ذلك الحين الشيخ طاهر المغربي الجزائري ، وهو شيخهم وشيخنا ، وله أكبر فضل في تنوير الابصار والبصائر ، ودفع العرب في طريق التقدم ، وهو أول من فتح مدارس البنات في دمشق . وكان يحضر اجتماعات الشلة الشيخ سليم البخاري ، والشيخ جمال القاسمي ، والشيخ عبد الرزاق البيطار ، وهم من الأحرار المجددين ، وكانوا جميعاً موضع نقمة الحكومة .^(١)

ولكن التاريخ يتحدث عن حركة عربية استقلالية سابقة لهذه الجمعيات ، وهي بحد ذاتها - بالإضافة إلى ما رويناه في الفصول السابقة - تبرهن على أن تاريخ حركة البعث العربي والتنبه القومي في البلاد العربية ، بمجيء البعثات الأميركية ، العلمية والتبشيرية إلى لبنان ، وهو الأمر الذي ذهب اليه جورج انطونيوس في كتابه « يقظة العرب » وشايعة فيه عشرات المؤلفين الذين تأثروا به واقتبسوا عنه ، تحديد فيه الكثير من المبالغة والغلو^(٢) .

وقد روى عادل الصلح قصة هذه الحركة في كتابه « سطور من الرسالة » ، نقلًا عن والده منح الصلح فقال : « قال والدي منح الصلح فيما كان يحدثني به : كان الوعي العربي قبيل الحرب الروسية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ وأثناءها ، ينمو في سورية باضطراب ، وقد كان وضع الدولة المضطرب ، وهذا الوعي القومي النامي في

١ - مذكرات البارودي ج ١ ص ٥٤

٢ - يرجع جورج انطونيوس التنبه القومي واليقظة العربية الى مجيء البعثات الاميركية العلمية والتبشيرية ، الى لبنان (انظر يقظة العرب ص ١٥ و ٧١ و ٩٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١٥١) وهذا تحديد فيه كما قلنا كثير من المبالغة ، والواقع أن اليقظة العربية قد بدأت تبشيرها قبل ذلك بكثير ، وقد أنجبت دمشق وحلب وبيروت وبغداد وغيرها من عواصم المروية كثيرا من المفكرين وانشئت فيها اتدية علمية وصحف ادبية قبل التاريخ الذي حدد وأصر عليه .

سورية ، حافزين أهابا بأهل البلاد ليتداولوا في ما يجب عمله لإنقاذ بلادهم ، وتآلفت لهذا الغرض حركة سياسية كان محرّكها الرئيسي أحمد باشا الصلح ومن أعضائها السيد محمد الأمين والشيخ علي الحر الجبعي وأحمد عباس الأزهرى وأبرهيم الجوهري وحسن تقي الدين الحصري ، والحاج علي عسيوان وشبيب باشا الأسعد الوائلي والحاج حسين بيهم ، وقد اتصل أحمد الصلح بعدد كبير من زعماء سورية ، وتنادى الجميع إلى عقد مؤتمر في بيروت ، ثم تلاه مؤتمر ثان في دمشق ، وقرر المؤتمرون العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية وترشيح الأمير عبد القادر الجزائري^(١) ليتولى الملك على هذه البلاد . « لقد اختار أهل الديار الشامية الأمير عبد القادر الجزائري ليكون على رأس حركتهم ورئيساً للدولة التي عزموا على انشائها ، وذلك لشرف نسبه ، ولأنه بطل قومي مجاهد ، وسياسي قدير فذ ، ورجل علم وأخلاق ومكارم ، ولأنه سبق أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط ، وفاضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالاً كان أسطورة ذلك الجيل وآية أعجوبته ، واحتل بذلك في الامة العربية مرتبة عز نظيرها . وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم انه ليس من أهل المشرق ، وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية ، لأن النزعات الاقليمية لم يكن لها أي اعتبار في ذلك الزمن ، فكان ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر بلاد العرب مواطناً عربياً قبل أي شيء آخر ، وأهم ما في هذا الأمر أن الزعيم اللبناني يوسف بك كرم علم بهذا الموضوع وكتب إلى عبد القادر الجزائري من منفاه في رومة رسالة يقول فيها أنه ليس من سبيل إلى انقاذ البلاد العربية إلا اتحادها تحت راية الأمير ورئاسته ، ودعا الأمير - إذا لم

١ - هو المجاهد الجزائري المعروف الذي قلوب احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين خمسة عشر عاماً أبدى خلالها ضروباً رائعة من البطولة ، ولما هادن الفرنسيين بعض أمراء المغرب الأقصى ضعف أمر عبد القادر ، فاشتراط شروطاً للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، وقد نفى إلى طولون سنة ١٨٤٧ (١٢٦٣هـ) ثم إلى أنبواز حيث زاده نابليون الثالث وإطلق سراحه . فانتقل إلى الشرق واستقر في دمشق واكتسب فيها مكانة عالية ولا سيما عندما هب اثر فتنة سنة ١٨٦٠ إلى حماية المسيحيين وكانت له في ذلك مواقف فريدة في التاريخ .

توافق الحكومة العثمانية على ذلك - للعمل على سلخ البلاد العربية عن جسم الدولة العثمانية . ثم توالى الرسائل من يوسف كرم إلى الأمير عبد القادر بهذا المعنى مع توضيح كيفية اعداد الاذهان الغربية لتقبل هذا الحدث الخطير وكيفية تنظيم الحكم داخل الوحدة التي تشمل البلدان العربية مع احتفاظ الاقاليم ببيزاتها الخاصة ضمن الوحدة الشاملة^(١) .

ومن الجمعيات السياسية الرائدة ، الجمعية التي أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤ (١٣٢٢ هـ) في باريس باسم « رابطة الوطن العربي » وغايتها تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة الأتراك . وكانت نجيب عازوري وهو مسيحي من سورية متصرفاً في القدس ، ثم تخلى عن عمله وانتقل إلى باريس حيث أقام حتى وفاته سنة ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) وأصدر مجلة شهرية بالفرنسية اسمها « الاستقلال العربي » . وقد وجهت هذه الرابطة نداءات حارة إلى العرب تحضهم على القيام بالثورة ثم وضع نجيب عازوري أفكاره في العام ١٩٠٥ (١٣٢٣ هـ) في كتاب نشره باللغة الفرنسية بعنوان « يقظة الأمة العربية في آسية التركية » وهو يقول فيه :

« تتممض الليالي في تركية عن انقلاب سلمي عظيم . فالعرب الذين يسيطرون عليهم الاتراك بقوة الارهاب المستندة على سلاح التفرقة في صفوفهم بسبب المذاهب والأديان قد تيقظوا وشعروا بقوة انسجامهم الوطني والتاريخي والعنصري ، وهم يغفون الانسلاخ عن شجرة عثمان الموسومة وتأسيس دولة مستقلة^(٢) »

ويقول أيضاً : « هنالك أمة عربية ، أمة واحدة تضم المسيحيين والمسلمين على حد سواء . وليست المشاكل الدينية التي تنشأ بين مختلف أبناء الطوائف ، سوى مشاكل سياسية تثيرها الدول الاجنبية في سبيل منافعها الخاصة . وليس المسيحيون

١ - سطور من الرسالة ص ٩١ وما بعدها ، انظر ايضا يوسف بك كرم في المنفى لسمعان الخازن ، لبنان ويوسف كرم لاسطفان البشعلاني ، تاريخ جبل عامل لمحمد جابر آل صفا ، اعيان الشيعة ج ٤٣ ص ٢٠٠

٢ - نهضة العرب : التحرر والاستقلال فالدولة ص ١٨ ، انظر ايضا يقظة العرب ص ١٧٢

أقل عروبة من المسلمين . وعلى هذه الأمة العربية أن تستقل عن الترك لما ألحقوا بها من أضرار جسام فلولا هم لكان العرب من أرقى أمم العالم . ولا أمل يرجى من أن تصلح الامبراطورية نفسها لتضمن للعرب مكانة فضلى . ولو أمكن الاصلاح لظل العرب لها موالين . ولكن عبد الحميد الثاني لا يريد أن يغير سياسته ، ورجال تركية الفتاة لا يصلون إلى السلطة . ولذا كان الاستقلال مخرجاً . وما على العرب والكرد والارمن إلا أن ينشقوا عن هذه الامبراطورية لأنها مهددة بالانهيار ان عاجلاً أو آجلاً ، بسبب ضعفها الداخلي وتدخل الدول الاوروبية في شؤونها ^(١) ، وفي خريف سنة ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) أنشأ بعض وجوه الجالية العربية في استانبول « جمعية الإخاء العربي العثماني » تأييداً للجمعية الاتحاد والترقي ، ومؤازرة لها في الحفاظ على مبادئ الدستور ، وسعياً لتأمين حقوق العرب في العهد الجديد . وقد أصدرت الجمعية جريدة باللغة العربية تنطق بلسانها وتحمل اسمها . إلا ان جمعية الاتحاد والترقي ما لبثت أن حلت هذه الجمعية بعد خلع السلطان عبد الحميد متهمة إياها بالاشتراك في حركة عصيان ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) وقد أسس هذه الجمعية عارف المارديني (والي دمشق في العهد الاتحادي بعد ذلك) وصادق المؤيد ، وشفيق المؤيد ، ويوسف شتوان ، وشكري الأيوبي ، وشكري الحسيني .

ولما كان معظم المنتسبين إلى فروع جمعية الإخاء العربي في الولايات العربية من آزرُوا حركة عصيان ٣١ آذار المشهورة ، لذلك فإن الاتحاديين بعد ان قمعوا هذا العصيان المسلح ، قد أغلقوا جمعية الإخاء . وقد جاء في المادة الأولى من قانون الجمعية الأساسي : « اما مقصد جمعية الإخاء العثماني فهو معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور) وجمع كلمة الملل العثمانية بدون تفريق في الجنس والمذهب ، وتمكين الرابطة الجامعة بينهم لأجل خدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المختلة ،

ثم السعي لإعلاء شأن الأمة العربية ، واتخاذ جميع الوسائط والتدابير لنشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها ، كتأسيس مدارس وطبع جرائد وغير ذلك ، وتزويد ثروة الأهلين ببذل النصح والارشادات اللازمة لتأسيس معامل وشركات زراعية وصناعية وتجارية ، والاجتهاد بإقناع أهل البسداوة للاقلاع عن عاداتهم المستهجنة وعداوتهم المستحرة بينهم ، وإسكانهم في محلات ثابتة ، وتعويدهم على مزاوله العوائد والحرف الحضرية ، وتنوير عقولهم بالعلم ، وصيانة حقوق أبناء العرب جميعاً من الغدر والاعتساف ، وتبليغ شكاياتهم ومستدعياتهم إلى مراجعها الرسمية إذا لم تلق حسن القبول عند المأمورين المختصين بالنظر فيها ، وصرف المقدرة بكل ما يمكن من الأمور الخيرية ، والسعي في تأييد العدل والحرية والمساواة بين عناصر الأمة العثمانية وإزالة الضغائن وسوء التفاهم من بينهم .

وفي سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هـ) تأسس « المنتدى العربي » في الاستانة ، ومن أبرز أعضائه عبد الكريم الحليل وعارف الشهابي ويوسف حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ورفيق رزق سلوم وأحمد عزت الأعظمي وعبد الوهاب الزويني ، وعبد الوهاب الانكليزي وتوفيق البساط وسليم الجزائري ، وأمين لطفي الحافظ ، ومحمد الشنطي ، وأحمد طباره ، ورشدي الشمعه ، وجرجي حداد ، وسعيد عقل ، وباترو باولي .

وكان لهذا النادي فضل كبير في ضم شتات الطلاب العرب ، وتلقينهم المبادئ الوطنية ، وإفهامهم حقوق البلاد العربية ، وإعدادهم لخدمة أمته ولغتهم . كما كان صلة الوصل بين أفراد الجالية العربية في استانبول ، وملتقى القادمين إليها من أنحاء العالم العربي وقد بلغ عدد أعضائه عدة آلاف ، وأنشئت له فروع كثيرة في الشام والعراق .

ويقول أسعد داغر : « أنشئ المنتدى الأدبي وكان الغرض منه إيجاد رابطة ثقافية بين الطلبة العرب ، ولكنه بدأ يتحول إلى مركز سياسي منذ تبدلت سياسة جمعية الاتحاد والترقي مع العرب . ولم يخف ذلك على الترك ، فلجأوا إلى سياسة المجاملة خصوصاً بعد ان أصبح عبد الكريم الحليل معتمداً للشبيبة العربية ، فقد

ظنوا انه أصبح في إمكانهم السيطرة عليها بالتردد على ناديا وإبداء العطف على معتمديها والقائمين بأمرها^(١) .

وقد أصدر المنتدى مجلة باسمه كانت مجال أقلام شبان العرب وأدبائهم في كل ما يتصل بالعروبة وتاريخها وحقوقها ولغتها وأمانها ، وغدت مظهرأ من مظاهر الفكرة ودعامة من دعائم حركتها . وعلى صفحات هذه المجلة نشرت أولى القصائد والأناشيد التي تشيد بأجداد العرب وتعرب عن أمانهم ، والتي كان شبان العرب يرددونها ويتغنون بها في اجتماعاتهم الخاصة والعامة^(٢) .

وإلى جانب « المنتدى العربي » تأسست في استانبول في السنة نفسها ، جمعية سرية باسم « القحطانية » تضم عدداً من المدنيين والعسكريين العرب . وكانت هذه الجمعية تدعو إلى ان تتألف الدولة العثمانية من جزئين مستقلين استقلالاً تاماً في الأمور الداخلية ، الواحد عربي والآخر تركي . وتكون الدولة عربية تركية في إطار عثماني ، على غرار امبراطورية النمسة والمجر ، فيحمل السلطان الخليفة حينئذ تاجين : تاجاً عربياً وآخر تركياً . ويبدو ان بعض المنتسبين إلى هذه الجمعية لم يتقيدوا بمبدأ السرية الذي التزمته ، فشاع أمرها ، واضطر مؤسسوها إلى حلها دون ان يتخذوا قراراً بذلك ، وانضم بعض أعضائها فيما بعد إلى جمعية « العهد » أو جمعية « العربية الفتاة » . ومن أبرز أعضاء الجمعية « القحطانية » سليم الجزائري ، وأمين عادل ارسلان ، وخليل حماده ، وأمين كزما ، وصفوت العوا ، وعلي النشاشيبي ، وشكري العسلي ، وعبد القادر الحرسا ، وعلي الارمنازي ، ومحمد العجم ، وسليم عبد الهادي ، ونور الدين القاضي^(٣) .

وفي سنة ١٩١١ (١٣٣٠ هـ) التقى في باريس عدد من المفكرين وخريجي الجامعات أو طلابها ، منهم الدكتور أحمد قدري ، ومحمد رستم حيدر ، ورفيق

١ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٣٥

٢ - حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٢٤

٣ - انظر الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٠ محاضرات عن القومية العربية ص ٧٠ ،

ينظرة العرب ص ١٨٦

التميمي ، وعوفي عبد الهادي ، وعارف الشهابي ، ومحمد الحمصاني ، وعبد الغني العريسي ، وصبري الحوجه ، وتوفيق الناطور ، وكانوا يجتمعون في غرفة الدكتور أحمد قدري في شارع استراباد ، ويسمونها « قنصلية العرب » . وفي هذه الغرفة التي كانت تضح بجوية الشباب والحماسة الوطنية ، تألفت أعظم جمعية وطنية سرية عربية وهي « جمعية الأمة العربية الفتاة » وقد عرفت باسم « العربية الفتاة » وأحياناً « الفتاة » ، وكانت أقوى الجمعيات السرية العربية ، وأعمقها أثراً في تاريخ النهضة .

وبعد انتهاء سني الدراسة أو سني الاختصاص ، انتقل الدكتور أحمد قدري وعارف الشهابي إلى سورية ، ومحمد الحمصاني وعبد الغني العريسي إلى لبنان ، فأصبح للجمعية مركزان رئيسيان في دمشق وبيروت يعملان على نشر مبادئها الاستقلالية ، وسرعان ما اتسع نشاطها ، وتركز النضال القومي فيها ، وتكاثر عدد المنتسبين إليها . ومن أبرز هؤلاء فيصل بن الحسين ، وزيد بن الحسين ، وشكري القوتلي ، وياسين الهاشمي ، وجميل المدفعي ، ومولود مخلص ، وعلي جودة الأيوبي ، ورضا الركابي ، وعزة دروزة ، ورفيق سلوم ، وعمر حمد ، وتوفيق البساط ، وصالح وسعيد ويوسف وابراهيم حيدر ، وعبد الدين وسيف الدين الخطيب ، ونسيب وفوزي وسامي البكري ، وفخري البارودي ، وأحمد مريود ، وأمين وعبد الوهاب ميسر ، وشكري الشوريجي ، وخالد وأسعد الحكيم ، وصدقي ملحق ، وعمر الاتاسي ، ومحمد الشريفي ، ومعين الماضي ، ونحسين قدري ، وزكي ومحمد علي التميمي ، وتوفيق الناطور ، وبشير القصار ، وبشير النقاش ، وكامل القصاب ، وسعيد الباني ، ورشدي الامام الحسيني ، ورشدي الشواغزة ، وسليم عبد الرحمن ، وحافظ كنعان ، وأحمد المناصفي ، وابراهيم هاشم ، ومحمد العفيفي ، وتوفيق فايد ، وجميل مردم ، وصبحي الحسيبي ، ورشيد الحسامي ، وتوفيق السويدي ، واسماعيل وفائز وبهجة ومصطفى من الأمراء الشهابيين .

ويمكن اعتبار « الفتاة » قمة التطور في سير كفاح العرب والاعراب عن أمانهم وتعين أهدافهم ، وكانت هذه الأهداف واضحة صريحة تنزع إلى استقلال البلاد

العربية وتحريرها من السيطرة التركية أو أية سيطرة أجنبية أخرى .
وقد امتاز أعضاء هذه الجمعية بالجرأة والصلابة والشجاعة الفائقة ، وظل أمرها سراً لا تطوله السلطة التركية بالرغم من تعرض الكثيرين من أعضائها للسجن والتعذيب والاستشهاد، لحرص الجمعية على التكم والسرية التامة، واختيار أعضائها ممن عرفوا بحسن الخلق وقوة النفس والتشبع بالفكرة القومية والإخلاص لها .
يقول الأمير مصطفى الشهابي : « وقد قال بعضهم ان هذه الجمعية كانت عند العرب شبيهة بجمعية « جون ترك » أي « تركية الفتاة » وهو الاسم الذي كان يطلق على جمعية الاتحاد والترقي عند الأتراك . وفاتهم انه كان بينها فارق كبير ، وهو ان الجمعية العربية إنما كانت تعمل لتخليص الشعوب العربية من إرهاب الأتراك الظالمين ، اما الجمعية التركية فقد كانت تعمل لاستبقاء نير الأتراك في أعناق العرب ، مع ما يتبع هذه السياسة الغاشمة من تجاهل لحقوق العرب ولغتهم ولكل شخصاتهم القومية ^(١) » .

ولما تولى الحكم حزب الحرية والائتلاف ، تشجع القائلون باللامركزية على إعلان مطالبهم ، فتألفت في بيروت سنة ١٩١٢ (١٣٣١ هـ) « الجمعية الإصلاحية » بزعامة أحمد مختار بيهم ، وسليم سلام ، وأيوب ثابت ، والشيخ أحمد طباره ، ووضعت في أوائل سنة ١٩١٣ لائحة تتضمن مطالب العرب، وخلاصتها الاعتراف بأن تكون العربية لغة رسمية في دوائر الولايات الحكومية، وان تعين العاصمة رؤساء تلك الدوائر على ان يكونوا عارفين باللغة العربية، أما سائر موظفي الولاية فيكونون من أبنائها. وان يؤلف مجلس تمثيلي للولاية تكون العربية لغته، ويكون له سلطة محلية واسعة منها إقرار ميزانية الولاية التي يتألف دخلها من ضرائب حددت في اللائحة. وبهذه الميزانية تتولى الولاية الأعمال الحكومية التي لها صبغة محلية كالمعارف والزراعة والتجارة والأوقاف والصحة والأشغال العامة . أما المؤسسات التشريعية والحكومية الكبرى كالمجلس النيابي ومجلس الأعيان ومجلس الشورى

والوزارات فتبقى كلها في العاصمة الخ ..

وقد تركت هذه اللائحة صدى قوياً في البلاد العربية ، وعقدت اجتماعات تأييدية لها في دمشق وحلب وعكة ونابلس وبغداد والبصرة . وأسفرت هذه الاجتماعات في البصرة وبغداد عن وضع لائحتين للإصلاح على غرار لائحة بيروت ، وكان يقود حركة النضال فيها طالب النقيب ، وحلمي ومزاحم الباجه جي ، ويوسف السويدي . ولكن الاتحاديين ما لبثوا ان عادوا إلى الحكم ، فعطوا الجمعية وقاوموا الحركات المؤيدة لها ، فكان لذلك رد فعل شديد تجلّى في إضراب بيروت وبعض المدن السورية ، وصدرت الصحف بيضاء ما خلا مكات الأمر الصادر بمحل لجنة الإصلاح فانه نشر في الصدر مطوقاً بالسواد ، فعمدت السلطة حينئذ إلى تعطيل الصحف واعتقال الزعماء البارزين ومنهم الشاعر اسكندر العازار ، فزاد الهياج وأدى إلى مظاهرات صاخبة تألفت في مدن مختلفة من بلاد الشام احتجاجاً على أعمال القمع ، مما اضطر السلطة إلى إطلاق سراح المعتقلين وإعلان قانون جديد للولايات يمنع الهيئات التمثيلية المحلية مزيداً من السلطات ^(١) .

وقد كتب مراسل جريدة « الطان » الباريسية في بيروت إلى صحيفته في ٢٧ آذار (مارس) عام ١٩١٣ (١٣٣٢ هـ) تعليقاً على هذه الأحداث قال فيه :
« يصعب جداً وقف هذه الحركة الثورية التي لم تقتصر على ولاية بيروت فحسب ، بل عمت جميع الأقاليم العربية . وقد باءت محاولة الحكومة القضاء عليها بفشل ذريع . واستدعي إلى بيروت شكري بك العسلي نائب دمشق السابق وزعيم هذه الحركة ، وعرضت الحكومة عليه منصب معاون حاكم اللاذقية فأجاب : « لا نهدف إلى مناصب ذات ريع ، وإنما نطلب إصلاحات جديّة تضمن نفاذها الدول الأجنبية . وهذا رأي جميع السوريين والشعوب القاطنة على ضفاف الفرات وسواحل البحر الأحمر » ^(٢) .

١ - محاضرات في القومية العربية ص ٨٣ ، يفتلة العرب ص ١٩٠ ، ثورة العرب ص

٦٢ ، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ص ١٦١

٢ - نهضة العرب : التحرر والاستقلال للدولة ص ٢٩

ومن الجمعيات العربية ذات الأثر الفعال « جمعية البصرة الإصلاحية » و« النادي الوطني العلمي » في بغداد ، وقد أسس الأولى السيد طالب النقيب نائب البصرة في مجلس النواب العثماني وأحد زعماء حزب الائتلاف . أما « النادي الوطني العلمي » فقد أسسه مزاحم الباجه جي وانتسب إليه كثير من الشبان وعمل على نشر المبادئ القومية ، وأصدر مؤسسه جريدة باسم « النهضة » لم يصدر منها سوى ١٢ عدداً ثم أغلقها الاتحاديون وأمروا بالقبض على صاحبها فهرب إلى البصرة ولجأ إلى السيد طالب النقيب .

ويقول مؤلف كتاب « ثورة العرب » ان الحكومة التركية قامت بمحاولة لاغتيال طالب النقيب ، فعينت لهذا الغرض ضابطين من كبار الضباط الاتحاديين في وظائف كبيرة في البصرة ، وهما فريد بك الذي جعلته قائداً لموقع البصرة وعاكف بك الذي عينته قائداً للدرك وأرسلت معها عدداً كبيراً من الفدائيين ، فما ان استلموا زمام وظائفهم حتى جعلوا يبعدون ضباط العرب إلى الأناضول ليتسنى لهم تنفيذ أوامر الحكومة ، ولكنهم وقعوا في الشرك الذي نصبه لزعماء العراق ، فسلم طالب النقيب وأصحابه ، وقتل أنصاره فريد بك وتشتت شمل أعوانه ، كما قتلوا بديع بك نوري متصرف لواء الناصرة ، وأخفقت مؤامرة الاتحاديين إخفاقاً ذريعاً^(١) .

ولم يقتصر تأليف الجمعيات الوطنية على بلاد الشام ، إذ ألف سنة ١٩١٢ (١٣٣١ هـ) عدد من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين المقيمين في القاهرة في مقدمتهم رفيق العظم ، واسكندر عمون ، والدكتور شبلي الشميل ، ومحب الدين الخطيب ، ومحمد رشيد رضا ، وفؤاد الخطيب ، وسامي الجريديني ، وسليم عبد الهادي ،

١ - صدر كتاب ثورة العرب سنة ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) على انه تأليف أحد أعضاء الجمعيات العربية « والمعروف ان مؤلف الكتاب هو أسعد يوسف داغر ، أما بديع نوري فهو شقيق الاستلا ساطع الحمصي (انظر ثورة العرب ص ٧٩ وحديث توفيق السويدي في ملحق « الحياة » الخاص بالثورة العربية الكبرى ويقول السويدي ان النقيب هو مؤسس نادي بغداد وان اسمه النادي الادبي) .

وحافظ السعيد ، ونائيف تالو ، وعلي النشاشيبي ، وحقي العظم ، «حزب اللامركزية» وأنشأوا فروعاً له في بلاد الشام ، وكان يدعو إلى إعطاء البلاد العربية حكماً ذاتياً على أن تظل مرتبطة بالدولة العثمانية ، فتقوى بمؤازرتهم ، وتتمكن من مقاومة الدول الأجنبية . والراجح أن هذه الجمعية كانت على اتصال وثيق بالجمعية الإصلاحية في بيروت التي مر ذكرها .

وقد جاء في المادة الثالثة من قانون الجمعية : « ليس هذا الحزب خفياً ، وليس فيه ما يعد من الأسرار ، فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرًا وعلانية دون الخشية من أحد ، لاعتقاده يقيناً أن الدولة لا تبقى في العالم السياسي إلا إذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الإدارية » .

وعلى الرغم من أن الجمعية لم تكن سرية ، وقد أعلنت نظامها ودعوتها جهرًا ، فإن فروعها في البلاد العربية كانت سرية ، وكانت نشاطها واتصالها بالمرکز العام يجران بتكتم شديد ، وكان الاتحاديون بعد أن عادوا إلى الحكم يرصدون حركات الجمعية وفروعها ، وكان أعضاؤها أثناء الحرب من أهداف بطشهم وتكيلهم^(١) .

ويقول جورج انطونيوس « أن قيمة هذه الجمعية في تاريخ الحركة العربية تتمثل في أنها أول تجربة نخوضها الحركة في ميدان العمل المنظم . فقد مضت ثلاث سنوات والمركة بين الاتحاديين - سياستهم في التوحيد في المركز - وبين العرب الذين ينادون بالحكم الذاتي ، متقطعة متفرقة كعادة العرب في حروبهم ، وجا تأسيس الجمعية محاولة لتنظيم الجهود وجمعها في جهد واحد متسق متواصل^(٢) » .

وكذلك لم يقتصر العمل الوطني والتكتل القومي على المدنيين ، إذ قام من الضباط العرب في الجيش العثماني سنة ١٩١٣ (١٣٣٢ هـ) بتأليف جمعية استقلالية باسم «جمعية العهد» وقد أسس هذه الجمعية علي المصري ومن أبرز أعضا

١ - حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٢٥

٢ - يقظة العرب ص ١٨٦

سلم الجزائري ، وجميل المدفعي ، ونوري السعيد ، وباسين الهاشمي ، وجعفر العسكري ، ومحمد اسماعيل الطباخ ، وعارف التوام ، وخالد الحكيم ، ومصطفى وصفي ، وأمين لطفي الحافظ ، ومولود مخلص ، وطه الهاشمي ، وعلي جودة الأيوبي ، ومحي الدين الجبان ، ومحيي كاظم ، وعبد الله الدليمي ، وشريف الشريف ، وحيد الشالجي ، وصادق الجندي ، وعلي النشاشيبي ، واسماعيل الصفار ، وتحسين علي ، وعبد القادر سري ، وعلي رضا الغزالي ، ورشيد الخوجه ، وحدي ومزاحم الباجه جي .

يقول الأمير مصطفى الشهابي : « ومعظم هؤلاء كانوا رجال حرب وثورة وعقيدة وطنية ، وهذا شيء كثير ، وقد هلك منهم نفر في الثورات المختلفة ، وكان لهم في القضية العربية تأثير لا يفوقه إلا تأثير الفتاة ^(١) . وقد كشف الترك النقاب عن جمعيتهم إبان الحرب الكبرى الأولى فقتلوا بعضهم ، وشتموا شمل بعض في أنحاء الدولة بعد ان سلبوهم قيادة المهم من القطاعات العسكرية ^(٢) » .

ولم يشترك في هذه الجمعية من المدنيين سوى الأمير أمين ارسلان ، وكان فيها عدد كبير من العراقيين ، ولها فرعان أحدهما في بغداد والآخر في الموصل ، وقد مثلت بين العسكريين الدور الذي مثلته جمعية «العربية الفتاة» بين المدنيين ، ولم يكن بين الجمعيتين اتصال حتى كانت سنة ١٩١٥ (١٣٣٤ هـ) فاتصلتا ووحداً مواردهما وجهودهما لإعداد الثورة ^(٣) .

ولعل من المفيد ان نختم هذا الفصل بمقتطفات من ثلاثة من المناشير العديدة التي كانت توزعها الجمعيات العربية السرية يومذاك ، وهذه المناشير الثلاثة كلها من منشير جمعية « العهد » ^(٤) . وإلى القارئ مقتطفات من المنشور الأول :

« استيقظوا يا بني قحطان فنحن على عتبة ثورة كبرى .. ومن يظل نائماً يت .

١ - التقت الفتاة والمهد فيما بعد وتوحد عملهما في العهد الفيصلي بمشق .

٢ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٤٦

٣ - تاريخ الأمة العربية عصر الانبعاث ص ٥٢

٤ - انظر نهضة العرب : التحرر والاستقلال للدولة ص ٢٢ - ٢٧

ومن يت خاملاً يذهب بلا أثر .

« متى تعون وتتنهون ، فات بلادكم تباع للأجنبي وأراضيكم تدخل في حوزة الألمان والفرنسيين ؟ .. »

« عيونكم تجلبها الغشاوة وأنتم أرقاء لأسياد ظالمين .. أنتم قطع من الأغنام يمزونه ويحبونه ثم يرسلونه إلى الجزر . بلادكم مزرعة أتتهم بطريق الميراث وأهلها عبيد لخدمة الأرض ! »

« تفوقون الأرمن بالعدد أضعافاً مضاعفة ولكنهم يتمتعون باستقلال ذاتي وأنتم ما زلتم عبيداً لحفدة هولاء كو وجنكيزخان الذين أطاحوا بملكة بغداد ، وأبناء تيمورلنك الذي أساد إبان موقعة حلب برجاً من ثمانين ألف جمجمة عربية . »
« وهم لأجل الدفاع عن الامبراطورية البيزنطية يضحون بشرف نسائكم وحيات أبنائكم وأموال بلادكم . ولأجل الاحتفاظ بنعيم ملذاتهم يهرقون دماءكم في اليمن والكرك وحوران ، وبأمرهم تسفكون دماء إخوتكم ... »

« ما قيمة الحياة بلا حرية .. وما هو الضمان الذي تأمنونه من العلم العثماني ؟ .. »
« أيها العرب تقلدوا سلاحكم . وبأبني قحطان جردوا سيوفكم واطردوا من أرضكم المقدسة أولئك الذين يستغلونكم ويحتقرونكم .. ويغضون جنسكم ولعنكم . وقد قال الله تعالى : الظالمون هم الكافرون . »

« أيها العرب المسلمون . الظلم ليس من شيم الاسلام .. وبأياها العرب المسيحيون والاسرائيليون اتحدوا واخوانكم المسلمين . ومن يقول لكم ان هؤلاء يؤثرون الترك عليكم فما هو إلا خداع لئيم عدو العرب .. »

« أيها العرب لقد أقسمت جماعة من الفدائيين على قتل من يقتل العرب .. وأنا لا نريد الإصلاح على أساس اللامركزية . ان الإصلاح الذي نبغيه يعني بعث مجدداً الغابر .. ومنهاجنا الذي نفتفيه يعني : « دولة عربية مستقلة في الكل وعن الكل . » وهذا موجز لمنشور آخر :

« .. أجيالوا النظر في تاريخ حياتكم نجدوا ان ضغط الطغاة على أنفاسكم بعنفه الظالم الذي لا مثيل له في العالم لم يهادنكم ولا يوماً واحداً . »

« أتمر بخاطركم ذكريات الاندلس ؟ وهل تذكرون كيف انت آخر ملوك العرب استنجد بسلطان الأتراك ليدفع الغزو عن بلاده وكيف ردّه هذا السلطان على أعقابهِ يتعثر بأذيال الخذل والفشل ؟

« ولما تمر بالخيّة هذه الحواطر ويعلم ان زوال مملكة الإسلام في اسبانيا سببه استنكاف الترك المسلمين عن مد يد النصرة اليها . وان القضاء على السلطة الإسلامية كان قضاء على المدينة العربية . وان ثمرات عبقريتنا ومكاتبنا ومصنفاتنا العلمية والأدبية ألقاها الأتراك كلها في الدجلة والفرات . وان تونس والجزائر بتخليهم عنها صارتا إلى فرنسا رغم تضحية مئات الآلاف من العرب . قلنا لما يمر كل ذلك بالحاطر كيف لا تهتز النفوس اشمزازاً وتثور الأفكار غضباً ؟ كيف يسعنا ان نصافح بعد اليوم تركيا من أبناء «تركيا الفتاة» الذين باعوا أملاك العرب بالمزاد العام قطعة بعد أخرى . ومن هو ذاك العربي الذي يعرف ان الأتراك هم سبب شقائه ولا يحتقر ذاته وبني جنسه ان لم يغمد سيفه في صدورهم ، هم البرابرة هادمو كيانه ؟ . « قذف طلعت وشربكه بالجنود العرب إلى العراق واليمن ليهدروا دماء إخوتهم كما تهدر دماؤهم بدورهم هم أيضاً .

« ثم يؤدي هؤلاء الطغاة من حصيلة الضرائب التي يستنزفونها من دمائنا نفقات البعثات المؤلفة من أتراك وأرمن وعهود التي يوجهونها إلى الجامعات الأوروبية لإكمال تحصيلها بينا أولادنا يملون . . ومن فوائد العلم يحرمون . « وهم أيضاً يحاولون جهدهم لنزع تقاليدنا القومية من حياتنا الخاصة واتحاد أنفاس مدينتنا .

« ما هي الصلة التي تربطكم بالأتراك . وما الذي أفدتموه من السلطنة العثمانية ؟ أتعتقدون بأنهم مؤمنون ؟ أفي إمكانكم أن تعتبروا مؤمنين أناساً يدمرون معابكم ويبيعون بلادكم ، ويرهنون ولاية الحجاز الغربية لكي تتوافر الاموال بين أيديهم فيهبون ما يهبون إلى الفتيات التركيات ؟ « ان الواجب يقضي بالألا تؤدوا الضرائب وأن تبتاعوا السلاح إلى أن تنظف البلاد من المدمرين .

« وقد علمنا التاريخ بأن الاستقلال لا يمنح بل يؤخذ عنوة وجزيته الدماء .
وهذا موجز لمنشور ثالث أحدث تاريخاً من الأولين وجد معها ضمن اضبارة
الدعوى التي أقيمت بعاليه (لبنان) لمحاكمة المتهمين من العرب بالتآمر على
الدولة العثمانية :

« أيتها الأمة النبيلة : إقبلي تحية من يعيشون بين ظل القدر وبين ضياء النفس
وقوة الرجاء .

« واعلمي أن السياسة الاجنبية قورت على ما يظهر غلّ الاتراك بسلاسل
العبودية . فقد حرمتهم من استقلالهم القضائي وأصبح القانون العثماني لا يسري إلا
على العثمانيين ، ومن استقلالهم الاقتصادي إذ لم يعد باستطاعتهم فرض الضرائب أو
احداث موارد جديدة إلا بموافقة الاجانب ، ومن استقلالهم العسكري إذ لم يعد
يسمح لهم بتنظيم جيوشهم أو تعزيز أسطولهم كما يشاءون . وأخضعت أراضيهم
للفؤد الاجنبي حتى أنهم لا يستطيعون ادخال أي تعديل عسكري على نظام
عاصمتهم المسيطرة على المضيقين بدون موافقة الدول المجاورة .

« وقد فقدوا حرية الادارة الداخلية بحيث لا يمكنهم تعيين موظف غير مرغوب
به من الجوار . كما فقدوا حرية السياسة الخارجية لأنهم مرغون على اتباع سياسة
الوزارات الاجنبية . وثمة أيضاً العبودية المالية التي تقضي بأن تكون حياتهم أو
معاملتهم رهن مشيئة البلدان الاجنبية .

« فتوكلوا والحالة هذه أصبحت اسماً لغير مسمى إذ إن بقاها يتوقف على ارادة
الغير ومن يفكر بإمكان بقائها بعد الانهيار هو مجرد من الذكاء . أما من يريد
إخضاع بلاده لأمة مستعبدة فهو خائن .

« كانت اليونان اقليماً من الأقاليم العثمانية وما أن خلعت النير عنها وتحجرت حتى
سارت في معارج التقدم وكانت أسرع في النجاح من الاتراك . وكذلك اقليم الجبل
الاسود المحرر فانه خير قدوة للمستعبدين . ثم الصرب الذين لم يكادوا ينفصلون عن
الاتراك حتى هاجروهم كالأسود والبلغار الذين ظفروا باستقلالهم وإنشاء دولة فتيّة
قوية . وأما الرومان فبعد انفصالهم عن السلطنة العثمانية أصبحوا محور التوازن في

البلقان . وبالجملة فان جميع الأقاليم التي انفصلت عن جسم الدولة العثمانية أسرع
 بإنشاء حكومات نظامية على أساس صحيح وسليم . كما بقيت جميع الاقاليم الأخرى
 المندمجة في هذه الدولة رازحة تعاني الشقاء والانحطاط . وللعرب حظ كبير بالنجاح
 لأن مستواهم الثقافي يفوق مستوى الشعوب البلقانية وقت استقلالها . وليثق العرب
 بأنهم سوف يقضون على دسائس السياسيين ويعلنون الثورة ويقلبون الدولة رأساً على
 عقب ويرفعون علمهم الحفاق على جميع البلاد العربية .
 « أيتها الأمة النبيلة .
 «تنازلي بقبول تضحية الذين يعيشون بين ظلام الليل وبين بياض النفس وخضرة
 الرجاء » .

الفصل السادس المؤتمر العربي في باريس

قبل خمسة عشر قرناً إلا قليلاً ، كان الملك الضليل امرؤ القيس في طريقه إلى استانبول من بلاد الاناضول فشاهد ضريحاً لغريب مثله ، فهاج في نفسه خاطر الشعر ، فتفجّر من أعماقه بهذه الجملة : « وكل غريب للغريب نسيب ... » وهذا القول إذا ما أخذناه من حلبة الأدب والشعور الانساني العام ، لندخله في الأطر السياسية ينقلب إلى هذا المعنى : المظلوم أخو المظلوم ، وطالب الحرية شقيق طالب الحرية ، والتعسف العنصري لا بد من أن يقابل بالعمل للتحرر السياسي والتنظيم الاجتماعي من قبل جميع الذين يتعرضون لذلك التعسف ويعانون ذلك الظلم .

ولم يكن العرب وحدهم الذين ينشدون الحرية والنور والسعي لطرح نير الاستبداد الاتحادي ، وإنما كانت هناك كذلك القوميات المختلفة التي منها الأرمن الذين أشربوا الروح القومية وعرفوا بنضالهم للدود عن حقوق قوميتهم ، وكان لهم عام ١٩١٣ (١٣٣٢ هـ) مؤتمر عام عقدوه في سويسرة . وتدفع الظروف ثلاثة من أحرار العرب الذين يدرسون في باريس وهم جميل مردم ، وندره حداد ، ومحمد محصاني ، إلى دخول قاعة المؤتمر ... ولم يشعر المؤتمرين بأن ضيوفهم عرب ، حتى

رحبوا بهم ترحيب الأخ بأخيه ... أليسوا سواسية بجمل نير الاستعمار التركي؟ ..
وارتد الضيوف الثلاثة إلى مدينة النور ، تخالجهم فكرة واحدة هي : لم لا يكون
للعرب مؤتمرهم كذلك ؟ ... واجتمعوا بياقي اخوانهم فكانت خواطر الجميع
وآراؤهم واحدة حول هذا الموضوع .

وكان من أهم أغراض هذا المؤتمر « تعريف الاجانب عامة والفرنسيين منهم
بوجه خاص ، أن العرب قد عقدوا العزم على الدفاع عن بلادهم ضد أي هجوم
خارجي ، فرنسياً كان أو غير فرنسي ، وتذكير الدولة العثمانية بوجوب العمل
السريع في تطبيق الاصلاحات اللامركزية في البلاد العربية ^(١) »

وسرعان ما حضر للمؤتمر وهيء له ، ووجه هذا النداء إلى سائر أصقاع العروبة
حاملًا إليها آمال العروبة :

« نحن الجالية العربية في باريس ، قد أوقفنا مناسبات الجرائد الاوربية
ومغامز الساسة في الاندية العمومية ، على استقرار ما يجري من التغيرات الدولية
بشأن البلاد العربية ، وأخصها زهرة الوطن سورية ، ولم يبق بين جمهور الناطقين
بالضاد من لا يعلم أن ذلك نتيجة سوء الادارة المركزية .

« فحدا بنا الأمر إلى الاجتماع — وعددنا ينيف على الثلاثمائة في هذه المدينة —
فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الارض (المترعة بدم الآباء
العظام ، ورفات الاجداد الأباة) من عادية الاجانب ، وإنقاذها من صبغة
السيطر والاستبداد ، واصلاح أمورنا الداخلية على ما يتطلبه أهل البلاد من قواعد
اللامركزية ، حتى يشتد بها ساعدنا وتستقيم قناتنا ، فينقطع بذلك خطر الاحتلال
والاضمحلال وتنفي مذلة الرق ، وتخفت نامة الاستعباد ، ويظهر للاعبين ب حياة
الشعوب اننا أمة عيوف الضيم ، لا تستقيم لذل ولا تستكين لمسكنة .

« وبعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به سوريون ، فتفد اليه وفود
أكابر من البلاد العربية وعقلاء أفاضل من السوريين المهاجرين لمصر وأميركا الجنوبية

واميركا الشالية والبلاد الاوروية فتتمثل فيه الامة العربية المنتشرة في اقطار الارض ، وتحق كلمة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الامة في هذا المؤتمر حيث نبسط للامم الاوروية اننا امة مستمسكة ذات وجود حي لا ينحل ، مقاوم عزيز لا ينال ، وخصائص قومية لا تنزع ، ومنزلة سياسية لا تقرر . ونصارع الدولة العثمانية بأن الامر كزية قاعدة حياتنا ، وأن حياتنا أقدس حق من حقوقنا ، وأن العرب شركاء في هذه المملكة . شركاء في الحرية ، شركاء في الادارة ، شركاء في السياسة ، وأما في داخلية بلادهم فهم شركاء أنفسهم .

« ومن ثم انتخبت الجالية لجنة ادارية (وهي الموقعة على هذا) لتقوم بالعمل ، فوضعت خطة المؤتمر وما سيجري فيه من المباحث على مشهد من أبناء الوطن المجيد وبعض من كبار الأوروبيين ويمثلي الصحف الأوروبية والاميركية . وهذه هي المسائل التي ستكون أساس المذاكرات :

١ - الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

٢ - حقوق العرب في المملكة العثمانية .

٣ - ضرورة الاصلاح على قاعدة الامر كزية .

٤ - المهاجرة من سوريا وإلى سوريا .

« ومتى تمت المناقشات حمل المؤتمر قراراته إلى حيث يتنخم عليها التصديق وبحق التنفيذ .

« وبعد فإننا ندعو كل من يخفق قلبه لأمة العرب ، صغيراً أو كبيراً ، أن يلي داعي الوطن ، ولا سيما أرباب الزعامات في مقاعد الجمعيات ، فعليهم نعتمد وإليهم نتجه ، فاما أن ينضموا إلى وفود المؤتمر واما أن يبعثوا إليه بالرسائل البرقية أو الكتائية يظهرون فيها ارتياحهم لنبل الغاية ، واشتراكهم في شريف المقصد ، حتى يدلي المؤتمر لدى الأمم بحجته وتستوثق قوته بقوة أمته . وهنالك ينشق اليقين ، فيطل على هذه الأمة فجر الحياة من بين اتساق الغسق وركام الظلمات .

« وسلام على من تلقى هذا النير فما أغشاه . ومن عرف واجبه فأداه .

« لجنة المؤتمر العربي : عوني عبد الهادي ، ندره مطران ، عبد الغني العريسي ،

شكري غانم ، جميل معلوف ، محمد محصاني ، شارل دباس ، جميل مردم بك^(١) .
المراسلات تكون باسم كاتب اللجنة ، وهذا عنوانه :

Abdel Gani Araïssi - 17 Rue Claude Bernard - Paris

ولم تلبث الوفود أن أخذت تتوى على العاصمة الفرنسية ليس من ديار العروبة فقط ، وإنما من المهاجر الاميركية كذلك (المكسيك والولايات المتحدة) وكان أول الوافدين اليها الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي أجمعت عليه الاراء ليرئس هذا المؤتمر التاريخي العظيم ، ويتحدث باسمه ، وقد أدلى هذا الشيخ الجليل لمندوب جريدة « الطان » الفرنسية بتصريح خطير يعبر أصدق تعبير عن أهداف المؤتمرين ، والمقصود الذي يهدف اليه العرب جميعاً ، ويسعون لتحقيقه ، والموقف الصحيح من الدولة العثمانية فقال :

« إن ما حدث في ولايات الدولة العثمانية بأوروبا من الحوادث الخطيرة ، دعانا إلى التفكير وإمعان النظر في الحالة الجديدة التي دخلنا فيها ، واتخاذ الوسائل الضرورية لاتقاء نتائجها ...

« إن العرب يؤلفون عنصراً مهماً بعدده ، هذا إذا لم نقل عنه أنه أهم العناصر العثمانية كلها ، ولهذا العنصر العربي ميزة بين العناصر الأخرى ، بوحدة لغته وعاداته ومصالحه وميوله ... وإن هذه الخصائص والصفات قد أحدثت له حقوقاً كانت مهمة حتى الساعة ... ولذلك قمنا نطلب بصفتنا عثمانيين : أن نشترك في الادارة العامة ، وأن نعرض على حكومتنا بصفتنا عرباً مطالب خاصة بقوميتنا وحالاتنا ...

« ويهمني أن أصرح قبل كل شيء ، بأن هذا المؤتمر ليس له صفة دينية ، ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً ، وعلى كل فان فكرة الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين قد ولدت . وأيدتها حوادث بيروت ... وهي التي ولدت فكرة هذا المؤتمر

وأجاب السيد الزهراوي على سؤال لكاتب « الطان » فقال :
 « كان يحق للحكومة العثمانية ان يتكدر خاطرها من عقد هذا المؤتمر ، لو اننا
 طلبنا الانفصال عنها مثلاً . أما نحن فتريد عكس ذلك .. ومطالبنا منها مطالب
 حقة تؤول إلى تحسين حال الدولة والعنصر العربي معاً ، ونحن لا نرى حقنا قاصراً
 على عرض هذه المطالب فقط ، بل نعتقد ان الواجب يقضي علينا تنفيذ هذا الأمر
 بالفعل ، وتلك هي الطريقة الوحيدة التي تمكننا من ان نحفظ صرح الدولة من
 السقوط . »

وأجاب السيد الزهراوي على سؤال آخر من الصحفي :
 « ان الرابطة الدينية قد عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية . وأنا لا أرجع
 إلى التاريخ لأبرهن على هذا ، بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة :
 « انظر إلى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقو رابطتهما الدينية على إزالة
 اختلاف بسيط من بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق بالحدود .
 ثم ان الرابطة الدينية لا توجد إلا حيث توجد حكومة إسلامية . والعاطفة
 الإسلامية لم تقدر مرة من المرات ان تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لأمر
 آخر من المتدينين بدينه ، حتى لو كان هذا خليفة .
 » فنحن العرب لا نتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية ، بل رغبة
 منا في إيجاد مجموع عثماني قوي ، يرتقي فيه مجموعنا العربي بدون حائل يقف في
 طريقه وأملاً بقيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في أمورنا ، والدولة العثمانية
 هي التي تقدر ان تحقق رغباتنا ، فيما إذا عملت بلوازم الإصلاح الذي نصر عليه ، أما
 إذا ظلت بعيدة عن ذلك ، فإني أصرح هنا كما صرحت في القاهرة : بأن خطتنا
 معها تتغير تمام التغيير ^(١) ...
 وكانت الوفود التي اشتركت في المؤتمر مؤلفة على الشكل التالي ^(٢) :

-
- ١ - المؤتمر العربي الاول ص ١٧ - ٢٢ ، ثورة العرب ص ٧٠ - ٧٢
 - ٢ - مؤتمر الشهداء ص ١٧٠ . مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٦

عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون ، عن اللجنة العليا لحزب اللامر كزية في مصر .

سليم علي سلام وأحمد مختار بيهم و خليل زينية والشيخ أحمد حسن طباره والدكتور أيوب ثابت ، عن الجمعية الاصلاحية العمومية في بيروت .

توفيق السويدي وسليمان عنبر عن العراق .

محمد حيدر وابراهيم حيدر ، عن بعلبك .

نجيب دياب ونعوم مكرزل والياس مقصود عن المهاجرين العرب في الولايات المتحدة الأمريكية .

عباس البجاني ، عن المهاجرين في المكسيك .

شكري غانم، وعبد الغني العريسي، وندره المطران، وعوني عبد الهادي، وشارل دباس، وخير الله خير الله ، وجميل مردم بك ، ومحمد المحمصاني ، عن الجالية العربية في باريس .

عبد الكريم الحليل ، عن الجالية العربية في الاستانة .

وجاء في كتاب « مؤتمر الشهداء » ان أصحاب هذه الأسماء ، كان لهم وحدهم حق الاقتراع والانتخاب لأنهم يمثلون أحزاباً وجمعيات وجوالي معينة يحملون منها التفويض ليتكلموا باسمها ، وقد اشترك في المؤتمر كثيرون من التجار والطلبة الذين كانوا في فرنسا ، وتكلم بعضهم ، ولكنهم كانوا « مشاهدين » لا يحق لهم الاقتراع . وما ان بدأ التعارف الشخصي والاحتكاك الفكري بين الجماعة ، حتى لوحظ تياران رئيسيان ، كلاهما عربي مخلص ، ولكن مفهوم القومية بينهما مختلف ، والأهداف القومية بينهما غير متقاربة بالنسبة إلى ظروف ذلك الزمان : التيار الأول يقوده أعضاء اللجنة الباريسية التي هيأت المؤتمر وحضرته فكانوا أصحاب نكرة قومية قوية بارزة ، ومن الحق والانصاف ان نخص من هؤلاء الثانية بالذكر ثلاثة من المع الأدمغة العربية هم عبد الغني العريسي ، ومحمد المحمصاني ، وندره مطران ، أما التيار الثاني فقاده وفد الجمعية الاصلاحية العمومية في بيروت . وكان عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون مندوباً لحزب اللامر كزية في مصر ، صلة الوصل بين

التيارين ، ولكنها أقرب إلى الثاني . وقد يقول قائل : ان التيار الأول كان روح الشباب المتحمس والتيار الثاني روح التعقل والأخذ بالحسنى . وفي هذا القول بعض الحقيقة . ولكن الفارق الرئيسي بينهما هو ان جماعة باريس ، ولا سيما الطلاب منهم ، كانوا مشبعين بالفكرة القومية من الناحية الثقافية ، مشبعين بمبادئ حقوق الانسان والمواطن ، يعيشون في محيط طليق حر ، تقدست فيه حريات الفكر والقول والمعتقد إلى المدى الأقصى . بينما وفد الاصلاحيين البيروتيين - وقد جرؤ وحده على السفر من المملكة العثمانية ، وانها لمغامرة فذة في ذلك العهد - كانت يعيش في ظل القوانين العثمانية وإدارة الوالي . . فكان من المعقول ان يجاري وفد بيروت جماعة باريس في شعورها القومي القوي ، ولكنه لا يماشيها في تهديداتها الانفصالية عن السلطة^(١) .

وقد عقد المؤتمر أولى جلساته في ١٨ حزيران (يونيه) سنة ١٩١٣ (١٣٣٢ هـ) في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان ، وتلقى خلال انعقاده عدداً كبيراً من بركات التهنئة والتأييد من مختلف المدن العربية ولا سيما من المدن السورية . وكان روحه المتأججة وشعلته المتوقدة ، عبد الغني العريسي الذي ألقى خطاباً سياسياً قانونياً حول حقوق العرب في المملكة العثمانية وقد وافق رئيس المؤتمر على كل ما جاء فيه ، وناقشه المؤتمر وكلهم نفس ثوري وعاطفة ملتبهة ، لكن دون ان يفقد هذا الحماس ، الروح العلمية الواقعية التي اتسمت بها المناقشة . ونظراً لأهمية هذا الخطاب ، وقيمته التاريخية ننقل ما جاء فيه :

« الحق في كل تكوين سياسي قائم على نوعين : حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة ، وأجلها مكانة جماعة الشعوب ، فالشعوب حق غير حق الأفراد . . . »

« ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق إلا إذا جمعت ، على رأي علماء الألمان ، وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطليان : وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب ساسة الفرنسيين : وحدة المخطط السياسي . »

« فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ، ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات ، ووحدة مفتح سياسي ، فحق العرب بعد هذا البيان ان يكون لهم على رأي علماء السياسة جميعاً دون استثناء : حق جماعة ، حق شعب ، حق أمة ... »

« تتساءلون عن ماهية هذا الحق لجماعة الأمة العربية ، فيأنا لهذا الحق أقول :
« أول حق لجماعة الشعوب : حق الجنسية ^(١) . »

« فنحن العرب قبل كل صبغة سياسية : حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة رغمًا بما كان يتناوبنا من حكومة الاستانة من أنواع الادارات ، كالامتصاص السياسي أو التسخير الاستعماري ، أو الذوبان العنصري ، فكل ما تذرعت به الاستانة من الوسائل لم يؤد إلى غير نتيجة واحدة هي الحرص على مكانة حق الجماعة ، وإحياء هذا الحس الشريف النبيل ، حس الجنسية ، فاقتفاء للماضي نقرر : مناهضة كل ما يؤول إلى إضعاف القومية ، والتذرع بكل ما فيه حياة لخصائص العرب وميزات العرب . »

« فنحن كتلة حية قائمة بذاتها وخاصتها ، لا تدع أية قوة تمس ببناء هذا الركن الركين . »

« تعودت الحكومة التركية ان تعامل الجنسيات العثمانية معاملة الغالب للمغلوب على قاعدة (حق الفتح) فنحن نصرح على رؤوس الأشهاد بأنه إذا كان في استطاعة الحكومة ان تدعي (حق الفتح) في بلاد البلقان مثلاً ، فلا تستطيع ان تدعي لاحقاً ولا حقيقة ، في البلاد العربية . لأنها قد تثبت قدمها في بلادنا بمساعدة من سلفنا ، كما يعرف ذلك كل متعمق في التاريخ ، ولهذا ننكر كل الانكار (حق الفتح) . فإنما نحن قاعدة هذه الدولة من قبل ومن بعد ، لا أسرى مسخرون . »

« آلبنا على أنفسنا ان نحافظ في هذه المملكة على مكانتنا ، على جنسيتنا ، على

مساواتنا ، فلا أرض بعد اليوم تستعمر ، ولا أمة تسخر ، فإنما نحن الرعاة
لا الرعية ..

« اعتادت الحكومة ان لا تستنفد قواها إلا لمعالجة ضعفها ، ولا تستجني أموالنا
إلا لسد عوزها ، وبعبارة جامعة : انها لا تستجمع رؤوسنا إلا لتعلونا بها . فنصرح
اليوم بلاء الأفواه : اننا خلقنا قبل كل شيء لأنفسنا ، وما دما بجاجة لأنفسنا
فلا يجب ان نضحها إلا لأنفسنا . فان طريقة « استعمار الاستعمار » خليقة بالقرن
التاسع عشر ، ولكن القرن العشرين يتطلب وجود هيئة بشرية شريفة أكثر بصيرة
واعترافاً بحقوق الأمة ...

« إذا ثبت للعرب حق الجنسية ، وحق الوجود السياسي ، فله عرب حقوق
رئيسية تتعلق بقوى الدولة الثلاث :

١ - بالسلطنة ، ٢ - بالقوة التشريعية ، ٣ - بالقوة الاجرائية ..

١ - أما ما يتعلق بالسلطنة ، فاننا نصرح أمام العالم الأوروبي بأننا لا نفكر
فيه ما دام الدستور جارياً على معنى الدستور ، ولا نتطرق اليها فكرة الانفصال
عن هذه السلطنة ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة . فارتباطنا بالدولة يتراوح
إذن بين ضمان هذه الحقوق ، فان كثر ، فكثر . وان قل ، فقل ..

٢ - القوة التشريعية : ان هذه القوة تتألف في المملكة من مجلس الأعيان
ومجلس النواب ..

« فمجلس الأعيان أعظم المظاهر غمطاً لحقوقنا . امعنوا النظر أيها السادة ، تجدوا
اننا ، معشر العرب العثمانيين ، نبلغ ثلاثة عشر مليوناً ، أي أكثر من نصف أهل
المملكة وليس لنا سوى خمسة أعضاء في ذلك المجلس . فنحن نطلب تمثيلنا فيه على
استحقاق ، حفظاً لكرامتنا ومنزلتنا السياسية ، ولأمر آخر أشد ارتباطاً بحقوق
الجماعات ، وذلك ان حق الجماعات قائم على قاعدة « لا قانون قبل تمثيل » فما دام
هذا المجلس قسماً من القوة التشريعية ، وما دام عددنا لا يمثلنا فيه ، فاننا نعذر في
نظر علماء الحقوق فيما إذا اعتقدنا ان كل قانون لا يوضع بمشاركة أبناء العرب يكون
غير مستوفي الشروط من حيث الحق والعدل . ولهذا نحتج أشد الاحتجاج على هذا

الغمت ، ونأبى ان يكون حظنا في تدبير أنفسنا موكولاً إلى رأي غيرنا .
 « مجلس النواب : يتساءل الناس عن قلة نواب العرب في هذا المجلس مع ان أعدداً يفوق عدد غيرنا في المملكة . فإذا عرفنا ان انتخاب النواب أصبح بين أيدي من احتكروا السلطة واستلموا الادارة زال العجب ، وصح ان نقول عن هذه الطريقة : انها طريقة « تعيين النواب » لا انتخاب النواب ، وما دام أقدر حق للأمة مغموطاً وهو حق التمثيل ، فاننا نعتذر فيما إذا صممنا ان نتذرع بالوسائل لني نصون حقوقنا في هذا المجلس ، سواء في زيادة نوابنا أو حرمة تمثيلنا . وإذا كما قد صبرنا فيما مضى ، فان جرح السياسة الداخلية لم يبق مساعداً على هذا الصبر .

« عار أيها القوم ان تحيا أمة على عاتق آخرين ، وعار ، أكثر شؤماً ، ان ترضى الأمة بزوال مكانتها لترميم كيان غيرها . والحق كل الحق ان يدوم الموازنة بين الجماعات كلها ، فلا يأكل الكبير الصغير ، ولا يتنقص الصغير الكبير . لهذا المبدأ نطلب ان تكون الانتخابات حرة ، بعيدة عن كل مداخل ، وان يشرع بإحصاء للنفوس جدي جديد ، فقد علمتنا الحكومة حتى اليوم انها تتقاعس عن هذا الاحصاء لئلا يزداد عدد النواب العرب في مجلس الأمة ..

« صرح بعض رجال الحكومة التركية منذ عهد ليس ببعيد : ان العراق ينبغي ان يكون له نظام خاص ، لا يحق له من بعده ان يوفد عنه نواباً لمجلس الأمة ، بحجة انه لم ينل من المدنية حظاً يؤهله للنسبة كبقية الولايات .

« تلك أيها السادة طريقة جديدة لتقليل نوابنا ، معشر العرب العثمانيين . ما صدقوا والله بأن العراق منقط بمدينة عن باقي الولايات ، فهذا العراق ، منذ عرف ، لم تجر فيه المذابح الأهلية الدينية .. ان عربي العراق مها كان قريباً من الفطرة الأولى فهو أشد نشاطاً ، وأحسن استعداداً ، وأوفر ذكاء ، مما غيره يتصورون .. فلتتدبر الحكومة قليلاً فانها إذا أقدمت على هذه الفعلة ، فالعرب ، لا يعدمون وسيلة لصيانة حقهم المشروع ...

« ٣ - القوة الاجرائية : ان حق الجماعات يتطلب من الأمة ان تؤلف الحكومة ، وان لا تتألف الحكومة إلا من الأمة ..

« أما تأليف الوزارات في مملكتنا فقام على غير هذا الحق . وقد جرت عادتهم كلما تألفت وزارة ان لا يدخلوا علينا بمرکز واحد ، أو انهم يدخلون بتاتاً ، وعليه فاننا نعتبر بعد اليوم ان وزارة تؤلف على هذه الصورة غير مستوفية الأركان ، في نظر حق الجماعات أو حق الشعوب ، لأنها لا تمثل إلا قسماً من الأمة . فالوزارة في علم الحقوق العامة لا تكون وطنية إلا إذا مثلت أبناء الوطن جميعاً ، ولا تكون شرعية إلا إذا جمعت فيها إرادة المجتمع كله ، فتخصص الوزارات بفريق دون غيره عمل لا نرضاه بوجه من الوجوه ، بصفتنا قسماً أكبر في هذه الدولة . ان حق الجماعات يحول للعنصر الذي لا يمثل ممثلون في القوة الاجرائية ان يبقى في ريب من انه ركن من أركان المملكة ..

« سمعنا كثيراً من رجال الحكومة ان أمر الوزارات أمر أهلية وكفاءة .. ألا فليقلعوا عن هذه النخمة لأن الذين استلموا منا الأمور حتى الآن قد ظهرت مقدرتهم في السنين الأخيرة واننا لا نظن أحداً يجسر على القول بأن في فطرة العرب ما ينافي الكفاءة .

« نحن نطلب قسطنطين المشروع من كل وزارة ، حتى لا تكون غريبة عنا ولا نكون غرباء عنها . نطلب ذلك بما لنا من حق الاشتراك في تسيير أمور الدولة كما هي الحال في كل قانون أساسي ، ونطلبه أيضاً عملاً ببدأ حفظ الحياة الوطنية ، والكيان الجنسي ، فقد رأينا كثيراً من المعاهدات الدولية فرضت على رجال دولتنا وفيها ما فيها من الغبن للبلاد العربية . وكما رأينا ذلك في الماضي نراه في الحاضر . ولهذا لا يسع العرب بعد اليوم إلا ان يروا بأمر أعينهم وان يديروا مع رجال الاستانة مصير بلادهم ، فان حفظ الذات واستقلال البلاد وشرف العنصر ، يدفعنا إلى ان نطالب بهذا الحق بكل ما لدينا من قوة . فالبلاد العربية لا تكون بعد اليوم مسدداً للمطامع الأجنبية عن بلاد أخرى !..

« ان من قواعد الحكومات الحديثة ان تكون بين الأمة والوزارة وحدة مطلقة ، فلا تنتهي دائرة الوزارة إلا في دائرة الأمة ، كما ان دائرة الأمة ينبغي ان تحيط بأطراف دائرة الوزارة ، وأي يوم تنهار فيه هذه القاعدة ، فالوزارة يومئذ

غير شرعية . ولعل رجال الاستانة يقولون : اننا سنسمع لكم بركز أو بركزين في الوزارة ، أما نحن فرواد حق وبقين ولنا حق الاشتراك في الحكم بكل معانيه ، ويتم هذا بأن يكون لنا من المراكز الوزارية على نسبة مكائنا في الدولة .

« هذا ما لنا من الحق في القوة الاجرائية على وجه الاجمال . أما فروعها فحقنا قد غمطته حكومة الاستانة فيما يتعلق بكل النظارات ، لا سيما ادارة الداخلية ، فانكم لا تجدون سوى وال عربي واحد في نحو من ثلاثين ولاية .. وهكذا يمكننا ان نقول عن بقية ما يتعلق بالوزارات الأخرى . ان حقنا مغموط ما دام نصف الوظائف في الاستانة وكل الوظائف في بلادنا ليس بأيدينا ..

« ولنا الحق الصريح فيما يتعلق بالنافعة ، ففيها أمر حيوي لا نستطيع السكوت عليه ، فكل قرض يقترض من الدول الأجنبية للأمور النافعة ، فيه لنا حظ مشروع ، لأن هذه القروض تعقد باسم المملكة ، وما دما نؤلف نصف المملكة فلنا حق بأن نصرف نصف القروض للمشروعات العامة في بلادنا العربية ..

« وحق آخر هو حق اللغة ، فاننا أكثر تمسكاً بطلابنا المتعلقة بها ، ويمكننا إجمالها بأن تكون لغتنا رسمية في البلاد العربية بمادة قانونية ، تذكر في القانون الأساسي ، لا في قانون حكومة موقت يمكن إلغاؤه من حين إلى آخر بتقلب الوزارات المستعجلة ...

« هذا ما لنا من حق جماعة الأمة العربية . فان كنا لم نستطع قبل اليوم ان نحيا فقد استطعنا كل الاستطاعة ان لا نموت . أما بعد اليوم ، فاننا عقدنا النية على ان نحيا على مبدأ : كل أمة لها حظ من الحياة تستحقه . فحظنا الأول نتيجة ما كنا في الماضي ، أما حظنا في الحاضر والمستقبل فيسكون حظ أمة تطلب حياة الرجولة ، حياة الأمم الحية ، حياة الشعوب الراقية ..

« وقصارى القول : اننا نعتبر حكومات الاستانة غير مستوفية الشروط والأركان ، من وجهة العدل ، ما دام حقنا غير محفوظ . فالحكومات في نظر « إعلان حقوق الانسان » لا تكون مشروعة إلا إذا احترمت حق الأفراد ، فمن باب أولى حق الجماعات وحق الشعوب ...

« نطلب هذا كشركاء في الدولة ، شركاء في القوة الاجرائية ، شركاء في القوة التشريعية ، شركاء في الادارة العامة . اما في داخلية بلادنا فنحن شركاء أنفسنا: في أموال المعارف ، أموال النافعة ، أموال الأوقاف ، حرية الاجتماع ، حرية الصحافة ، وذلك لا يكون إلا بتوسيع صلاحية المجالس العمومية ..

« اما طريقة الوصول إلى هذه الحقوق فسنأخذ لها الوسائل الشرعية كلها ، وأي يوم تسعى حكومة الاستانة لإخفات أصواتنا بالقوة والقهر ، فاننا نأخذ طريقة تفشل معها أثرة رجال الحكومة . فليفكروا قليلاً : فات النبي محمد عليه الصلاة والسلام لم يخضع العرب بضغط ولا قوة ، وإنما استطاع استئثارهم بمعقول القرآن ، وتحقيق مبدأ العدل والمساواة والإخاء ..

« على هذا السبيل قد ربطنا قلوبنا ، وتعهدنا بالتبعية الشخصية ، والتضامن الاجتماعي ، ان نأخذ كل الوسائل تحقيقاً لهذه الحياة الشريفة ... فالغاية في السياسة تشفع للوسيلة ، ولا سبباً فيما إذا كانت غايات شرف ونبل ، غايات حق وعدل ... »
ثم تتالى الخطباء فعبروا عما يجيش في أعماقهم من الأمانى القومية : بصرف النظر عن المذهب والدين - والانضواء تحت راية العروبة فقط ، وتقديم شأن القومية على الرابطة الدينية ، مستشهدين بمواقف تاريخية عديدة وأهمها موقف العرب النصارى من جيوش الفتح الاسلامي التي قادها أبو عبيدة الجراح وخالد بن الوليد ، وتنكبتهم للامبراطورية الرومانية ، برغم ما يربطهم بها من مذهب ودين ، ذلك لأنهم رأوا بوشيجة القومية رباطاً أشد وأحكم من كل وشيجة أخرى ، فكان بما قاله ندره حبيب مطران :

« ان العرب منذ الفتح الاسلامي ، لم ينجعوا لسلطة فاتح أذلهم وعاملهم معاملة الأغيار ، بل انهم عاشوا في بلادهم مستقلين بلسانهم وأحوالهم الوطنية ، معتقدين انهم مشتركون في الحكم بفضل جامعة الدين ..
« ان الاستبداد الذي عهدناه نحن لم يكن الا منذ خمسين سنة بعدما ذكرناه

من المذابح السورية . فالذين يقولون بانعدام قابلية العرب السياسية وفقدانهم حب الاستقلال وعزة الحرية مخطئون في باطن الامر وفي الحقيقة ..
« بعد هذا لننظر في التضامن الاجتماعي ، هل وجد ولم يزل موجوداً ، بين مسلمي العرب ومسيحيهم ، اذا كانت النعرة الجنسية فضيلة اصلية في النفس فلست ادري لأمة اشد تأثراً بعواملها من الأمة العربية ..

« لما قدم ابو عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد بجيوش العرب المسلمين الى الشام وجدا الغسانيين وهم عرب نصارى ، يجرسون أبوابها ، يتقدمهم ملكهم المسيحي جبلة بن الايهم ، الا ان هؤلاء بدلاً من قتال المسلمين ، والوقوف في وجوهم ، عطفوا عطفة الأخ فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية اللتين كانتا تقضيان عليهم بها موالاته الروم ، وخطبوا ولاء الناطقين بلسانهم من بني ابيهم العرب ، فهدوا لهم السبل ، وفتحوا الطرق ومكنوهم كل التمكين من فتح البلاد ..
« ولعمري ان ما أبداه نصارى غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير ، لا عظم شاهد على ان العرب متحمسون بالجنس قبل الدين ، وهي فضيلة الشعوب الحية التي لا تريد ان تموت ^(١) .. »

وخطب اسكندر عمون في « الاصلاح على قاعدة اللامر كزية » فقال : « كانت بلادنا ، ولا اريد بها الا البقية الباقية من الممالك العثمانية ، مأهولة منذ القدم بعشرات الملايين من الناس ، بل كان كل جزء منها حيناً من الدهر مقراً لدولة دانت لها الشعوب والامم ، فهي مهد الحضارة ومنبع العلوم ومهبط الوحي ، فما الذي اصابها حتى تحولت رياضها الى قفار ، وحل بها الفقر بعد الغنى ، وتبدل فيها العلم بالجهل ، وتولوا الضعف والذل بعد المنعة والعز ، وهجرها اهلها رغبة في البلدان النائية .
وركن اسكندر عمون على مطلب العرب الاساسي آنذاك : اللامر كزية وفوائدها ، مبيناً ان العرب ما طلبوا ولن يطلبوا الانفصال عن جسم الدولة العثمانية ، وانما هم ناشدوا اصلاح حقيقي ، وهم مستعدون للتضحية والفسداء في سبيل تحقيق

١ - انظر النص الكامل لخطاب ندره حبيب المطران في مؤتمر الشهداء ص ٩١-٩٩

هذا المطلب العادل :

« ان حاجتنا نحن معشر العثمانيين الى اللامر كزية اشد من حاجة كل أمة أخرى اليها . ذلك لان امتنا مكونة من عناصر متباينة في اصولها ، ولغاتها ، وتاريخها واخلقها ، وحاجاتها ، وعاداتها ، وكل فريق منها ادري بحاجاته الخاصة من سواء ، فلا يمكن ان تحسن ادارتها يد واحدة ، ولا يمكن ان ينطبق على حاجتها قانون واحد ..

« وهنالك أمر خطير لو لم يكن في الحكم المركزي عيب سواء لكفى وحده للقضاء عليه ، ذلك ان المركزية لا يمكن ان تتفق مع الحكم الدستوري ، في بلاد كان فيها ذلك التباين الذي ذكرناه ..

« وهذا التنافر هو السبب الحقيقي في خيبة الآمال التي كانت معلقة باعلان الدستور ، وهو السبب في حل مجلس المبعوثان واماله حتى الآن ، وفي قيام المجالس العسكرية بجانبه ، او على آثاره ، وفي كم الافواه ، والحجر على الاقلام ، ومعارضة كل اجتماع ومناهضة كل دعوة الى الاصلاح ، حتى رأينا اننا لم نكن أبعد قط عن الدستور منا عنه بعد اعلانه !..

« توهم بعض انصار النظام المركزي من اخواننا الاتراك ان الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة ، وهو أمر بعيد عن الصحة ، فان الأمة العربية لا تريد الا استبدال شكل الحكم الفاسد الذي كاد يودي بالدولة ، بالحكم الذي يرجى منه وحده الصلاح والنجاح ، لنا ولهم ، وهو الحكم على قاعدة اللامر كزية . ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا ..

« اما اذا أبت الأمة التركية الا الهلاك ، فالعرب معذورون فيما اذا هم توردوا قبل ان يلقوا بنفسهم معها في الهوة ! ...

« اننا نريد حكومة عثمانية ، لا تركية ولا عربية ، حكومة يتساوى فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات ، فلا يستأثر فريق بحق من الحقوق ، ولا يحرم فريق من حق من الحقوق ، لا بداعي الجنس ولا بداعي الدين ، عربياً كان أو تركياً ، ارمينياً أو كردياً ، مسلماً أو مسيحياً أو درزياً ...

« هذه هي فوائد الامر كزية التي نطلبها ، فاذا نفذ الاصلاح بمقتضاها ، أمنه
غوائل الحدثان واسترجعنا باذن الله مركزنا القديم بين الأمم الكبرى .
« هذه هي قاعدتنا السياسية الجامعة ، وان كان لا بد لهذه القاعدة ايضاً من
شهداء ، فكلنا لها مستعدون ^(١) .. »

والقى الشيخ احمد طبارة خطاباً حول الهجرة من سورية واليهما ، والبواعث
اليها ، والعوامل التي حملت الكثيرين من المواطنين من النزوح الى ديار الهجرة نتيجة
لما اصابهم من الظلم والعسف ، والتفقر الاجتماعي ، والفقر المادي ، معتمداً على
جداول احصائية ، مبيناً كيف كانت الديار السورية موطن السكّنى لعشرين مليون
نسمة ، ثم تفقر هذا الرقم ، الى ثلاثة ملايين ، مما يتنافى كل التنافي مع سنة
العمران ، حتى خلص الى القول :

« فيا عجباً هل تبدلت الارض غير الارض ، وهل طرأ على سماء سورية التي كانت
تضم عشرين مليوناً شيئاً ، شيء خارق للعادة ، حتى باتت تضيق عن ٣ ملايين ، أم
ان السوري المتفاني في محبة بلاده قد انقلب حبه لها قلى وبغضاً حتى هجرها ؟ ..
« كلا ، ثم كلا ، ان الارض لم تتغير ، ولم تبدل ، ولم تزد ، ولم تنقص ، ولكن
العدل يفسحها ، والحيف يضيقها ، كما ان السوري ما زال ، ولن يزال ، يحن الى
وطنه ويفديه بكل عزيز وغال ... »

ثم ركز حديثه على النقطة التي اثارها الاستاذ اسكندر عمون بان الغرض الوحيد
الذي يرمي اليه المؤتمرون هو الاصلاح ، والاصلاح وحده ، فقال : نحن اذا طلبنا
الاصلاح فإنما نطلب هذه الحياة السياسية الشريفة ، نطلب الاصلاح لنكون العنصر
الاقوى كما اننا العدد الاوفى في جسم دولتنا العثمانية .. ولا نرضى عن دولتنا العثمانية
بديلاً ، ولا برهان على ذلك اقطع من طلبنا للاصلاح الذي به حياتنا وحياتها معاً .
ولو كنا نبغي الانفصال عنها كما يرجف المرجفون لتركتنا الحال تجري على ما ترى
من سيئ الى أسوأ وهي بطبيعتها سائرة في طريق الاضمحلال ، فليقل عنا القائلون

ما شاموا ان يقولوا فان التاريخ لا يظلم أحداً وهو يسجل لكل انسان عمله : ان خيراً فخييراً وان شراً فشراً...

« وأي الفريقين أكثر حباً واصدق وطنية ؟ هل من يطلب صلاحك واصلاحك لتعيا ، أم من يخفي عنك داءك لتموت ؟ » (١) ..

وكان للعراق كذلك ضوئه في المؤتمر، وكان صوت العراق فيه وحامل تحيته اليه الشيد توفيق السويدي الذي أبد باسم هذا القطر الشقيق المؤتمر وما سيتمنض عنه من قرارات قائلاً :

« اني اؤكد لكم انما الاخوان ، ان اخوانكم العراقيين ليسوا أقل مشغوراً بضرورة الاصلاح ، ولا أقل استعداداً للتهضة من اخوانهم السوريين في الدفاع عن حقوق العرب المشروعة ، وان الغاية واحدة والكلمة واحدة ، لاجل انقاذ الوطن وطلب الحياة السعيدة لهذه الأمة الكريمة . فالعراقيون يفتخرون بضم صوتهم يوقواهم الى أضواء وقوى اخوانهم في كل البلاد العربية في طلب الاصلاح اللامركزي لكم » (٢) ..

اما السيد نجيب دياب الذي مثل المهاجرين الغرب الى الديار الاميركية ، فقد تكلم موضعاً ان المهاجرين يتحرقون شوقاً الى العودة لديار الوطن ، ولكتهم يودون ان يعودوا الى بلاد تنعم بالحرية والرفاهية ، لا بلاد ترسف بقيود الاستعباد ، وتعايني الضائقة المخنقة ..

وقال : « ان امانينا ان نعود الى سورية فنرى أمة حية ، ونشاهد فيها الرقي الحقيقي ، حتى اذا تطلعنا الى هنا وهناك نرى المسلم يخلص النية للمسيحي ، والمسيحي يحافظ على ولاء المسلم ، نرى الوطنية وقد نشر لواؤها وارتفعت رايتهما ، نرى الصحافة الراقية تحارب الجهل باقلام حرة ، وتقتل جرائم التعصب الذميم ، وترشد القوم الى سواء السبيل ، نرى الهناء بكل معانيه ، والمساواة بين الغني والفقير ، نرى

١ - المرجع السابق ص ١٠٦-١٠٣

٢ - المرجع السابق ص ١٠٢

بحكومة عادلة من الشعب وللشعب، وشعباً يعمل للوطن ولا يهتم بالنكبات والافساد والوشايات والتقرب من الولاة فيحرق لهم البخور ويحني لهم الهام .. »

ومن أهم ما جاء في المناقشات ان مختاريهم لفت انظار الاعضاء الى ان رجال الاستانة يظنون ان النهضة العربية يمكن اعتراضها بتوظيف بضعة أشخاص من العرب: « لذلك ينبغي لنا، مع ما نحن فيه من المطالبة بحقوقنا ، ان نسلك الطريق الذي افتتحه قبلنا الفاضلان سليم أفندي علي سلام وشكري بك العسلي، وهو طريق رفض كل وظيفة تعرض على رجالنا قبل تنفيذ الاصلاح المطلوب ، وقد أيده شارل دباس في ذلك واقترح على أعضاء المؤتمر ان يرتبطوا بعهد شرف على الا يقبلوا أية وظيفة الا بعد ان يجاب المؤتمر رسمياً الى مطالبه .

وعلى محبوب الشرتوني على مطلب جعل اللغة العربية رسمية في الولايات العربية فطلب ان تعلن « اللغة العربية رسمية في كل البلاد ، ولا سيما وهي لغة القرآن الكريم ، ولسان العنصر العربي الذي هو الأكثر عدداً ». وقد اعترض عبد الغني العريسي على ذلك بقوله: « اما جعل اللغة العربية رسمية من دون التركية فاجحاف بحقوق الاتراك ، ونحن انما نطلب تحقيق حقنا بالمحافظة على لغتنا ، وتحقيق الحق لا يكون بنقض حق آخر ! .. »

وروى نعوم مكرزل صاحب جريدة « الهدى » ومندوب حزب « النهضة اللبنانية » انه كان لاحدى العجائز يبغاء تصرخ دائماً هكذا: « ارحمها يا الله » فتشاءمت العجوز وشكت أمرها الى أحد رجال الدين ، فقابل هذا بناتها فأخبرنه ان والدتهن أصبحت عاجزة سيئة الاخلاق والتصرفات ، خشنة ظالمة ، مستبدة اناية ، تكاد تميتهن جوعاً ، وتسحقهن عسفاً ، وتحرمهن كل لذة وحرية وسعادة ، ولما كنّ بارات بها ، ولا يرغبن في الاساءة اليها ، كنّ يقلن هذه العبارات التي تراجعها البيغاء . فلما سمع رجل الدين الحديث قال : « ارحمها يا الله في ملكوتك ، وأخذت البيغاء تردد قوله . قال نعوم مكرزل : « فالمهاجرون بمنزلة صاحبنا رجل الدين . وقولهم في دولتهم كقولهم في العجوز الظالمة المخرفة ، ولكنهم لا يتوقعون ان تستبدل بالعجوز عجائز ، كما وقع للعثمانيين مع الاتحاديين الذين أصبحوا كلهم

سلاطين ! ... »

ثم خُصص المؤتمر الى اتخاذ القرارات التالية :

- ١ - ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية ، فيجب ان تنفذ بوجه السرعة ..
- ٢ - من المهم ان يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بان يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة استوائاً فعلياً .
- ٣ - يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لا مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .
- ٤ - كانت ولاية بيروت قدمت مطالبتها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ باجماع الآراء ، وهي على مبدأين اساسيين هما : توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين أجنب . فالمؤتمر يطالب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين ..
- ٥ - اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ، ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية ..
- ٦ - تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية إلا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى .
- ٧ - يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لتصرفه لبنان وسائل تحسين ماليتها .
- ٨ - يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على الامر كزية .
- ٩ - تبلغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية .
- ١٠ - وتبلغ أيضاً هذه القرارات للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية .
- ١١ - يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها .

واقر أعضاء المؤتمر ملحقاً بهذه القرارات جاء فيه :

- ١ - اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية ، الا

بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين إليها .

٢ - ستكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية (النيابية) إلا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

٣ - المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له ، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم^(١) .

وختم الشاعر اللبناني شكري غانم جلسات المؤتمر بخطاب حماسي رائع جاء فيه :
« يا أبناء وطني ، يا أبناء تلك السلالة العربية المجيدة ، يا من فرقت الحكومات بينكم في الأمس ومزقت وحدتكم ، ثم جمعت بينكم المصائب اليوم ، انه ليتحد معكم جيران تجمعهم وياكم لغة واحدة ومصالح واحدة ، وقد انابوني للتكلم بلسانهم لاني أخ لكم ولهم : هؤلاء هم اخوانكم اللبنانيون الذين أحبوا ان يوزروكم في عملكم هذا ، لا يحملون في قلوبهم كرهاً ولا حقداً ، يخلصون مثلكم ، ويأسفون على تلك الاغلاط والجرائم التي وقعت في السنة الستين بتحريض الاتراك ، وكانت سبباً في انحطاط الدولة العثمانية . وان أسف اللبنانيين يمازجه أمل عظيم بنيل مطالبهم ومطالبكم ، ونحن بفضل اتحادنا وتعاضدنا نأجحون » .

يقول الدكتور عبد العزيز الدوري : « وان نحن سمينا هذا الوعي العربي بالقومية العربية ، فان الجديد فيها هي رغبة العرب كأمة في تقرير مصيرهم وتحقيق كيان خاص بهم بإرادة مشتركة وعمل مشترك . وهذه الوجهة تمثل الناحية السياسية للقومية العربية . وكان دور المثقفين أو « الفئة المتنورة » كما سماهم الزهراوي ، هو انهم وجهوا هذا الوعي القومي بتقديم دافع فعال للحركة ، دافع النهضة والاستقلال . وهذا الهدف يمثل خطوة جديدة في مسيرة الوعي القومي أعقبت ركوداً طويلاً ولم يظهر إلا نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية التي أحاطت بالعرب في أواخر القرن

١ - ثورة العرب ص ٧٢-٧٣ ، مؤتمر الشهداء ص ١١٢-١١٤ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٧-١٨ ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٨٠-١٨١ مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٥٩ - ٦٠

التاسع عشر وأوائل القرن العشرين^(١) .

ولم ينس المؤتمرون ان يؤكّدوا للحكومة الفرنسية ، رغم ما يحملون نحوها من الاحترام ، انهم لا يريدون ان يكونوا من مطاياها ، وانهم يعملون لخدمة أمّتهم فحسب ، وكان رسول المؤتمر إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، الأستاذ مختار بيهم ، الذي أبلغها بلسان المؤتمر ما يلي :

« اننا نختوم الفرنسيين ، ولكننا لا نرضى ان يكونوا رؤساء علينا ، بل نرغب في معاضدتهم في إصلاح أحوالنا ، بشرط ان نبقي عثمانيين ، وليس السوريون كما قيل لكم يفتحون صدورهم لفرنسة ... »

يقول ساطع الحصري : « ويتبين من بعض الوثائق التي نشرتها الحكومة التركية ، ان وزير خارجية فرنسة يشون تألم من هذه النتائج ، وكتب إلى القناصل يقول : « ان الحركة الاصلاحية العربية قد انقلبت علينا ولذلك يجب عليكم ان تتظاهروا بنساعتها لكي تكسبوا قلوب الأهليين ، على ان تسعوا في الحفاء للقضاء عليها^(٢) » .

وهكذا كان الصقر العربي أمنع من ان يصاد بأحابيل السياسة الاستعمارية الأوروبية .. بما دفع وزارة الخارجية الفرنسية إلى الإيعاز لقناصلها بأن يتظاهروا بمعاودة الحركة الاصلاحية ، ويعملوا ما استطاعوا على تخريبها .

١ - الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٨٤
٢ - محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٨٩

الفصل السابع

الأتراك يمزقون آخر المواثيق

ارادت السلطات العثمانية ان تقف بادية الأمر ، موقف اللامبالاة من أعضاء المؤتمر العربي في باريس استصغاراً لشأنهم ، بينما كانت تحاول تحريض الحكومة الفرنسية لمنع عقد المؤتمر على أرض فرنسا ، وتبذل جهودها في التثديد بالقائمين به وحمل انصارها على مهاجمتهم والتشنيع بهم .

وبينما كان مؤتمر باريس منعقداً سعى بعض الانتهازيين لتأليف حزب في دمشق باسم حزب الاصلاح لمناوأة مؤتمر باريس ، لتقوية دعاية القائلين من الاطراك بان هذا المؤتمر يعمل بوحى الدول الأجنبية .

وقد حملت الصحف الاتحادية حملة عنيفة على المؤتمر ومما قالته جريدة « طنين » لسان حال الجمعية : « لما كررنا القول وأعدنا التصريح بأن الفئة التي تتظاهر تارة في سورية وتارة في مصر وفي باريس ، بالغيرة على مصالح العرب وعشق العربية والهيام بأمثال ذلك هي فئة ليست من العربية في شيء ، وما هي إلا آلة للفساد ، وعبرة عن طائفة عجيبة في أطوارها . لما قلنا ذلك حمل علينا بعض الصحف العربية حملة شعواء . فبينما لا تتكلم عن العرب والعربية إلا بما يشف عن الميل الشديد ، وإذا تلك الصحف تلقبنا بأعداء العرب الألداء ، ولا تتردد في تسميتنا « المعول العظيم

لهدم كيان الأمة العربية . وأما نحن فلا نحاول نفي هذه التهم لأننا إذا توخينا ذلك نكون قد خدمنا هذه الشتائم والمطاعن من حيث نريد الاعراض عنها . فان كتاباتنا في المسألة العربية كانت نوراً استضاء العرب ، فقاموا يداً واحدة يدافعون عن الحقيقة ويردون كيد المزورين في نحورهم فكانت نتيجة ذلك ضد ما يعمله الخونة المارقون .

« الحق يعلو ولا يعلى عليه ، فالأنباء التي وردت من البلاد العربية اثبتت بالمعبرهان ان الغاية التي كنا ولا نزال نتوخاها في كتاباتنا أثرت تأثيراً عظيماً في سورية . فقد رأينا دمشق ، فضلاءها وعظماؤها ، قد هبت من رقدتها رادة التهم الشيعة التي الصقها بها المنافقون ، فقد نشرنا أمس بوقية منهم اطلع القراء على اسماء موقعيها فاذا هم كبار أعيان دمشق مهد الحضارة العربية . هم العلماء الاجلاء والأشراف العظماء وأرباب الزهد والتقوى ، فكيف يكون خذلان الالاعيب العربية في باريس .

« ان هؤلاء المؤتمرين باسم العرب النجباء الذين نظموا بروغرامهم وأعدوا معدات الاختلال ، وأخذوا يوزعون النشرات السرية ، ستكون لهم عاقبة اليمية جداً . والذين قاموا يصيحون في وجههم يصح لكل منهم ان يتكلم عن ولاية عربية برمتها . اسمعوا ما يقول هؤلاء العظماء : « ان الذين يرسلون الاحتجاجات ليسوا من العرب في شيء ولا صفة لهم ولا شأن فقد طلبوا من الحكومة آمالاً لا ينالوها فهبوا الآن يعادونها ، وهم عبارة عن فتیان بلا عقل ولا أدب ولا أخلاق . هؤلاء ، كما انهم لا شيء في الهيئة الاجتماعية ، فهم أيضاً غير مندوبين من العرب ولا صفة لهم ولا وكالة . فنحن نشكر أعيان الشام وعظماؤها ألف شكر لانهم ارشدونا الى الحقائق^(١) .

هذا ما قالته « طنين » ، وأما الجمعية الاتحادية فقد اوعزت الى فرعها في دمشق بأن يعطر الحكومة وابلا من بوقيات الاحتجاج ، فلبى طلبها وانالت البوقيات على

الباب العالي بعضها بتوقيع وبعضها بغير توقيع ، وكلها على النسق التالي :

« ان القائمين بفكرة الاصلاح في سورية هم فئة من المشتريين الفارين من وجه الحكومة السنية ، فجميع أهل سورية ، مسلمين ومسيحيين ، يكذبون افتراءاتهم ، ويظهرون للحكومة امتنانهم وسرورهم من طراز الادارة الحاضرة التي أعلنت شأن الدولة ورفعت منار الدين ! »

ولكن ردود الفعل التي أحدثها المؤتمر العربي في قلب البلاد العربية ، كانت أكبر من ان تقابل بالتجاهل والافتراء . لا سيما وان نسبة السكان العرب في كيان الدولة العثمانية قد تكاثرت جداً بعد انسلاخ الباقين عنها ، كما ان كثيراً من الاصلاحيين الأتراك غير الاتحاديين كانوا ينادون بالامر كزية وهو الشعار الأساسي الذي انضوى تحته الزعماء العرب ، ولهذا فقد رأيت السلطات التركية ان تستمع ، أو تتظاهر بالاستماع ، لصوت العقل والمنطق قبل ان يفلت زمام الأمور من أيديها ، وأوفدت إلى باريس مدحت شكرى بك الأمين العام للجمعية الاتحاد والترقي ، وخولته صلاحية الاتفاق مع الزعماء العرب ، وعندما اتصل هذا الموفد بأعضاء المؤتمر لمس سلامة النية لدى هؤلاء الزعماء الذين ينشدون الاصلاح الجذري الذي ينشده الكثيرون من القادة الأتراك ، ولذلك عاد إلى استانبول وبرفته عبدالكريم الحليل أحد الأعضاء البارزين في المنتدى العربي ، بغية إتمام تلك المفاوضات مع وزير الداخلية طلعت بك الذي لم يستنكر مطالب العرب ، وإنما كرسها بالاتفاقية التي وقعت بينه وبين عبدالكريم الحليل ، ونشكل هذه الاتفاقية أول وثيقة رسمية يقر فيها المسؤولون الأتراك بشرعية المطالب العربية ، وإلى القارئ بنودها ، كما وردت مترجمة عن النص التركي :

صورة الاتفاقية المعقودة بين المركز العام للاتحاد والترقي وبين هيئة الشبيبة العربية .

المادة ١ - يكون التعليم الابتدائي والاعدادي (أي الثانوي) باللغة العربية في جميع البلاد العربية . كما يكون التعليم العالي أيضاً بلغة الأكثرية . وإنما يكون تعليم اللغة العثمانية إجبارياً في المدارس الاعدادية .

المادة ٢ - يشترط في رؤساء المأمورين بوجه عام ان يكونوا واقفين على اللغة العربية . واما سائر المأمورين فسيعينون من قبل الولاية . إلا ان الحكم ومأموري العدلية الذين يتولون أعمالهم بإرادة سنية (أي بإرادة ملكية) سيعينون من المركز . واما الولاية فمستثنون من القيد السالف الذكر .

المادة ٣ - ان العقارات والمؤسسات الوقفية المشروطة صرفها إلى الجهات الخيرية المحلية ، ستترك إلى مجلس الجماعات المحلية ، على ان تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة .

المادة ٤ - أمور النافعة (الأشغال العامة) ستترك إلى الإدارة المحلية .

المادة ٥ - ان الافراد العسكريين سيؤدون خدماتهم العسكرية في وقت السلم داخل البلاد العربية ، في دوائر مناطق الجيش التي ينتسبون إليها . إلا ان الجنود الذين لا بد من إرسالهم في الحالة الحاضرة إلى الحجاز والعسير واليمن ، سيرسلون من جميع الولايات العثمانية ضمن نسبة معينة .

المادة ٦ - ان المقررات التي تتخذها مجالس المديريات العامة ضمن صلاحيتها القانونية ستكون نافذة على كل حال .

المادة ٧ - سيقبل كمبدأ أساسي ، ان يكون في الوزارة ثلاثة من العرب على الأقل . كما انه سيكون في الدوائر المركزية عدد مماثل لذلك من العرب بصفة مستشارين أو معاونين وسيعتبر من الأسس المقررة : ان يكون في كل من لجان المأمورين ، وشورى الدولة ، ومجلس المشيخة الاسلامية ، ومجالس سائر الدوائر المركزية ، اثنان أو ثلاثة من العرب . كما يكون في كل وزارة أربعة أو خمسة موظفين من درجات مختلفة أيضاً من العرب .

المادة ٨ - سيكون في الحالة الحاضرة خمسة ولاة وعشرة متصرفين من العرب كما انه ستزال المغدوريات التي قد تكون لحقت بالموظفين في الدوائر الملكية والعدلية والعلوية الذين لم يرفعوا بالنسبة إلى سائر زملائهم ، وأما فيما بعد فسيكون تعيين الموظفين وترقيتهم وتآديبهم وفق قانون خاص .

المادة ٩ - سيعين في مجلس الأعيان من العرب بنسبة اثنين عن كل ولاية عربية .

المادة ١٠ - سيعين في كل ولاية مفتشون متخصصون من الأجانب في الدوائر والمصالح التي تحتاج إلى ذلك . وستقرر صلاحيات هؤلاء المفتشين وواجباتهم بنظام خاص يكفل الحصول على الفوائد الانضباطية والاصلاحية المطلوبة والمنتظرة منهم.

المادة ١١ - النقص الموجود حالياً في ميزانيات الدوائر التي تركت ادارتها في الولايات ، سيسد عن طريق إضافة الموارد الكافية لميزانية الولاية وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات إلى الادارات المحلية ، على ان تصرف لأموال المعارف^(١).

عبد الكريم الحليل ، طلعت

ثم أراد طلعت بك ان يؤكد حسن نوايا الأتراك تجاه العرب فالتقى في الولاية التي أولمها على شرفه الكلمة التالية :

« أود ان أصرح للملأ ان موقفنا من نظام الامر كزية كان مبنياً على أوضاع الشعوب البلقانية. اننا كنا نعلم نزعات تلك الشعوب ونواياها، وكنا نخشى ان يؤدي نظام الامر كزية إلى تسهيل وتسريع انفصالهم عنا.. ولكن الآن.. وقد انفصلت تلك الشعوب عن الدولة فعلاً لم نعد نرى ما يستوجب الاستمرار في سياسة المركزية التي كنا نتبعها قبلاً ، لأننا نعرف نزعاتكم الحقيقية ، فلا نتردد في المضي معكم إلى آخر حدود التساهل في سبيل تطمينكم على صيانة حقوقكم . ولأننا نعتمد على إخوتكم نستطيع ان نتفاهم معكم في جو من المودة الصميعة ، سياسة جديدة^(٢) ... »

وكل ما رجاه طلعت بك ان تبقى الاتفاقية طي الكتمان ، ريثما تتاح الظروف لإخراجها إلى النور .. ولكن هل يبر الأتراك بوعدهم ؟.. سؤال كان الجواب عليه فاجعة من فواجع العرب العظمى ...

لقد أقامت الشبيبة العربية في الاستانة مأدبة فخمة حضرها كبار العرب والترك وخطب فيها عبد الكريم الحليل مرة أخرى ، داعياً إلى إزالة سوء التفاهم بين الشعبين

١ - محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٩١-١٩٢

٢ - المرجع السابق ص ١٩٣

العربي والتوكي . وأبرق إلى باريس داعياً أعضاء المؤتمر العربي لزيارة الاستانة لتوضيح المقررات ومراقبة تنفيذها . وجاء رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي إلى استانبول وتم الاتفاق بينه وبين الحكومة الاتحادية على تنفيذ بعض الاصلاحات ، وصدر مرسوم بتسمية عبد الحميد الزهراوي ، ومحمد بهيم ، ويوسف مرسق ، وعبد الرحمن اليوسف ، ومحيي الدين النقيب ، وأحمد كيخيا أعضاء في مجلس الأعيان ، وعين شكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي ، وناجي السويدي ، وأمين التميمي في مناصب رفيعة .

وعندما تألف وفد يضم بعض رجالات العرب لزيارة الباب العالي لشكر الحكومة وعودها ويطالبها بالتعجيل في البر بها وتنفيذها ، وقف عبد الكريم الحليل أمام الصدر الأعظم يقول : « .. فالشيبة تشكر لكم هذا العمل العظيم الذي تعده فائحة سعادة ورفاه لهذا الملك المحبوب ، فلتطمئن فخامتكم وهيئة الوكلاء الكرام لأن الأمة العربية التي تقدر هذه القرارات حق قدرها تسعى جهد طاقتها وتبذل جميع مساعيها لرفي هذا الوطن المشترك وسعادته ونجاحه . ولهذا أرجو تنفيذ قرارات الاصلاح بأقرب ما يمكن ، ولكن أتحجراً على ان أشرك شكري بذكر بعض ما تتمناه الأمة العربية مستمياً العفو من لدن فخامتكم : ان بقاء الادارة العرفية في بيروت منذ سنتين يدعو إلى الأسف ، واننا نلتمس رفعها ، ونرجو رفع المنع عن الصحف المصرية والساح بنشر الجرائد المحلية المقلدة لأننا لا نشك في إخلاصها لهذا الملك ، وذلك رغبة في تعميم الشكر وانتقاله من قلوب الناس إلى أعمدة الصحف ، ولأنها يابفاء وظيفتها الوطنية تسهل وظيفة الحكومة كثيراً . وهناك مسألة ثانية وهي مسألة بيع الأراضي المدورة - الجفالك - في البلاد العربية ولا سيما فلسطين ، لأن دخول الأجانب اليها وحرمان أهاليها من مواردها بما لا ترضونه فخامتكم ، فالتمس من حنان الحكومة السنية اتخاذ قرار قطعي موافق في هذا الشأن . »

وتعددت الوفود العربية التي زارت الاستانة للاعراب عن ابتهاج العرب بالوعود التي قطعت لهم ، والدعوة إلى تنفيذ الاصلاح على جناح السرعة لأنه الطريق الوحيد

لترقية البلاد وإنماء ثروتها وإسعاد سكانها، ومن أعضاء هذه الوفود سليم سلام والشيخ أحمد طباره ومختار بيهم . ولكن الحكومة الاتحادية التي تظاهرت بالإخلاص للعرب كانت في الباطن تضرهم الشر وتدبر لهم مكيده في السر ، فقد استدعت بعض صنائعها السوريين الى الاستانة وكلفتهم معاكسة احرار العرب ، والمجاهرة بان البلاد العربية لا تحتاج اصلاحاً . فما وصلوا الى الاستانة حتى حملوا حملة شديدة على القائمين بالاصلاح ، فصرح أحدهم لحرر « تصوير افكار » بانهم لم يأتوا الى الاستانة من تلقاء أنفسهم وان الحكومة استقدمتهم اليها لمشاورتهم في أمر الاصلاح ، وقال ان العرب يأسفون جداً لانخداع الحكومة ومساومتها لشبهة عربية ليست على شيء من الوطنية غايتها تسليم البلاد الى الأجانب والقضاء على الدولة والاسلام والمسلمين . وقال ثان منهم ان الحكومة وضعت يدها بيد شبان مارقين خائنين لا يعبا بهم ولا يحسب لهم حساب . أما الثالث فكان يسعى دائماً الى اقناع الرأي العام بأن الأمة العربية كافة في قبضة كفه وكف أصحابه، وقد أجمعوا كلهم على مطالبة الحكومة بابقاء الحال على ما كانت عليه ، حتى أن أحدهم قال لاحد محرري الصحف ان بقاء اللغة التركية لغة رسمية في البلاد العربية من مصلحة العرب أنفسهم لانهم اذا كتبوا الاستدعاءات العربية وارسلوها الى الاستانة طالت مدة اقامتها وقد تظل السنين الطوال فيكون العرب من الخاسرين !

وقال امين سعيد ان أعضاء هذا الوفد قد انضموا في الاستانة الى اولئك الذين كانوا يرون وجوب تأييد الدولة وسد أزرها في كفاحها الخارجي ، وعدم ازعاجها باثارة مشاكل داخلية . وقد شنوا غارة كبيرة على طلاب الاصلاح في عاصمة السلطنة ، وشوهوا سمعتهم في نظر الرأي العام التركي ، واظهروهم بظهر المجاورين للأجانب ، المتطوعين في خدمتهم ، العاملين على تسليم البلاد اليهم ^(١) .

والى جانب هذين الفريقين : فريق المعتدلين الذين كانوا يحاولون التوفيق بين مطالب العرب ومصالح الترك ، وفريق النفعيين الذين استكثروا على بني قومهم حتى

وعود الإصلاح، كان هنالك فريق المتطرفين الذين تمثلهم جمعية العربية الفتاة التي كانت قد بدأت تستقطب الاحرار والمناضلين العرب في كل مكان ، وقد رأت الجمعية في الحلول التي توصل اليها الفريق الأول مسائل ثانوية بالنظر لمطالب العرب الأساسية ، وهكذا قابلت الشبيبة العربية بالاستياء تعيين عبد الحميد الزهراوي في مجلس الأعيان وهو رئيس المؤتمر العربي ، وعدته خرقاً لمقررات باريس ، واستدعت معتمدها عبد الكريم الحليل الى اجتماع كبير عقد في دار « المنتدى العربي » وحضره ما يقارب ألف عربي لاستجوابه بهذا الشأن ، باعتباره مسؤولاً عن سياسة التقارب ، وطلب عبد الكريم من الحاضرين تأليف لجنة خاصة ليفضي اليها بما يعرفه من أمرار تدعوه الى انتهاج هذه السياسة . وانتخبت في الحال لجنة مؤلفة من نجيب شقير ، وسيف الدين الخطيب ، وجلال البخاري ، وصبحي حيدر ، واسعد داغر ، للاجتماع به والاطلاع على وجهة نظره واعلان رأيها في ذلك .

وفي اللجنة الخاصة التي عقدت جلستها السرية في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) واستمرت من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الثالثة ليلاً ، قال المناضل الشاب ان التعاون بين العرب والتürk كفيل بصد خطر استعماري آخر يهدد البلاد العربية من الغرب ، ومن الممكن الافادة من هذا التعاون المحدود لتحقيق مطالب العرب وتعزيز نهضتهم ، وليس في الامكان تحقيق ذلك إلا بالاستقرار ، اذ يحمل الشعب الحكومة العثمانية على عدم تنفيذ مقررات مؤتمر باريس البتة ، وما قامت به الحكومة العثمانية في الوقت الحاضر ليس إلا مقدمة للإصلاح المنشود .

وكان عبد الحميد الزهراوي قد أعلن استعداداه للاستقالة من مجلس الأعيان اذا طلب منه ممثلو الشبيبة العربية ذلك ، فقال عبد الكريم الحليل في ذلك الاجتماع السري ان وجود الزهراوي في مجلس الأعيان خير من عدمه ، لأنه يفيد داخل المجلس أكثر مما يفيد خارجه ، وأنه لم يقبل هذا المنصب إلا عملاً بالاتفاق السري المعقود بين عبد الكريم الحليل وبين الحكومة التركية باسم المؤتمر ، لتعيين بعض زعماء العرب في مناصب عالية لمساعدة الحكومة في تحقيق الإصلاح .

وبعد هذا الاجتماع الصاخب اتخذت الشبيبة العربية قراراً بتأييد وجهة نظر

عبد الكريم الخليل في شيء من التحفظ ، إلا ان الضجة لم تنته اذ وقع الخلاف حول هذا الموضوع بين الاصلاحيين أنفسهم ، واحتجت بعض الهيئات السورية في المهاجر على قبول عبد الحميد لمنصبه ، وطلب بعضها فضله من حزب اللامركزية . ولكن عبد الحميد الزهراوي ما لبث ان بسط وجهة نظره بوضوح في كتاب بعث به الى السيد رشيد رضا أحد كبار الاصلاحيين العرب في مصر ، كما ان رفيق العظم رئيس اللجنة العليا لحزب اللامركزية رد على احتجاج الهيئات السورية في المهاجر ببيان مسهب ختمه بقوله : « .. على أننا ما دمنا طلاب اصلاح لا طلاب غنى أو وظائف فلا نرى من حسن الرأي ان تطلبنا الحكومة للتفاهم ، وتلين لنا القول ، وتعترف لنا بكثير من الحقوق التي لم تكن ترضى ان تصغي اطيالها منذ سنين ، ونرميها بالكذب ونبعد بيننا وبينها لغير سبب ما لم يقم لنا دليل قاطع على انها تفعل ذلك رياء لا صدقاً ، وانها تفعل في غدي ضد ما تقول اليوم ، ومنى قام لنا الدليل على ذلك كان لنا معها شأن غير شأننا اليوم ، وليس في قرارنا على تعيين السيد الزهراوي في الأعيان مانع يمنعنا من الاستمرار في الحطة الصالحة لقومنا ووطننا متى ثبت لنا انها تريد الوهوف عند هذا الحد من الاصلاح ، كما انه ليس في تعيين الزهراوي ما يوجب ريب اخواننا أعضاء جمعية الاتحاد السوري فيمن تظن فيهم الزعامة كما جاء في احتجاجهم المذكور ، وهذا اذا كان الاحتجاج يعني في ما ورد فيه اخوانهم الاصلاحيين بمصر ، اذ الذي ا قوله عن نفسي وعن اخواني هنا هو انه ليس هناك شيء يفصلنا عن حظيرة الاصلاحيين ، وليس لاحدنا مطمع بغير الاصلاح الذي نشده بكل وسيلة من الوسائل المشروعة ، وهكذا خفت الضجة وطوي هذا الموضوع ^(١) .

اقد ربح ابطال العروبة ولا ريب لجولة الأولى ، ولو على الصعيد الحقوقي والسياسي فقط ، وارغموا الدولة التركية على الاعتراف بحقوق العرب ، وفساد نظام المركزية ، ولكن ذلك الاعتراف بقي طي الكتمان كما بينا ، ورفضت الاجتماعات والاجانبان العربي والتركي على أحسن ما يمكن من المودة المتبادلة ! ..

- انظر فصل عبد الحميد الزهراوي في كتاب « السابقون » لقدري قلعجي .

ولكن العرب انتظروا على غير طائل ، اخراج الاتفاقية العربية التركية الى حيز الوجود ، حتى بدا للعرب بأن الدولة غير آبهة بانفاذ ما صادقت عليه ، ولعل من أهم الأسباب التي حدث بها الى اتخاذ هذا الموقف انقسام السلطة الحاكمة على نفسها فيما يتعلق بنقطة جوهرية في القاعدة التي يجب ان يستقيم عليها عمود الحكم واتجاه الدولة ، وقد كان فرسان الحلبة الثلاثة الأولون متنافري الأهواء ، مختلفين في الرأي ، فكان طلعت باشا من القائلين بفكرة الجامعة العثمانية ، وانور باشا ممن ينادون بالجامعة الاسلامية ، وأما جمال باشا فكان عرقياً لا يؤمن إلا بالقومية التركية فقط .

وفي اطار هذا النزاع ، وفي تلك الدوامه من المتناقضات المذهبية ، والنزعات السياسية ، كانت تتأرجح القضية العربية ، في حين كانت النزعة العرقية تأخذ مداها في علهمة الدولة ، وكانت أبواب المنادين بالطورانية ، تغطي على أصوات المنادين بالأخوة العثمانية أو الرابطة الاسلامية ، حتى على أعواد المنابر في المساجد . . ولم يتورع أحد القادة الاتراك ، والبلاد على أبواب الحرب من ان يقول :

« لا أمل لنا بعد الآن بان نحكم البلاد العثمانية كمستعمرة تركية ، ولا سيما البلاد العربية التي فتحها أجدادنا بالسيف ، لان حكومتنا صارت دستورية لسوء الحظ ، لاننا نحن الاقلية في الدولة ، فاذا خضنا غمار الحرب الاوروبية وحالفنا النصر قضينا على العناصر غير التركية أعظم قضاء ، وكفلنا الحكم لعنصرنا زمنياً طويلاً ، واذا انكسرت جيوشنا وضاعت بلادنا فلا نخسر شيئاً ، لأن مستقبل الدولة ليس لنا ، ولان الحكم ذاهب من يدنا على كل حال ١١ » . .

وأما صاحب جريدة اقدام « التركية » وأحد النافخين بنار العرقية فقد كتب يقول في جريدته تلك : « ان الاتراك لهم الحق في ان يحكموا العرب تماماً ، كما يحكم الفرنسيون أهل الجزائر ، وكما يحكم الانكليز الهند ١٢ » . .

١ - مؤتمر الشهداء ص ٢٤ - ٢٥

٢ - المرجع السابق ص ٢٩

ولم يتورع بعض حملة الافلام من المؤرخين الاتراك عن الدعوة الى سياسة نهجيو العرب من ديارهم ، ونشر التريكة في ربوعهم .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل ان التعصب العرقي قد أعمى اولئك الادعاء حتى ان أحدهم وهو أستاذ التربية العسكرية في الكلية الحربية في العاصمة لم يتورع ان يخاطب في صف الضباط ، وكثير منهم من أبناء العرب ، نافثاً سموه العرقية على هذا الشكل :

« اود أيها السادة ان القي عليكم كلمة في غاية الأهمية بنسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب ، فأظهرت لنا معاصر الترك أموراً لم تخطر في بالنا من قبل وكانت عبوراً ينبغي ان نعتبر بها .

« فان البليجك الصغيرة نجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ، ووقفت بجيش لا يزيد على مائة ألف جندي أمام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر ، فحالت دون القضاء على حليفها فرنسا .

« لذلك لا يسعنا ، نحن الاتراك أعداء البليجك ، إلا ان نطأ على رؤوسنا اجلالاً لها واحتراماً لجيشها الباسل .

« ولكن أنعلمون أيها الأصدقاء لماذا أوقفت البليجك تيار الجيش الألماني العظيم ؟ أوقفته لانها كانت تحاربه باسم القومية واسم الوطن ..

« أوما تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا ومانيا وسدن العالم ، وصرنا أعلى أمم الأرض مقاماً ، وأكثرها ثراء ؟ لانهم خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين .

« فعلينا أيها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعداً أمام العالم بصفة القومية المقدسة وان نضرب بالعصية الدينية عرض الحائط .

« .. نحن أيها السادة أتراك ، واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي نتسب اليه ؟ انه تركي جاء من ي آلتنا ، واجتاج هذه البلاد بجيشه التركي . فانتسابنا الى أصله أشرف من انتسابنا اليه .

« ولقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبنس أسلافنا الدين أنسونا قوميتنا ..

« انكم أيها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريباً وستكونون أساتذة جنودنا الأبطال ،

فعلوهم انهم ترك اذا حاربوا العدو من أجل الترك ، وتحت العلم التركي ، ينتصرون عليه ويجرزون ما احرزته البلجيك من المجد والفخر .

« وتأكدوا ان التركية خير لنا من الاسلام ، وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية .

وقد أجابه أحد ضباط العرب قائلاً : « تعلم أيها القائد ان للامم الشرقية تقاليد لا يمكن الاغضاء عنها ، وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن . فتترك العناصر العثمانية ، أو انكار قوميتها عليها ، يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا احتج على هذا الكلام ، وأقول بكل صراحة : ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت اليّ بالدفاع عنه هو تركي ، أي انه علم أجنبي عني ، فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً ، وأخذت كل عواطف الوطنية ، لاني انا وأبناء العرب ، وجميع أبناء العناصر غير التركية ، لا نحارب في جنب الترك الا لمقاصد متحدة وذودا عن حياض الاسلام والعثمانية .

فأجاب القائد قائلاً : « اعلم ان الحقيقة غير العواطف ، فانك وان تكن عربياً فانت وعنصرك العربي من تبة تركيا . ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة ، وسننقض قريباً باسم التركية ، وتحت العلم التركي ، ونلقي بالدين جانباً لانه من الامور الشخصية الثانوية . اما أنت وأبناء جنسك فعليكم ان تعرفوا انكم ترك وان له ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي .

وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الحربية ، وطلبوا عزل القائد الاستاذ ، فلم تعبأ الدولة باحتجاجهم ، ولم تجبهم الى طلبهم ، بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم ، فقدفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا

سبب الا رغبتها في محوهم ، ليسنى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم^(١). وكان من البدهي كذلك ان يعتمد اولئك الطغاة على سيف الارهاب والبطش رغم تحذير الناصحين ، وضاعت صرخات العقل والمنطق التي أطلقها المفكرون الاتراك أنفسهم ، وعلى الرغم من ان طلعت بك كان عثماني النزعة ، الا انه كان يقول بسياسة العنف التي انتقدها مرة النقد الدكتور رفيق رضا ، أحد أعلام الفكر العثماني، والمنادين بالاصلاح والذائدين عن روح الدستور ، والذي صرح لحرر جريدة « بروغره دي سالونيك » منذ سنة ١٩١٠ (١٣٢٨ هـ) بما يلي :

« أنا على اتفاق تام مع الجمعية على ان البلاد في حاجة الى حكومة قوية ولكنني أخالفها في استخدام القوة ، واذا كان وجودي في المجلس قضى عليّ بأن أحمل على طلعت بك الممثل الأكبر للجمعية في الوزارة، وصديقي ورفيقي منذ الساعة الاولى في جمعية الاتحاد والترقي ، فذلك لاعتقادي بأن الواجب عليّ ان افعل ما فعلت . ولو سكت كما سكت سواي لكان ذلك خيانة لا يغفرها الوطن لي . ان الدستور يكون كلمة لا معنى لها ما لم تحتوم الحرية السياسية والحقوق الاساسية ، وحرية القول والكتابة والخطابة ، واذا لم يعامل العناصر كلها معاملة واحدة بقتضى أحكام الدستور^(٢) ... »

وزاد الموقف سوءاً ان الحكومة العثمانية عندما خاضت الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا ضد الحلفاء ، اعتمدت ناظر البحرية جمال باشا (أحمد جمال) قائداً للفيلق الرابع ، ومنحته الصلاحية المطلقة في حكم سورية الطبيعية (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) وهو المعروف بكرهه الشديد للعرب ، وبتعصبه العرقي للاتراك .

وهكذا كانت طريق أحرار العرب تفترق أكثر فأكثر عن طريق أحرار الترك ، وكان ذلك الهدف المزدوج المتناقض الذي نصبه عبد الكريم الخليل وبعض شباب العرب لانفسهم ، لا بد من ان يطغى أحد شقيه على الآخر .. فأما ان يسير

١ - ثورة العرب ص ١٤٤

٢ - مؤتمر الشهداء ص ٣٠

عبد الكريم واخوانه مع الاتراك متناسين مطالب العرب ، واما ان يتمسكوا بمطالب العرب فلا يتحولوا عنها أو يفرطوا فيها ..
وكان بديهاً ان تظفر الفكرة القومية في ذلك الصراع النفساني الذي عاناه روادها الأول ومناضلوها الابرار ..

وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى وجاء عبد الكريم الخليل الى سورية للدعوة الى التفاهم بين العرب والترك ، والوقوف صفاً واحداً في وجه الخطر الاستعماري الهاجم من الغرب ، لم يستطع الشاب الذي شهد ما يعاينه العرب من ظلم الاتراك إلا ان يقول : كلا .

لقد قالها كلمة قوية جريئة في وجه جمال باشا حين اجتمع به في القدس على أثر اخفاق حملة القناة في الثاني من شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ (١٣٣٤ هـ) .

لقد قال عبد الكريم لجمال باشا ان الشعب العربي لا يطمئن الى دعوة تركية لان فعلها يناقض قولها ، وأعمالها تخالف مواثيقها ، وهو فوق ذلك ضعيف الثقة في ان تستطيع تركية صيانة البلاد العربية من الخطر الهاجم . وأجاب السفاح بزجاجة مهددة رهبة ، وطلب من الشاب في كثير من الازدراء ان يطمئن العرب ، ويثبت ايمانهم بقوة الجيش التركي ، ويدعوهم الى الخضوع والسكون .

وعاد عبد الكريم ولكنه لم يفعل من ذلك شيئاً ، وانما فعل الشيء الكثير في انهاض الهمم وإلهاب المشاعر ، وبث الايمان بان بعث العرب آت لا ريب فيه (١) ..

١ - انظر مقال عبد الكريم الخليل لقدرى قلمجي في العدد ١٢ من مجلة العربي .

الفصل الثامن الشريف حسين هو الأمل

ظلت حكومة الاستانة تمالئ العرب وتخدرهم بالوعود ، وتعاملهم بسياسة اللين تارة وسياسة العنف طوراً ، حتى أوائل سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) فإذا بها تنتقل الى البطش السافر ، وتضع برنامجاً جديداً يقوم على التشدد في تطبيق سياسة التبريك بصورة حازمة ، وشل الحركة الاصلاحية وحل الاحزاب والنوادي العربية ، وبذل كل جهد ممكن للقضاء على القومية العربية .

وهكذا افترقت طريق احرار العرب عن طريق زعماء « تركية الحديثة » مرة أخرى ، وكان الفراق هذه المرة نهائياً وحاسماً لا رجعة عنه ، بعد ان نقض الاتراك المواثيق والعهود التي لم يكن في نيتهم تنفيذها قط ، وبعد شهور معدودة فقط من تلك المهزلة - المأساة التي كان عبدالكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي أول ضحاياها ، ولم تقم بعد ذلك أية محاولة من قبل احرار العرب للاتفاق مع الاتحاديين .

وكان العرب قد قاموا بنشاط جديد ، ونصبوا لانفسهم أهدافاً جديدة . فالمتنبدى العربي أخذ يميل الى اعتناق فكرة الاستقلال ، وجمعية العهد أصبحت ذات نشاط سري واسع بين أفراد الجيش وكبار الضباط العرب ينتظرون إشارة منها لتنفيذ أهدافها ، وجمعية الفتاة قد تركز فيها النضال السري بين المدنيين وضمت

الى صفوفها نخبة الاحرار في جميع ديار العروبة ، وكان ياسين الهاشمي همزة الوصل بين الجمعيتين .

وكان ميل تركية الى الاشتراك في الحرب العالمية الأولى الى جانب المانية بدافع من تهوس الطغمة العسكرية من الاتحاديين ، قد اثار مخاوف جديدة في نفوس القادة العرب ، نظراً للمصير الذي ستعرض له بلادهم خلال هذه الحرب وفي نهايتها باعتبارها جزءاً من الدولة العثمانية . وكان من رأي هؤلاء القادة ان تلتزم تركية الحياء في تلك الحرب العاصفة ، لأنها ستعاني فيها حصاراً اقتصادياً لا قبل لها بتحمله ، وتضطلع بابعاء عسكرية فادحة ، بعد ان ظهر عجزها في حربي طرابلس والبلقان ، وهي في جميع الأحوال لن تستطيع الدفاع عن البلاد العربية اذا هاجها عدو قوي ، واذا كان الترك يريدون ان يقامروا بمستقبلهم ويغامروا ببلادهم ، فليس من مصلحة العرب بأية صورة ان يزج بهم في تلك المغامرة أو المقامرة ، واذا كان لا بد للسفينة العثمانية من ان تغرق فلتغرق وحدها ، وليحرص العرب على الا يندفعوا معها الى الهاوية .

وقد ارسل الشريف حسين أمير مكة وحامي الحرمين ، الى السلطان محمد رشاد كتاباً بهذا الصدد ، اشار فيه الى ضعف الدولة بعد الحرب البلقانية ، ووصف فيه وضع اوروبة والاتفاقات القائمة بين دولها ، وبما جاء فيه : « ان دخول الحرب الى جانب الالمان يؤلف خطراً كبيراً لعدم وجود حدود بريّة مشتركة ، ولأن المانية لا تستطيع امداد الجيوش العثمانية بالمعدات التي تحتاج اليها ، وعدا هذا فالاقطار المترامية الى الجنوب من جسم الدولة ، كاليمن والبصرة والحجاز ، محاطة من كل جانب بقوات بحرية لدول الأعداء . وقد تتكل الدولة في الدفاع على حية أهلها ، وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقاتلة جيوش اوروبة المنظمة » وقد ختمه بقوله : « انني استحلف جلالتيكم بالله الا تدخلوا الحرب ، وان تعملوا بانني اعتقد في كل من يرى الحرب الى جانب الالمان ، عدم التمييز أو الحيانة العظمى » . ولكن أي كتاب أو رسالة كان يمكنها وقف تلك الشرذمة العسكرية الطورانية المأخوذة بالروح العسكرية الالمانية ، عن جر بلادها الى

الهاوية ! ؟

وقد جاء في مذكرات الملك عبد الله انه زار وهيب باشا والي الحجاز زيارة ود ومحاملة بعد اعلان الحرب ، فقال وهيب باشا انه تلقى أمراً بأن يسأله رأيه بشأن اعلان الدولة الحرب على روسية وانكلترة ، فقال الشريف انه يعتذر عن اعطاء جواب شفهي ، ويطلب ارسال السؤال اليه خطياً ليحجب خطياً ، ثم قال : « واني كجندبي شريف لست بخائن حتى أشير على الدولة بدخول حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ونحن محاطون هنا بالدول العظمى ذات البحرية القوية ، وانتم ستشغلكم جيوش روسية وجيوش الانكليز بمصر ، مع انكم غير متصلين بحليفكم المانية من البر ، وصرية معادية ورومانية معادية مثلها . » ورد وهيب باشا وهو يسر لحته : « انها ورقة نريد ان نقذف بها على مائدة المسير ! » فقال له : « ان هذا لعجيب .. أو تقامرون بالأمة كلها (١) ! ؟ »

ومع اعتقاد الحسين ان اعلان الحرب هو خرق عظيم وخيانة للامانة ، وان البلاد باجمعها لا ترضى عن حرب ضد روسية وانكلترة وفرنسة ، فقد كان يرى انه في حالة دخول تركية الحرب فان عليها ان تقوي جيش اليمن وتمده بالمؤونة والذخيرة التي تكفيه مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ومثل ذلك في الحجاز وعسير ، بما يكفيها خمس سنوات على الأقل ، وان لم تفعل ذلك فهي ستضع البلاد في أخرج مركز قد يفضي الى ما لا تحمد عقباه . ويعلق الاستاذ طه شرف على ذلك بقوله : « وهذه آراء من السداد والحكمة بحيث تربنا مقدرة هذا الشريف في ادراك وفهم التيارات السياسية العالمية وقتئذ (٢) . »

وكان قادة الرأي العام العربي يتطلعون الى الشريف حسين بن علي الهاشمي أمير مكة وحامي الحرمين ، ويعقدون آمالهم عليه ، ويعتبرونه أبا العرب ورمز إياهم وكرامتهم ، ويرون فيه الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يجسد طموحهم ويقودهم في

١ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ٩٩

٢ - الاحداث العربية في تاريخها الحديث ص ٥٥

معارك الحرية والاستقلال، مضطلعاً بععبء الجهاد ومسؤولية القيادة ، لانه جمع الى جلال الملك وشرف النسب وعلو المكانة الارادة الحازمة والجرأة النادرة والوطنية الصادقة .

ولما ينس قادة العرب من الوصول الى أي تقاهم مع الاتراك ، وقنطوا من ايقات العرب التوكية المنطلقة على ذلك المنحدر الرهيب ، انتدبت جمعية العهد وجمعية الفتاة في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٥ (١٣٣٤ هـ) ، السيد فوزي البكري للسفر الى مكة ومقابلة الشريف حسين ، كي ينقل اليه مشاعر العرب وآمالهم واتفاق الزعماء في سورية والعراق وكبار الضباط العرب في الجيش التوكي ، على القيام بثورة على الدولة العثمانية تنتزع للعرب حريتهم وتستعيد لهم استقلالهم ، وتطلع اولئك الزعماء والضباط الى ان يتولى الشريف حسين قيادة تلك الثورة ، واستعدادهم لارسال وفد من قبلهم الى مكة أو استقبال رسول من قبله في دمشق للاتفاق على الخطط والبحث في التفاصيل^(١) .

وقد كان لمكة المكرمة دائماً حرمة خاصة ووضع متميز ، باعتبارها مهد الدعوة الاسلامية ومنطلق الدين الحنيف ، وكانت الاتراك الذين يحكمون باسم الدين في حاجة مستمرة الى تأييد مكة ومناصرة اشرافها الذين توارثوا الحكم فيها منذ مئات السنين ، فابقوا لهذه الامارة نوعاً من الاستقلال الذاتي ، وكانوا يعاملون حكامها باحترام مشوب بالخوف والحذر ، فأمر مكة يتمتع في التشريعات بأسمى مقام ، فهو في صف الصدر الأعظم في الاستانة والحديوي في مصر .

وكان آخر هؤلاء الاشراف وأقوام شخصية ، وارجحهم رأياً ، وأبعدهم أثراً ، الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين الذي يتصل نسبه بالامام الحسين بن علي بن ابي طالب ابن بنت الرسول . وكان والده الشريف علي عضواً في المجلس الأعلى بالاستانة ، ثم منح رتبة وزير وعين في مجلس شوري الدولة ، وقد تنقل نجده الحسين في حدائته بين مكة والاستانة .

١ - انظر بقطعة العرب ص ٢٢٢ - ٢٣٣

ولما توفي والده أقام في كنف عمه الشريف عبد الله أمير مكة، وكان قد تأدب وتفقه ونظم الشعر، ومارس ركوب الخيل وصيد الضواري، فأحبه عمه الشريف عبد الله، وزف إليه ابنته عبدة خاتم، ووجهه في المهمات، فطاف في أنحاء جزيرة العرب، واحكم صلته بالقبائل العربية^(١).

وانتقلت الامارة بعد وفاة عمه الشريف عبد الله الى عمه الثاني الشريف عون. يقول أمين الريحاني: «وفي أيام الشريف عون ظهرت مواهب ابن أخيه الحسين فتلاؤا ذكاؤه واشتد عزمه، وكان في شعوره ومسايعه عربياً كريماً، غيوراً على قومه وبلاده، لجوجاً متهوساً، ولا غرو وعمه الشريف عون كان يومئذ مثاله الأعلى. فراب الاستانة أمره، فاستدعي إليها سنة ١٣٠٩هـ ليكون ضيفاً على البادشاه^(٢)».

وكان من عادة السلطان ان يستضيف كل شخصية متوهجة يرى في وجودها بعيداً عن الاستانة خطراً عليه، فكانت هذه الضيافة نوعاً من الاسر في قفص ذهبي هدفه استمالة تلك الشخصية الخطرة، باغراقها في فيض من الحياة المترفة، ومراقبتها باستمرار لمنعها من القيام بأية حركة معادية، وقد اقترنت «استضافة» الشريف بنفي مردييه المشتركين معه في استنكار مظالم الاتراك الى ازمير، وهم مفتي مكة عبد الرحمن سراج، ونقيب الاشراف علوي بن أحمد السقاف، والشيخ عابد مفتي المالكية، والشيخ عبد الله الزواوي أحد مدرسي الحرم الشريف.

وهكذا منح الشريف حسين في الاستانة رتبة الوزارة كأبيه وعين مثله عضواً في مجلس شورى الدولة، وادخل انجاله مدرسة الانجال على نفقة السلطات، وهي مدرسة خاصة بأبناء السلاطين والشخصيات الكبيرة.

وقد ادرك الشريف منذ البدء الهدف من تلك الضيافة التي استمرت سبع عشرة سنة، فتقبلها صامتاً، ولقن ابنائه وجوب التحلي بالصبر والسكينة الى ان فتحهم الفرصة للقيام بالدعوة القومية، والعمل على تخليص البلاد العربية من ربة الظالمين

١ - قاموس الاعلام ج ٢ ص ٢٧١

٢ - ملوك العرب ج ١ ص ٥٩

الاتراك ، وفي طليعتهم هذا الخليفة الطاغية الذي يتستر بالدين ويرحق أبناء جلدتهم العرب عسفاً وجبروتاً^(١) .

وتقول الرحالة مسز ستورت ارسكين : « كان الحسين قوياً عنيداً جسوراً ، كثير الزهد في هذه الحياة المترفة التي ينعم بها السلطان . وكانت اقامته في العاصمة التركية حيث اعتاد الناس احناء رؤوسهم لارادة رجل واحد ، من أهم الأسباب التي غذت عواطفه الاستقلالية وحب الحرية^(٢) . »

وكان من مظاهر الاصلاح في الفترة القصيرة التي اعقبت اعلان الدستور ، تعيين الشريف حسين أميراً على مكة . وكان أميرها يومئذ الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عبدالمعين، فلما وقع الانقلاب العثماني خشي ان يبطش به الاتحاديون فاستقال من منصبه ولجأ الى مصر ، وخلفه الشريف عبد الإله فتوفى بعد تعيينه بيومين . يقول جورج انطونيوس : « وكان الحسين شخصية بارزة موقرة ، وهو أمر لا بد منه لرجل من سلالة رسول الله ويعيش في عاصمة الاسلام . فضلاً عن شرف محتده ، فان تقواه ومسلكه الرفيع ، وطريقة حياته المستقيمة النقية . كل ذلك اكسبه احترام عدد كبير من المعجبين لهذا السبب ، بل ايضاً لسبب أهم هو ما كان معروفاً من كره السلطان له ، اختاره أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين كانوا في الحكم ليكون شريفاً لمكة بدل الشريف الحاكم . ولقد عارض عبد الحميد هذا التعيين ، وأكد ببعده نظره الثاقب ان الحسين حين يتولى منصباً مهماً كهذا المنصب لن يكون مجرد آلة ، ولكنه سيصبح قوة دافعة بل ربما أصبح خطراً مهدداً . ولكن لم يصغ أحد لتحذيره ، فأجبر الحسين الى الحجاز ، وكان عمره آنئذ ثلاثاً وخمسين سنة^(٣) . » ويقول حافظ وهبه : « ان الشريف حسيناً قد امتازت أيام امارته بالتواضع والعدل والغيرة على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما انه اشتهر ايضاً بالشجاعة ، وعلو النفس ونقاء الذيل^(٤) . »

١ - تاريخ الامة العربية ، عصر الانبعاث ص ٤٢

٢ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٨

٣ - يقظة العرب ص ١٧٨

٤ - جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥٧

وقد اظهر الحسين من قوة الشخصية، وحسن السياسة واستقلال الرأي، والاضطلاع بأعباء المنصب الذي عهد به اليه، والتمسك بصلاحياته ومسؤولياته، أكثر مما توسم الاتحاديون، بل أكثر مما أرادوا. فقد تبين له خلال ممارسته لعمله ان بعض اسلافه قد فرطوا في كثير من حقوق ذلك المنصب، فأخذ يعمل لاستعادتها، ودخل في صراع صامت عنيد مع ممثلي السلطة التركية استمر أعواماً طوية، حتى يئست حكومة الاستانة من ترويضه، وقررت التخلص منه، ولكن دنو الحرب العالمية الأولى، وحاجاتها الى معونة الشريف واستغلال نفوذه جعلها تتراجع عن عزمها وترجى قرارها.

وكان أقطاب العرب في الاستانة يتابعون باهتمام علاقة السلطان بالشريف، والباب العالي بامارة مكة، وينظرون اليها كرمز لتحسن العلاقات أو ترديها بين العرب والترك. ولما شعروا بالمؤامرات تحاك من حول الحسين لاضعاف نفوذه أو انتقاص صلاحياته أو عزله من منصبه، ارسل اليه نواب العرب في مجلس المبعوثان بالكتاب التالي:

« الى السيد السند المعظم والشريف الأعظم حسين باشا أمير مكة أدامه الله
« نحن نواب العرب في مجلس المبعوثان، نترك على امانة مكة، ونعترف لك دون سواك بالرئاسة الدينية على جميع الأقطار العربية، لانك الآن خلاصة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا، نجهز به عند الحاجة. والله يحفظك لامتك ويساعدك لدفع الشر عن دينك (٢) » .
وكتب اليه السيد طالب النقيب كتاباً قال فيه :

« صرح لي أعداء لغتنا وامتنا وأخصهم خليل بك باننا نحن العرب ان لم ندعن لارادتهم وتعليماتهم نساق الى المشائق سوق الانعام. وقد اتصل هذا التهديد بعلم ممثلي الشعب العربي فاشتمأزوا وسخطوا واحتجوا بلهجة نارية أدت الى وقف جلسة البرلمان المنعقدة في ذاك اليوم. وسوف يصف لكم ولدكم الشريف عبد الله شفاهاً الشراسة

التي امتاز بها هؤلاء الاندال .

«وثقوا يا صاحب السيادة بأن جميع النواب العرب يعضدونكم بكل ما تملكه قلوبهم والستهم من قوة ، وهم يقرون بامتنان حسناكم العديدة في بلاد الحجاز منذ تبوئكم مقام امارتها . ولنا نعتز ببدى حماسكم لايماننا وشعبنا . ونحن على استعداد لان نشور معكم ان اردتم خلع النير الذي يطوق العرب وشتم تحريرهم من ربقة الاستعباد .

«واتشرف بأن اضع طياً بياناً موقعاً من نوابنا العازمين عزماً أكيداً على الدفاع عن الأمة العربية، وهم يعترفون بسيادتك خليفة للنبي (ص) وحامياً وحيداً مسؤولاً عن البلاد العربية .

ونعلم ان هذا البيان يتضمن قراراً خطيراً ، فليقض القدر بما يشاء ، والسلام^(١)»
ويصف فيلسوف الفريكة شخصية الشريف حسين وصفاً دقيقاً رائعاً يعطينا صورة حية لذلك الرجل الكبير الذي تعلق به آمال العرب في تلك الفترة العصية من حياتهم وفي ذلك المنعطف الخطير من تاريخهم ، فيقول :

« من عادة المصورين انهم بصناعتهم يحسنون في بعض الاحايين صور الناس . ويظهر عفواً في رسوم بعض الناس شيء من الحسن قلما يبدو في وجوههم . أما رسم الملك حسين الذي نشر في اوروبة واميركة اثناء الحرب فهو لا يشبهه ، ولا يمثل ما في وجهه من البشاشة وقد مازجها شيء من الغم ، ومن الجلال المقرون ، باللطف وليس فيه تصنع واعتناء .

« كانت دهشتي الثانية^(٢) اني اجتمعت بملك كنت اظنه من رسمه رجلاً قطوباً جافاً قاسياً . فكذب ذلك الرسم الوجه منه والحديث . أجل ان في حيا الملك حسين سياء جلال طبيعي لم اشاهد مثله في غيره من ملوك العرب . بل فيه تتجلى روحانية شرقية قرنت بالتأدب الغربي ، ولا غرو ، وهو من بني نبي من سلالة

١ - نهضة العرب ، التحرر فلالسة لال فالدولة ص ٢١

٢ - روى الريحاني قبلا ان دهشته الاولى كانت اكتشافه وجود الهاتف في مكة .

الرسول، وقد أقام عشرين سنة في الاستانة. ان في وجهه كما في حديثه إذن عنصرين من الانس والكياسة بما غاب وما للعجب في رسمه، الأول أخلاقي نبوي، والثاني اجتماعي اكتسابي فهو رقيق الأديم صافيه، عدل الانف دقيقه، له جبين رفيع وضاح يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقل ويلبس العمامة، وفي ناظره نور يشع من حدقتين عسلتين تحيط بها هالة زرقاء. وله فوق ذلك ابتسامة ما عرفت أجذب منها للقلوب غير ابتسامة خصمه ابن سعود السلطان عبد العزيز.

« اما صوته فالطف من النور في عينيه. وأما أنامله فان فيها دليلاً أفصح وأصدق بما في كتب الانساب على طيب الارومة والشرف الأثيل. وقد كبرت هذه المحاسن في نظري لأنها عارية من مظاهر الأبهة والجلال. فانك لا تميز الملك عن أحد مشايخ العرب إذا كان مسافراً لولا عقل من الحرير أصفر فوق كوفية أخف اصفراراً منه. وهذا العقل ارث ثمين، وهو عقل بني نمي، عقل بيت الشريف، بل تاج الملك فيه. وإذا اعم الملك فلا ترى فرقاً بينه وبين أحد الأعيان أو العلماء لولا ذؤابة عمامته البيضاء. هاك في القيافة مظهراً من مظاهر الديمقراطية التي يشاهدها السائح في كل ملوك العرب وأمرائها^(١) .. »

ويكمل الرحباني هذه الصورة البارعة في مكان آخر فيقول: « وطالما استمالتني إشارة مولاي اللطيفة فملت بمعقولي إلى السر في يديه وفي ناظره، وكنت كالمسحور في فيض من المغناطيس يسيل من أنامله ومن نظراته. وما السياسة وما الحقائق، وما الحكمة كلها، عند سحر ينسيك شقشقات الناس وخزعبلات الأمم.

« أجل، ان لمولاي صاحب الجلالة الهاشمية والغوامض السياسية، وقفات في حديثه تزي بالفضاحة والبيان، وإشارات تفك طلاسم الكهان، ونظرات تقيد منك العقل والجنان ييسط يديه أشباعاً إذا أحس من نفسه انه افحمك، ويضمهما إلى صدره تلطفاً إذا توقع منك جواباً، ويعالج عقله أو يحرك عمامته إذا رأى منك فتوراً أو إدباراً، ويغير جلسته على الديوان إذا اوجس فيك الملل، فماذا تهكم معانيه ومقاصده وهو أمامك السحر والحلال مجسداً^(٢). »

١ - ملوك العرب ج ١ ص ٢٦ - ٢٧

٢ - المرجع السابق ص ٣٤

وقد جاءت تلك الرسالة الشفوية التي حملها فوزي البكري إلى الشريف من قبل قادة الحركة العربية ، في الوقت الذي كانت تدور بينه وبين اللورد كيتشنر والسير رونالد ستورز ، مباحثات تعرض على الشريف المساعدة البريطانية فيما إذا قام بثورة على تركية ، وكان الشريف يحجب بتشجيع غامض دون أن بعد بشيء أو يقطع في شيء للتأكد أولاً من أن هذه المساعدة ستؤلف ضماناً كاملاً لاستقلال العرب ، وقد فتحت هذه المباحثات الأولية التي لم تكن بالنسبة للفريقين سوى نوع من « جس النبض » باب الأمل أمام الشريف في التحرر القومي بالنسبة إلى الولايات العربية كلها بعد أن كان أمله يقتصر في البدء على استقلال الحجاز. وبينما كان يشغل الأتراك بالرسائل التي تعلن ولاءه ، كان يدرس موقف الانكليز من جميع الوجوه ، وبوفد مبعوثين في الحلفاء برسائل منه إلى الادريسي في عسير والإمام يحيى في اليمن وابن سعود وابن الرشيد في نجد والمرغني في السودان ليسبر غورهم ويعرف موقفهم^(١) . وهكذا تعلقت بمكة وأميرها الشريف حسين ، آمال الحلفاء وآمال تركية والمانية ، وآمال قادة العرب الذين وجدوا في تلك الحرب فرصتهم الوحيدة لإعلان الثورة وخوض المعركة ، فقرروا توحيد الجهود العربية لانتهاز تلك الفرصة السانحة . لقد كانت تلك الرغبة أو الدعوة التي حملها فوزي البكري من دمشق إلى مكة^(٢) تتجاوب تجاوباً عميقاً مع مشاعر الشريف حسين وأفراد أسرته ، الذين كانوا يتطلعون منذ عهد بعيد إلى تحطيم النير العثماني ويرون أن من واجبه - وهم أبناء الأسرة التي يتصل نسبها بأعرق أرومة عربية ، والتي طالما قادت العرب إلى مجالي الرفعة وساحات المجد - أن يعملوا على تحرير تلك الأمة من إسارها ، وأن يبذلوا في سبيل ذلك الروح والدم .

١ - انظر تفاصيل تلك المباحثات الأولية هي بفضلة العرب ص ٢٠٤ ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٢٤ الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٤٠

٢ - بروي أسعد داغر أن قادة حزب العهد وحزب الغناء في استانبول أرسلوا في الوقت نفسه الشريف الفاروقي أحد الضباط العرب ، إلى مصر للاتصال من هنالك بالشريف حسين في حثه على الثورة وتأييده فيها (مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٨٣) .

ومع ذلك فإن الشريف كان أشد حذراً من أن يفصح عن تأييده للخطة الثورية أمام رجل غريب ، فلم يجب بشيء ولم ينبس بسؤال ، واكتفى كما يقول جورج انطونيوس بتسريح نظره من النافذة كأنه لم يسمع شيئاً. ولكن المجال الذي فتحته تلك الرسالة الشفوية ، كان هو المجال الذي يبحث عنه .

وما هي إلا أسابيع قليلة حتى أوفد الأمير فيصل بمهمة خاصة إلى الاستانة بعد أن أبرق إلى الصدر الأعظم بذلك ، وكان الغرض الظاهر من رحلة الأمير زيارة الاستانة ، أما الغرض الحقيقي منها فكان زيارة دمشق للاتصال بزعماء العرب للاطلاع على حقيقة موقفهم ومدى استعدادهم . ووصل الأمير إلى دمشق في ٢٦ آذار (مارس) ونزل في دار عطا باشا البكري بالرغم من الدعوة التي تلقاها من جمال باشا بأن يكون ضيفاً على القيادة العامة. وكان أول ما فعله أنه انضم إلى جمعية الفتاة عن طريق نسيب البكري أحد أعضائها البارزين ، وأقسم بين الولاء لمبادئها وأهدافها ، كما اجتمع باقظاب جمعية العهد التي كانت تتعاون مع الجمعية الأولى وفق خطة قومية موحدة ، وأعلن انضمامه إليها وأقسم بين الولاء لها . وقد امتلأت نفسه بما لمس من روح قومية جياشة ، ومن عزيمة ماضية على اضرام نار الثورة في بلاد العرب لنيل حريتها وانتزاع استقلالها .

وكان قادة الحركة العربية يعملون على أن تكون سورية منطلق الثورة ، لأنها تزخر بالقوى الواعية المتحمسة المتفهمة لأهداف الحركة والمؤمنة برسالتها ، وقد اتصلوا بزعماء القبائل وذوي المكانة وضموم إلى صفوفهم ، فكان من رجال الحركة نواف الشعلان شيخ قبائل الرولة ، ونسيب الأطرش من شيوخ الدروز ، وفرحان الميدا شيخ مدابن صالح ، وأبو سليم فرحان المغوش شيخ خلخلة ، وغيرهم من ذوي النفوذ في سورية على اختلاف الطبقات والمذاهب .

وأراد الأمير فيصل معرفة قوة الحركة العربية في سورية ، فاجتمع بياسين باشا الهاشمي رئيس أركان حرب الفيلق الثاني عشر وصلة الوصل بين جمعية العهد وجمعية الفتاة ، وسأل عن المساعدة التي تحتاجها سورية كي تشترك بالحركة التحريرية عندما تأتف الساعة ويدعى العرب إلى الجهاد ، فأجابه ياسين باشا :

— ان سورية لا تحتاج إلا إلى عزم الحسين على تروؤس الحركة التحريرية

العربية (١) .

فكان لهذا الجواب أعمق الأثر في نفس الأمير ، لأن الرجل الذي تلقى منه الجواب كان يملك صفة التكلم باسم الجيش. الم رابط في سورية وهو يتألف بأكثرية من العرب .

وكانت جمعية الفتاة قد أعدت قائمة بأسماء الأشخاص الذين يجب أن يجتمع اليهم ويستمع إلى أقوالهم لأنهم يمثلون سورية تمثيلاً صحيحاً، وكان بين هؤلاء ياسين الهاشمي ، وعلي رضا الركابي ، ونسيب الأطرش ، ونواف الشعلان ، وعبد الرحمن شهنذر ، وأحمد قدري ، ومحمد الشريقي ، وقد تحدثوا باسم الفرق العسكرية العربية ، وجمعية الفتاة ، وجبل الدروز ، والقبائل العربية في سورية ، والشباب الوطني المثقف ، وكانوا يجمعون على أن الوقت قد حان لإعلان الثورة ، وانهم لا ينتظرون سوى أن يقود والده هذه الحركة ويقوم على زعامتها ورئاستها .

وتحدث الدكتور عبد الرحمن الشهنذر عن مقابلته للأمير في مقال كتبه عنه إثر وفاته جاء فيه : « لما أعلنت الحرب العالمية ، عدها الاتحاديون فرصة سانحة لتطبيق منهاجهم السياسي فكشروا عن انبائهم وهاجمونا مهاجمة عنيفة في عقر دارنا ، مهدوا لها السبيل بالدعايات التي تجوز على أهل العقائد الوهمية . حينئذ اتخذ الطموح في البيت الهاشمي وجهة قومية صريحة لا موارد فيها ، وقد تجلّت لي على أتم مظاهرها يوم قابلت المليك الفقيّد في بيت المرحوم عطا باشا البكري في دمشق في صيف سنة ١٩١٥ ، ودار الحديث بيننا حول القضية العربية ومظالم الاتحاديين والعلاج الشافي من تلك الاوصاب ، وقد بدت لجميع من اختلوا به من العاملين ، روح الثورة على وجهه ، ولكن الضغط يومئذ كان يتطلب منتهى الحذر في المتكلمين والمستمعين لأن أقل بادرة تبدر من المراء تكفي لجره إلى المشنقة (٢) . »

ثم أنشأ الأمير يتباحث مع أقطاب جمعية العهد وجمعية الفتاة حول الخطوة التي

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٤٦ ، أنظر أيضا أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ص ٦٥
٢ - المقتطف ، أكتوبر ١٩٣٣

يجب انتهاجها لإعلان الثورة ، والوصول بها إلى غايتها . وقد أبلغهم أن بريطانيا تعرض مساعدتها على العرب ، وسألهم إن كانوا يوافقون على قبول هذه المساعدة ، وما هي الشروط التي يرون من الواجب أن تكون أساساً لعقد اتفاق مع بريطانيا لهذا الغرض .

وكان الأمير فيصل صريحاً كل الصراحة في عرض الموقف بكل تفاصيله ، وقد أوضح لزعماء العرب أن والده الشريف حسين لا يزال ينظر بحذر شديد إلى عرض بريطانيا ، في حين أن شقيقه الأمير عبدالله أشد تحمساً له وهو يرى فيه الفرصة السانحة لانتزاع أماني العرب ، بينما هو يتخوف من مطامع الدول الأوروبية في البلاد العربية . وبعد أن وضع الأمير هذا الأمر بين أيدي الزعماء العرب ، تابع رحلته إلى الاستانة ، تاركاً لهم الوقت الكافي لدراسته واتخاذ قرارهم فيه .

وعلى اثر ذلك عقد أقطاب الجمعيتين اجتماعاً قرروا فيه أن يقوم الحسين بن علي بمفاوضة بريطانيا باسم العرب ، وأن يتحالف معها على أساس اعترافها باستقلال البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية في دولة حرة موحدة ، وإلغاء جميع الحقوق الممنوحة للأجانب والمعروفة باسم الامتيازات الأجنبية ، وعقد معاهدة دفاعية في نهاية الحرب بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة ، ويكون التفضيل لبريطانية في المشاريع الاقتصادية التي يقوم بها العرب . فلما عاد الأمير فيصل إلى دمشق في ٢٣ ايار (مايو) ، أبلغوه قرارهم هذا ، وسلموه خارطة تعين الحدود الجغرافية للدولة العربية التي يجب أن يتجه السعي لنيل الاستقلال على أساسها وضمن حدودها، وتشمل هذه الحدود جميع الولايات العربية الخاضعة للحكم العثماني يومذاك . وأعلن زعماء العرب للامير فيصل انهم يعتبرون الشريف حسين يمثل الشعب العربي ، وتعهدوا بأن تبادر الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام إلى اعلان الثورة في جميع أنحاء البلاد ، متى اتفقت بريطانيا مع الشريف على الشروط المذكورة .

وهذا هو نص الميثاق الذي وضعه أقطاب جمعيتي الفتاة والعهد ، وحمله الأمير فيصل إلى والده ، وفاوض الشريف حسين المسؤولين البريطانيين على أساسه :

١ - اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود

التالية : شمالاً : خط مرسين - أضنه إلى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالاً ، ثم على امتداد خط بيريجيك - اورفه - ماردين - مديات - جزيرة ابن عمرو - العمادية إلى حدود ايران .

شرقاً : على امتداد حدود ايران إلى خليج العرب جنوباً .

جنوباً : المحيط الهندي (باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو) .

غرباً : على امتداد البحر الأحمر ثم البحر الأبيض المتوسط إلى مرسين .

٢ - الغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية .

٣ - عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة .

٤ - تقديم بريطانيا العظمى وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية^(١) .

والطريف أن الأمير فيصل قد سجل نص ميثاق دمشق ، في ورقة صغيرة جداً وطلب من أحد أعوانه أن يضعها في حذائه ويحيط عليها بطانة الحذاء ، ثم سافر إلى القدس ليودع جمال باشا ويستأذنه في السفر ، ثم يتابع رحلته إلى مكة فيصلها في ٢٠ حزيران (يونيه) وقد فارقه تودده السابق وأخذ يحث والده على اعلان الثورة وقبول مساعدة بريطانيا إذا وافقت على ميثاق دمشق .

يقول الملك عبد الله : « ثم ترادفت الوفود إلى الحجاز من القطر الشامي ، وعرضوا على الشريف في مكة ما الناس فيه من سوء حال ومستقبل مظلم ، مع الظلم والاضطهاد والنفي والابعاد ، حتى جاءت الحرب السابقة ، وجاء جمال باشا بسلطانه وعدوانه إلى دمشق ، فضاقت الأرض بما رحبت ، وخاف بأسه كل عزيز وذليل » . لقد كان الحسين بن علي كما يقول أمين الريحاني « أكبر ملوك العرب سناً وأظهرهم جلالاً وأرفعهم من الوجهة الدينية مقاماً »^(٢) وهذا ما جعل الانظار تتجه اليه والآمال تعقد عليه . وقد أشار الاستاذ ساطع الحصري إلى ذلك بقوله : « ان

١ - يفتة العرب ص ٢٤٢

٢ - ملوك العرب ج ١ ص ٥٧

امارة مكة المكرمة كانت تتمتع برکز تاريخي مهم ، يجعلها صالحة لاثارة الثورة وقيادتها ، وعلى الخصوص فان الأمير الأخير - الشريف حسين باشا - نفسه كان قد اكتسب شخصياً نفوذاً كبيراً خلال امارته الطويلة ، لأنه لم يترك فرصة تمر دون أن يستفيد منها لتقوية الامارة تجاه سلطة الولاية ، وكل هذا يجعله أقدر وأكفاً الرجال على تزعم الثورة بصورة معنوية ^(١) .

أما الأمير مصطفى الشهابي فيقول بعد أن يتحدث عن وضع الأسرة الهاشمية : « ويتضح من ذلك ان أسرة الحسين الهاشمي كانت يومئذ أعلم الأسر العربية الحاشمة بماهية القضية العربية ، وبمداها البعيد وبأفقها الواسع ، فلا غرابة إذن في أن يلجأ رجال القضية العربية إلى الأسرة المشار إليها ، ولا غرابة في أن يتبنى الحسين وآله تلك القضية ^(٢) »

ويتحدث عزة دروزه عن العوامل العديدة التي حفزت الحسين إلى الثورة فيقول : « لقد كان الحسين نفسه في الاستانة في ظروف اعلان الدستور ، وتأثر بطبيعة الحال بما بدا من نشاط عربي وانتشر من فكرة قومية عربية ، وبما ظهر من بوادر نيات الترك وخاصة الاتحاديين ، وكان نير العقل بعيد المطمح ، ثم صار أمير مكة الرسمي ، وتعقب وهو في هذا المنصب الخطير ما وقع من أحداث عربية وما كان من تجهيم الاتحاديين لها وخطوتهم الحاشمة عقب اعلان الحرب إلى التسيكل برجال العرب والقضاء على الحركة العربية وما بدا منهم في هذا السبيل من قسوة وبغي . فلا جرم أن يكون قد رأى أن الحرب قد تكون فرصة سانحة لانقاذ العرب وتحقيق أمانهم في الاستقلال والحرية والكرامة . ولعله رجح أن تغلب الدولة العثمانية فحفزه هذا على اغتنام الفرصة السانحة . ولقد كان انجال الحسين في الاستانة مع أبيهم وصار بعضهم نواباً بعد أن استسلم منصب امارة مكة ، فما لا ريب فيه انهم تأثروا هم الآخرون بالحركة العربية ونشاطها في الاستانة وأحداثها في البلاد الأخرى ، فكانوا عوناً لأبيهم في ما أقدم عليه من خطوة خطيرة مدفوعين

١ - محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ٢٠٥

٢ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٥٣

بتأثرهم بطبيعة الحال ، ولقد كان لنجله الثاني عبدالله ملك الاردن الآن ، ولنجله الثالث المغفور له ملك العراق بنوع خاص جهد في هذه الخطوة . فقد كان الأول مبعوثاً عن الحجاز في مجلس النواب بعد تعيين والده أميراً لمكة ، وشهد تطور الحركة العربية قبل نشوب الحرب وبعده ، واتصل ببعض الجمعيات السرية وتبنى غاياتها ، ولمس من جهة أخرى ما كان من تجهيم الاتحاديين لها وسوء نواياهم نحوها ونحو العرب ، ثم ما كان من تجهيمهم نحو والده ، فحفزه كل ذلك على التفكير في استسناح فرصة الحرب للخطوة الحاسمة ^(١) .

الفصل التاسع

في ظلال الميثاق

بينما كانت المباحثات مستمرة بين مكة ودمشق ، شرعت تركيا بحركاتها الارهابية الغاشمة في البلاد العربية ، على يد جمال باشا السفاح وأمثاله من القادة المتعصبين الذين كانوا يضررون الحقد الرهيب للشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية مسلمة ومسيحية على السواء .

فبجبة الضرورات الحربية نقضت تركيا المادة ١٤ من نظام لبنان الأساسي الذي ضمنته اوروپة ، واحتلت أراضيها احتلالاً عسكرياً ، وبعثت القوي المحلية الخاصة به ، وفرضت عليه حاكماً تركياً بدلاً من الحاكم المعترف به من الدول العظمى ، وأرسلت إلى المنفى أكثر من أربعة آلاف وجيه من لبنان وبيروت وبلعبك ، وأخذت تصدر أحكام الاعدام قتلاً وشنقاً ، وضربت الحصار على الجبل فهلك بالجماعة ألوف اللبنانيين^(١) إذ منعت البواخر الأميركية المحايدة التي أرسلها المهاجرون العرب موسوقة بالأطعمة إلى أهلهم من انزال شحناتها إلى السكان الجياع ، وحظرت صرف الحوالات المالية على دول الحلفاء وكانت أكثر المعاملة بها، وتركت

١ - انظر تفصيل ذلك في « بيروت ولبنان في عهد آل عثمان » ص ٢٣١ وما بعدها .

الحبل على الغارب لغفر من محتكري الاقوات يوردونها للجيش بينا الاطفال يموتون جوعاً ، وكان هذا التضيق عاماً في جميع بلاد العرب ^(١) .

واشتدت الضائقة الاقتصادية في الحجاز ، إذ أغلقت أبواب البحر وانقطع الحجاج ونفد القليل مما كان في البلاد من زاد ، فضجت الناس ، وهلك الكثيرون من الجوع ، ومنحت الحكومة التركية وهيب باشا القائد التركي في الحجاز سلطات واسعة بغية الحد من سلطان الشريف حسين وانجالة ، تمهيداً للبطش بهم ، وقد اكتشف الأمير علي بن الحسين هذه المؤامرة حين وقعت في يده مصادقة مكاتبات صرية كانت تدور بين وهيب باشا وحكومة الاستانة للفتك بالشريف وأولاده والقضاء على النزر اليسير من الاستقلال الذي كان يتمتع به الحجاز بين الولايات العربية وكانت هذه المكاتبات سابقة لاعلان الحرب ، ويبدو أن اشتراك تركيا في الحرب قد حال دون تنفيذها بغية اشتراك امراء الهاشميين والقوات العربية التي يستطيعون تجنيدها في معاركها في البلاد العربية .

ويروي الأمير سعيد الجزائري انه زار مكة في تلك الأيام وحل ضيفاً على الشريف وكان الأمير سعيد من دعاة التعاون مع الدولة العثمانية في تلك الحرب باعتبارها مركز الخلافة العثمانية ، فمضى يقنع مضيفه بذلك ، فاذا بالشريف يصارحه بنقمته على الأتراك ويندد بجرائمهم ويؤكد على ضرورة التحرر من نيرهم واستبدادهم ، « وقد بلغ الحلق والغيط من أمير مكة أقصى حد حتى أن أعضاءه أخذت تختلج عند ذكر هذه المآسي » فقال الأمير سعيد : « ولكنك يا شريف ، أنت ثاني رجل في الدولة العلية بعد الخليفة ، وإذا حدث للحكومة حادث فلا أحق منك أن يتقلدها لنسبك من رسول الله ، ولقوامك العظيم عند جميع المسلمين ، ومن لنا أمير غيرك إذا أصيبت الخلافة » ووعده بأن ينصح جمال باشا اثر عودته إلى دمشق بأن يغير منهجه ويعدل سياسته ^(٢) .

وفي العراق أعدم الجنرال نور الدين باشا القائد العام للقوات التركية في ما بين

١- الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٣١

٢ - جهاد نصف قرن ص ٥٩

النهرين وفي بغداد ، ١٠٥٥ شاباً من أحرار العراق ، عدا الذين قضوا شتقاً وماتوا في الصحارى. ولما خلف خليل بك ، نور الدين باشا واستولى على كوت العبارة ، أمر بشق أربعين وجياً واهداء نساءهم إلى ضباطه وجنوده ، ولكن هؤلاء النسوة العربيات آثرن الموت على العار ، فقفن بأنفسهن إلى دجلة وحملت مياه النهر جثثهن إلى شوارع المدينة . وانقض القائد عاكف بك بسبعة طوابير على بلدة الحلة التي يقطنها ثلاثون ألف نسمة ، فأبادهم جميعاً ولم ينج منهم سوى عدد قليل فر إلى البصرة^(١) .

وفي سورية كشفت السلطات التركية عن بوادر مؤامرة واسعة النطاق تحاك في الحفاء ولها مراكز في دمشق وبيروت وبعبك ومدن أخرى ، وهدفها إعلان الثورة على الأتراك والمناذاة باستقلال العرب ، فالتفت التدابير الصارمة ، وبثت الارصاد في كل مكان ، وألقت القبض على نخبة من شباب سورية ولبنان ، وحكمت عليهم بالاعدام ، فساروا إلى الموت باسمين وهم يرددون : « لا تبني الدول إلا على الجماع ، وهذه جاجنا أساس لدولتنا العربية ، فنحن باسم العرب نجيا وباسم العرب نموت ، وبموتنا تحيا الأمة العربية » .

لقد قبض جمال باشا على البلاد بيد حديدية ، وبث العيون في ربوعها ، وغطاها بشبكة من الجواسيس يتربصون بالمواطنين الدوائر ، ويحصون عليهم الأنفاس ، وإذا اعيتهم الحيلة يجمع تلك المعلومات اختلقوها من خيالاتهم .

وكان من الطبيعي أن يستهدف هؤلاء الجواسيس ، الشبان المثقفين الذين حملوا راية العروبة ودعوا إلى التحرر من نير الاستعمار .

وكان من جملة التقارير التي أرسلت إليه تقرير مفاده أن بعض أعضاء المنتدى يعملون على اخراج الدولة العثمانية من البلاد ، وإقامة دولة عربية ، وإن ثمة فرقة عسكرية مجهزة أحدث تجهيز ، مهمتها إغلاق الحدود ما بين سورية وتركيا .

ويقول جمال باشا في مذكراته أن بعض الأشخاص زاروه وقالوا له : « انكم

وضعت ثقة كبيرة في جماعة الإصلاح وخولتموهم حرية مطلقة في البلاد ولكنني أخشى أن يكونوا أساءوا استعمال تلك الثقة ، فان رضا بك الصلح وعبد الكريم الحليل ينظران عصياناً في جهتي الطبية وصيدا ، ولو تفضلتم بإجراء تحقيق لتبين صحة كلامي ، وقد أمرت بإجراء تحقيق فأثبت صحة ما قيل ، فأمرت بالقبض على رضا الصلح وعبد الكريم وشركائهما .

« وعثر موظفو المراقبة على كتب واردة من القاهرة تحت متنوري العرب على الثورة بدعوى أن تركية سوف تخرج من الحرب مخضودة الشوكة فتصبح البلاد العربية عرضة لاستيلاء الأجانب فيقتضي أن يذود العرب عن استقلالهم المهدد ، وقد استتجت من ذلك ان جماعة الإصلاح لم يعدلوا عن العصيان في سورية وفلسطين ، كما عجبنا لما أظهره عبد الكريم وجماعته من الولاء للحكومة منذ اعلنت الحرب حتى الآن » .

ولم يكن من المعقول تبوير اعتقال طائفة من خيرة شباب العرب اعتماداً على تقارير الجواسيس والنفعيين وحسب ، ولذلك عادت السلطات التركية إلى عتق دفاترها ، واستحضرت ذاكرتها قصة المؤتمر الذي عقد في باريس ، واتخذته ذريعة لاعتقال العديد من المثقفين وأعلام الرأي والفكر ، وان كان ذلك المؤتمر قد اتخذ الصفة الشرعية والقانونية لأن طلعت بك فاوض عبد الكريم الحليل ، على ضوء مقرراته ، فضلاً عن أنه من « الجرائم » التي شملها العفو العام الذي أصدره عام ١٩١٣ (١٣٣٢هـ) السلطان محمد رشاد .

ولكن هل للمستعمر منطق يركن اليه ، وهل للقانون عنده من حرمة ، وهكذا سبق أعضاء المنتدى وأعضاء حزب اللامر كزية بمن طالتهم يد البغي إلى الديوان العرفي في عاليه ، وأعدم السفاح ثلاث قوافل من أحرار العرب الذين قاوموا الاستبداد العثماني ودعوا إلى تحطيم القيود التي كبل بها شعوبهم مئات الأعوام . وقد أمر السفاح الديوان العرفي بعاليه بأن يقضي بأعدام القافلة الأولى في العشرين من آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ (١٣٣٤هـ) ، وكانت تتألف من أحد عشر شهيداً ، فنصبت المشاتي في ساحة البوچ ببيروت التي سميت فيما بعد « ساحة الشهداء »

وطوقتها كتائب الجند ، وجيء بالمعتقلين من سجن عاليه إلى دائرة الشرطة في بيروت ، وترفق الحرس بهم فلم يروا بالساحة الرهيبة لثلايروا مشانقهم !!
وفي دائرة الشرطة حشر المعتقلون في غرفة صغيرة وتلي عليهم حكم الاعدام وسمح لهم بكتابة وصاياهم .. وتركت هذه الوصايا وديعة لدى دائرة الشرطة لتسلم إلى أهلهم الذين لا يعلمون من أمرهم شيئاً .

وقبل ان ينبثق الفجر في ذلك اليوم المشؤوم ، سيق المحكومون إلى ساحة الاعدام بين صفوف من الجند ، وكان يمثل الحكومة العثمانية في هذه المأساة رضا باشا قائد فرقة عاليه وأعضاء الديوان العرفي ومدير البوليس محي الدين بك ، وقد ازدحمت في الساحة أشعثات من الناس تسامعت بالنبا فنها من جاء للفرجة ومنها من جاء والنقمة تترخ في صدره وتصرخ في ضميره .

وكان أول من صعد إلى سلم المشنقة عبد الكريم الحليل ، فأجال بصره في الحاضرين وقال : « إذا كان جمال باشا يتهمنا باضرار الثورة لاستقلال العرب ، فلا بد من ضحايا لهذا الاستقلال ، ولنكن نحن أول الضحايا .. » ثم هتف بجحاسة : « يا أبناء بلادي ، نحن أمة تسعى للاستقلال والتحرر من نير الترك . فيا أرض وطني احفظي ذكرانا ، وأنت يا سماء بلادي احلمي إلى كل عربي سلام هؤلاء الشهداء ، وقولي لهم أننا عشنا في سبيل الاستقلال ، ونموت في سبيل الاستقلال .. » واختنقت بقية الكلمات في حلقه لأن الكرسي كانت قد هوت من تحت قدميه ..

وجاء دور الأخوين محمد ومحمود الحمصاني ، فتعانقا وصعدا إلى منصة الاعدام معاً ، ولفظا روحيهما البريتين في وقت واحد ، وقال محمود بينما كان الجلاذ يربط الحبل في عنقه : « يشهد الله أن ما فعلته وما قمت به إنما كان عن اعتقاد راسخ بانني أخدم بلادي وانقذها .. لقد كنت في السجن أعرب تاريخ استقلال إيطاليا التي تحررت بدماء أخوين شهيدين ، فما أسعد حظنا أنا وأخي محمود إذا كان موتنا حياة للأمة العربية » .

وقال نور الدين القاضي وهو يصعد إلى المشنقة : « قولوا لأخي الأبيكي عليّ لأتي أموت ميتة الأبطال ! » .

وكذلك قضى بقية أفراد القافلة : عبد القادر الحرسا ، وصالح حيدر ، وعلي الارمنازي ، وسليم الأحمد عبد الهادي ، ومحمود العجسم ، ونايف تلو ، ومسلم عابدين .. لقد قضوا جميعاً والابتسامة لا تفارق ثغرم ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن أرواحهم لن ترهق عبثاً ، وان الأمل الذي قضوا في سبيله لن يلبث حتى يتحول إلى واقع حي .

وأشرفت الشمس بعد قليل لتشهد إحدى عشرة جثة معلقة في الهواء ، وكأنها أحد عشر شاهداً على استبداد العثمانيين ونذيراً لدولتهم بالزوال . ثم جاء الأمر فحملت هذه الجثث المباركة على « الطنابر » إلى رمال الصنائع حيث حفر لكل منها حفرة اودعت فيها ، أما الآخرين محصاني فقد ضمتها حفرة واحدة .

وقد برر جمال باشا اعدام هؤلاء الشبان الأحرار بما أورده عن كل منهم في كتاب « الايضاحات السياسية » :

١ - عبد الكريم الخليل : كان مع رضا الصالح في كل تحريكاته أثناء الحرب العامة ، خلاف ذلك فانه كان من الداخلين في جمعية اللامر كزية وفي تشكيلاتها السرية ، وسافر إلى مصر واشترك في مذاكرات اللامر كزية .

٢ - صالح حيدر : كان رئيساً لبلدية بعلي بك وهو ذو نفوذ في المنطقة التابع لها ووجوده على رأس بلدية بعلي بك ساعده على تعزيز موقف الحزب اللامر كزي ونشر الدعايات له . وقد كان عاملاً خطراً ضد الدولة العثمانية ومن أكبر المساعدين على إيجاد التفرقة بين الترك والعرب .

٣ - مسلم عابدين : كان يكاتب حقي العظيم ، وكان من الداخلين في جمعيته ، وكان معتمداً للجمعية في اللاذقية .

٤ - نايف تلو : كان من ضمن الداخلين في الجمعية ومعتمداً لها في البقاع ، وقد اعترف أنه أدخل أشخاصاً فيها .

٥ - محمد الحمصاني : أحد مؤسسي فرع بيروت للامر كزية ، وقد أبرزت له نصوص الكتب التي كتبها في الطعن بالادارة العثمانية وفي الشكاية من ظلم الأتراك وأذاهم ، فاعترف بصورها منه .

٦ - محمود المحصاني : كان من الذين دخلوا في اللامر كزبة، وأحد دعايتها السريين ، وقد أدخل فيها عدداً من الأشخاص ، وتسلم أختام فروعها في سورية ووزعها وكان يدير فرع بيروت .

٧ - عبد القادر الحرسا : كان من الداخلين في اللامر كزبة وجاء باختمها من مصر إلى بيروت وكان هو نفسه من أعضاء فرع بيروت .

٨ - محمود العجم : كان من الداخلين في فرع بيروت للامر كزبة كما اعترف هو نفسه وكان يؤدي التقاسيط الشهرية بانتظام ، واعترف أنه قرأ المنشورات .

٩ - سليم الأحمد عبد الهادي : كان معتمداً للامر كزبة في قضاء جنين .

١٠ - نور الدين القاضي : كان من أعضاء اللامر كزبة ، وكان يأخذ أختام الفروع ويسلمها إلى الفروع المختصة بها، وكما كان يتسلم الكتب والمنشورات الواردة من البريد الفرنسي .

١١ - علي الارمنازي : اعترف بأنه كان على صلة بالامر كزبين ، ثم ادعى بأنه انفصل عنهم . وكان معتمداً للحزب في حماه وقد جاءه نوري القاضي بالحكم^(١) . وحكم في هذه القضية بالاعدام غيابياً على حافظ السعيد نائب يافا في مجلس المبعوثان ، والشيخ سعيد الكرمي مفتي طولكرم ، وحسن حماد وغيرهم . وقد ابدل حكم الاعدام الصادر على الأول والثاني بالسجن المؤبد لتقدمهما في السن ، ومات الأول في السجن وأفرج عن الثاني في نهاية الحرب بعد اقامته نحو أربع سنوات سجيناً في قلعة دمشق .

تلك كانت القافلة الأولى ، أما القافلة الثانية من الشهداء فقد أعدمت في الساحة نفسها ، في السادس من أيار (مارس) سنة ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) وكان أفرادها قد نقلوا من عاليه إلى بيروت وهم ينشدون الأناشيد الحماسية ، متغنين بالقومية العربية ، مشيدين بالحرية التي نذروا لها دماءهم الطاهرة الزكية .

وكان عمر حمد أصغرهم سنّاً وأشدّهم حماساً ، وهو لا يفتأ يثير إباءهم العربي

وعزتهم الوطنية بقصائده الثورية .. وعندما أخذ رجال الشرطة يلبسون المحكومين
القمصان البيضاء جعل عمر حمد ينشد النشيد السائر يومذاك :

نحن أبناء الألى شادوا مجداً وعلا
نسل قحطان الأبي جد كل العرب
لسنا نرضى الأسر
قد عشقنا المجد من صغر فلن نرضى بذله
كل من يبغى علينا أمره بالظلم قل له
حاشا نرضى الأمر

وعبأ حاول الجلادون كم فيه ومنعه من الغناء ، فقد أصيب بنوبة من الحماسة
ارغبت رجال الشرطة على التراجع أمام تلك الكبرياء الوطنية المقبلة على الموت
بشجاعة وحماسة ليس لها نظير .

وكان طليعة الشهداء سعيد عقل وباترو باولي وجرجي الحداد، وقد صرخ رفاقهم
حين ساقهم الجند : « خذونا إلى المشنقة سوية ، فما أحلى الموت في سبيل الحرية
والاستقلال ! »

وحين أخذ الطبيب يفحص أجسام المحكومين الثلاثة ، التفت إليه باترو باولي
وقال ساخراً : « كان أولى بكم أن تحكمونا بعدل من أن تفحصوا أجسامنا ..
هلموا أسرعوا فما نحن بخائفين . » وكان رجل الشرطة المكلف بحراسة المحكومين
قد جاء بكاهن ماروني ودعا باترو باولي وجورجي حداد إلى تميم واجبهما الديني
معتذراً بقوله : « لا يوجد الآن كاهن من الروم ، فاعترفنا أمام هذا الكاهن » فقال
باترو لرفيقه : « وما ضرنا يا أخي إذا اعترفنا أمام الكاهن الماروني ؟ نحن نقوم بواجبنا
الديني ، وربنا يغفر لنا عن يد كاهنه الماروني كما يغفر بواسطة كاهن ارتوذكسي ،
ووالله لو قدر لي أن أتم واجباتي الدينية عن يد شيخ مسلم لما تأخرت ! » .

وتقدم سعيد عقل من منصة المشنقة بآباء وقال : « غفر الله لمن ظلمني ، وأسأل
ربي أن يكون دمي الذي تراق آخر نقطة منه ، حياة لبلادي وشرفاً لاسرتي

وأولادي » .

ثم جيء بعبد الغني العريسي وعمر حمد وعارف الشهابي ^(١) وكاث ثلاثهم من طلاب الكلية العثمانية ، وقد أصرروا على الموت سوية ، فقال عمر بالفرنسية : « بلغ يارضا باشا حكومتك الظالمة ان ظلمها سيكون سبباً في تقويض بنيانها » ثم قال بالعربية : « أموت شجاعاً .. سلت يمينك يا جمال .. وليحي العرب .. »

وأشار رضا باشا إلى الجلاد أن يسرع في عمله ، فدفع بالكروسي من تحته قبل أن يحكم الحبل في عنقه، فهوى إلى الأرض، وسال الدم من جرح أصيب به في رأسه، وأطبق عليه الجند قطعوه بسيوفهم وعلقوه على المشنقة من جديد .

واستذكر عبد الغني هذه الوحشية ، فصرخ غاضباً : « ان الانسانية ستنتقم منكم .. » وأراد الجلاد أن يعجل في وضع الحبل في عنقه قبل أن يتم كلامه، فاتهرة قائلاً : « احترم يا هذا ارادة رجل يموت ! » فقال الجلاد : « من يسمع كلامك وما الفائدة منه ؟ .. » فلم يلتفت اليه وقابع قائلاً : « بلغوا جمال باشا أن الملتقى قريب ، وان أبناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم أعناق أبنائك الأتراك ، وان الدول لا تبنى على غير الجاهم ، وان جهاجنا ستكون أساساً لاستقلال بلادنا .. » ثم قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .. وأشهد أن الخلافة للعرب إن شاء الله ! » .

وجاء دور توفيق البساط فسار إلى الموت وهو يردد : « ألا مرحباً بارجوحة الشرف ، مرحباً بارجوحة الأبطال .. مرحباً بالعمد التي تستند اليها الأمم في استقلالها .. مرحباً بالموت في سبيل الوطن الحر .. » وقد وضع يده الحبل في عنقه ورفس الكروسي من تحته .

وكان سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ من كبار الضباط ، فسقا إلى ساحة الاعداد بتيابها العسكرية وهما ينشدان، وقال سليم الجزائري قبل أن يشق مخاطباً رضا باشا : « قل للخنزير جمال ان لا يفرح بموتي لان روحي ستظل حية ، وستعلم

١ - قبض على عبد الغني العريسي وعارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط في مدائن صالح وهم يحاولون الهرب إلى الحجاز للانضمام إلى الشريف حسين .

أبناء البلاد دروس الوطنية من وراء القبر .

ثم سعد أمين لطفي الحافظ إلى المنصة متضاحكاً يرسل النكات ويهزأ بالدولة التركية واربتك الشرطي وهو يضع الحبل في عنقه ، فخر منه وقال له بلهجتـه المصرية : « ألم تتعلم الاعدام يا واد ؟ مش تحط الحبلـة بفن ونزاکة على الأقل .. جزاء خدماتنا للدولة ! » .

وألقي الشيخ أحمد طيارة وهو على سدة المشنقة قصيدة ثورية كان قد نظمها في الطريق بين عاليه وبيروت .

وتبعهم إلى عالم الخلود بقية أفراد القافلة: محمد الشنطي ، وسيف الدين الحطيب ، وجلال البخاري ، وعلي الشاشي .

ثم نقلوا إلى رمل الصنائع فدفنوا حيث ووري من قبلهم شهداء القافلة الأولى . وفي ذلك اليوم نفسه ، بل في تلك الساعة نفسها ، كانت تعدم في دمشق القافلة الثالثة من أولئك الأبطال الميامين ، وهي تتألف من شكري العسلي ، وعبد الحميد الزهراوي ، وعبد الوهاب الانكليزي ، ورفيق رزق سلوم ، ورشدي الشمعة ، والأمير عبد القادر الجزائري ، وشفيق المؤيد .

وقد تقدموا إلى المشائق برباطة جأش فادرة المثال ، وكان في مقدمتهم شفيق المؤيد وهو أكبرهم سناً ، فألقى خطبة بليغة موجزة بيتن فيها الغاية الشريفة التي كان يسعى إلى تحقيقها رجال العرب ، أما شكري العسلي فتلا قوله تعالى : « ولا تحسبن الله بغافل عما يفعل الظالمون » . وقد شتم عبد الوهاب الترك والاتحاديين الجرمين . وكان شاعر حمص الرقيق رفيق سلوم هادئاً مطمئناً وهو يقول : « مساكين هؤلاء الظلّام » .

وكان جمال باشا قد أمر بإعدام عبد الحميد الزهراوي دون محاكمة باعتباره عضواً في مجلس الأعيان ولا تجوز محاكمته إلا بأمر السلطان ! ولما أزيح الكرسي من تحت قدميه انقطع به الحبل ، فرفع مرة ثانية وشده الجلادون شداً قوياً ، ففاضت

روحه وهو يردد : « لينتقم الله من الظالم للمظلوم »^(١) .

وقد استطاع عبد الغني العريسي أن يرسل إلى أصدقائه إثر اعتقاله في مدائن صالح وهو في طريقه إلى الحجاز للاتحاق بالشريف حسين ، الرسالة الوصية التالية الموجهة إلى جميع العرب ، وقد حرصنا على نشرها نظراً لأهميتها التاريخية ولأنها تصور الأوضاع السائدة في تلك الفترة ومشاعر أحرار العرب ازاءها ، قال الشاب الشهيد :

« يا بني يعرب ويا سلالة قحطان ، يا نسل الأكارم الأماجد ، وبأخلف
الاشاوس الصيد الذين دوخوا العالم بعزمهم وملكوا الدنيا بعدلهم ، يا ذوي المهم
الشاء والنفوس العصاء والمآثر الغراء ، يا أباة الضيم ويا حماة الذمار حافظي العهود ،
يا أيها الأخوان المنتشرون في جميع انحاء العالم المعمور وأقطاره ، سلام .
أوجه خطايي هذا اليكم ، وأنا على شفير هاوية الموت ، وبين برائن الوحش
التركي الذي خرب بلادكم ، ودمر بيوتكم ، وبتم أطفالكم ، ورمل نساءكم ، وامتهن
حريتكم ، وحبس ملاك الحياة وقوامها عن أطفالكم المعولين وأولادكم الصارخين ،
ليقدمها طعاماً لاطماعه وليقيت بها أبناء عنصره الجيئ . أوجه اليكم خطايي هذا من
بادية الشام ، من بين مضارب أخوانكم الأعراب الأسود ، الذين عليهم المعول
الأكبر في انقاذ البلاد ، ودك عرش الظلم والبغي والجور وكل فاحشة ومنكر .
وقد لا يصلح كلامي هذا قبل وصول منعاي ، لأن الأتراك الظالمين الكفرة
قد أصدروا أحكامهم الجائرة علي وعلى عشرات غيري من خيرة أبناء سورية ، وبعد
ما أفلت من أيديهم وأصبحت حراً حيث تتجلى الحرية بأسمى مظاهرها بين خيام
الأسود ومضارب الظباء ، أرى الواجب عليّ بدعوني إلى نواحي الشام ، وإني مبكر
غداً بعد أن أعهد إلى أخي في الجهاد ... النجدي ، في ابلاغكم خطايي بالطريقة التي

١ - الكلمات التي أوردناها على لسان الشهداء هي الكلمات الحرفية التي نطقوا بها
في لحظاتهم الاخيرة وقد رجعنا فيها الى مؤتمر الشهداء ص ١٧٠ - ١٧٦ وفيه ذكريات
شخصية لغايز الخوري وذكريات احمد ناصر الذي حضر اعدام الشهداء في بيروت كما رواها
ميشال زكور ، وثورة العرب ص ١٧٨ - ١٨٠ والثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٨٢ - ٩٢
وعشت وشاهدت ص ٢٤٢ - ٢٥٠ ونهضة العرب : التحرر فلالستقلال فالدولة ص ٥٦ - ٦٥

يراها ، فان تيسر لي الخلاص والإفلات مرة ثانية اتممت الواجب ، والا فحسبي انني خدمت أمتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي ، ولست بالفدائي الأول الذي يموت اليوم في سبيل القومية العربية ، فالرفاق كثيرون ، والغاية النبيلة التي نقوم بها ندعو اليها تقتضي ضحايا كثيرة ، لأن أركان الحرية والاستقلال لا تثبت إلا على الدماء الذكية ، ولا تصان بغير النفوس الأبية ، فلا تيأسوا إذا بلغكم ان مئات من نخبة رجال الامة العربية قتلوا ، فالغد يتلوه غد أيضاً ، وبعد غد فرج إن شاء الله .

ستمعون ، وربما سمعتم ، بما ترتعد له الفرائص وتتشعر له الأبدان من الفظائع التي يمثلها أبناء جنكيزخان المغولي وسلالة تيمورلنك الوحش الضاري ، في الأمة العربية النجيبة ، لأنهم قد قرروا إفناء الشعب السوري برمته حتى الأطفال ، وهم منذ أشهر عاملون على احتكار الاقوات تحت سلطتهم العسكرية ، وقد قرروا أيضاً بحق العراقيين الأباة ، ولكنهم في العراق اقصر يداً بما هم في سورية .

ربما خلت سورية من ثلثي سكانها الحاليين ، لأن من ينجو من المشنقة يمتونه تجويعاً وهزلاً ، ومن كتب له عمر في دفتر القدر ينفونه إلى الأناضول والرومي ، فيندغم هناك في العنصر التركي ، ويصبح تركياً بعد قليل من الزمن لا يذكر أحفاده أصلهم الشريف ، وقد باشر هؤلاء الكفرة الذين رفع العرب مجدهم وصانوا عرشهم ، إذلال العرب وإبادتهم ، فاعملوا السيف والمشنقة ، ونفوا عائلات كثيرة من سورية ولبنان المحبوبين ، وأخذوا يعدون معدات الهلاك ويفرغون البيوت ويخلون القرى والمدن - في سورية المفداة - من سكانها لكي يسكنوا مهاجري الأكراد والأتراك ، ويعيدوا بواسطتهم تمثيل المأساة المفجعة التي منلوها بالعنصر الأرمني الشريف الباسل ، بالأمة العربية .

لقد حاولوا قتل لغتنا ، وجربوا أن يمتوا عاطفتنا القومية ، وبذلوا الجهد في تزييننا فلم يفلحوا ، كل هذا ونحن صابرون صبر الكرام ، أما وقد باشروا إبادتنا وإجلاء من يبقى من المزارعين والعمال عن البلاد السورية إلى حيث يفقد جوهر عنصره الشريف ، فلا صبر على هذا ولا طاقة .

ان قائد الفيلق الرابع جمال باشا الجاسوس الأكبر ، قد عرقل بحيله مساعي

وأخر قيامنا ، فانه بعد خيبته بغزوة مصر واسترجاع القطر الشقيق إلى العبودية ،
تظاهر بالميل إلى العرب وأسرّ إلى عشرات من كبار الشعب السوري انه يريد
الاستقلال بسورية ، وقد ألمع مرات في الولايم الخاصة التي كانت تقام له إلى
استقلال سورية ، وحث المتنفذين على النهوض والقيام وشق عصا الطاعة على الحكومة ،
فوثق كثيرون منا به ، ولكن البعض الآخر منا لم يأمن غدره ولا تغافل عن تبييه
اخوانه إلى الحذر من الوقوع في حبال مكره ، وقد تمكن بهذه الأساليب الخداعة
والأكاذيب السياسية من اكتشاف بعض دخائل السوريين ، فأعمل فيهم السيف ،
وأمنع فيهم قتلاً ، ولكن سيفه ومشنقة دواوينه العسكرية ، وأحكامه الجائرة
ومنكراته الفظيعة هذه كلها ، كانت أكبر مساعد لنا على دعوتنا ، وأعظم منشط
لنا في جهادنا ، وهي ان تكن آخرت أو ان القيام به ، إلا انها وطدته وثبتته ودعتنا
إلى التحفظ والتعقل والروية والتفكير .

نحن الآن نطلب حياتنا من برائن الموت . ان خطتنا منظمة كما يجب ، وستجود
سورية بالمبشرين بدين الاستقلال العربي . . والفرج معقود على أسنة الأسل ،
ومكتوب على سفار بيض الطبى . الفرج يأتي من البادية والجدوة الميمونة المتقدمة
الآن في الحجاز هي فاتحة البركات للبلاد العربية جمعاء .

لا تلبث نجد ان ثور ، والأسد العراقي ان يشب عندما تصل اليه الامداد ،
والشبل السوري الضعيف المحبوس في قفصه الحديدي ستهب النخوة القومية وتكسبه
الغيرة الجنسية قوة وعزماً ، فيكسر قضبان سجنه الفولاذي ، ويحطم بقوائمه رأس
مقيده ، وقد لا ينقضي الحريف وتهب عواصف الشتاء إلا وتثور زوابعنا وتنقض
صواعقنا على هامات الظلام الأوغاد الاجلاف العلوج .

فيا اخواني الأعزاء المهاجرين في الأصقاع البعيدة عن مظالم الأتراك وجورهم ،
أطلب اليكم باسم القومية الشريفة التي ننتمي اليها ، ان لا تتقاعسوا ولا تتقاعدوا
ولا تتصاموا عن نداء الوطنية والحرية والاستقلال العذب الذي يدعوكم إلى الاتفاق ،
إلى الاتحاد ، إلى التعاضد ، إلى الوثام ، إلى الانضمام والاتلفات لما فيه خيركم وخير
بلادكم ، ونجاة ذويكم وحريمكم وأعراضكم من الدمار والفناء والموت والانتهاك

والدنس .

اعلموا ان اخوانكم هنا يقدمون ارواحهم ويضحون نفوسهم في سبيل القومية ، فلا تضنوا انتم بالاتحاد والاتفاق ، والتمس منكم ان لا تفترقوا فرقا وطوائف ، فالיום لا مسيحي ولا مسلم ولا يهودي ولا درزي ولا وثني ، بل الجميع عرب وفي العرب وللعرب ، لا لبناني ولا بيروتني ولا شامي ولا حلي ولا حمصي ولا حموي ، فحظ بيروت هو حظ لبنان وحظ الشام وحلب وفلسطين والعراق والحجاز واليمن . اني لعلی ثقة بما أقول فلا تشكروا ، وحدوا جمعياتكم ، وحدوا أفكاركم ، وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاربكم واذواقكم ومسايعكم .

ادعوك أيها الاخوان المحبوبون ، اينما كنتم وحيثما اجتمع منكم عشرة ، ان تبادروا إلى تأليف جمعيات باسم سورية تتعارفون بها وتتفاهمون وتكرسون مما رزقكم الله من خيراته وبركاته ونعمة أمواله لأجل سورية الجديدة ، لأجل سورية المستقلة . »

أما جمال باشا فقد أذاع إثر اعدام الشهداء في ٦ أيار (مايو) بياناً رسمياً جاء فيه : « جرى القصاص على بعض الأشخاص المنتسبين إلى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية ، تحت تمويه عنوان « حزب اللامر كزية » ، والذين حوكموا في ديوان حرب العرفي بعاليه ، كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اغستوس سنة ١٣٣٣ بأن التحقيقات جارية بصورة دقيقة ، بحق أعوانهم الأشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلاً ..

وسيق إلى ديوان حرب عاليه الأشخاص الذين ظهر أن لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة ، مع من تبين أن لهم دخلاً في المساعي الخائنة ، التي تدل على اشتراكهم مع العدو ، ضد الخلافة الاسلامية واستقلال الوطن ، بتنفيذهم ترتيبات الجمعية ، وتشبثاتها وأعمالها ..

وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي أجراها الديوان العرفي في عاليه ، صدرت الأحكام المقتضاه بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين ، كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية ، التي غايتها أو مقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن

رأية السلطة العثمانية وجعلها إمارة مستقلة ..

فحكم بالاعدام علي شفيق بن أحمد مؤيد العظم ، والأمير عمر ابن الأمير عبد القادر (الجزائري) وعمر بن مصطفى حمد ، ورفيق بن موسى رزق سلوم ، ومحمد بن حسين الشنطي ، وشكري بن بدري علي الغسلي ، وعبد الغني بن محمد العريسي ، وعارف بن محمد سعيد الشهابي ، وتوفيق بن حمد البساط ، وسيف الدين بن أبي النصر الخطيب ، والشيخ أحمد بن حسن طيارة ، وعبد الوهاب بن أحمد الانكليزي ، وسعيد بن فاضل عقل ، وباترو باولي ، وجرجي بن موسى الحداد ، وسليم بن محمد سعيد الجزائري ، وعلي بن الحاج عمر النشاشيبي ، ورشدي بن أحمد الشمعة ، وأمين لطفي بن محمد حافظ ، وجلال بن سليم البخاري .

لثبوت استراكتهم في هذه التشبشات ، بالدرجة الأولى وبصورة فعلية ..

وحكم على من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية وهذه أسماؤهم والاحكام عليهم :

سليم بن مصطفى مظلوم ، بالاعتقال بالقلعة خمس سنين . توفيق بن محمد الناطور ويوسف مخير حيدر ، بعشر سنين ، حسين خليل حيدر ، بخمس عشرة سنة . رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد ، الأمير طاهر بن أحمد الجزائري بعشر سنين في الكورك .

وحكم على الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتثبت الحقيقي ، ثبت وجود مساعده لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة ، اما بسائق الجهل ، أو التصلف ، وانما لم توجد عليهم وثائق تنور « وجدان » الهيئة الحاكمة وتثبت مجرميتهم واستراكتهم وهما رضا الصلح وأسعد حيدر ، باعادتهما إلى منفاهما .

وأعطي القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من : محمد أفندي ، وكامل الهاشم ، وإبراهيم القاسم ، وسامي العظم ، والشيخ جمال الدين الخطيب ، وعبد الحميد معلم الرسم ، وعبي الدين فريجه ، والبيطار حسين صبري ، ورشدي الغزي ، وعاصم بسيسو الغزي ، وعزت الاعظمي ، ومصطفى الكيلاني ، وعبد الرحمن جنون ، والدكتور حسام الدين ، ونجيب شقير ، والشيخ فتح الله ، والدكتور أحمد قدري ، وسليم

الطيارة ، وجميل الحسيني ، والمفتي سعيد أفندي الباني ، وسليم الشمعة ، وسليم البخاري ، وفانز الحوري ، ورشيد الحشمي ، وعمر الأتاسي ، والبكباشي علي رضا ، والدكتور أمين قزما ، وسعيد عدرة ، والدكتور عبد الحفيظ ، واليوزباشي جميل ، وفريد باشا اليافي ، وعثمان العظم .

وبعد ان عدد البيان أسماء الأشخاص الذين منعت محاكمتهم أو برئت ساحتهم قال : « ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد والأمير عمر الجزائري ، وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي ، ورشدي الشمعة ، ورفيق رزق سلوم ، قد جرى اعدامهم في هذا الصباح في الشام ، والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار سوقهم إلى منقاهم وجبوسهم . وعلى هذه الصورة تقرر إذن في سورية وفلسطين ، السكون والأمن المحتاج اليها » إلى الأبد .

وبما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التشبثات لم تتسع ، بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية من شوائب الظنون والشكوك بأسرها ، بل حصرت بين بعض أشخاص مسلمين ومسيحيين لا أهمية لهم ، ولا يكاد يتجاوز عددهم المئتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً ، وجاهياً وغيباً .

وبناء على الصلاحية التي تخولني إياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ آذار سنة ١٣٢١ ، المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوصل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجراءاتها ، فاني ساع في إبعاد أولئك الأشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من أسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد ، إلى بعض ولايات الأناضول .

وقد اتخذت الأسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في الحال التي ينفون اليها ، وتحت عناية الحكومة السنوية وعاطفتها ، وسيعطون هناك أراضي وأملاكاً قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية .

واني أوصي جميع الأهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة، على أنه من الآن وصاعداً لم يبق محل لأجراء التعقيبات والابعاد إلى الولايات العثمانية في حق أحد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيانتة .
قائد الفيلق الرابع وناظر الخارجية أحمد جمال (١) .

أما الذين صدرت أحكام الإعدام بحقهم غيائياً دون ان تستطيع السلطات التركية القبض عليهم فهم : رفيق العظم ، حقي العظم ، الشيخ سعيد رضا ، داود بركات ، فارس نمر ، الدكتور شبلي الشميل ، خليل مطران ، ابراهيم النجار ، جورج عبد المسيح ، جبرائيل اصف ، نجيب غازوري ، جورج بحري ، الأمير خليل ابو الملع ، خليل بولاد ، حبيب بولاد ، نجيب البستاني ، أمين البستاني ، يوسف البستاني ، فيليب سمان ، نجيب قطان ، نجيب قريصاتي ، جورج دوماني ، جورج قريصاتي ، كميل اده ، جان عيد ، نجيب غناجه ، الدكتور غرزوزي ، نعمة الله غانم ، روفائيل غرة ، ميشال لطف الله ، الدكتور يوسف كجيل ، يوسف الحازن ، جورج خير ، وشيد خياط ، ادمون ملحمه ، الدكتور خليل مشافه ، يوسف سمعان صيدناوي ، الياس حنين ، سليم شمیل ، ماريوس شمیل ، يوسف حبيب زفانيري ، الياس زهار ، ألفونس زينية ، فؤاد الخطيب ، قسطنطين بني ، حسن حمادة ، عبد الحفيظ الحسن ، رزق الله أرقش ، سليم ثابت ، عزت العابد ، شكري غانم ، بشارة البواري ، اسكندر سرسق ، ادوار كرم ، جبرائيل حداد ، سيمون أبو شنب ، قصر أبو شنب ، أسعد باسيلا ، نجيب أيوب ، الفريد ليان ، أسعد مفرج ، أنطون أرقش ، نجيب موسى ، دياب سليم بولس ، الأمير أمين مجيد ارسلان ، سعيد نجير ، رشيد ققي الدين ، يوسف صموئيل . وجميعهم من السوريين واللبنانيين الذين رحلوا إلى مصر أو أوربة أو أميركة باستثناء عزيز المصري (٢) .

وأعدم عدد آخر من الشهداء بصورة مفردة هم الحوري يوسف الحايك، وفيليب

١ - ثورة العرب ص ١٦٤ - ١٦٧ الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧١ - ٧٢

٢ - الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٦٢

الحازن ، وفريد الحازن ، ويوسف بشارة الهاني ، وانطوان زريق ، وسليم زريق ،
ومسعود المهليل ، وعبد الله الضاهر .
أما الذين قضوا في المنافي أو في الطريق إليها ، فأكثر من أن يحصى عددهم ،
رجالاً ونساء وأطفالاً .
وقد بكى الشعراء تلك الباقية الفواحة من الأزاهير التي ذوت على أعواد المشائق ،
في قصائد لاهبة لعل أروعها قصيدة الزهاوي « النائحة » وهي تقارب المائة والستين
بيتاً وقد سماها أنيس المقدسي « معلقة الشهداء » وبما قال فيها :

على كل عود صاحب وخليل	وفي كل بيت رنة وعويل
علاها وما غير الحمية سلم	شباب تسامى للعلى وكهول
لقد ركبوا كور المطايا يحثهم	إلى الموت من وادي الحياة رحيل
رجال عليهم من سنا الفضل رونق	وللمجد فيهم غرة وحجول
مشوا في سبيل المجد محذوم الردى	وللحق بين الصالحين سبيل
قبور بيروت وأخرى يجلتى	تجر عليها للرياح ذبول
سرت روحهم تطوي السماء لربها	وما غير ضوء الفرقدين سبيل
لعمرك ليس الأمر ذنباً أصابه	قصاص ، ولكن يعرب ومغول

وبعد ان يصف مظالم الأتراك يحيي العرب وزعيمها الشريف حسين وأنجـاله
الأبطال بقوله :

وكان لأخذ الثأر قد ثار ضيغم له في مغار الغابتين شبول
أغر كرم الأصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطابت أصول

ولكن مواكب الفداء لا تبعث على البكاء بل تستثير الاعتداد والكبرياء ،
ولا تدعو إلى النواح وإنما تهيب إلى النضال والكفاح ..
وقد كانت قوافل الشهداء تسير إلى الموت بخطى ثابتة متحدية ، وتستقبل أعواد
المشائق وهي تزهو وتبتسم ..

لقد كانوا يتسمون لفجر الصادق الذي انبت في تلك الأيام الخالدة من أيام
البطولة العربية ، ونبتت منه جداول الخير والحياة والكرامة واختفت معه آخر
خيوط الليل الطويل ..
وكانت البلاد العربية تشخص إلى بيروت ودمشق زائفة البصر، وتنتصت واجفة
القلب ، لتتلقى عن أولئك الأحرار السابقين سر البطولة وعظمة التضحية وشرف
القدوة !..

الفصل العاشر أمانة قوميّة في يدى الحسين

رأى قادة الأتراك في الحرب الكبرى ، وفي محالفة المانية لهم ، فرصة سانحة لحلق القوميات التي تيقظت في امبراطوريتهم المترامية ، والقضاء على نزعات التحرر ، والقاء الرهبة والهول في قلوب المخالفين والمعارضين لحكمهم ، فأهلك طلعت وانور نحو مليون نسمة من الارمن تقيلاً ونجوعاً واغراقاً في دجلة والفرات ، وانهاكاً على دروب المنافي التي سيقوا اليها في هجرات جماعية اجبارية شاقة . وأخذ جمال باشا ينفذ في البلاد العربية خطة بمائة للقضاء على القومية العربية تلك الغرسة الكريمة التي تأصلت جنورها وتعال غصانها وتفتحت براعمها .

وقد اقترنت أحكام الاعدام التي اصدرها بأحكام النفي والإبعاد فقبض في شهري آذار ونيسان (مارس وابريل) سنة ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) على أفراد ثلاثية أسرة من أمر سورية ولبنان وفلسطين ، وسيقوا إلى الأناضول رجالاً ونساء وأطفالاً ، بعدما صودرت أملاكهم وأموالهم فوزعوا على مدنه وقراه قاصيها ودانيها فمنهم من أرسل إلى ولاية قونية ، ومنهم من أرسل إلى أنقرة وأرسل غيرهم إلى ديار بكر وبروسة وأضنة وسيواس وقسطنطيني^(١) .

١ - الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧٣

ولم يكن القصد من إبعاد هذه الأسر اتقاء خطرهما وإضعاف الحركة الوطنية وحسب، بل كان القصد الأول تشتيت العائلات العربية وزرعها في مناطق تركية صرفة كي تفقد قوميتها مع الأيام وتندمج في القومية الطورانية .

إلا أن جمال باشا قد زعم أن هذا التدبير إنما هو تدبير احتياطي ، ثم تطف فقال أنه إنما أرسل النساء والأطفال مع الرجال لكي يعيشوا بشكل عائلة ولا يكونوا في حالة سيئة^(١) .

وكانت السلطات التركية تكشف عن خططها الافائية بأعمالها الارهابية المتتابة وتدابيرها الاحتياطية المختلفة ، وفي مقدمتها نقل زكي باشا الحلبي وهو أحد كبار الضباط العرب من قيادة الجيش الرابع الذي تشمل دائرة نفوذه العسكرية والادارية البلاد الممتدة من جنوبي طوروس حتى اليمن أي مقاطعات كيليكية وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز ، فقد عين زكي الحلبي مرافقاً للامبراطور غليوم وأسندت قيادة الجيش الرابع إلى جمال باشا . وكانت أول ما فعله جمال باشا في دمشق أنه حل كتيبة ضباط العرب الشبان وعددهم ٨٠ شاباً من خريجي المدارس العالية، وأرسل رجالها إلى ميادين القتال في الدردنيل والقوقاس، فقتل معظمهم في الميادين النائية وكانت الفرق العسكرية العربية ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ تؤلف الفيلق التركي السادس وقاعدته دمشق والفرق العسكرية العربية ٣٣ و ٣٥ و ٣٧ تؤلف الفيلق التركي الثالث وقاعدته الموصل ، فأرسلها جميعاً إلى غاليسية للاشتراك مع النمسيين والألمان في صد الهجوم الروسي المتدفع من جبال الكاربات .

وكانت السلطات التركية قد اعتقلت عزيز المصري في الاستانة ، وهو من مؤسسي جمعية العهد ومن رواد الفكرة العربية ، وكانت علاقته بالشبان العرب في العاصمة التركية علاقة المعلم بتلامذته أو الأب ببنيه ، وقد امتاز بشخصيته القوية وكانت حياته سلسلة من المغامرات العسكرية والوطنية ، ومنها اشتراكه في القضاء على فتنة ٣١ آذار (مارس) وخلع السلطان عبد الحميد بقيادة الجنرال محمود شوكت .

وقد أثار اعتقاله استنكاراً شديداً في الأوساط العربية لمكانته الرفيعة وخدماته المتعددة للدولة . وقد كثرت الشائعات حول اعتقال عزيز المصري وقيل انه سيقتل في معتقله كما قيل انه سيقدم إلى المحاكمة، وظلت قضيته المظهر الوحيد تقريباً لنشاط الحركة العربية في الاستانة طوال مدة اعتقاله ، وقد استمر هذا الاعتقال من ٩ شباط (فبراير) سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) إلى أوائل آب (أغسطس) من تلك السنة ولم تنفع جميع اللتماسات التي قدمت للإفراج عنه ، ولم تطلق الاستانة مراراً إلا بعد تدخل سفير بريطانيا فيها ، فبادر بالرحيل إلى مصر .

وكان الامبراطور غليوم قد أهدى قنديلاً ليعلق على ضريح صلاح الدين الأيوبي، فقرر ان يحتفل بوضعه ليلة القدر (٢٧ رمضان ١٣٣٣ أيلول - سبتمبر ١٩١٥) وان يخاطب في هذه الحفلة الدكتور عبد الرحمن شهنندر بالعربية والوالي خلوصي بالتركية والبارون اوبنهايم مندوب الامبراطور غليوم بالفرنسية (في الجامع الأموي) ونظم الحفلة بكلمة من جمال باشا . وانتبه الدكتور شهنندر هذه المناسبة فتحدث عن صلاح الدين وعدله وسعة صدره وإنصافه حتى في معاملة أعدائه وقال: « وما علي جمال باشا إذا أراد أن يحفظ التاريخ اسمه كما حفظ اسم صلاح الدين إلا ان يسير على منواله في العفو والرحمة والرأفة بالناس » ، فما كاد ينتهي من خطابه حتى تقدم جمال باشا إلى المنبر غير متقيد بنظام الحفلة وقال: « ليس السلطان صلاح الدين الذي أسهب في مدحه الدكتور شهنندر الخليفة الوحيد في عظمته ، بل ان التاريخ حفظ اسم السلطان سليم بين كبار الخلفاء أيضاً مع انه قتل بأخوته وبأهله وبرجال دولته لأنه وجدهم قد تأمروا عليه وهددوا المملكة الاسلامية وسأخذ القانون مجراه في معاقبة الذين تجرأوا على معاداة الدولة والتآمر على سلامتها^(١) » .

وكان الوالي خلوصي بك صديقاً للدكتور شهنندر وغيره من قادة الحركة العربية بدمشق، وكان قد احتج إلى الباب العالي على استبداد جمال باشا وانتهاكه حرمة القوانين ، وطلب ان يؤذن له بالسفر إلى الاستانة إذا لم يوقف السفاح عند حد ،

فتلقى إذناً بالسفر وخرج الدكتور شهنبر يودعه فأشار عليه بمغادرة دمشق في أقرب وقت، فلم ينقض وقت قصير حتى سافر الشهنبر إلى البصرة ثم انتقل منها إلى مصر. وعلى الرغم من أن جمال باشا كان قد وعد في البيان الذي أصدره إثر إعدام الشهداء في بيروت ودمشق بأنه «من الآن فصاعداً لم يبق محل لأجراء التعذيبات في حق أحد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيائته» فإنه ما لبث أن قبض على شكري باشا الأيوبي والشيخ صالح الرافعي وفارس الحوري نائب دمشق يومئذ وعمر الرافعي والشيخ عبد القادر كيوان وسعدي المنلا ورشيد الرافعي وعبد الحميد باشا القلطي وشكري القوتلي والدكتور أحمد قدري. وكان الاثنان الأخيران من أقطاب جمعية العربية الفتاة، أما الآخرون فمن الناقمين على الاستبداد العثماني.

وقد عذب المعتقلون عذاباً شديداً في خانباشا بدمشق حتى خشي شكري القوتلي وهو أمين الجمعية وبين يديه مستندات ووثائق وأسماء أعضائها، أن ينتهي به التعذيب في ساعة من ساعات الضعف إلى الإفناء بما أوثمن عليه من أسرار تبيد ما لا يقل عن ثلاثمائة شاب من خيرة شباب العرب. فقرر أن يفندي بنفسه هذا العدد الكبير من رجال المستقبل ودعاماته القوية، وأن يزيل بالانتحار الهواجس التي جاشت في نفسه خوفاً عليهم وعلى الحلم الذي تعهد غرسه بدموع عينيه ودماء قلبه. ووضع السجين خطته للانتحار، وكانت تقضي بالتودد لحارس السجن والكتابة لأمرته للعناية بأمره ورشوته بالمال والمعونة، حتى استطاع الحصول منه على موسى بحجة أنه يريد أن يحلق ذقنه، فإذا به يصلي صلاة الموت على نفسه، ثم يقطع شريان يده اليسرى ويستلقي على الأرض فاقد الوعي..

ومر السجن بغرفته فشاهده على تلك الحال فارتجف واتسعت حدقاته، وهرول إلى الطبيب يستدعيه لإنقاذه. ونقل الجريح فوراً إلى المستشفى حيث أجريت له الاسعافات التي أبعدت عنه الخطر وأعادت إليه الحياة^(١).

وقد صدر قرار الديوان العرفي بدمشق بتبرئة المتهمين، وحمله رئيس الديوان

فخر الدين بك إلى جمال باشا فغضب والقاه في وجهه قائلاً : « أنا أريد عقوبة لا براءة » المحاكمة فاعيدت مجدداً وحكم بتبرئة بعض المتهمين وإدانة بعضهم ، إلا أن ديوان التمييز العسكري بالاستانة ما لبث أن نقض الحكم وبرأ المتهمين جميعاً لأن الجرم المنسوب اليهم لم يخرج إلى حيز التنفيذ. وكان الباب العالي قد قرر على أثر فظائع جمال باشا أنه لا يجوز اعدام المحكومين السياسيين قبل ارسال قضايهم إلى الاستانة لابتداء الرأي فيها .

والواقع ان موقف المناضلين العرب أمام المحققين الأتراك كان من أروع صفحات الكفاح العربي ، فقد تفنن هؤلاء في أساليب الارهاب والتعذيب دون ان يستطيعوا انتزاع كلمة واحدة من اولئك المناضلين تضر باخوانهم أو بشيء إلى قضيتهم . وقد حوكم شهداء ٦ أيار (مايو) ١٩١٥ (١٣٣٤ هـ) على انهم من أعضاء حزب اللامر كزية والواقع ان معظمهم كانوا من أعضاء «العربية الفتاة» وهي الجمعية التي كانت تقود المعركة في وجه الأتراك . فحقق معهم وحكم عليهم وعلقوا على أعواد المشائق ، دون ان تعرف السلطات شيئاً عن « العربية الفتاة » ، وظلت تجهل أمرها حتى أعلنت الثورة .

وقد نسب إلى عبد الغني العريسي انه اعترف بأسرار كثيرة تدين اخوانه ، والواقع ان افادة العريسي كان لها أثرها القوي في ابعاد الظنون عن «العربية الفتاة» وحصر الاهتمام بمقررات مؤتمر باريس والجمعية الاصلاحية في بيروت ، بما هو معروف ومدون في الصحف ، إلا ان المحققين استغلوا أقواله هذه واستندوا عليها في الحكم عليه بالاعدام نظراً لجهلهم ما كان منشوراً منها في الصحف ^(١) وهكذا ضحى العريسي بنفسه لانقاذ جمعيته واخوانه .

ومن أروع ما يرويه الدكتور أحمد قدرى أن سيدة محجة ترتدي السواد زارته ذات ليلة بعد استشهاد اولئك الأبطال وقالت له بصوت راعش أنها شقيقة الشهيد

١ - انظر الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧٥ ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٥٢ ، محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٤٣

-صالح حيدر وكانت أسرة الدكتور ترتبط مع أسرة صالح حيدر بصلة المودة والجوار حين كان والده قائداً لمنطقة بعلبك وأضاف ان شقيقها قضى ضحية الواجب نتيجة لتسرب بعض الوثائق إلى أيدي السلطات وينبغي لقادة الحركة العربية مضاعفة الحذر والاحتياط كي لا تقع ضحايا جديدة . ونظراً لثقتها بها فقد قابل طلبها بكل ارتياح ورجاها ان تقصد إلى بيروت لتتصل بفاطمة شقيقة المرحومين محمد ومحمود الحمصاني كي تأخذ أوراق الجمعية ومستنداتها من المكاتب المودعة فيه وهو قبر ولي بالقرب من بيت الحمصاني ثم تحرقا الوثائق وتبنيها بنتيجة الأمر . ولم تتأخر الفتاة عن الشخص ليلاً إلى بيروت وانفاذ ما طلب منها بكل دقة . وقد لاقت لدى شقيقة الشهيد محمد ومحمود الحمصاني كل مساعدة وعطف « ولو وقع أي تقصير في هذه المهمة لكان الشنق بلا ريب نصيب معظم الأعضاء العاملين في الحقل الوطني ، إلا ان شجاعة هاتين السيدتين المكوّلتين وحسن نيتها كان من أشرف الأعمال الوطنية وآية رائعة من الاخلاص والقيام بالواجب »^(١) .

وكان أمير مكة قد هالته تلك السياسة الارهابية التي انتهجتها تركيا ، فأوفد نجله الأمير فيصل إلى دمشق مطالباً بالعفو عن المتهمين السياسيين ومنع سورية ما تطلبه من نظام لا مركزي ، وعزز ذلك بالبرقيات المتعددة التي أثارت جمال باشا وأنور باشا اللذين كانا يحثانه على تعبئة المتطوعين وإعلان الجهاد، وكاد موقفه هذا يؤدي إلى اعتقال الأمير فيصل وزجه في عداد الشهداء .

وقد جاء في برقيته إلى أنور باشا ما يلي :

« ان خروج الدولة العلية منصوراً من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب والجانب الأهم من مبادئ القتال في بلادهم وتأييدهم لها قلباً وقالباً في نضالها .

ويلوح لي ان ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام

عدد كبير من أبنائه بتهم سياسية مختلفة والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية بالدواء الآتي :

- ١ - اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .
 - ٢ - إنالة سورية ما تطلبه من نظام لا مركزي .
 - ٣ - جعل إمارة مكة وراثية في أولادي وإبقائها على حالتها الحاضرة .
- فاذا قبلت هذه المطالب فاتعهد بجشد القبائل العربية بقيادة أبنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ، وإذا لم تقبل فأرجوكم ان لا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتهاال للحق جل وعلا أن يهب الدولة النصر والتوفيق . »
- وأجابه أنور باشا بالرد التالي :
- « وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة ان احراز النصر يكون باشتراك جميع أبناء الأمة قلباً وقالباً .

ولما كان طلب اعلان عفو عن بعض المتهمين، وتطبيق نظام الامر كزية في سورية، واستبقاء إمارة مكة في شخصكم السامي وفي أولادكم، خارجاً عن اختصاص سيادتكم فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء .

واني ابلغكم انه لا بد من ان ينال الموقوفون عقابهم ، كما ان حقوق سيادة ملجأ الخلافة ستظل في الحجاز على ما كانت عليه وكما هي في جميع الممالك الشاهانية، وأوصيكم ملجأ بأن تستدعوا ولدكم علماً الموجود في المدينة إلى مكة، وترسلوا المجاهدين الذين وعدتم بارسالهم إلى دمشق ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل بك . وبديهي انه سبطل ضعفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب . والأمر لمن له الأمر » .

وكان واضحاً من برقية أنور باشا انه قرر احتجاز الأمير فيصل واستبقائه لدى الجيش الرابع كرهينة حتى تنتهي الحرب، لارغام الشريف حسين على تنفيذ مطالب القيادة التركية وتوقفه عن القيام بأية حركة معادية . وقد أدرك الشريف ذلك فأجاب على برقية أنور باشا بالبرقية التالية :

« لقد أرسلت نجلي فيصلًا إلى دمشق اعتماداً على شرف الدولة ولست أرجو ان

يعود إليّ الآن ، على ان سوق المتطوعة إلى دمشق يتوقف على وصوله إلى المدينة وروية هؤلاء له ، وسيدعى نجلي علي إلى مكة قريباً (١) .
أما جمال باشا فقد أرسل إلى الشريف بالبرقية التالية :

«لقد نمي إلي خبر برقيتكم إلى أنور باشا، فأنتم تطلبون أن تكون الإمارة وراثية في أسرتم ، وان يمنح أشخاص عديدون العفو الشاهاني بعد ان قامت البراهين على خيانتهم للوطن وللأمة .

وليس بممكن اجابة الجزء الثاني من طلبكم لضرره بالمصالح العامة ، فالحكومة التي تصفح عن الخونة جديرة بأن تتهم بالضعف، كما ان عفوها يغري كثيرين بالخيانة. ولو اطلعت على الوثائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت إلى أي حد وصل المتهمون .
وأما فيما يخص جعل الإمارة وراثية في أسرتم فالفرصة ليست مناسبة للمطالبة بذلك، وأظنكم تعرفون بأن الاعراب عن مثل هذه الرغبات ونحن في إبان الحرب حيث تستهدف جميع قوى الانسان عقلية وجسدية لاشد العناء ، من رجل يتبوأ مركز الشرافة وفي أعظم بقعة من بقاع الدولة العثمانية ، لا بد ان يكون له أسوأ وقع في نفوس الجمهور ، واعتقد انه ما كان ينبغي لكم ان تطلبوا مثل هذا الطلب ولو كنتم على حق ، فوارد الأمة ينبغي ان تحشد لغرض واحد، وهو احراز النصر النهائي .

ولو فرضنا ان الحكومة لبث طلبك لمجرد الرغبة في الحصول على مصادقتك في هذه الأوقات العصيبة ، فماذا يمنعها ان تعاملك بالشدة والقسوة لو انتصرت في ختام الحرب. وعلى كل فيجب ان تعلم ان الرجال الذين أسسوا الحكومة الحاضرة والذين تجرأوا على القيام في وجه السلطان عبد الحميد لا يصفحون عن يمجترىء على شل حركتهم في هذه الحرب، وقد دخلوها لمصلحة العالم الاسلامي. وهم في الوقت نفسه لا يتأخرون عن استحصال جزيل الانعام من جلالة الخليفة لكل من عمل ابتغاء

١ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٠٥ ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١١١ ،
الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٤٨

مرضاة الله ولتحقيق غاياتنا المقدسة (١) .

وكان الأمير فيصل قد وصل إلى دمشق في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٦ (١٣٣٥هـ) يرافقه خمسون فارساً، ونزل وإياهم جميعاً ضيوفاً على آل البكري للاستتار في الثورة التي ستشتعل فيها . وسرعان ما أدرك اضطراب الوضع في سورية، وتشتت القوى العربية فيها، وتعاضم ضغط الارهاب على المناضلين الذين يعدون العدة للثورة الكبرى . كما أدرك انه غدا رهينة في يد جمال باشا . فأخذ يداري السفاح ويظهر له الود والولاء ، ولما أطلعته هذا على برقية والده وانتقد أمامه تدخل أخيه الأمير علي في شؤون الحكومة بالمدينة، أظهر أسفه الشديد، وأكد ان والده لا يجيد التركية ولا ريب في ان المترجم قد عجز عن فهم النص العربي فحرفه ووعد بالكتابة إلى أبيه في ذلك .

إلا ان جمال باشا يؤكد في مذكراته ان الأمير فيصل إذا كان قد أسف لمطالب أبيه التي تتعلق بجعل الامارة وراثية في أسرته ، فانه لم يكف عن المطالبة باصدار عفو عن المعتقلين السياسيين . وقد جاء في هذه المذكرات : « واصدرت محكمة عاليه حكمها في القضية الكبرى (قضية ٦ أيار - مايو) ونحن لا نزال نتبادل الرسائل مع الحسين، فجاهد فيصل لينال عفواً للمحكوم عليهم، وكان يزورني كل يوم ويجول بجري الكلام إلى قضية العفو، وسمعت انه كان يعنف أعيان دمشق الذين يذهبون لزيارته لعدم سعيهم لانقاذ مواطنيهم . ودعاني ذات يوم للغداء معه في القابون، وكان ذلك في أوائل شهر (ابريل) ، فدار الحديث حول موضوع العفو أيضاً ، فسألته : « هل عرفت تفاصيل ما فعله هؤلاء ؟ » فقال : « كلا » فقلت له : « لو عرفت التفاصيل لأسفت أشد الأسف على توسطك للحصول على عفو لهم » .

« وتلقيت بعد أيام رد الشريف حسين على برقيتي، وهو يلح في اصدار العفو لأن صدوره في مصلحة الحكومة وبشكو من تصرفات محافظ المدينة بصري باشا ، ويقول انه يأبى ان تسلب منه حقوق منحه اياها الخليفة . وكثرت في الوقت نفسه

١ - انظر مذكرات جمال باشا ص ٢٨٥ وما بعدها .

شكاوى بصري باشا من تصرفات الشريف علي وسعيه لتأليب العربان واستمالتهم .
فدعوت فيصلاً وأطلعته على رد أبيه وعلى سلوك أخيه وقلت له : « لا يستطيع
ادراك غرض والدك من استعمال اللجبة التي يستعملها في هذه الأيام، ولا غاية أخيك
من الحطة التي يسير عليها في المدينة ، فمن الجبة الواحدة تعلنون انكم عاملون على
تجهيز المتطوعين وارسالهم للاشتراك في حملة القناة فتمدكم الحكومة بالمال والرجال ،
وتدل أعمالكم من الجبة الأخرى على ميلكم إلى الانفصال ، وقد بدرت بوادره من
أبيك وأخيك. فإذا أردتم ان تظلوا أصدقاءنا فيجب ان تراعوا قوانين الصداقة، وإلا
فاعلنوا ثورتكم واحملوا سلاحكم . وإذا كنتم لا تضرون الشر، فاكذب إلى أخيك
فليحضر إلى هنا في الحال ، وليكف عن الاعتداء على سلطة المحافظ . »

فأجابني بأنه سيسوي الخلاف بين هذا وأخيه ، وسيدعوه للقدوم إلى دمشق كما
أنكر ما نسبته اليهم من الميل إلى الثورة .

ولا ريب في ان فيصلاً قد أدرك غرض جمال باشا من استدراج الأمير علي
للقدوم إلى دمشق، ليكون رهينة أخرى في يده للضغط على الشريف حسين، وازغامه
على التخفيف من غلوائه والاسراع إلى تلبية مطالب القيادة التركية باعلان الجهاد
وارسال المتطوعين العرب إلى ميادين القتال. فلم يطلب من أخيه المجيء إلى دمشق بل
أخذ يعمل على مغادرتها، فكتب والده وأخاه وعرض عليها الأمر، وتم الاتفاق بينهم
على ان يوعز الأمير إلى المتطوعة ، الذين جاءوا معه من الحجاز وكان يقودهم بنفسه
ويقوم في المدينة انتظاراً لتكامل عددهم كي يزحف بهم إلى القناة، بان يطلبوا استقدام
الأمير فيصل من دمشق كي يسير معهم إلى ميدان القتال، فأبرق زعماء المتطوعين إلى القيادة
التركية انهم في شوق إلى الزحف وانهم يرجون ان يكون الأمير فيصل على رأسهم.
ثم زار الأمير جمال باشا وأبلغه أن أخاه علياً تلقى أمراً من أبيه بأن يسافر إلى
القناة ، وانه يود ان يذهب إلى المدينة فيجيء مع أخيه والمتطوعة إلى القدس، فأجاز
له جمال ذلك، وقال له : « سر على رأس وفد واستقبلهم باسمي وعد بهم واسع للإصلاح
والتوفيق . »

وهكذا نجا الأمير فيصل من شرك جمال باشا ، وغادر دمشق في منتصف شهر

أيار (مايو) على رأس وفد مؤلف من الضابطين التركيين كاظم بك وآصف بك ومن نسب البكري والشيخ عبد القادر الخطيب، وكان ذلك بعد اعدام القافلة الكبرى من الشهداء في دمشق وبيروت الذي قضى على بقايا التردد في نفس الأمير، وأثار ألمه على ما يعانيه المناضلون العرب ، ونقمتهم على الجلادين الظالمين .

ولما بلغ الأمير فيصل وهو في دار البكري نبأ اعدام شهداء ٦ أيار، وتلا أحد الحاضرين قصة المفاجعة كما روتها جريدة « الشرق »، دوت أسماء الضحايا الواحد والعشرين دويماً مروعاً، وظلت تتردد في الجو الساكن الذي كان يخيم على ذلك اليوم من أيام الربيع في غوطة دمشق . وانقضت دقائق طويلة في صمت واجم لا يقطعه سوى دعوات خافتة . ثم قفز فيصل واقفاً كمن أصابه مس مفاجئ، وانتزع الكوفية من على رأسه وقذف بها على الأرض، وداسها بعنف وصاح: طاب الموت يا عرب.. طاب الموت (١) !

وكان أقطاب الحركة الوطنية في سورية قد عقدوا اجتماعاً في دار البكري قرروا فيه ان سورية لم تعد قادرة على اعلان الثورة ، بعد ان اشتد الارهاب التركي فيها ، وأرسلت الفرق العسكرية العربية إلى الميادين النائية للتخلص منها وإبادتها، واعدت جمهرة من حملة الفكرة العربية وطلائع يقظتها، وان على الحجاز ان يتولى المبادرة بهذه المهمة القومية المقدسة، وأبلغوا الأمير فيصل قرارهم هذا ليحمله إلى الشريف حسين. وينوه الباحثون بهذا التحول في اتجاه الحركة العربية، واتجاه الأقطاب العرب إلى الحجاز ليكون منطلق الثورة، بعد ان كانت خططهم ترمي إلى اضرام نار الثورة في سورية على ان تحظى بتأييد الشريف حسين وتزعمه لها . فقد رأوا ان الأوضاع الجديدة تحول دون القيام بعمل ذي شأن في سورية « فقرروا أن يلتفوا كلهم ، جمعياتهم واحزابهم وكل من نجا منهم من مذابح الاتحاديين ، حول زعيم كبير من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الأتراك والأجانب ، وان ينظموا تحت امرته قوة عربية كافية للوقوف في وجه الاتحاديين واثقا الأمة من مخالبتهم، فلم يروا أكبر نفساً

وأمضى مهمة من سيادة الشريف الأعظم الحسين بن علي شريف مكة وأميرها المعظم، وقد الفوا سيادته مدركا لشعور الأمة العربية التي يعد نفسه منقذها، والمسؤول عنها، والمشارك لها في عواطفها وأمالها، فألقوا عنده عصا الترحال، مستغيثين مستنجدين، فكان خير من أغاث وأنجد^(١) .

ويقول الدكتور أحمد قدري أحد أقطاب «العربية الفتاة» بعد أن يشير إلى تلك الأوضاع : «... فلم يعد في إمكاننا القيام بأي عمل يذكر بعد تشتت قوانا^(٢) .» ويقول أسعد داغر أحد العاملين في القضية العربية : « وقد قررت جمعية الفتاة - التي تحولت فيما بعد إلى حزب الاستقلال - بعد أن اتفقت مع حزب العهد، على دعوة العرب إلى الالتفاف حول زعيم من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الترك، وتأليف قوة كافية للوقوف في وجه الاتحاديين، وإنقاذ الأمة وتأمين استقلالها، فوجهوا أنظارهم إلى الشريف الحسين بن علي الذي ألفوه مدركا لشعور الأمة العربية وعاملا على تمهيد السبل لإغايتها^(٣) .»

ويقول الأمير مصطفى الشهابي الذي رافق الحركة العربية في مختلف أدوارها وكان شقيقه الأمير عارف أحد شهدائها : « .. وجعل الأتراك يعاملون العرب بسياسة الإفناء السريع، ويسموننا «إفناي سريع سياسي» فكان لا بد من ثورة عربية تنقذ العرب من الفناء . ولكن كيف السبيل إلى ثورة ناجحة ؟ فالشام كان مكتظ الرحاب بالجنود الأتراك ، وقد أخذت الحكومة التركية منذ اشتراكها في الحرب تبعث فرق الجند العربية وتوجهها إلى الدردنيل والبلقان والأناضول وقناة السويس . ولهذا لم يكن في الإمكان أن تقوم قائمة لثورة تثيرها جمعية «العهد» وجمعية «الفتاة» في الشام أو في العراق » ثم يقول : « فكر الاستقاليون العرب في هذه الأوضاع فوجدوا أن لا سبيل إلى الثورة في غير الحجاز . وقد كانوا كما ذكرت على اتصال

١ - ثورة العرب ص ١٨٧

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٥٠

٣ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٨٢

وثيق بفصل بن الحسين الهاشمي . وكان المشار اليه أخاً لهم في « الفتاة » . ولم يكن الحسين وأولاده جهلاء، فقد كان السلطان عبد الحميد دعا الأب إلى الإقامة في فروق فمكث فيها ثماني عشرة سنة ، فتعلم أولاده الأربعة وهم علي وعبدالله وفصل وزيد، العلوم الحديثة، وتثقفوا ثقافة عربية غربية، وقد أتيح لهم في هذه المدة الاطلاع على وسائل المدنية الحديثة، وعلى السياسة العالمية، وسياسة الدول الأوروبية مع الأتراك وسياسة الأتراك الاتحاديين مع العرب^(١) .

ويقول سليمان موسى الذي تخصص بدراسة هذه الحقبة من تاريخ العرب: « كان ياسين الهاشمي ورفاقه يعتمدون على الكتابات العربية المربطة في سورية وعلى زعماء البدو وجبل الدروز ، ولكنهم كانوا يبحثون عن زعيم كبير يلتف العسكرون والمدنيون حوله وينضون تحت رايته . ومن هنا وقع اختيارهم على الشريف حسين فاتصلوا به وأخذوا يجرضونه على أن يتولى قيادتهم لإعلان الثورة العربية الشاملة^(٢) » . وبعد ان بقي أعضاء الوفد عدة أيام في المدينة ، عادوا إلى سورية وتحلف عنهم الأمير فيصل بحجة ان ثمة أعمالاً هامة تضطره إلى البقاء بضعة أيام أخرى إلى جانب أخيه . وقد اتفق مع نسيب البكري على ان يرسل اليه متى تقرر إعلان الثورة برقية يقول فيها : « ارسلا الفرس الشقراء » .

وكان آصف بك المستشار العدلي للجيش الرابع، وهو أحد الضباط الذين رافقوا فيصل بن الحسين إلى الحجاز، قد اختلى به في المدينة وقال له: « إذا كنت تستطيع ان تنجو بنفسك فاهج ولا تعد إلى دمشق ، فهم يضررون لك الشر، واني أقول لك هذا كرامة لجدك الراقد في هذه الروضة^(٣) » .

ثم شخص الأمير فيصل إلى مكة، فأطلع والده الشريف حسين على تردّي الأوضاع في سورية ، وما يعانيه أبناؤها من اضطهاد واستشهاد ، وأبلغه قرأر أقطاب الحركة العربية بأن سورية لم تعد قادرة على إعلان الثورة وان الثورة ، يجب ان تعلن من

١ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٥٢

٢ - الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد ص ٢٢٦

٣ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٣٩

الحجاز ، وانهم يضعون بين يديه هذه الأمانة القومية المغموسة بدماء الألوف من شهداء العرب الذين عاشوا لها وقضوا من أجلها ، وهم على يقين بأنهم يضعون هذه الأمانة المقدسة بين يدين شريفتين .

وقد بادر الشريف حسين إلى دعوة أشرف الحجاز وأعيانه إلى اجتماع حضره أربعائة منهم ، وبسط لهم ما يعانیه العرب في كافة ديارهم ، وما يطمحون اليه من حياة عزيزة كريمة ، وما يعقدونه من آمال كبار على الحجاز مهد البعث العربي الأول . فلم يتردد الحاضرون في موافقة الشريف على إعلان الاستقلال وإضرام نار الثورة . وقال لهم الشريف : إذا أردتم ان تولوا زعامتكم وجلاً غيبي فاني أول من يعترف به ويضع سيفه في خدمته .

فأجمعوا على المناداة به زعيماً أعلى^(١) .

وهكذا انتقلت الحركة العربية من عهد التبعية الروحية إلى عهد التبعية المادية ، ومن طور الاعداد والتنبيه إلى طور العمل والتنفيذ ، وبدأ ضباط العرب وأحرارهم ومتطوعوهم يمدون إلى مكة قاطعين الصحارى والجبال والبحار ، في عشرة أيام أو عشرين أو ثلاثين يوماً وأحياناً في مائة يوم .. وكانت بعضهم يأتي من القفقاس أو إيران أو الهند ، كما جاء آخرون من مصر والسودان . ولقد مثلت الجمعيات العربية دوراً رئيسياً في تنظيمات الثورة لأنها أمدتها بالكثيرين من القادة والأجناد :

أبى السيف إلا انتقاماً لها	وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشم في الحجاز	وانطق في الترب حسانها
كتائب هبت تلي الدعاة	وتطوي القفار وكتبانها
برمح يرن وعضب يشن	ينبه في التوك وسنانها
هو الثار أدركه الثائرون	أشجى فروفاً وسلطانها ^(٢)

لقد كانوا يقبلون إلى مكة من كل بقعة عربية لكي ينضموا إلى أول جيش عربي

١ - نهضة العرب - التحرر للاستقلال والدولة ، ص ٦٧

٢ - من قصيدة « الشهداء » لغير الدين الزركلي .

في العصر الحديث يستغل بالراية العربية ، وبناضل تحت قيادة أمير عربي في سبيل هدف عربي يعبر عن أمنية العرب ويحقق طموحهم ويجمع شتاتهم .. وقد تحول الشريف حسين في نظرهم جميعاً إلى أمل ومثل ورمز .

وقد عبّر الشعراء عن ذلك أروع تعبير ، فقال عارف الزين مخاطباً القائد المرنجي :

أرض الجزيرة قاصيها ودانيها	أصبحت أنت حماها يا ابن حاميا
يا منقذ العرب والأبام عابسة	سرت بأعمالك الدنيا ومن فيها
نشرت ألوية للعرب ظافرة	ثلث يد في بلاد الغرب تطويها
بيضاء سوداء خضراء بجمرتها	حيوا الحسين وحيوا من يحياها

وقال فؤاد باشا الخطيب :

حي الشريف وحي البيت والحرم	وانهض فمثلك يرعى العهد والذم
واسمع قصائد ثارت من مكانها	ان شئتوا شهباء أو شئتوا رجما
فمن يكن عن اداء الضيم في صمم	فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصمم
يا ابن النبي وأنت اليوم ناصره	قد عاد متصلاً ما كان منفصا
والتف حولك أبطال غطارفة	شم الأنوف يرون الموت مغتماً
فاصدم بهم حدائق الدهر معترضاً	سداً من الترك ان تعرض له انهدما
إليه بني العرب الأحرار ان لكم	فجراً أطل على الأكوان مبتسما
يستقبل الناس من أنفاسه أرج	ما هب في الشرق حتى أنشر الرما
تلك الحياة التي كانت محجبة	في الغيب لا سأمأ نخشى ولا سقمأ
سارت مع الدهر من بدو ومن حضر	حتى استتب فكانت نهضة عمما
من ذلك البيت ، من تلك البطاح ، على	تلك الطريق ، مشى أجدادكم قدما

وقصائد الشعراء العرب في الرضن والمهجر في نحية الثورة وزعيمها الأكبر أكثر من ان نحصى ومنه فصيحة رفيقة الرشيد أيوب يقول فيها :

مع نسيم السحر	من أقاصي الروم نهديك السلام
فوق غصن الشجر	يا شريفاً كلما ناح الحمام
في دياجى المحن	صاحب السيف الصقيل المستهاب
من قديم الزمن	أنت من قوم لهم تعنو الرقاب
بكماة أسد	خضتها حرباً على الساغي تدور
عبرة للأبد	وتركت الترك أصحاب الفجور
جاء وقت الطرب	فأدر يا أيها الساقى الكؤوس
من ظلام الكرب	واسقنا من حمرة تجلو النفوس
صاح فوق القضب	واصف للبلبل للاح الصباح
دولة العرب	فلتتش للعز في تلك البطاح

ويقول الأستاذ أنيس لمقدسي « هذه الثورة كان لها » في البلدان العربية
(ما عدا مصر) نتائج معنوية خطيرة أهمها أنها أذكت في نفوس الناس العنصرية
الجنسية، ووضعت في أيديهم سلاحاً فعالاً للمطالبة بإعادة مجدهم التليد، فأصبح الملك
حسين في الأدب العربي (في سورية والعراق) بطل العرب والمطالب الأكبر
بحقوقهم^(١) .

الفصل الحادي عشر جوار الأسد والثعلب

اجتمعت جميع الدوافع لتحمل الشريف حسين على اعلان الثورة . فمن الناحية الشخصية كان طموحه واباؤه يدفعان به إلى تحدي ممثلي السلطة التركية ، واستعادة ما انتزعه هؤلاء من حقوق الشرافة في عهود اسلافه ، وقد اشتد هذا الصراع عندما اكتشف الشريف ان ممثلي هذه السلطة يبيتون الشر له ولاولاده ، وان مؤامرتهم على حياته لم يصرف النظر عنها ، أو تؤجل إلى وقت آخر ، إلا لان ظروف الحرب قد اقتضت موادعته ومصانعته .

ومن الناحية القومية كان كل شيء في البلاد العربية يهيب به إلى الخروج على الدولة العثمانية ، وخوض المعركة الدامية في سبيل حرية العرب واستقلالهم ، وقد جاءت أحكام الاعدام على نخبه من شبان العرب ، كان الأمير فيصل أخاً لهم وشريكاً في كفاحهم ، فاهبت ضميره وأثارت مشاعره . ثم كان آخر الحوافز قرار أقطاب الحركة الوطنية في سورية بأن على الحجاز ان يتولى المبادرة في اعلان الثورة ، وان على الشريف حسين ان يتولى قيادتها وزعامتها ، واتجاه أدباء العرب إلى استصراخ أرض الجزيرة العربية ، واستنارتهم رجالها لنجدة اخوانهم في البلاد العربية :

أجزيرة العرب انصتي لصراخنا واشفي جراح المدنف المتألم

أوليس من هضباتك انبتت الضحى ومشى محمد في الصراط الاقوم؟
أين الرجال ، أليس فيك بقية منهم لتغسل عار قومي بالدم ؟
كانوا إذا نودوا ليوم كريمة أبوا سراعاً كالقضاء المبرم

ومن الناحية الدينية كان الأتراك يحرفون الشريعة الاسلامية، ويجولونها إلى
اتكالية ودروشة، وتسكع واستسلام، وتعصب واكره، وهم يضطهدون اللغة العربية
التي هي لغة الكتاب العزيز ، ويستذلون العرب وفي الحديث الشريف : إذا دلت
العرب ذل الاسلام .

ومن الناحية الاقتصادية اشتدت الأزمة في الحجاز، بعد ان أغلقت أبواب البحر،
وانقطعت مراكب الحجاج، ونفذ الفليل، كان في البلاد من زاد ، وبدأت المجاعة
تهدد البلاد بكارثة رهيبة إذا لم ترفع بريطانيا حصارها عن البحر .

وكان من الواضح ان العرب لا يستطيعون ان يخوضوا حرباً عسكرية ضد
الدولة العثمانية إذا لم يتحالفوا مع دولة تقدمهم بالأسباب المادية التي تدعم قواهم المعنوية
والبشرية . وكان أقطاب الحركة العربية في سورية قد فوضوا الشريف حسين كما
رأينا بمباحثة بريطانية باسم العرب ضمن شروط محددة تضمن للعرب حريتهم
ووحدةهم، وعلى هذا الأساس وضمن هذه الشروط دارت المراسلات بين السير هنري
مكماهون مندوب بريطانيا السامي في مصر والشريف حسين ممثل القومية العربية .
وكانت بريطانية ، بل كانت أوروبية ، قد انتهت منذ وقت بعيد إلى ظهور
القومية العربية وانتشار الوعي القومي في البلاد العربية، فقد كتب الممثل السياسي
البريطاني بجدة في ١٠ أيار (مايو) سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) إلى وزارة الخارجية
البريطانية : « لقد علمت ان فكرة الحرية أصبحت الآن تحرك عقول الناس حتى في
مكة . وتسربت إلى بعض الأنبا عن وجود خطة معينة لتوحيد نجد وعرب الجزيرة
العراقية بزعامة منصور باشا وعسير واليمن بزعامة علي بن عابد (١) » .

وأشار الرحالة الأوروبيون إلى ما لمسوه بأنفسهم من يقظة المواطنين العرب

وتطلعهم إلى الحرية والوحدة والاستقلال ، فكتب جبرائيل شارم الذي زار بلاد الشام سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) عن الروح الجديدة التي ساءدها : « .. انتشرت روح الاستقلال انتشاراً واسعاً ، وكان الشبان من المسلمين خلال إقامتي في بيروت منهمكين في تنظيم الجمعيات لإنشاء كثير من المدارس والمستشفيات وللعمل على النهوض بالبلاد. ومن أهم صفات هذا النشاط انه بريء من وصمة التعصب الطائفي ، فقد عمدت تلك الجمعيات إلى قبول النصارى وإشراكهم في العمل القومي . أما الأتراك فقد نحوا عن هذا الميدان » . ورحل فرنسي آخر سنة ١٨٨٣ (١٣٠١ هـ) هو دنيس دي روفير رحلات واسعة في البلاد العربية في شمال افريقية وعلى طول شواطئ البحر الأحمر وخليج العرب ، وسافر في نهر دجلة حتى بغداد ورأى مظاهر القلق والاضطراب في جميع أنحاء العالم العربي ، فكتب : « .. لقد وجدت في كل مكان شعوراً ثابتاً عاماً ، هو بغض الأتراك .. وبدأت تتبلور بالتدريج فكرة القيام بعمل جماعي مدبر للتخلص من نيرهم الكريه . وتلوح عن بعد مظاهر حركة عربية حديثة النشأة وبوشك هذا الشعب الذي كان حتى الآن مهبط الجناح ان يطالب عن قريب بمكانته اللائقة في مستقبل الاسلام ^(١) . »

وفي سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) لاحظ مدرس الماني قوة القومية العربية بين الأمااني العديدة المحلية في أجزاء ترقية التي تتكلم العربية فقال : « من الواضح ان هناك شعوراً قومياً عربياً يمكنه ان يوحد بين الشعوب عبر حواجز العقائد الدينية ، ان عصر القومية الواعية لم يصل في الشرق العربي إلى الأجزاء الأكثر تقدماً فحسب بل إلى كل المساحة التي تتكلم العربية . وحقيقة انه حتى الأمراء في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية يؤيدون فكرة اتحاد الأراضي العربية في شكل اتحاد ، يثبت ان الوعي بأمة عربية قد نفذ فعلاً إلى داخل شبه الجزيرة. وذلك معناه بوضوح ان حل المشاكل الاقليمية في هذه الأراضي التي تهدد بأن تكون ذات أهمية عالمية بسبب موقعها الاستراتيجي ، لم يعد يمكن حله من وجهة نظر القوى

الكبرى وإنما داخل إطار برنامج القومية العربية في مجموعه فقط^(١) .

وقد أدركت بريطانيا أهمية القوة الفتية الصاعدة وحاجتها إلى مساعدتها في حربها مع الدولة العثمانية، بعد أن رأت النفوذ الألماني يتعاظم فيها وبظفر بد سكة حديد بغداد، وأحسّت بما في ذلك من تهديد موجه إلى مقامها في الخليج العربي والهند. وكانت ثورة العرب على الترك، إذا تحققت، عاملاً قوياً في تحطيم النفوذ الحرفاني الذي يتمتع به السلطان العثماني في البلاد الإسلامية بوصفه خليفة المسلمين .

يقول لودز: « كان هناك خطر جسيم هو استغلال الناحية الدينية، فإن الباب العالي لجأ في صراعه مع الحلفاء إلى ما أسماه « الجهاد الديني » قصد إثارة الرعايا المسلمين الحاضعين للحلفاء عليهم، وهو سلاح تعرف انكسرت خاصة خطره، وتعرف في الوقت نفسه ان الحجاز وهو مركز الاشعاع للعالم الاسلامي ، يستطيع ان يقذف بمحممه الملتببة بين مسلمي الهند ومسلمي افريقية وغيرهما، فيطيح بما للحلفاء من نفوذ بين المسلمين هناك . وعلى ذلك كان نقل كرة الدعاية الدينية من أرجل الاتراك إلى أرجل الحلفاء أو الموالين لهم، واجباً ملزماً يحتم على انكسرت ان تبذل الكثير في سبيل تحقيقه، ومن ثم سعت سعياً حثيثاً في جذب أكبر شخصية اسلامية في ذلك الحين إليها ، وقد وجدتها في الشريف حسين أمير مكة المكرمة الذي كان يتمتع بمركز ديني ومركز عربي لم يدانه فيه أحد من زعماء المسلمين في ذلك الحين ، فلم يكن بد أمام انكسرت من جذب الحسين الزعيم المسلم العربي وربطه معها بمعاهدة^(٢) . »

وإذا كانت تركية تنير العالم الاسلامي بادعائها ان الاسلام معرض للخطر ، من جراء مساهمتها في الحرب إلى جانب المانية، وان من واجب كل مسلم محاربة الحلفاء لانهم يحاربونها، فان في وسع بريطانيا ان تحارب بالسلاح نفسه إذا ما حالفت الشريف حسين ليل الأسره الهاشمية وأمير مكة قبله المسلمين، وان تحول الدعاية التي تستغلها المانية لاثارة المسلمين عليها إلى دعاية مضادة ضد الألمان والأترك .

وكانت الاتصالات التي قامت بها السلطات البريطانية في مصر مع السيد رشيد

١ - عصر القومية ص ١٢٥

٢ - القول الحق ص ١٠

رضا وعزيز المصري ، والمفاوضات التي قام بها ريجنالد ونجبت مع السيد علي الميرغني وبعض الشخصيات البارزة في السودان ، والمباحثات الأولية التي دارت بين الأمير عبد الله بن الحسين واللورد كيتشنر ورونالد ستورز ، قد اقنعت بريطانيا انها لن تستطيع انتزاع شيء من العرب إذا لم تقدم لهم العهود الكافية على تحقيق مطالبهم. ونتيجة لذلك فوض مجلس الوزراء البريطاني السير هنري مكماهون ممثلها في مصر بمفاوضة الشريف حسين واصدار بيان يتفق مع مطالب العرب .

وتنوه نجلا عز الدين بأن من الضروري ان نؤكد هنا وتذكر دوماً ان الحسين كان معترفاً به كناطق باسم العرب على أساس بروتوكول دمشق ، وقد نص هذا البروتوكول في وضوح على ان الهدف هو الاستقلال ، وكان التحالف مع بريطانيا معلقاً على شرط قبولها استقلال العرب ^(١) .

وعلى الرغم من ذلك كان هنري مكماهون كثير التحفظ، شديد المخادعة والمراوغة، لا يخطو خطوة أو يتفوه بكلمة قبل ان يرجع إلى الحكومة البريطانية يعرض عليها ما تلقاه من رسائل ومقترحات ، فتضع الجواب بنفسها وتبعث به اليه فيرسله بدوره إلى الشريف حسين . ولم يكن هذا بأقل منه تحفظاً ودهاء ، وكما كان مكماهون يرجع إلى حكومته كان الشريف يرجع إلى ميثاق دمشق، ولا يخطو خطوة أو يتفوه بكلمة إلا إذا كانت متفقة مع الميثاق روحاً ونصاً . ويلاحظ عزة دروزة ذلك بقوله : « ويبدو في النصوص أثر الاتصال بين الحسين ورجال الحركة العربية واضحاً سواء في الحدود أو في المواد الأخرى أو الحاتمة، بل نكاد نقول ان المشروع أو اكثره من وضعهم حيث يبدو الفرق واضحاً بين اسلوبه واسلوب الحسين المعروف ^(٢) . » وقد تجلّى في هذه الرسائل التي استغرق تبادلها ثمانية أشهر النضال بين قوتين كل منهما في حاجة إلى الأخرى ، إلا ان الواحدة تحاول ان تظفر بعون الأخرى بلا ثمن أو بوعود مبهمّة يمكن تأويلها عند الاقتضاء التأويل الذي تريده ، والثانية تريده عهداً واضحاً صريحاً بتأييد استقلال العرب .

١ - العالم العربي ص ١٣٦

٢ - حول الحركة العربية الحديثة ج ١ - ص ٥٢

وكان السيوكماهون يتخيل في بدء المراسلات انه يفافض أميراً طامحاً يمكن اغراؤه بالألقاب، وترضيته بالتملق والاطناب في الاطراء والمديح، فأجابه الشريف حسين : « أما هدفنا يا فخامة الوزير فهو أن نطمئن إلى أن الشروط الأساسية لتأمين مستقبلنا ستبنى على أساس الحق والواقع لا على الاسراف في تنميق العبارات والألقاب » وأراد أن يلبيه عن القضايا الأساسية التي تتعلق بتحديد الدولة العربية والاعتراف باستقلالها موحدة كاملة، بالتلويح له بالخلافة، معتقداً ان مطامعه الشخصية قد تلبيه عن مطامعه القومية، فأجابه في شيء من التهمك : « أما الخلافة فانه يرحمها ويحسن عزاء المسلمين فيها » .

وقد حاول مكماهون مع تأكيد على حسن نوايا بريطانيا تجاه العرب، وموافقتها على قيام دولة عربية، التهرب من بحث مسألة الحدود، بحجة ان ظروف الحرب لا تسمح بمعالجة هذا الموضوع، لا سيما وان بعض هذه الحدود ما تزال في يد الأتراك، متجاهلاً ان العرب انما يريدون الثورة لانتزاع هذه الأراضي من أيدي الأتراك، ولو لم تكن في قبضتهم لما كان هناك مبرر للثورة، وما أروع الجواب الذي تلقاه مكماهون من الشريف على ذلك إذ قال : « ان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد، ثم يكرر هذا المعنى في الرسالة نفسها فيقول : « وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة، انكم لا تشكون قط بأني لست أنا شخصياً الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره » .

وهكذا ايقن مكماهون، بل أيقنت الحكومة البريطانية، انها لا تفاوض في شخص الشريف حسين أميراً طامحاً يمكن الهاؤه بالمناصب، أو خداعه بالألقاب، بل تواجه شعباً متمسكاً بحقه، مؤمناً بقضيته، يعرف ماذا يريد ولماذا يناضل، ولا يمكن أن يتراجع عن مطالبه أو ينثني عن أهدافه، وان هذا الشعب المؤمن المناضل قد تجسد في شخص الشريف، فهو انما يتكلم باسمه ويستمد قوته من قوة ذلك الشعب بأسره .

والواقع ان المتأمل لا بد من ان يدهش لصلابة الشريف ورباطة جأشه وقوة

إيمانه، حين يراه في ذلك الموقف الرائع، وهو يوجه الرسائل وينتظر الأجوبة، من أجل تحديد كلمة غامضة أو توضيح أمر مبهم، ويصر على هذه الحاجة وبأبى التنازل عن تلك، بينما هو يعاني ضغط الوضع السياسي الملتهب في سورية، وضغط الوضع الاقتصادي المتأزم في الحجاز، ويرى إلى تعاظم القوات التركية في المدينة، ويعرف أن هذه القوات ليست موجهة إلى اليمن كما تزعم القيادة، بل إنما تنتظر الفرصة السانحة للفتك به وبعراب الحجاز، كما يعرف أن بريطانيا التي يقف منها ذلك الموقف قادرة في ظروف الحرب السائدة على أن تمت شعبة جوعاً وتمنع مواكب الحجاج من الوصول إلى الديار المقدسة.

وفي هذه المفاوضات التاريخية يتخذ الأسد البريطاني صفات الثعلب الماكر، فيفر مراوغةً ويكر مخادعةً، بينما تتجلى في المفاوضات العربي الذي لا يملك سوى الايمان بعدالة قضيته، صفات الأسد النبيل، المدافع عن حقه، الزائد عن عرينه، الواثق بأن كل كلمة تصدر عنه أو عن الفريق الذي يفاوضه، هي كلمة شرف من المفروض في كل منها أن يبذل دمه في سبيلها ..

وأمام هذا الموقف الصلب، رأت بريطانيا أن تحسم الموضوع، فأكدت للشريف أنها تعترف بقيام دولة عربية في جميع المناطق الواقعة داخل الحدود التي ذكرها « حيث بريطانية العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفها فرنسا » ورأى الشريف وقد ضمن تعهدات إيجابية عن المسألة الأساسية الخاصة بالدولة العربية المستقلة، أن يرجى، البت في تحفظات بريطانية بشأن المناطق التي تقول أن لفرنسة مصالح فيها ولا تستطيع أن تنفرد في تقرير مصيرها، على أن يعاد النظر في ذلك بعد الحرب، وأن لا يفهم منه « إمكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شيئاً من تلك الجهات .

ولم توضح شروط التعاون العسكري في المراسلات لأن المفاوضات بشأنها كانت شفهية، وهي شروط لم يتردد الشريف حسين في قبولها والوفاء بها لأنها تتفق وأهداف العرب. ويقابل هذه المعونة أن يمد الانكليز الشريف حسين بما يحتاج اليه في حروبه من سلاح ومال . أما من الناحية السياسية فيمكن تلخيص الامور التي تم الاتفاق

عليها بين الفريقين بالنود التالية :

١ - تعترف بريطانيا بقيام دولة عربية موحدة مستقلة بكل معاني الاستقلال^(١).
يحدها شرقاً حدود ايران والخليج العربي ، وغرباً البحر الأحمر والحدود المصرية
والبحر الأبيض المتوسط، وشمالاً الحدود الشمالية لولايتي حلب والموصل، وجنوباً المحيط
الهندي ، باستثناء مستعمرة عدن .

٢ - تحفظت بريطانيا بشأن المناطق التي تقع غربي مناطق دمشق وحمص وحماة
وحلب كالاسكندرونة ولبنان، باعتبار ان لفرنسة مصالح فيها، وقبل الشريف هذا
التحفظ على ان ينظر بشأن هذه المناطق فيما بعد ، والا يعتبر قبوله هذا تنازلاً عن
شبر واحد منها لانها عربية صرف وليس من فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي
فكلاهما من نسل واحد . وكانت اشارته إلى المواطنين المسيحيين دليلاً واضحاً على
ان المقصود هو لبنان وليس أية منطقة عربية أخرى . كما أكد أن العرب
سيطالبون بعودة هذه المنطقة إلى حظيرة المنطقة العربية المستقلة « عند
أول فرصة تضع فيها هذه الحرب أوزارها » ويلاحظ ان مكهاوت لم يعترض على
شيء من ذلك ، وانه أكد في رسائله التالية ان الحلفاء انما يخوضون الحرب لأجل
الحق والحرية ، وان العرب هم أحلاف وشركاء في هذه الحرب .

٣ - وافق الشريف على التحفظات الخاصة بالامراء العرب الذين تربطهم
ببريطانية العظمى علاقات تحالف في بعض أجزاء جزيرة العرب .

٤ - احتفظت بريطانيا لنفسها بحق اقامة نظام اداري خاص في ولايتي البصرة
وبغداد يكفل تحقيق التعاون الانكليزي العربي في ذلك الجزء من الدولة العربية
المستقلة، ووافق الشريف على اقامة ذلك النظام الاداري الخاص في تلك المنطقة التي
كانت قد دخلت آنئذ في قبضة الانكليز، على أن يكون هذا النظام وقتياً وألا يؤدي

١ - ضمت الدولة العربية المتفق على استقلالها جميع البلاد العربية الاسيوية المحتلة
من قبل تركيا وهي البلاد التي كانت تتمتع بالشورى العربية وتؤمن بالقومية العربية
واستثنت منها الامارات التي تربط بمعاهدات مع بريطانيا ، كما استثنت البلاد العربية
الافريقية التي كانت قد دخلت تحت حكم الدول الاوروبية .

إلى التدخل في الشؤون الداخلية وألا يعني سلخ أية بقعة عربية وإن تدفع الحكومة البريطانية مقابل ذلك تعويضاً مالياً^{١١} .

٥ — لم تبد بريطانيا أي تحفظ فيما يتعلق بفلسطين وشرقي الاردن، لان تحفظها كان مقتصرأ على المناطق التي تقول ان لفرنسة مصالح فيها والتي حددتها بقولها انها المناطق التي تقع غربي مناطق دمشق وحمص وحماة وحلب .

٦ — تعهد مكماهون بالنص التالي : « ان حكومة بريطانيا قد فوضت إليّ ان ابلغ دولتكم ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام أي صلح إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية » .

تلك هي خلاصة الاتفاقات التي انطوت عليها مراسلات الشريف حسين بممثل القومية العربية ، والسير هنري مكماهون بمثل بريطانيا العظمى ، وأعلنت الثورة العربية بوجهاً وعلى أساسها ، وهي تعترف بوضوح باستقلال العرب وسيادتهم في منطقة معينة محددة .

وقد كانت هذه المنطقة المعينة مثار الجدل بعد الحرب بصدد فلسطين، فالشريف حسين يؤكّد أن فلسطين واقعة فيها ، والحكومة البريطانية ترى غير ذلك، مدعية ان تحفظاتها بشأن المناطق التي تقع غربي دمشق وحمص وحماة وحلب تشمل فلسطين أيضاً ، مفسرة كلمة « المناطق » بأنها تعني « الولايات » في حين ان كلمة المناطق قد استعملت أيضاً لوصف مدن دمشق وحمص وحماة وحلب ، والمعروف انه لم تكن في ذلك العهد ولايات باسم هذه المدن وإنما كانت هنالك ولاية واحدة هي

١ — ذكر الكوماندور هوغارث ان الشريف حسين كان يعتبر المعونات التي ظل ينلقاها من بريطانية مدة من الزمن بعد انتهاء الحرب ، على أساس انها المعونة المالية التي اشترطها بهذا الصدد ، كما ان السير ريدر بولارد اشار الى ان الشريف حسين قدم معونات للتوابع العراقيين عام ١٩٢٠ مدفوعاً بشعوره بالمسؤولية نحو ابنائه قوم الذين اشترط على بريطانيا الا تقوم بإدارة بلادهم الا لفترة يسيرة من الزمن : الثورة العربية الكبرى - وثائق واسانيد ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، نقل عن :

Arab Bulletin, 11 Januray 1919 .

The Camels Must Go, by Sir R. Bullard, P P 114 - 126 .

ولاية سورية تشمل مناطق تلك المدن الأربع ، وهكذا يبدو بوضوح ان الرأي العربي هو الرأي الصحيح .

على اننا لو فرضنا جدلاً ان بريطانية قد أبدت تحفظاً فيما يتعلق بضم فلسطين إلى الدولة العربية التي اعترفت باستقلالها ، فان هذا التحفظ لا يربط الشريف حسين بشيء ، لانه أبدى هو أيضاً تحفظه على هذا التحفظ ، وأكد ان ارجاء البحث في مصير هذه « المناطق » لا يعني التنازل عن شبر واحد منها

ولا ريب ان الحكم الفاصل في هذا الخلاف هو لنصوص المراسلات نفسها ، هذه المراسلات التي يسميها الملك حسين «مقررات النهضة» أي الأسس التي قامت عليها الثورة العربية . وهذا ما يدفعنا إلى نشرها بنصوصها الحرفية السكاملة ، باعتبارها من أهم الوثائق الدولية في تاريخ حركة العرب القومية .

وقد نشرت نصوص الرسائل كما أذاعها الشريف حسين ، ورفضت الحكومة البريطانية نشر هذه النصوص ، بالرغم من مطالبة الصحافة الانكليزية وأعضاء مجلس العموم ومجلس اللوردات بذلك غير مرة ، وزعمت الحكومة البريطانية ان نشر الرسائل «يضر بالمصلحة العامة» ولم تستجب الوزارة حتى لطلب بعض النواب الذين شغلوا منصب الوزارة خلال الحرب العالمية الأولى، ومنهم السير ادوار غراي (الذي أصبح فيما بعد الفيكونت اوف فالودون) وهو الوزير المسؤول الذي صدرت مذكرات مكماهون بناء على تعليماته .

وبما قاله ادوار غراي بهذا الصدد في مجلس اللوردات : « ان عدداً كبيراً من هذه الوثائق ، أو بعضها على الأقل ، بما لم تعلنه الحكومة رسمياً ، أصبح معروفاً ذائعاً عن طرق أخرى ، ولست أدري هل ذاعت كلها أو بعضها . ولكنني أطالب الحكومة بإلحاح بأن تنشر رسمياً جميع الوثائق الخاصة بهذا الموضوع والتي التزمنا بها خلال الحرب ، إذ ان تلك هي خير وسيلة لتبرئة شرفنا في هذه المسألة . واني واثق من اننا لا نستطيع إنقاذ شرفنا بإخفاء تعهداتنا، والادعاء بعدم وجود تناقض إذا كان هناك تناقض حقاً . واني لوائي أيضاً من ان أشرف سبيل هو ان نكشف عن حقيقة هذه التعهدات ، وب اعتراف صراحة بوجود التناقض إذا كان موجوداً .

فإذا ما اعترفنا بذلك وأنحنا الفرصة للناس لكي يحكموا حكماً دقيقاً على مبلغ
التناقض ، فيجب حينئذ أن نفكر في أعدل السبل وأشرفها للخروج من المأزق الذي
قد تكون هذه العهود أدخلتنا فيه ^(١) .
ونحن ننشر هذه المراسلات كما أوردتها كتاب «الثورة العربية-وثائق وأسانيده»
(ص ٢٠ - ٤٧) محتفظين بالتعليقات والحواشي التي ألحقها بكل منها .

الفصل الثاني عشر مراسلات الحسين - مكماهون

- ١ -

مذكرة الشريف حسين الاولى الى السفير هنري مكماهون
مكة في الثاني من رمضان ١٣٣٣ (١٤ تموز ١٩١٥)

لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا في الأعوام الأخيرة ان يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظرياً وعملياً بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا انه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى ان تساعد وتعاونهم للوصول إلى أمنهم المشروعة ، وهي الأمانى المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ، دون أية مقاصد أخرى من أي نوع كان لا علاقة لها بهذا الهدف .

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى بالنظر لمرکزهم الجغرافي ومصالحهم الاقتصادية ، وكذلك بالنسبة لموقف الحكومة المذكورة والمعروف لدى الأمتين بما لا حاجة لتأكيده .

انه بالنظر لهذه الأسباب كلها ترى الأمة العربية أن يقتصر ، بالنظر لضيق الوقت ، على الطلب من الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب ان تصادق بواسطة مندوبها أو ممثلها على الاقتراحات الأساسية الآتية ، تاركين كل المسائل التي تعتبر ثانوية بالنسبة لهذه الاقتراحات إلى ان يبين الوقت الملائم لإجراء المفاوضات الفعلية ، حتى تتمكن (الأمة العربية) من اعداد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الغرض السامي :

١ - تعترف انكلترة باستقلال البلاد العربية التي يجدها : شمالاً خط مرسين - اذنة الموازي لخط ٣٧ شمالاً الذي تقع عليه برجيك - أورفه - ماردين - مديات - جزيرة ابن عمرو - عمادية حتى حدود فارس ، وشرقاً حدود فارس إلى خليج البصرة ، وجنوباً المحيط الهندي (باستثناء عدن التي ستحتفظ بوضعها الحالي) ، وغرباً البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى مرسين . وعلى انكلترا ان توافق على إعلان خلافة عربية على المسلمين .

٢ - تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية انكلترة في جميع المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية ، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

٣ - حفظاً لاستقلال البلاد العربية وتأميناً لأفضلية انكلترة في المشاريع الاقتصادية ، يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان في تقديم العون لبعضها البعض ، إلى أقصى حد تستطيعه قواتها الحربية والبحرية لمجابهة أية قوة أجنبية يمكن ان تهاجم أحد الفريقين . ولا يعقد الصلح دون موافقة الفريقين .

٤ - إذا دخل أحد الفريقين في نزاع مسلح ، فعلى الفريق الآخر أن يقف على الحياد . وإذا رغب الفريق الأول أن يشرك الفريق الثاني معه في النزاع ، فعلى الفريقين أن يجتمعا ويبحثا الشروط بينها .

٥ - تعترف انكلترة بإلغاء الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية ، وعليها ان تساعد حكومة الشريف على دعوة مؤتمر دولي للمصادقة على ذلك الإلغاء .

٦ - مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة . وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطالع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء

مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق واتحد ، والمحدثه ، على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة منه كفه الأمر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تفي به سناً أو إيجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الاقتراح . وإذا انقضت هذه المدة ولم يتناق من الحكومة جواباً فإنه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فإنا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا - إذا لم يصل الجواب - أحراراً في القول والعمل من كل التصريحات ولعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي أفندي^(١) .

- ٢ -

مذكرة السير هنري مكماهون الأولى الى الشريف حسين
القاهرة في ٩ شوال سنة ١٣٣٣ - ٣٠ آب سنة ١٩١٥

إلى السيد الحبيب النسيب سلاله الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمديّة صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبله العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسو وافر التحيات العاطرة والتسابيح القلبية الخالصة من كل شائبة نعرض ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لإظهاركم عاطفة الإخلاص وشرف الشعور والإحساسات نحو الانكليز . وقد يسرنا علاوة على ذلك ان نعلم أن سيادكم ورجالكم على رأي واحد وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانكليز

١ - لم ينشر النص العربي الاصلي حتى الآن ، والنص المثبت هو الترجمة الحرفية للنشر الانجليزي الرسمي الذي قدمته الحكومة البريطانية عام ١٩٢٩ تحت رقم ٥٩٥٧

والعكس بالعكس . ولهذا النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كيتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضوعاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها .
ولإننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باستوداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .
وأما بخصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها - وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك أيضاً لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الأخص ما علمناه وهو ما يدesh ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها - وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان - نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك .
مع ذلك فإننا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل والبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه . وقد عملنا التوثيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً مستشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي^(١)

المخلص

نائب جلالة الملك (السير آرثر مكماهون)

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣

الموافق ٣٠ اغسطس سنة ١٩١٥

١ - مؤتمري فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن ، ترجمة ابراهيم عبدالقادر

الجزء ١ ، ١٩٢٠ ، ص ٩٠ - ٩١

- ٣ -

مذكرة الشريف حسين الثانية الى السير هنري مكماهون
مكة في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ - ٩ ايلول سنة ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالم الشهم المهام ذي الاصاله خضرة الوزير الكبير .

انا بكل إيثاس تلقينا مرسومكم الكريم في ١٩ شوال وأحليته محل التبجيل والتجليل رغماً عما حسيناه في مؤداه من الغموض وآثار الفتور والتردد في مادتنا الجهورية . فلا بد لنا من التصريح لشهامه اصالتكم مخالستنا للدولة الفخيمة البريطانية واعترافنا بأرجحيتها في عموم الكيفيات والشؤون في أي حالة وصورة كانت، وهذا مما توجهه علينا مصالح أبناء ديننا. ومع هذا فمدارك كالات حضرة الوزير الخطير يعني أولاً عفوها ثم تسمح لي بالإيضاح بأن القصد بالفتور والتردد ما أوردتموه على مسألة الحدود والتخوم بأن البحث والحالة هذه فيها سدى وأن لا طائلة تحت إلا إضاعة الوقت وانما تحت إشغال حكومتها السائدة عليها إلى آخر ما أشرتم اليه ، بما هو حري ان أحمله على الجفوة وما هو في معناها لما هو متيقن أن تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق إرضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب أوزارها ، بل أقوامنا رأوا ان حياة تشكيلاتهم الجديدة الضرورية القائمة في أمرها مربوطة على تلك الحدود والتخوم ، وعقدوا الكلمة عليها ، ولذلك رأوا البحث فيها أولاً مع محل ثقتهم واعتمادهم محور النقض والإبرام ألا وهي الدولة الفخيمة البريطانية . ووسيلتهم في تلك الرابطة والثقة اتحاد المصالح وضرورة التشكيلات الاقليمية وحياة سكانها ، ليعلموا كيفية تأسيس مستقبلهم وحياتهم حتى لا يصادفوها أو يصادفوا أحد خلفائها أمام تشبثاتهم وينعكس الأمر لا سمح الله . لأن القصد يا حضرة الوزير الموقر الحقيقة التي تشيد على أساس يضمن الأستباب

الضرورة للحياة في المستقبل . على أنهم لم يخرجوا في التخطيط عن من لم يسكنها غير العنصر لا زخارف الأقوال والألقاب . والله يرحم الخلافة ويحسن عزاء المسلمين فيها . واني على ثقة بأن شامة الجناح لا يشتهه في افي شخص مجرد عن المطالبة بتلك الحدود والتخوم المشكلة فقط على العنصر وانما من مقترحات القوم ، وزعمهم بالاختصار انما من الضروريات الحياتية والاقتصادية . أليس هذا يا حضرة الوزير حقاً . والحلاصة يا حضرة الشهم المبجل أنا على أكيد الإخلاص معترفين بأرجحية ولائكم رضيتم عنا كما أشير أم سخطتم . نأبى ان نجعل في إشارتكم في رقيمكم بادي الذكر بأن لا يزال بعض أقوامنا في أقصى درجات الاسترسال في ترويج طلب العثماني حجة على آثار الفتور والتردد في رغائبنا التي أنزه شامة اصالتكم على ان تقول بأنها ليست من قوام حياتنا ، لا بل هي حياتنا المادية والمعنوية والأدبية . لأني إلى هذه الساعة قائم بذاتي وبجميع حواسي في إنفاذ ما كان مرافق الشرع الإسلامي في بلادي من الأوامر وفي كافة ما له تعلق به مما يكن عائد إلى باقي المملكة إلى ان يأتي الله بأمر^(١) . . .

(وانا حتى الساعة لا أزال أنفذ ما تأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل أقوم به ، وأراه مفيداً وصالحاً لبقية المملكة ، واني سأستمر في هذا إلى ان تشاء إرادة الباري) غير ذلك .

ومن أجل طمأنة فخامتكم أستطيع أن أصرح ان جميع البلاد ، ومن الجملة أولئك الذين يقولون انهم وضعوا أنفسهم تحت الأوامر التركية الالمانية ، كلهم ينتظرون نتيجة هذه المباحثات التي تتوقف فقط على رفضكم أو قبولكم بقضية الحدود ، وعلى تصريحكم بحماية ديانتهم أولاً ثم بقية حقوقهم من أي أذى أو خطر . وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقاً لسياستها ، في هذا الموضوع ، فما

١ - هذا القسم من الرسالة نقل حرفياً عن نسخة طبق الاصل للرسالة التي بعث بها الشريف حسين . واذا انني لم أتمكن من العثور على النص الاصيل للرسالة بمجموعها ، فقد اثبت الترجمة الحرفية للقسم الاخير وقمت بمقابلة الترجمة على النص الرسمي الذي قدمته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بحث رقم ٥٩٥٧

عليها إلا ان تعلمنا به وان تدلنا على الطريق التي يجب ان نسلكها .
وفي جميع الأحوال فلن يتم شيء إلا بإرادة الله ، الذي هو العامل الحقيقي في كل شيء .

أما بشأن طلبها الحبوب للأمة والصرر (النقود) العائدة لوزارة الأوقاف وكل المواد الأخرى التي جرت العادة على إرسالها مع قوافل الحجاج ، فان قصدي في هذا الأمر يا صاحب السعادة ان إرسالها يمكن ان يكون وسيلة لتوكيد فحوى تصريحاتكم إلى العالم ، وبخاصة العالم الاسلامي ، تلك التصريحات التي ذكرتم فيها ان عداءكم موجه بصورة كلية إلى الحزب الذي اغتصب حقوق الخلافة واغتصب معها حقوق جميع المسلمين .

هذا بالإضافة إلى ان الحزب المذكور هي من الأوقاف الخاصة ولا علاقة لها بالسياسة .

وفي حالة عزمكم إرسالها ، فلتبعت الهبة المقررة عن السنتين الماضيتين في باخرة إلى جده - باسم الشعب كالعادة . وليقم ربان الباخرة ، أو المأمور المكلف في العادة بمهمة تسليم الهبة سنة بعد أخرى بالاتصال بالسلطات في جدة عند الوصول إلى الميناء ، وليسأل عن المأمور الذي سوف يتسلم القمح لقاء وصل موقع من قبل المأمور المستلم .

كما أود ان تلاحظوا ان توقيع ذلك المأمور فقط يمكن ان يقبل وان ربان الباخرة أو الموظف الخص ، يجب أن يعطى التعليقات بأنه إذا ما اعترضه أي حاجز فعليه ان يهدد بالعودة بشحنته إلى الميناء الذي أقبل منه .

وتبعاً لذلك فإن المأمور واللجنة الخاصة المعنية معه والمعروفة باسم لجنة القمح للأهليين سوف يتسلمون القمح بالطريقة المعتادة .

راجياً قبول احتراماتي وتسلمياتي . وإذا أردتم الإجابة على رسالتنا فليكن ذلك بواسطة حاملها .

-- ٤ --

مذكرة السير هنري مكماهون الثانية الى الشريف حسين
القاهرة في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ - ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحبيب دولة صاحب المقام
الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب
السدة العليا جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين وهو دولة
الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣
وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثني رضاء وسروراً .

اني متأسف انكم استتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود
والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط ولكني رأيت
حينئذ ان الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد ادركت من كتابكم الأخير انكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل
الهامة الحيوية المستعجلة ، فلذا فاني قد أسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى
مضمون كتابكم ، واني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا
أشك في انكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول :

ان ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية
لولايات دمشق والشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال انها عربية محضة .
وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء
العرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة

التصرف بدون ان تمس مصالح حليفتها فرنسا ، فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي :

١ - انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

٢ - ان بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

٣ - وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة .

٤ - هذا وان المفهوم ان العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وان المستشارين والموظفين الاوروبين اللازمين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز .

٥ - أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة .

واني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أدل ارنباب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب ، وتنتهي بعد مخالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي اثقل كاهلهم السنين الطوال .

ولقد اقتصر في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وام كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل .

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية وتدابيركم المحكمة قد أنزلت إلى

البر بلا تعب ولا ضرر رعماً عن الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة،
ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم .
في مرسل خطائي عدا مع رسولكم النبل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن
عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي من الدرجة الثانية من
الأهمية ولم اذكرها في كتابي هذا .

وفي الختام أبت دولة الشريف ذا الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحتي
وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجياً من دي
الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب ، ان بيده مفاتيح الأمر
والغيب بحر كها كيف يشاء ، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام (١) .

تحريراً في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

نائب جلالة الملك

السير آرثر مكماهون

قيدنا الاسم الشريف بعاليه بهذا اللون

- ٥ -

مذكرة الشريف حسين الثالثة الى السير مكماهون
مكة في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ - ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالم الشهم الهام ذو الاصاله والرياسة الوزير الخطير وفقه الله لمرضاته .
بلىء الايناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر وأحليناه محل التبجيل وعلى مؤداه
نجيب الشامة :
أولاً : تسهلاً للوفاق وخدمة للاسلامية فراراً مما يكلفها المشاق والاحن ، ولما

١ - مؤقر فلسطين العربي البريطاني ، ص ٩٢ - ٩٤

الحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا نترك اللاحق في ادخال ولايات مرسين وأضنة في أقسام المملكة العربية وأما ولايتي حلب وبيروت وساحلها فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فانها ابنا جد واحد ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الاسلامي ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين كعاملاتهم لأنفسهم بقوله : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به .

ثانياً : حيث ان الولايات العراقية هي من أجزاء الولايات العربية المحضة ، بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده ، وبها قامت مدينة العرب وأول ما اختطفوه من المدن والامصار واستفحلت دولهم ، فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة والآثار التي لا تنسى ، فلا يمكننا ارضاء الأمة العربية وارضائها لتترك ذلك الشرف . ولكن تسهلاً للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم اليها في المادة الحامسة من رقيمكم آنف الذكر محفوظيتها وصيانتها من طبقة وضرورة ما نحن فيه وحيازة ما نريد التوصل اليه ، فان أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق المزوجة بحقوقنا بصورة كأنها الجوهر الفرد يمكننا الرضا بتترك الجهات التي هي الآن تحت الاشغال البريطاني إلى مدة يسيرة ، البحث فيما يقبل عن قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل . سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية الحياتية ، وأن يدفع للمملكة العربية في مدة الاشغال المقدار المناسب من المال لضرورة ترتكبه كل مملكة حديثة الوجود . مع احترامنا لوفقاتكم المشار عليها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها جوهرياً .

ثالثاً : رغبتم في الاسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد ما نرى فيه من المحاذير ، أوله خشية لوم الاسلامية كما سبق الجاهل عن حقائق الحالة بأننا شققنا عصاها وأبدنا قواها ، الثاني المقام تركيا معاضدتها جميع معاني قوى جرمانيا لجللنا عما إذا حصل ومن احدى دول الائتلاف وأوجبها على صلح دول الاتفاق ، فكيف تكون خطة

بريطانيا العظمى وحلفائها ثلاثا تكن الأمة للعربية أمام تركيا وحلفائها معا إذ لا يهنا ما إذا كنا والعثمانية رأساً لرأس .

وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه ولا سيما عقد صلح اشتركتنا في إحرابه بصورة غير رسمية بخول المتصالحين البحث فيه عن شؤوننا .

رابعاً : أن الأمة العربية تعتقد يقيناً أن العثمانية عند وضع أوزار الحرب سيوجهون كل أعمالهم فيما يغضب العرب ويغتصب حقوقهم المادية والمعنوية وذهب شعارهم وأحسابهم واخضاعهم بكل معاني الاخضاع مع بقائها تحت النفوذ الألماني فهم عازمون على حربهم حتى لا يبقى لنا بقية وما يرى فينا الآن من التأني فقد سبق بيان عليته .

خامساً : متى علمت العرب أن حكومة بريطانيا حلفائهم ولا يتوكلونهم عند الصالح على حالهم أمام تركيا وجرمانيا وانهم يدافعون عنهم ويباعدونهم ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من الساعة لا شك انه بما يوافق المصالح العمومية العربية .

سادساً : افادتنا السابقة الصادرة بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣ تغني عن كل إعادة القول في المادة الثالثة والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصوصيات المهيات الحاكمة والمشاورين والموظفين سيما وقد صرحتم باحضرة الشهم بأنكم لا تتدخلون في أمور الداخلية .

سابعاً : وحول الجواب الصريح القطعي في أقرب زمن على ذكر أعلاه من الطلبات إذ أنا استعملنا كلما يقربنا اليكم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة جوهرية فانا نعلم أن نصيبنا من هذه الحروب إما مساعدة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم أو الاضمحلال في سبيلها . ولولا ما رأيتم ورأيت ما في عزمهم لاخترت العزلة في شواهد السراة ، ولكن أبوا علي يا عزيزي أعزك الباري برضائه إلا أن يقودوني إلى هذه المواقف .

ودم غافلاً سالماً بما تحبه وتريده ^(١) ، وحرر ٢٧ من ذي الحجة ١٣٣٣ .

١ - مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ٠ ص ٩٥-٩٦

- ٦ -

مذكرة السير هنري مكماهون الثالثة الى الشريف حسين القاهرة في ٨ صفر سنة ١٣٣٤ - ١٤ كانون الأول سنة ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الاصاله والرفعة وشرف المحدث سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبله الإسلام والمسلمين ، أدامه الله في رفعة وعلاء .

وبعد ، فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٣ ومرتني ما رأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي « مرسين وأضنة » من حدود البلاد العربية . وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضا تأكيداً كيدائكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الأولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء .

هذا ، وفي قولكم أن العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتها مع رؤساء العرب الآخرين ، يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء .

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة - ولكن لما كانت مصالح حليفها فرنسا داخلة فيها فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق - وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن ضيافة هذه المصالح كما يجب تستلزم

نظراً أدق وأنم بما تسمع به الحالة الحاصرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات .
 وإننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولنا نريد أن ندفعكم إلى عمل
 مريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً
 أن تبدلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن نحثوهم
 على أن لا يمدوا يد المساعدة إلى أعدائنا بأي وجه كان . فإنهم على نجاح هذه المجهودات
 وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء
 وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا ونباته .

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم
 أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا
 كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الألمان
 والأتراك .

هذا وعربون على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة
 فاني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه .
 واقدم في الحثاء عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم
 الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي
 ولأفراد أسرته المكرمة مع فائق الاحترام (١) .
 تحريراً في ٨ صفر سنة ١٣٣٤

المخلص
 نائب جلالة الملك بمصر
 السير آرثر هنري مكماهون

- ٧ -

مذكرة الشريف حسين الرابعة الى السير هنري مكماهون
مكة في ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤ اول كانون الثاني سنة ١٩١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الوزير الحظير الشهم المھام

بأفامل الایمال والتوقیر تلقینا رقیمیکم ٩ صفر الجاری برفق حاملهم وعلمت
مضمونہا وأدخلا علینا من الانشراح والارتیاح ما لا مزید لازلتھا ما یختلج
بصدري ، ألا وهو وقوف حضرتک بعد وصول أحمد شریف وحظوته بالجانب ،
بأن کلما اتینا به فی الحال والشأن لیس بنا شیء عن عواطف شخصیة أو ما هو فی
معناها بما لا یعقل ، وانھا قرارات ورغائب اقوام وانا لسنأ إلا مبلغین أو منقذین
لھا بصفتنا التي الزمونا بها إذ هذا عندي من أهم ما یجب وقوف شھامة الجنب علیه
وعلمه به . أما ما جاء بالمحررات الموقرة فیما یتعلق بالعراق من أمر التعویض مدة
الاشغال فلزيادة ایضاح وقول بریطانیا العظمی بصفاتنا فی القول والعمل فی المادة
والمعنی واعلامها بأکید اطمئناننا باعتماد حکومتھا المفخمة نترك أمر تقدير مبلغه
لمدراك حکمتھا ونصفتها ، أما الجهات الشیالية وسواحلها فما کان من تعديل اتینا
به فی رقیمنا السابق . هذا وما ذاک إلا للحرص علی الأمنیات المرغوب حصولها
بمشیئة الله تبارک وتعالی . وعن هذا الحس والرغبة هما التي الزمتنا بملاحظة اجتناب
ما ربما انه یس حلف بریطانیا العظمی لفرنسا واتفاقها ابان الحروب والنوازل إلا
اننا مع هذا نرى من الفرائض التي ینبغي لشھامة الوزير صاحب الرئاسة أن یتیقنها
بأن عند أول فرصة تضع فیها أوزار هذه الحروب سنطالبکم بما نغض الطرف عنه
اليوم لفرنسا فی المنافع البریطانية وصيانة حقوقها هو أهم وأکبر بما یعود الینا ، وان
لا بد من هذا علی أي حالة كانت لیم للعظمة البریطانية أن ترى اخصاءها فی البهجة
والرونق التي تهتم أن تراهم فیہ ، سیما وأن جوارهم لنا سیكون جرثومة للمشاکل

والمناقشات التي لا يمكن معها استقراراً لحالة عدا ان البيروتين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ويبحثونا على حالات جديدة تهم وتشغل بريطانيا بصورة لا تكون بأقل من اشتغالنا الحالي بالنظر لما نعتقد ونتيقنه من اشتراك المنفعة ووحدها وحدها وهي الداعية الوحيدة لعدم التفاتنا لسواكم في المحادثات وعليه يستحيل امكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبراً من اراضي تلك الجهات ، أصبح بهذا مع اعتماد لكل جوارحي اعتماداً يرثه الحي منا بعد الميت بتصريحناكم التي ختمت بها رقيمكم الموقر . وعليه فليعتقد جناب الوزير الخطير ولتعتقد بريطانيا الكبرى أنا على العزم الذي أشير اليه ويعلمه منا جناب الاريب الكامل استورس منذ عامين ولا نناظر فيه إلا الفرص المناسبة لأحوالنا واهصا داعيته ووسيلته التي اقترت وقتها بما تسوقه الأقدار الينا بكل سرعة ووضوح لتكن حجة لنا وعن رأينا على الاعتراضات والمسؤوليات المقدرة وفي تصريحناكم بقولكم : « وإنا لسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم » يغني عن زيادة الايضاح ما عدا طلب ما نرى لزومه عند الحاجة من الاسلحة وذخائرها الحربية وما هو في معناها .

واكتفي بهذا القدر عن اشغال شهامتكم بتقديم وافر احتشاماتي وجزيل توقيراتي لمقام المقر الموقر^(١) .
وحرر في اليوم الخامس والعشرين من صفر الخير ١٣٣٤ .

- ٨ -

مذكرة السير هنري مكماهون الرابعة الى الشريف حسين
القاهرة ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٤ - ٣٠ كانون الثاني ١٩١٦

وبعد بمزيد السرور والرضى تلقينا كتابكم المؤرخ ٢٥ صفر ١٣٣٤ من يد

١ - مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ، ص ٩٩

رسولكم الأمين الذي كان على الدوام يبلغنا رسائلكم الشفوية ، ونحن عالمون تمام العلم ونقدر حق التقدير البواعث التي ترشدكم في المسألة الهامة التي نحن بصددتها ولا نشك في انكم تعملون لما فيه مصلحة الأمة العربية وان ليس لكم غاية أخرى البتة . وعلما ما ذكرتموه بشأن ولاية بغداد وسنظر في ذلك بتمام الاهتمام بعد قهر العدو ويأتي الوقت لنهي المسائل السلمية . وأما ما يتعلق بالأقسام الشهابية فقد علمنا بيزيد الرضى رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه مساس المحالفة بين بريطانيا العظمى وفرنسة ولا يخفاكم أن عزمنا الثابت عدم التداخل أي شيء مها صغر يمنع لحصولنا في نهاية هذه الحرب على النصر التام وفوق ذلك فانه عند نيل النصر فان صداقة كل من بريطانيا العظمى وفرنسة ستكون أقوى وأشد متانة من ذي قبل يربطها دم الانجليزي والفرنساوي الذي أهرق ممن قتلوا جنبا لجنب وهم يحاربون لأجل الحق والحرية . هذا وان بلاد العرب مشتركة في الغرض النبيل الذي يتم من الاتحاد قواما واجتماع كلمتنا ونسأل ان يربطنا النجاح بصداقة دائمة تكون فيها المصلحة والسعادة للجميع . وقد سرنا جداً ما علمناه من أنكم ساعون في جذب قلوب جميع القبائل العربية للانضمام إلى غرضنا المشترك وأن تمنعهم من إعطاء أي مساعدة لاعدائنا . ونترك لطفانتكم اختيار الفرصة المناسبة لأجل اتخاذ اجراءات أخرى جديدة . ولا شك أنكم تجربوننا مع رافع كتابنا هذا عن الطرق التي يمكننا بها مساعدتكم وتأكّدوا أن جميع مطالبكم ينظر فيها دائماً بعين الاهتمام مع الاسراع التام في انجازها . ولا بد أنكم سمعتم أن أحمد الشريف السنوسي قد صغى لدسائس أعدائنا وبدأنا بالعداء ولا شك أنه يحزنكم أنه أغفل لهذا الحد مصالح العرب حتى انه رمى بنفسه في يد اعدائنا وقد وقع الآن في سوء عمله وصادفه سوء الطالع في كل حركاته . ولنا أن ذلك يريه غلظه ويعيده إلى الصواب ويرشده إلى السلام وفقاً باتباعه المساكين الذين قادهم إلى التهلكة . ثم أن رسولكم الأمين رافع كتابنا هذا يبلغكم جميع أخبارنا . وفي خاتمة رسالتي اقروك تحيتي القلبية واهدبك عاطر تسلياتي واعبر لك عن محبتي وإخلاصي كما وأرفع ذلك لكل أفراد أسرة دولتكم الكريمة جعل الله

المودة والألفة والاتحاد والوفاق وحسن التفاهم ومتانة العلائق بيننا متيناً بمنه وكرمه
آمين (١) .

نائب جلالة الملك بصر
السير هنري مكماهون

- ٩ -

مذكرة الشريف حسين الخامسة الى السير هنري مكماهون
مكة في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ - ١٨ شباط ١٩١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة ذو الاصاله فخامة نائب جلالة الملك دام مرعياً .
بعد ، فبأيدي التوفير والاحتشام تلقيناً رقم الفخامة المؤرخ ٢٥ ربيع الأول ،
وان مضامينه ادخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول التفاهم المطلوب والتقارب
المرغوب اسأل الله أن يسهل المقاصد وينجح المساعي . ومن الايضاحات الآتية نفهم
الفخامة الأعمال الجارية والأسباب المقتضية :
أولاً - قد اعلمنا فخامتكم بأنا بعثنا بأحد انجالنا إلى الشام ليرأس ما يقتضي
عمله هناك ، ولقد ظفرنا منه بتقرير مفصل يفيد به ان اعتسافات الحكومة هناك لم
تبق من الاشخاص الذين نعتمد عليهم في الأمر سواء كانوا من الجند على اختلاف
مراتبهم أم ممن لم يكونوا من ذلك الصنف إلا القليل مما كان في الدرجة التالية ، وانه
ينتظر وصول القوات المعلن بقدموها من مواقع مختلفة أخصها من أهالي البلاد وما

١ - أخذ نص هذه الرسالة عن نسخة طبق الاصل للرسالة الاصلية . وهي تنشر لأول مرة
بالنص العربي الذي أرسله مكماهون الى الشريف حسين .

جاورها من الأقطار العربية كحلب وجنوب الموصل المشاع بأن عددها ما ينوف عن المائة ألف على ما يزعمون . وأنه لا بد يؤمل إن كانت الاكثوية من القوة المذكورة من العرب فهو عازم على إجراء الحركة والقيام بهم ، وإن كان العكس يعني الاكثوية من الأتراك وسوامهم فيسناظر تقدمهم نحو التروعة وعند استبائك الحرب حر كته بهم عندما يريدون .

ثانياً - عزمنا على إرسال نجلنا الكبير إلى المدينة المنورة بقوة كافية ليكون ردهاً لأخيه الذي بالشام ولكل احتمال واستيلانه على الخط الحديد وما هو في معنى ذلك مما تظهره الشؤون . وهذا هو المبدأ للحركة الأساسية المكتفين في مبادئها بما جندناه برسم المحافظة على راحة داخلية البلاد وبأهل الحجاز أهل المركز فقط لأسباب يطول شرحها :

(أولاً) تعسر احضار لوازمهم بصورة تجعل المشروع في حيز الكتان ، مع عدم الضرورة على ذلك وسهولة جلب الامدادات عند الحاجة ، هذا خلاصة ما رغبتم في الجواب عليه والاستفهام عنه . وفي ظني ان فيه الكفاية واتخاذة أساساً وقياساً في أعمالنا أمام كل التبدلات والطوارئ التي يظهرها سير الحالة .
بقي علينا بيان ما نحتاجه والحالة هذه هو :

أولاً - مبلغ خمسين ألف جنيه ذهباً لمشاهدة القوات المجندة ونحوها مما ضرورته تغني عن بيانه .
فالرجاء إحضارهما بوجه السرعة الممكنة .

الثاني - إحضار عشرين ألف كيس أرز وخمسة عشر ألف دقيق وثلاثة آلاف شعير ومائة وخمسين كيس بن قهوة ومثلها سكر ومقدار خمسة آلاف بندقية من الطراز الجديد وما تحتاجه النسبة لها من المرميات وأيضاً مقدار مائة صندوق من النوع المرسل منه هزيمتين طيه . ومن مرميات بواريد مارتن هنري وبارودات غرا أعني بواريد معمل سانت تين الأفرنسية لاستعمال هذين الصنفين في بواريد أي بنديات قبائلنا ، ولا بأس من جعل لكل نوعها خمسمائة صندوق .

الثالث - إننا استسبنا مركز سوقيات هذه المواد المرغوبة يكن بور سودان .

الرابع - بالنظر لكون المواد الغذائية واللوازم الحربية الموضحة أعلاه لا حاجة لنا بها إلا عند ابتداء الحركة وسنبذلكم إياها بصورة رسمية تبقى في الموضع المذكور ، وعند الحاجة إليها يبلغ أمير الجهة المذكورة وقائدها بالمواقع التي يقتضي سوقها إليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إليهم .

الخامس - النقود المطلوبة يقتضي إرسالها في الحال إلى أمير بور سودان ، وسيرده من طرفنا معتمد بتسليمها اما دفعة أو دفعتين على حسب استطاعته . وهذه علامة اعتماد الرجل (i) .

السادس - مندوبنا في قبض المبالغ المذكورة سيتوجه إلى بور سودان بعد ثلاثة أسابيع يعني يكون وصوله إليها في ٥ من جماد الأول حامل كتاب منا باسم الخواجه الياس أفندي وأنه يصرف له بموجبه ما لديه من إيجارات أملاكنا والامضاء صراحة باسمنا ، غير أننا معدينه يسأل عن قائد الموقع وأميره ، فأنتم تخبروهم عن ذلك الشخص وبمراجعته يجري له ما يقتضي من صرف ما لديهم بشرط ألا يبحثوا معه في أي موضوع كان مؤكدين غاية التأكيد في عدم المظاهرة له وكتبان أمره . ومعاملته في الظاهر بأنه لا شيء ، لا يظن أن نقتنا للشخص الأخير من اعتماد الأول . حامله هذا لا بل لعدم ضياع الوقت لتعييننا له خدمة في جهة ثانية ، مع تكرار رجاءنا بعدم اركابه وابعائه في بابور أو في شيء من هذه التسميات فأن وسائطه كافية .

السابع - مندوبنا حامل هذا أكدنا عليه بالاكتفاء بإيصال ، هذا وأظن ان مأموريته في هذا الدور تمت ، حيث ان الحالة علمت أساساتها وفروعها فلا حاجة في بعث شخص آخر . إذ ان اللزوم للمخاطبة يكن منا ، ولا سيما ان مندوبنا الأخير سيوردكم بعد ثلاثة أسابيع يمكن في ظروفها افادتنا بما يلزم له الحال وألا يعامل في الصورة الظاهرة إلا معاملة بسيطة .

الثامن - تعهد الحكومة البريطانية العظمى قبول هذه المصاريف الحربية بموجب

الدفاتر التي تقدم اليها بيان الوجهة التي صرفت فيها .
وبالحتام أهديكم أشواقني التي لا تعد واحتشامي الذي ليس له ^(١) .
١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤

- ١٠ -

مذكرة السير هنري مكماهون الخامسة الى الشريف حسين
القاهرة في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ - ١٠ آذار ١٩١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبله الإسلام
والمسلمين معدن الشرف وطيب المختار سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن
الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظم زاده الله
رفعة وعلاء آمين .

بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التبعة
والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالحببة القلبية أرفع إلى
دولة الأمير المعظم اننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ من يد
رسولكم الأمين ، وقد مررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تتوونها وانها لموافقة
في الأحوال الحاضرة .

وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها .
وقد يسرني ان أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم
وان كل شيء رغبتم الإمراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا .

١ - مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ، ص ١٠٠

والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بور سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وإبلاغنا إياها بصورة رسمية (كما ذكرتم) وبالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي يكونون حاملين الوثائق بتسليمها إليهم .

ان كل التعليقات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بور سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم - وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جزان حتى يؤدي مأموريته التي نسال الله ان يكملها بالنجاح وحسن النتائج وسيعود إلى بور سودان وبعدها يصلكم بجراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله .

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً اديكم أو ما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على صرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر . وعليه نرى انه من الضروري ان نأخذ التدابير الفعالة ضدكم ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية انه يجب على جميع وارثا ان تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا نقدم للعرب أجمع الاكل عاطفة ودية .

وقد أبغنا دولتكم ذلك حتى تكفوا على بيعة من الأمر إذا بلغكم خبراً مكدوباً عن الاسباب التي تضرنا إلى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغنا اشاعات مؤداها ان اعداءنا الألداء ياذلون جهودهم في اعمال السفن ليسوا بها الألغام في البحر الأحمر وللاحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وانا نوجوكم سرعة اخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم .

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجمال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام . ونؤمل ان تستعملوا كل ما لديكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه ممكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا ان يقبضوا على الجمال حال سيوها ، ولايشك ان في ذلك صالح

لمصلحتنا المتبادلة .

وقد يسرني ان أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والأتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون إلينا وحداناً وجماعات ويطلبون العفو عنهم والتودد إليهم. وقد الحمد لله هزمت القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدينا. وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم .

وان لسقوط ارضروم من يد الأتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاز تأثير عظيم وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الأمر الذي نعمل له وإياكم. ونسأل الله عز وجل ان يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح وان يهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج .

وفي الختام، أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لا يزغزعا كره العصور ومرور الأيام^(١) .

تحريراً في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤

الموافق ١٠ مارث سنة ١٩١٦

كتبه المخلص

السير آرثر هنري مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

١ — مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ، ص ١٠١ - ١٠٣

الفصل الثالث عشر

الثورة العربية

كانت انباء دمشق وبيروت الفاجعة قد ترامت إلى مكة، فبات الشريف حسين منها على ألم كظيم. وما كاد الأمير فيصل يصل إلى الحجاز بعد ان تخلص بالحيلة البارة من أمر جمال باشا ومكر الدولة العثمانية، حتى أرسل إلى فخري باشا قائد القوات التركية في المدينة ^(١) كتاباً يقول فيه ان نقل المجاهدين إلى فلسطين قد توقف بناء على الأوامر الصادرة اليه من والده، وقد عقدت لنية على العودة بهم إلى مكة، وأرسل إلى جمال باشا كتاباً آخر ينبئ فيه بأن الأمر قد صدر بوقف نقل المجاهدين إلى سورية، بينما كتب الشريف حسين إلى جمال باشا يبلغه اعتذاره عن الاشتراك في حملة القنطرة قبل ان تجاب المطالب التي عينها في برفيته السابقة، كما كتب إلى الصدر الأعظم انه يرى نفسه مضطراً إلى قطع العلاقات مع الحكومة العثمانية، حتى تجاب المطالب التي طلبها من انور باشا قبل شهرين.

وفي اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ (١٠ حزيران - يونيو ١٩١٦)، أي

١. - كان فخري باشا من السفاحين الذين انزلوا بالارمن ألواناً رهيبة من القتل والعنف، وقد أرسله الباب العالي إلى المدينة لشدة جبروته واستبداده كي ينزل بعرب الحجاز ما أنزله بالارمن.

بعد اعدام شهداء ٦ أيار بثلاثة وثلاثين يوماً، وبعد عودة فيصل إلى الحجاز بأسبوعين، وقف الشريف حسين بن علي في شرفة قصره بمكة معلناً ثورة العرب على الظلم والاستعباد، مفتتحاً الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال باطلاق الرصاصة الأولى من بندقيته على قلعة احياد مقر الجيش العثماني. ثم دقت طبول الحرب ووقدت النيران على شعاب الجبال، وشرع العرب بهجمة الأتراك في جميع ثكناتهم بالحجاز^(١). ولما سأل القائد التركي عن الأسباب التي أدت إلى هذا الهجوم، كان الجواب الذي تلقاه :

— ان البلاد العربية قد أعلنت استقلالها .

وقد أجابت قلعة احياد وثكنة جبرول على الثورة باطلاق مدافعها على قصر الامارة، فتهده جانب من القصر والشريف حسين واقف في الشرفة كالأسد، يحث رجاله ويثير حماسهم ويدفعهم إلى مقاومة الغاصبين الظالمين .

وكان رجاله وهم يقاتلون من حوله، يلحون عليه بمغادرة القصر حرصاً على حياته، لأن قنابيل المدافع كانت تنهـ فـط على مقربة منه . ولكنه أبى إلا ان يظل في قلب المعركة رابط الجأش قوي العزيمة، غير عابىء بالخطر المهدق به . وبلغ ما اطلقتته المدفعية التركية في مكة خلال ذلك اليوم وحده من الشكنة والقلعة مائتين وثلاثين قنبلة، وما اطلقتته خلال أيام المعركة على الأحياء والمنازل والمسجد الحرام ألفي قنبلة . أما القوى العربية فلم يكن لديها أية مدفعية، ثم وصلت المدافع التي غنمها العرب في جدة فاستعانت بها على ضرب الحامية التركية .

وقد استمرت مقاومة القلعة حتى ٢٥ حزيران (يونيه) ، والشكنة حتى ٨ تموز

١ — قامت الثورة على نطاق أضيق مما رسمه الحسين الذي كان يرى ان تعلن في كل من سورية والحجاز في وقت واحد، وان يرافق ذلك نزال حملة من قوى الحلفاء في نقطة قريبة من الاسكندرونة وبهذا يقع الترك بين نارين ويستطاع القضاء على قواتهم المسلحة جنوبية شمال طوروس ، ثم تمتد الثورة شرقاً لتوقع ضربتها القاصمة بهم في العراق . ولكن الاحداث المتلاحقة قضت على احتمال اشتعال الثورة في سورية كما رأينا قبلاً . ورفض الحلفاء القيام بالمظاهرة البحرية التي طلب الحسين اليهم ان يقوموا بها (انظر الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٧٨) .

(يولييه) ، وبسقوطها قضى على الجيش التركي في مكة واستولى جنود الشريف على كافة مراكز الجند والمخافر ودور الحكومة بما فيها من سلاح وعتاد. اما حامية جدة فقد استسلمت في ١٦ حزيران (يونيه) ، بعد ستة أيام من هجوم العرب عليها، بقيادة الشريف محسن بن أحمد منصور . وكانت قوة مكة تتألف من ألف جندي بقيادة درويش بك ولديها ٢٠ مدفعاً ، وقوة جدة من ٢٥٠٠ جندي ومائة ضابط و ٢٠ مدفعاً و ١٥ رشاشة^{١٠}

وظلت نيران المدافع والبنادق التركية تتساقط على القصر الهاشمي خمسة وعشرين يوماً ، والشريف - كما يروي خير الدين الزركلي - يثابر على عادته في الجلوس به ولم يغير مجلسه ولا اختار غير غرفته الخاصة المعروفة باسم « الخلوان » يمكث بها وفي ردهة القصر سحابة النهار والربع الأول من الليل، يتحدث مع من عنده ويضع الخطط لاتمام العمل. حتى ان الناظر إلى غرفته لا يتألك من الدهشة حين يرى أبواب نوافذها وسقفها ومنصتها، وفيها آثار الشظايا والطلقات النارية التي كانت تتساقط بغير نظام. ولقد دخلت إحدى القنابل غرفته وهو جالس فمرت على قيد شهر من مجلسه ، فاخترقت أساس الغرفة وهو لا يعبأ بها .

وقد اذاع الشريف حسين منشوراً باعلان الثورة وبيان دوافعها ، استهله بالآية الكريمة « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . وبعد ان عدد فيه ما قام به الذين يحكمون باسم الشريعة الاسلامية من تحريف لهذه الشريعة السمحاء، وانحراف عن نهجها القويم قال :

« واما اسرافهم في أموال الدولة وارهاقها بالقروض الفاحشة فأمره معلوم للخاصة والعامة ، وكذلك اضاعتهم لعدة بمالك من الدولة - كملكيتي البوسنة والهرسك وبمالك البانية ومكدونية وطرابلس الغرب وبرقة ، وكذلك اثارة الاحقاد الجنسية المعزقة لشمل الأمة العثمانية. وهذه السياسة السوأى أضاعوا المملكة الابانية وفقدوا الشعب الارنؤوطي الباسل، الذي كان سياجاً للدولة أمام البلقان،

١ - عبد الله بن الحسين: « مذكراتي » ص ١٠٨ وما بعدها . الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٩٩ ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٩٠-٩١

وهي التي حملتهم على ما اشتهر خبره في هذه الأيام من الفتك بالأرمن من رجال ونساء وأطفال . فأبن هذا ان صح عشر معشاره من قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « من آذى دميأ فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » ، رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود . وفي الوصية بحفظ حقوق أهل الذمة والعهد أحاديث في الصحاح والسنن . ومن الأحاديث الخفيفة في هذا الباب ما رواه الطبراني من حديث جابر « إذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو » وان كان في سنده ضعف فان متنه في غاية القوة تؤيده السنن الاجتماعية .

وأما ما خصوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد ، فهو أعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد . حاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بابطالها من المدارس ومنعها من الدواوين والمحاكم واصدروا في ذلك أوامر كثيرة لقيت من مبعوثي العرب معارضات شديدة ، ونفروا عنها في كتبهم الجديدة ، وألقوا لذلك الجمعيات الكثيرة . ولا يخفى ان قتل اللغة العربية قتل للاسلام نفسه ، فالاسلام في الحقيقة دين عربي بمعنى ان كتابه انزل باللغة العربية وجعل متعبداً بتلاوته وتدبره وفهمه ، لا بمعنى انه خاص بالعرب . فمن المعلوم من الدين بالضرورة انه عام لجميع الأمم وقد قال الله في سورة الرعد : « وكذلك انزلناه حكماً عربياً » .

وقد امكنتهم فرصة اعلانهم الأحكام العرفية في البلاد ، من تنفيذ كل ما يريدون في العرب ، فطفقوا يقتلون ويصلبون كباراً ونوابغ رجال النهضة العربية الذين اشتهروا بغيرتهم على الأمة والدولة من أرباب المعارف والأفكار وحملة الاقلام وبارعي الضباط . وآخر ما وصل الينا من بلاغاتهم الرسمية في ذلك انه صبروا في الشام ٢١ رجلاً في آن واحد (منهم شفيق بك المؤيد والسيد عبد الحميد الزهراوي والضابط الكبير سليم بك الجزائري والأمير عارف الشهابي وعبد الغني العريسي وشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك وتوفيق بك البساط) . وانه يصعب على كثير من ذوي القلوب القاسية ، ازهاق مثل هذا العدد الكثير من الأنفس لأجل الانتقام . ولو كانت من الدواب أو بهيمة الانعام ، وانما يقتلون امثال هؤلاء جهراً ويصلبونهم في الشوارع العامة صلاً حتى لا يطمع عربي بأن يقول بعدم ان لغتنا لغة الاسلام

فيجب على الدولة الاسلامية الكبرى مساعدتنا على حفظها ، وان لنا في المملكة حقوقاً شرعية وقانونية يجب علينا المطالبة بها . واما من يقتلون رماً بالرصاص بعلى عسكرية ومن يقتلون اغتيالاً في السجون والشوارع ، فلا سبيل إلى العلم باخبارهم إلا اجمالاً ، وانه ليعز على كل انسان ان يرضى لقومه أو لغيرهم من أبناء جنسه بأن تكون دماؤهم مهينة غير محترمة إلى هذا الحد . وقد عظم الاسلام أمر احترام الدماء ، وجعل من يعتمد القتل خالداً في النار .

ثم انهم صادروا أموال من لا يحصى من الناس وعمدوا إلى كثير من الأسر الغنية أو المغضوب عليها لأسباب سياسية ، فاخرجوهم من ديارهم وأموالهم وعقارهم ، وأبعدوهم نساء وأطفالاً إلى بلاد الأناضول بلا كافل شرعي ، فهكروا حرمة المخدرات من النساء المؤمنات اللواتي لا يعرفن السياسة وعرضوا أطفالهن للهلاك بين ايديهن في طريق النفي الطويل ، الذي لا يجدون فيه الكفاية من القوت والأسباب الواقعة من البرد أو الحر ، والله تعالى يقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . والظاهر أن الغرض من هذا ان يكون من يسلم من الهلاك من هؤلاء النساء كالاماء والعيبد للترك في الأناضول . ولا بد من ان ينسى الأطفال لغتهم هنالك فيكونوا تركاً تعمهم بهم بلاد الترك ، ولعلمهم يريدون ان يأتوا بترك يحلون محل هؤلاء المنفيين فيسهل جعل البلاد السورية كلها تركية .

ولم يكتفوا بالتنكيل بالأحياء تفتيلاً وتصلباً ومصادرة ونفياً ، بقساوة على الأطفال والمخدرات تنفطر لمجرد صورها القلوب ، وتذهب الأنفس حشرات - بل وصل حقدهم على العرب إلى إهانة الأموات فتجروا على قبر الأمير الأبر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الحسيني باهانتة وتحقيره .

أي مسلم ، بل أي بشر يرضى لقومه بمثل هذا الظلم ، والحسف وقد جعل الله تعالى أمر نفي المرء من وطنه مقارناً لامر قتاله ليرتد عن دينه وسبباً لمشروعية القتال . فقال تعالى في تعليل الاذن بالجهاد : « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق » - الآية . وقال في شأن معاملة غير المسلمين بالعدل والبر والإحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم
أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

وأما نصيب الحجاز وسكان الحرمين الشريفين من هذه الازراء، فلو سكتنا على
ما كان من بوارده وأوائله، لطغى مده حتى لا يعلم الا الله أين يكون حده، ساقوا
الينا الألوف الكثيرة من جنودهم المنظمة مستكملة الأسلحة والذخائر وهم يعلمون
كما نعلم ، ان الحجاز لا يهاجمه أحد من الدول المحاربة حتى يحتاج إلى قوة مدافعة .
وانهم في أشد الحاجة إلى هؤلاء الجنود في ميادين القتال ، فلم يبق إلا أنهم يريدون
ان يفعلوا في الحجاز ما فعلوا في سورية والعراق ليم لهم القضاء على الأمة العربية في
عقر دارها وموطن منعته وعزها وفخارها ويزيقوا هذا الحرم الذي جعله الله آمناً
تحيي اليه ثرات كل شيء، ما اذاقوا جنة الدنيا (الشام) من الجوع والخوف ويسلبوه
ما من الله به عليه وامتن به على سكانه في كتابه العزيز، فكان وجود هذه الجنود سبباً
لمنع ورود الاقوات على الثغور الحجازية وعليها مدار معيشة البلاد، وسبباً لمنع ورود
الحجاج منها ولا كسب لأهلها إلا منهم ، فاشد الضيق حتى اضطر كثير من أبناء
الدرجة الثانية من الأهالي إلى بيع أبواب بيوتهم وخشب سقفها بعد بيعهم لجميع ما
يملكون، لأجل الحصول على سد الرمت، وصار من المحتم علي دفع أسباب الهلاك عن
قوم جعلني الله راعياً مسؤولاً عنهم ، وأسباب منع سواد المساهمين الأعظم عن اقامة
ركن من أهم أركان دينهم . ولو كان ذلك البلاء في سبيل الدفاع عن الأوطان أو
المصلحة الراجحة للاسلام لتحملته البلاء بالافتخار ولساوى فيه الشرفاء والموسرون
وغيرهم ولو بالاختيار، ولكنه كما أسلفنا ضد مصلحة الاسلام والوطن^(١) .

وطارت أنباء الثورة في الوطن العربي الهاجع ، تهز النائم وتوقظ الغافل ،

١ — انظر النص الكامل المنشور في الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ١٤٩ . العهد المتعلقة
بالوطن العربي ص ٥٢ - ٦١ ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٠٠ ، وقد رفضت
السلطات البريطانية الموافقة على هذا المنشور بنصه الاصيلي وأدخلت عليه بعض الاختصار
والتعديل في النسخ التي رزنتها في البلاد العربية والاسلامية .

وتشير بيد الأمل إلى حاضر أسود ومستقبل منير .

وقد استقبل نبأ اعلان الثورة في المحافل الدولية بالدهشة ، لان الكثيرين كانوا يعتقدون بأن العرب غير قادرين على القيام بهذه البادرة الجريئة ، وكانوا يشكون فيما يزعمونه من تطلع إلى الحرية والاستقلال ، ولا سيما بعد ان اعدم مفكروهم ، ونفي زعمائهم ، وشردت أسرهم ، ونكبت بلادهم ، وسبق ابناءؤهم إلى ميادين القتال لتضحياتهم على مذبح المطامع التركية ، دون ان يحركوا ساكناً أو يبدوا تمرداً .

أما جمال باشا فقد اخرجته الثورة عن رشده ، فأخذ يندد بالشريف حسين لأنه عطل « الجهاد المقدس » في صميم الأرض الاسلامية المقدسة ، مهدداً بالقضاء على تمرده وشنقه على أحد أبواب دمشق .

وقام جمال باشا بحركة انتقامية واسعة في سورية ، فزج في المعتقلات عدداً من شخصيات البلاد ، وساق إلى المنافي عدداً آخر . ولا ريب في ان معظم هؤلاء كانوا سيحكمون بالموت ، لولا ان الأمير فيصل قد انذر السفاح بأنه سيعدم مقابل كل عربي عشرة ضباط من أسرى الأتراك ، فكان لهذا الوعيد أثره الفعال (٢) .

وقد شابت جمال باشا في رأيه ، بعض الأوساط المختلفة في سورية والعراق ومصر والهند ، لأنها رأت في هذه الثورة خروجاً على الاسلام ، الذي يمثل في اعتقادهم خليفة المسلمين في الاستانة . الا ان الأوساط الواعية المتحررة ، تلقت اعلان الثورة بتأييد شامل وابتهاج عظيم ، وهرع الكثيرون من الأحرار والضباط إلى الالتحاق بالثورة ، من كل بلد عربي وبكل طريقة ممكنة .

ويروي محمد علي العجلوني أحد الضباط العرب في الجيش العثماني ، كيف استقبل وزملاءه نبأ الثورة العربية ، وكان يومذاك في المستشفى بطرطوس فيقول : « وفي صبيحة أحد الأيام دخل المستشفى بعض التجار من حاب ليزوروا اصدقاءهم ، فأسرّوا اليهم بأنباء انعتشتهم وكأنها بشرى زمت اليهم . ولم يتالكوا من الفرح ،

فكاشفوني بما سمعوا بعد ان اطمأنوا إليّ .

لقد أعلن شريف مكة الثورة على الحكومة التركية ، التي يمين عليها حزب الاتحاد والترقي ، كما أعلن في الوقت نفسه استقلال البلاد العربية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية ، بعد ان طفع الكيل ، فتجلى لي فوراً سبب تشاؤم ذلك الضابط الهندي ، وقوله ان نهاية إمبراطورية آل عثمان قد قربت .

وكان للخبر في نفوسنا وقع عظيم ، كأنه من السماء ، فأعاد الثقة المتزعزعة ورسم في حياة الأمة العربية خطوطاً جديدة عريضة ، كلها أمل وقوة وفجر جديد ، وصارت البسمة تطفح على وجوه الضباط العرب المرضى وزوارهم ، واستبشرنا بالخير جميعاً . ومثل هذا الشعور ربما لم يخالط نفوس العرب منذ ستة قرون . وعاهدت نفسي فوراً على الذهاب إلى ميدان الثورة ، غيورة وان ، مها تخر الطرق بالمشاق والصعوبات (١) .

ويقول علي جودت الأيوبي : « كنا في البصرة عندما سمعنا نبأ إعلان الثورة العربية ، فأبرقنا للشريف حسين نطلب الالتحاق به ، فأجاب مرحباً وانتقلنا إلى الحجاز . وكان كثيرون من أعضاء العهد قد التحقوا بالثورة . ومن المؤسف ان عزيز علي لم يبق طويلاً في الحجاز ، والسبب يعود إلى وشاية بلغت الأمير علي بأن عزيزاً على اتصال بالأتراك ، فأمر باعادة قوة عسكرية كانت في طريقها للهجوم على الأتراك بقيادة عزيز علي . وعلى الأثر عاد عزيز علي إلى مصر محتجاً بالمرض ولم يعد (٢) . أما الدكتور أحمد قدری ، أحد أقطاب « جمعية الفتاة » ، فيحدثنا عن رحلة فوج من أحرار العرب إلى الحجاز ، لعله آخر أفواج الأحرار التي التحقت بالثورة فيقول :

« وفي ١٠ كانون الأول صدر القرار بتخلية سبيلي ، (٣) فحرصت على البقاء في

١ - ذكريات العجلوني ص ٢٣

٢ - ملحق جريدة الحياة الخاص بالثورة العربية الكبرى ص ٣٧

٣ - كان الدكتور احمد قدری قد اعتقل مع شكري الايوبي وشكري القوتلي وفارس الحوري وعمر الرافعي وغيرهم كما ذكرنا في فصل سابق .

دمشق مركز الحركة العربية ، بعد أن أعلن الشريف حسين الثورة . وقد فاتحت بذلك الدكتور كنعان من شبان نابلس النابيين ، وكان مساعداً لمدير الصحة العسكرية في دمشق إذ ذاك ، الدكتور حسن ابراهيم باشا ، فوافقت القيادة على ان أعين طبيباً لمستشفى الأمراض الزهرية في دمشق . ولما كان الأمير فيصل قد احتل العقبة في آب ، فقد أصبح اتصالنا به ميسوراً عن طريق جبل الدروز ، لأن قوافل المهرين كانت لا تنقطع عن العقبة ، بسبب قلة بل انعدام وجود السكر والارز وما شاكلها من المواد الغذائية ، وغيرها من المنسوجات الضرورية في البلاد . وما ورد في الاحصاءات ان سورية والعراق ، فقدتا سنة ١٩١٧ وحدهما ، ما لا يقل عن مئة وخمسين ألف نسمة بسبب المجاعة والأمراض ، مما دفع النساء إلى التهام جثث الأطفال ، فحكم على إحدى النساء بالموصل وأخرى في طرابلس الشام بالاعدام بسبب ذلك ، ولم يشفع لهما بؤسها الذي كان العامل الحقيقي على ما أقدمتا عليه .

وبعد ان استقر بي المقام في دمشق ، كان همي الوحيد تبين الخطط التي تضعها السلطة العسكرية في محاربة الأمير فيصل ، وارشاده اليها كيما يتحاشاها . وقد اضطررت في إحدى الليالي إلى السفر لدرعا بقطار عسكري فوق أكياس ، والبرد قارس ، لاستلام رسالة أرسلها لنا الأمير فيصل . فقطعت الطريق ، وقد استغرق اثنتي عشرة ساعة إذ كان وقود القطار من الحطب . وقد حظيت بكل مساعدة لمعرفة خطط السلطة العسكرية من ياسين الجابي ، أحد أفراد هيئة أركان حرب جمال باشا الصغير ، الذي خلف جمال باشا الكبير في سورية ، بعد مغادرته لها في خريف ١٩١٧ . وبعد استقرار فيصل في (أبي اللسن) وضبطه مرتفعات سمينة التي تشرف على معان ، وتخريب رجاله لكثير من محطات سكة حديد الحجاز ، غدا الاتصال بين سورية والأمير أسهل منه قبلاً . وفي تلك الأثناء نقلت القطعة التي يتوأس عليها ياسين باشا الهاشمي إلى جبهة فلسطين قرب عمان ، إلا انها أصبحت تركية ، فأرسلت له الملازم المكلف بالخدمة سليم عبد الرحمن لاستشارته فيما يمكن عمله ، فأبدى غاية التحفظ . ولم يزد على القول بأن الأمر أصبح بيد فيصل ، فقرروا آنئذ استشارة فيصل باللاحاق به ، فجاءني الرد بأنه إذا لم يعد بإمكاننا القيام بأي عمل

إيجابي في دمشق ، فلنلتحق به في (أبي السِّلْ) . وهكذا عمدت إلى نهضة أمر حملة لتلك الغاية . وكان كل ما بقي معي من مال إذ ذاك ، ألفي ذبّة عثمانية ، فوضعتها تحت أمر اخواني لتنظيم الحملة المذكورة ، وهي مؤلفة مني ومن قائدتها أخي تحسين قدري ، الذي طلبت إليه العودة لدمشق من جهة فلسطين ، فوافاني متكرراً ، ونزل من القطار بين الكسوة والقدم ، واختفى في بيت مربية أولاد أحمد مختار مردم بك (والد صديقي خليل بك) إلى يوم سفرنا ، ومن رفيق التميمي وسليم عبدالرحمن ورستم حيدر والملازم الأول محمد المغربي و خليل السكاكيني وسعيد الباني والعسليّة الثلاثة الذي كانوا في انتظارنا بالجليل . واستعنت بسليم بن يوسف عبيد من جرمانا لتهيئة الحيل والسلاح والعتاد والمتطوعين الذين نحتاج اليهم . وبلغت التكاليف التي تكبدناها حداً باهظاً بسبب سرية العمل . وفي أواسط يونيو ، قصدنا متفرقين بساتين جرمانا بغوطة دمشق .. وبعد حين جمعنا شملنا وغيرها زيتنا ، وغادرنا مكاننا تحت جناح الليل قاصدين إلى خلخلة ، مارين بغير اكتواث بالخفر الذي يعترض طريقنا إذ كان في وسعنا الاستيلاء عليه ، ولكننا لم يعترضنا أحد .

ولبثنا يومين في خلخلة ندعو إلى ضرورة انضواء العرب تحت راية الأمير فيصل . ومنها قصدنا في طريقنا إلى القرية المجاورة « الحلبية » ، ولما كانت شيخها يتظاهر بالصدافة للسلطة التركية ، فقد تحاشى الاجتماع بنا ، ولم يصفنا ، فأوجس زملائي ان يتكاثر علينا أهل القرية فيتعذر علينا الدفاع ثم يسلّمونا للحكومة التي كانت قد أعلنت على انها تمنع لمن يأتي بأحدنا حياً أو ميتاً مكافأة قدرها (٥٠٠) ليرة ذهبية . فرأيت ان لا خلاص لنا إلا بالاقدام ورباطة الجأش . وهنا تقدمت من ابن الشيخ ، زاعماً انني صديق حميم لسليم الأطرش ، وكان بحكم حاكم الجبل في نظر أهاليه ، كما انني أخ لنسيب الأطرش . ولم أقم بهذه الرحلة إلا بعد الاتفاق معهما ، وانني على استعداد لمغادرة القرية وأخبارهما بهذه المعاملة الشاذة التي لا يليق ان يعامل بها الضيوف . فتغير الوضع آنئذ وذبحت لنا ذبيحة واتانا منشد القرية ينشد على ربابته اناشيد في تمجيدنا . ولما لاح الصباح غادرنا القرية قاصدين عنزة قرية حسين الأطرش . إلا اننا بتنا ليلة في الطريق قبل الوصول إليها وكنا نلقى كل

ترحاب ممن نصادفهم ، كما ان لقاء حسين لنا كان لقاء كريماً . ثم واصلنا السفر إلى « القرية » مقر سلطان الأطرش ، ورغم تغيبه يومئذ فاننا بتنا في المضافة وأصبحنا آمنين على أنفسنا، ومكثنا هناك بضعة أيام لاستكمال عدتنا واستأجرنا بعض الادلاء والمتطوعين من عرب السردية . واجتمعنا بعبد اللطيف العسلي ولطفي العسلي وحكمة العسلي . ولما ان استوفينا ما أردنا من العدة وكان عديدنا قد غدا وفيراً بانضمام الكثير ممن يرغب الالتجاء إلى مصر، إلى أقاربهم من اللبنانيين، ومن الأرمن ممن كانوا مختبئين في جبل الدروز الذين أعلن فيصل أخذهم تحت حمايته ، وكان بينهم عدد من النساء أيضاً . فسارت القافلة بتنظيم عسكري بطريق البادية وبتنا بالحلاء ثم حللنا بالازرق للارتواء. فباغتتنا عن بعد غزو، إلا انه لم يجرؤ على مهاجمتنا . وفي أثناء المحدثارنا نحو أحد الوديان أراد سعيد الباني ان يسرع ويتقدم غيره فمنعته راجياً ان تكون النساء في المقدمة . ولم أكد أتم كلامي حتى انطلقت علينا عدة طلقات نارية ، فالتجهم عندئذ نحوي وقال لي : هذا هو السبب الذي كنت من أجله أود الاسراع في النزول . وللحال اتخذت حاميتنا خطة الدفاع وفتحت النار بشدة على المهاجمين، وأحضرت أنا آلات الإسعاف. وكان رسم حيدر مكلفاً بجلب الماء للجرحي إذا ما أصيب أحد، إلا ان تنظيمنا شبه العسكري ووفرة النيران التي قابلنا بها المهاجمين، إذ كان لدينا رشاش ، كل ذلك جعلهم يرتدون بسرعة . ثم واصلنا السفر بعدها إلى بير بيرين مقر عودة أبو تايه شيخ الحويطات وهناك رأينا على بئرها قطعة بيكستون العسكرية الانكليزية معتلية الجمل، عائد بحجة من التجربة التي أرادت القيام بها لتخريب خط السكة الحديدية بين جبهة فلسطين ودرعا، وغاية ما وسعها عمله هو الاستيلاء على محطة المدورة شمل معان بحماية رجال فيصل . ولقد بتنا ليلتنا هذه ضيوفاً على « أبو تايه » حتى إذا أشرق الصباح سرنا نجتاز السكة الحديدية قرب معان قاصدين « أنا السل » أمام معان مقر الأمير فيصل . وكان أول من صادفنا من قواد جيشه النظامي جودة الأيوبي ، وكنا آنئذ ننشد الأناشيد الحماسية التي نظمها ولحنها انا خليل السكاكيني ومطاعها :

هيا المولى العظيم
فخر كل العرب

ملكك الملك العظيم ملك جدك النبي

وبعد ان تناولنا عنده المرطبات ودعناه قاصدين مقر الامير ، وكان وصولنا اليه عند المساء عقب الغروب . فاستقبلنا سكرتيوه الخاص فايز الغصين وسيب البكري ، وهما من اخواننا في الجمعية ، وفايز المؤيد وأخوه أحمد . وللحال نصبت الحمام لمبيتنا . وما هي إلا استراحة قصيرة ، حتى طلب فيصل مقابلي ، ورحب بي ببشاشته المعهودة . ثم رأى ان بعين رسم حيدر رئيساً لدبوانه ، ورفيق التميمي رئيساً لدبوان أخيه الأمير زيد ، ونحسب قدرتي مرافقاً خاصاً له . واقد حسرت له عن الحالة الأليمة التي وصلت اليها سورية ونفور الأهليين من مظالم جمال باشا، وسوء الادارة في البلاد ، وتحسينهم الفرص للانضمام تحت لوائه^(١) .

وأما في جزيرة العرب ، فيقول جورج انطونيوس ان الثورة لاقت التأييد التام من عبد العزيز آل سعود أمير نجد والشيخ جابر المبارك الصباح أمير الكويت ، والشيخ خزعل أمير الحمرة ، الذين عقدوا مؤتمراً في الكويت ضم ما يزيد على مائة وحسين شخصاً من شيوخ القبائل . وقد القى عبد العزيز آل سعود فيه خطاباً حماسياً حث فيه العرب على مقاومة الأتراك^(٢) .

وزار الحجاز وفد من عرب افريقية الشالية يتألف من آغا شعراوي ومصطفى شرسالي عن الجزائر، والشاذلي العقبي والعربي بن الشيخ عن تونس، وموسى أحمد بن سكريج عن المغرب الأقصى وعبدو خان عن افريقية الغربية . وكان سكرتيو الوفد السيد علي ملك ، وكانت الغاية من زيارته الإعراب عن تأييد العرب والمسلمين في شمال افريقية لثورة الشريف حسين .

وبالإضافة إلى العدد الكبير من الضباط والجنود الذين أسرمهم الإنكليز في مبادي القتال التركية المختلفة، ورغبوا في الانضمام إلى جيش الثورة، كان احوار العرب من عسكريين ومدنيين، يتوافدون للالتحاق بأول جيش عربي، يناضل في سبيل

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٦٣-٦٧

٢ - انظر تفصيل ذلك في بقطة العرب ص ٣٠٢

قضية عربية منذ مئات السنين .

وأشار لورنس في امكنة متعددة من كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » ، الى الروح القومية التي سادت الثورة في المدن والبادي على السواء ، ومن ذلك قوله : « ان قصة الثورة العربية من أولها لآخرها ليست سوى قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب . أما نحن فقد تبينناها حباً بانفسنا ، وعلى الأقل طمعاً بكسب مستقبل . ولم يكن في مقدورنا تحاشي ذلك إلا بمجدع أنفسنا فيما نشعر ونحس به من دوافع » وقوله : « لم المس سوى أثر ضئيل للتعصب الديني بين العرب ، ولقد رفض الشريف مراراً وتكراراً ان يضيفي على ثورته رداء دينياً » وقوله أيضاً : « لقد أدهشني رجال العشائر ذوو الألبسة المهلهلة باطلاعهم الواسع وادراكهم العميق للفاهيم القومية التي يتعذر حتى على الطبقات المثقفة هضمها » ، وكى اسبر غور هؤلاء الحاضرين طرحت عليهم هذا السؤال : ترى بعد انتصار الثورة هل تحكم دمشق الحجاز أو أهل الحجاز يحكمون دمشق ؟ والجواب كان ان هذه المسألة لا تعنيهم كثيراً فالحكم ان يتخلص العرب من المتطفلين الذين يتحكمون بهم . أما العراقيون والسوريون المنخرطون في الجيش العربي ، فكانوا يؤمنون ان مشاركتهم في ثورة الحجاز ، تقدم كل المبررات للحقوق العامة للعرب في تجسيد الوجود القومي العربي . وسواء لديهم أكانت الدولة العربية المنتظرة دولة وحدوية أو اتحاداً كونفدرالياً ، فقد كانوا يتطلعون نحو الشمال راغبين في ادخال دمشق وبغداد في الأسرة العربية ^(١) .

وفي ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ (تشرين الأول - اكتوبر ١٩١٦) ، ألف الشريف حسين حكومة برئاسته تولى نيابة الرئاسة فيها الشيخ عبد الله بن سراج . أما اعضاؤها فهم عبد الله بن الحسين للخارجية ، فيصل بن الحسين للداخلية ، عزيز المصري للعربية ، علي مالكي للمعارف ، يوسف بن سالم للاشغال العامة ، محمد أمين للأوقاف ، أحمد بن عبد الرحمن باناجه المالية . ثم ألف مجلساً للشيخوخة للنظر فيما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على اعمال الدواوين والدوائر الرسمية ، وابداء الرأي في ما

تعرضه الدوائر على رئاسة الوزارة. وقد تألف هذا المجلس برئاسة محمد الشبي، وعضوية عبد الله بن محمد صالح الزواوي، وعابدين حسين، وعبد القادر بن علي الشبي، وابراهيم علي، ومحمد بن علوي السقاف، وعبد الله بن علي رضا، وعلي بن عبدون الشرباصي، وأبو بكر بن محمد خوفير، وحزمة بن عبد الله الفعر، وفتن بن محسن، وسليمان بن أحمد بن سعيد، وناصر بن شاكر.

وخطب الحسين في الاحتفال بعيد الأضحى رداً على خطبة القاها الشيخ رشيد رضا، فقال: «إن وجودنا السياسي مكفول لنا بالاستقلال التام الذي لا تشوبه شائبة. ولو أن هذا العمل الذي اعتقد فيه كل الصلاح لقومي وبلادي وديني، يعترضه أحد بسوء، ولو كان أحد أولادي لصلبته بيدي غير آسف عليه، لأنني أحب بلادي وديني أكثر من كل شيء في الوجود، ولولا هذه المحبة لما نهضت هذه النهضة وسأبقى مستمراً في خطي غير مترعزع فيها ولا متحول عنها حتى يقضي الله أمره.

« إن هذه النهضة عربية، تشمل كل عربي كائناً من كان. على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه ».

وفي أول محرم سنة ١٣٣٥ (٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٦)، بايع علماء مكة الشريف حسين «ملكاً على العرب». ويقول عبد الله بن الحسين في ذلك أنه كان السابق إلى التفكير بإعلان استقلال البلاد العربية بجمعها، والبيعة لجلالته ملكاً على العرب، «لأن الترك في ذلك الحين كانوا ينظرون إلينا كعصاة خارجين، واعدائهم ينظرون إلينا كتنوير لا أقل ولا أكثر وفي هذا ما فيه من الخطر على مستقبل الأمة، فذاكرت زملائي الوزراء - ما عدا الأميرين علي وفصل فانها كانا في الجبهة - ذاكرت الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس الوزراء والشيخ يوسف قطان وزير الأمور النافعة وحافظ محمد أمين أفندي ناظر الأوقاف، وعزيز بك علي المصري رئيس أركان الجيش العربي وعلماء مكة ومفتيها ومن حضر من رجال الشام والعراق الذين منهم الشيخ كامل القصاب والسيد محب الدين الخطيب وآل

البكري والشيخ فؤاد الخطيب - وكان معاوناً للخارجية - وآل الداوق وحضرات الضباط العراقيين ، فعرضت عليهم الأمر ، فوافقوني على ذلك وألحوا في سرعة التنفيذ .

« فدخلت ، وعرضت الأمر على جلاليته فرفض بشدة وقال : أنا لا أعمل للملك ولا أقبل هذا الأمر الذي تعرضونه عليّ . فتقدمت ولثمت ركبتة وقلت : هذه العريضة مقدمة من عظماء الحجاز ومن حضر من سائر بلاد العرب ، وهم يرجونك قبول عرضهم . فقال : ليس عندي سوى ما قلته لك . فقلت : اسنا جميعاً على استعداد لخدمة الثورة إلا على شرط قبول ما عرضناه ، فاعمل ما تشاء مع سوانا . فقال : هل بلغت بكم الحال إلى هذه الدرجة ؟ فقلت : نعم . فقال : قف . فوقفت ثم أمر بحضورهم جميعاً فلما جاءوا قال : أصبح ما يقول هذا ؟ . قالوا : لا يجوز أحد على أن يعرض على سيدنا ما لا صحة له . فقال : هل عزمتم على ترك الدوام على الثورة ان لم أقبل أنا ما عرضتموه ؟ قالوا : نعم ، سنسحب كلنا . فقال : افعلوا ما شئتم والتبعة عليكم . أنا أقبل ما عرضتموه منفذاً لرغبتكم لا موافقاً عليها . فقالوا : إذن وفقك الله وستكون البيعة يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٣٥ في المسجد الحرام . فقال : على بركة الله (١) . »

وفد أثارت هذه البيعة غضب بريطانية وفرنسة ، ورأنا فيها تسرعاً لا مبرراً له ، وتصرفاً منفرداً لم تستشر فيه الدولتان الحليفتان . وبعد نقاش وجدال طويلين دار بين لندن وباريس ، والقاهرة ومكة ، قدمت بريطانية وفرنسة للملك بواسطة مندوبيهما مذكرتين تعترفان به بوجوبها ملكاً على الحجاز ، على أن يكون لقبه « جلالة ملك الحجاز » . وقد رد الملك على رسول فرنسة حين سلمه المذكرة بقوله : « لا أهمية للقب بنظري فأنا لا أفكر إلا في خدمة أمتي وبلادتي (٢) » ، وجاء الاسطولان الانكليزي والفرنسي يحملان إلى جلالة الملك تهاني دولتيهما ، وخطب أميرال الاسطول الفرنسي

١ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٢٩

٢ - انظر تفصيل هذا الامر في « أسرار الثورة العربية الكبرى » ص ١٧٦ - ١٨٣ وبقطة العرب ص ٣١١

في حضرته ، ودعاه بأعظم امراء العرب .
 ويقول أمين الريحاني : « قد ينسى الملك حسين تلك الخطبة وذلك الاطراء من
 الأميرال الفرنسي ، ولكنه لا ينسى ما خط على الورق وما لديه من الرسائل التي
 كان يحملها كاتب سره في تلك الحقيبة الصغيرة ، يوم شرفني بزيارته في دار الضيافة ،
 هوذا كتاب من خلف السير مكماهون في مصر ، المندوب السامي السير ريجنالد ونجبت
 في ١٩ نيسان سنة ١٩١٧ م و ٢٧ جمادي الثانية ١٣٣٥ هـ ، وفيه ما يلي :
 « أوامير ان لا يبرح من بال جلالتكم ان الحكومة البريطانية هي التي تحترم
 المعاهدات وهي حامية دمار الحق والعدل ، والحليفة الوفية التي لا تخون العهود^(١) . »

الفصل الرابع عشر الحرب في المعركة

كانت القوات التركية في الحجاز . في بدء الثورة العربية . تتألف على الشكل التالي :

- ١ - قوة المدينة الداخلية ، وتتألف من فوجي مشاة ، وآلاي (جيفل) هجانة و ٣ بلوكات استحكام ، ورشاشات ومدفعية قوية .
 - ٢ - قوة بيردرويش ، وتتألف من خمسة أفواج مشاة وسريتين راكبتين ، وجيفل هجانة ، وبطارية مدافع جبلية تنقل على الابل و ٤ طائرات .
 - ٣ - قوة بيرروحانا ، وتتألف من جيفل هجانة ، وقوة من عرب شمر ، وكتيبة تركب البغال ، و ٥ مدافع ميدان ، ومفرزة لاسلكي .
- ومجموع هذه القوى ٢٣٣٠٠ جندي يقودها ٦٠٠ ضابط .
- وكان للترك أيضاً قوات عسكرية كبيرة ترابط على طول سكة الحديد ، من المدينة إلى معان ، مقسمة إلى ثلاث مناطق : منطقة المدينة - العلا بقيادة بصري باشا ، ومنطقة تبوك - العلا بقيادة القائقام عاطف ، ومنطقة تبوك - معان بقيادة اللواء محمد جمال^(١) . وكانت تؤازر هذه القوات الطائرات الألمانية فتغير على القبائل

١ - أسرار الثورة العربية الكبرى ص ١٣٣

الناثرة محاولة تحطيم معنويات المحاربين^(١) .

وقد تألف الجيش العربي من ثلاثة أقسام تتساند في حملاتها على الجند العثماني :

١ - قسم يقوده الأمير فيصل بن الحسين وهو مكون من نحو عشرة آلاف مقاتل أكثرهم من قبائل المدينة المنورة مثل بني جهينة ، وعتيبة ، وعجيل ، وبليس ، وفيهم نحو ألف خيال والباقون مشاة ، وكان مقره في البادية بين المدينة المنورة وينبع .

٢ - قسم يقوده الأمير علي بن الحسين وهو مؤلف من ثلاثة عشر ألف مقاتل بينهم ألف هجان ، وعشرة آلاف جندي نظامي من عرب الشام والعراق الذين انفصلوا عن الجيش التركي والتحقوا بالقوى العربية ، والباقون من عرب البادية ، وكان مقره في رابغ .

٣ - قسم يقوده الأمير عبد الله بن الحسين وكان مؤلفاً من أربعة آلاف مقاتل من البدو وفيهم بعض العرب الذين كانوا في الطائف ، وكان مقرهم في ضواحي الطائف^(٢) .

وتألف فيما بعد جيش رابع بقيادة الأمير زيد ، وكان بمثابة احتياطي للجيش الثلاثة .

وكان بدو الحجاز هم العنصر الأساسي والغالب في هذه الجيوش^(٣) ، أما الضباط فهم أما عراقيون وهم الأكثرية ، أو سوريون أو فلسطينيون . على أن حكومة الحجاز أمرت بإنشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط ، تولى قيادتها في أول إنشائها ضابط سوري هو شكري الشوريجي^(٤) .

١ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٩٣

٢ - تاريخ الأمة العربية ، عصر الانبعاث ص ٦٢

٣ - كان ذلك في بدء الثورة وقد اختلف الأمر بعد أن التحق بجيش الثورة كثير من العرب ، مدنيين وعسكريين ، وعدد غير قليل من الأسرى العرب الذين كانوا يقاتلون في الجيش التركي ، وانضم إليه ألوف المتطوعين من القبائل العربية في سائر بلاد الشام .

٤ - أسرار الثورة العربية الكبرى ص ١٢٢

وأما تسليح الفريقين فكان متفاوتاً إلى حد كبير ، إذ كانت الجيوش التركية مزودة بالأسلحة الحديثة التي كان الألمان يقدونها على حلفائهم بغير حساب ، بينما كانت بريطانية لا تمد حليفها الملك حسين إلا بما هو ضروري جداً من الأسلحة ، وفي بعض الأحيان بما لا يصلح منها أو بما بطل استعماله لديها ، وكانت شكوى الحسين من ذلك لا تنقطع ، وقلّ أن يمر أسبوع واحد دون أن يوجه رسالة أو بركة يطلب الأسلحة والمعدات الحربية . والظاهر أن بريطانية كانت تحتاط للمستقبل منذ ذلك الحين ، وتخشى أن تنتهي الحرب وللعرب جيش قوي منظم لا ينقصه السلاح والعتاد !

وقد تولى الأمير علي المجهوم على القوات التركية في المدينة ، وكان فخري باشا قد حصنها تحصيناً قوياً ، ولم يستطع العرب تشديد المجهوم مخافة أن يصاب قبر الرسول ومسجده بأذى . وامتنعت الحامية التركية وعددها ١٤ ألف جندي خلف حصونها المنبعا ومدفعتها القوية ، بما أذخرته من الطعام والمؤونة ، بعد أن أجلت ما يزيد عن أربعين ألف نسمة من سكان المدينة إلى الشام وآسية الصغرى ، ولم تدع فيها سوى بضعة آلاف من آثروا الموت في جوار قبر النبي على الجلاء عن مدينته ، غير مطالبين الجيش المحاصر بأية مؤونة .

وبينما كان الأمير علي يشاغل القوات التركية المحاصرة ، ويقطع خطوط السكة الحديدية التي تستخدمها لتموين الجيش المرابط في المدينة ، ويفتح رابغ ويجعلها ميناء له ، كان الأمير عبد الله يحاصر الطائف ، وكانت مقر غالب باشا الوالي التركي في الحجاز ، فما تلبث حتى تسقط ويستسلم الوالي وجنده للقوات العربية ، وينتقل الأمير إلى وادي عيص في الشمال الغربي من المدينة لقطع مواصلات الأتراك^(١) .

يقول سليمان موسى : « والخلاصة التي يصل إليها الباحث هي أن هذه الفترة العصبية من أيام الثورة رغم خطورتها أبرزت وبلورت جوانب عديدة للموقف ،

١ - انظر تفصيل ذلك في « مذكراتي » لعبد الله بن الحسين ص ١٠٨ وما بعدها .

ويمكن اجمال النتائج فيما يلي :

١ - تألفت نواة جيش العرب النظامي المدرب ، وقد أدى هذا الجيش خدمات عظيمة وأخذ على عاتقه المهام الحربية ، حتى ان الحسين بعد تأليفه لم يعد يطلب سوى الأسلحة والأموال .

٢ - أوقفت الحسين على حقيقة كبيرة وهي ان الانكال المطلق على الانكليز لا يجدي ، وانهم سيجعلون مساعدتهم له في حدود ما تقتضيه مصلحتهم الخاصة .

٣ - نجح خلالها رجال الطليعة العربية على مستوى لم يسبق له مثيل ، وأخذت فكرة القومية العربية تبرز بوضوح في نطاق تحرير الأقطار العربية .

ولا يمكن اغفال الاشادة بموقف الحسين شخصياً في هذه الفترة ، فقد أظهر ثباتاً عجباً مما شجع العرب على مواصلة النضال ، كما شجعهم من قبل يوم كانت القذائف تهال على القصر الشريفي وهو ثابت فيه كالطود الراسخ ، ف ضرب بذلك أسمى الأمثلة في الاخلاص للمبدأ والدفاع عنه إلى النهاية ^١ .

وفي ذلك الوقت كان الأمير فيصل يزحف على ساحل البحر الأحمر متقدماً إلى سمت الشمال ، وما زال ينتقل من نصر إلى آخر ، حتى احتل الوجه في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ (١٣٣٦ هـ) ، واتخذها قاعدة للاممال العسكرية في الشمال . فلم تقم للأتراك بعد ذلك قائمة في الحجاز ، وظنت قوتهم الكبيرة في المدينة محاصرة لا تستطيع أن تبرز نصراً على العرب . ولا تستطيع الانضمام الى جيوش الترك التي تحارب الانكليز في فلسطين .

وفي تموز (يولييه) سنة ١٩١٧ . أي بعد أحد عشر شهراً من اعلان الثورة ، فتحت قوات الأمير فيصل العقبة بقيادة الشريف ناصر بن علي وبمعاونة الشيخ عودة أبو تابه ورجال قبيلته الحويطات . وهو أحد شجعان العرب . وقد أبلى في هذه الواقعة وفي أكثر الوقائع التي اشتبك فيها الجيش العربي مع الجيش التركي بلاء نيس بعده بلاء ، وأسر في فتح العقبة طائوراً تركياً مع كافة ضباطه وأركان حربه ^٢ .

١ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١١٣

٢ - Lawrence d'Arabie, par Mac Lean P P. 47 - 60

Lawrence d'Arabie, par Benoist - Méchin P P. 116 - 121

وكان استيلاء العرب على العقبة نهاية معارك الثورة العربية في الحجاز وابتدائها في بلاد الشام ، كما سهل للانكليز حملتهم في فلسطين .

والواقع ان الحملة البريطانية في فلسطين ، أي سورية الجنوبية ، وفيما بعد في سورية كلها ، بالإضافة إلى العون المادي الذي قدمته الثورة العربية لها بأشغالها القسم الأكبر من القوات التركية في المنطقة ، وقطعها مواصلات العدو ، وحيلولتها دون وصول الأمداد إلى الجبهة التركية الانكليزية ، واحتلالها قطاعات هامة داخل البلاد ، وكانت تعتمد على العون المعنوي الذي قدمته هذه الثورة لها . فكل هجوم عسكري تقوم به كان يسبقه لقاء منشور الملك حسين بإعلان الثورة من الطائرات ، وتوازره الدعاية التي تؤكد وعود بريطانيا من جديد .

لقد كان السلاح الرئيسي الذي اعتمدته بريطانيا في تلك الدعاية ، هو ان قضية الحلفاء قد أصبحت وقضية الاستقلال العربي شيئاً واحداً ، بعد الاتفاق الذي عقد بين السير هنري مكماهون والملك حسين ، وان انتصار جيوش الحلفاء هو الذي سي جلب الحرية للشعوب العربية . وهذا ما مهد السبيل أمام الانكليز وجعلهم يقاتلون وهم يشعرون بانهم في بلاد صديقة يلاقون فيها العطف والتأييد والترحيب ، بينما كان الأتراك يدافعون وهم يشعرون بانهم في بلاد معادية لهم حاقدة عليهم .

ويقول جورج أنطونيوس : « ان الحملة السياسية التي بدأتها القيادة البريطانية عام ١٩١٦ هي في ذاتها دلالة موجبة على أن فلسطين كانت تعتبر ، في أذهان البريطانيين والعرب على السواء ، من ضمن تلك المنطقة . وقد بذلت الجهود لكسب السكان إلى جانب الحلفاء باسم الملك حسين ، وباسم الحرية العربية ، لا في فلسطين وحدها بل في كل مكان آخر من سورية ، باستثناء لبنان حيث لم يذكر اسم الحسين أبداً ، وكانت الدعاية تتضمن على ان لفرنسة اهتماماً خاصاً بمصالح لبنان . وقد كان هذا الاستثناء الوحيد يتلاءم والتحفظات التي وردت في مراسلات مكماهون نيابة عن فرنسة ، وهو استثناء هام تاريخياً لأنه يدل على ان فلسطين — حتى ربيع سنة ١٩١٧ على أي تقدير — كانت تعتبر على قدم المساواة مع سائر أجزاء سورية التي قطعت بريطانيا العظمى العهد على نفسها — دون تحفظ — بأن تعترف بمساواة دولة

عربية مستقلة وتساندها^(١) .

وكثيراً ما كان الجنود العرب يفرون من صفوف الأتراك إلى صفوف اعدائهم ، أفراداً وجماعات ، حتى في قلب المعركة ، ليقاقلوا تحت الراية العربية . وما انت تحتل القوات العربية أو البريطانية احدى المناطق ، حتى يتوافد المتطوعون من كل صوب للانضمام إلى جيش الأمير فيصل ، رغم ما كانت تعانيه تلك المناطق من ويلات المجاعة وأهوال الحرب . ولما دخلت القوات البريطانية إلى بعض أجزاء فلسطين ، نهض أمين الحسيني يدعو المواطنين إلى التطوع تحت راية الأمير العربي ، واستطاع أن يجمع عدداً كبيراً من الشبان وبلتحق معهم بقوات الثورة .

وبينما كان الأمير فيصل ينظم جيشه الجديد في العقبة ، الذي بات يتألف بمعظمه من السوريين والعراقيين ، كان يعمل على توسيع دائرة تحالفه مع القبائل العربية ، وكان رسله في هذه المهمة الشريف ناصر ونسب البكري والכולونيل لورنس ، حتى اكتسب ولاء كل من تبقى من شيوخ القبائل بين خليج العقبة ونهر الفرات وضمن تأييدهم للثورة .

وكان الأتراك يأتون من معان لضرب البريطانيين ، فلما استولى العرب على العقبة استطاع الانكليز ان يهجموا على غزة وبئر السبع . ثم اتجه العرب الى معان مركز تجمع الأتراك لوقوعها على الخط الحديدى ، فاحتلوا جروف الدراويش والطفيلة ووادي موسى ، وقد قام مولود مخلص في هذه المعارك ببطولات فريدة وطارد الأتراك حتى بلغوا خطوطهم الدفاعية حول معان . « وكان في الطفيلة حامية عسكرية تقدر بمائتين واربعين جندياً بقيادة الرئيس زكي الحلبي ، وعندما انتهت معركة محطة جروف الدراويش لمصلحة الشوار أعلن قائد حامية الطفيلة الانضمام إلى قوات الثورة مع جنوده بأسلحتهم وعتادهم^(٢) ، وعلى اثر ذلك عين الرئيس زكي الحلبي حاكماً على الطفيلة .

١ - يقظة العرب ص ٣٣٠

٢ - ذكريات المعجلوني ص ٥١

وقد حاول العرب الاستيلاء على معان فردوا عنها مرتين بخسائر ، ولا سيما يوم ٢٢ تموز (يولييه) عندما هاجموا محطة أم الجرذان (الجردونة) إذ كانت خسائرهم في هذا الهجوم عشرين ضابطاً ومائتي جندي ، وقد استولوا على أم الجرذان ثم اضطروا إلى التخلي عنها .

ومن أطرف ما رواه محمد علي العجلوني انه كان لبعض ضباط الجيش العربي زملاء في تحصينات العدو بسمنة تربطهم بهم صداقة شخصية ، وكان الفريقان يتبادلان الهدايا ورسائل الأشواق مع أفراد الدوريات ، فالضباط في الجيش التركي يبعثون بفاكهة الموسم في معان من العنب والبرقوق والرمات ، وأصدقاؤهم في الجيش العربي يرسلون اليهم الحلوى والقهوة وزجاجات الويسكي .

ومن المواقف المروعة التي وصفها العجلوني ان الرئيس زكي الشطي وهو أحد قواد السرايا المشاة قد جرح أثناء معركة الجردونة الثالثة ، فحمله زميله الملازم هاشم الدزدار على كتفيه ، وهرب به ابتغاء إنقاذه بالخروج به من دوامة المعركة ، ولكن قنبلة مرت كالبرق فخطفت رأس هاشم الدزدار وتوكت زكي الشطي محمولاً على جثة بلا رأس عدة ثوان ، ثم سقط الجريح والجثة معاً . وأسر زكي الشطي وأرسل إلى المستشفى في دمشق ليعالج ثم ليعدم بعد شفائه ، ولكن الجيش العربي دخل دمشق وهو لا يزال في المستشفى فنجوا من الاعدام (١) .

وقد أرسل الأتراك من الكرك أربع كتائب وسرية من البغالة ، بغية استعادة الطفيلة ، وبينما كانت سائرة في وادي موسى بلغ العرب خبرها ، فتحصن الأمير زيد رابع أنجال ملك الحجاز في رؤوس الجبال في مائتي جندي نظامي وبعض المتطوعين من عشائر الحويطات وقبائل بني صخر ، وأخرج أهل الطفيلة وسلاحهم وفرقهم في الجبال المشرفة على الوادي ، فحاصر الكتائب التركية وأمطرها بوابل من النار من الآكام المكددة بالوادي ، فاضطرب الجيش الزاحف وجفلت البغال وقتل حامد فخري بك القائد التركي المعروف بفاتح بخارست ، وهرب كثير من

١ - المرجع السابق ص ٦١ و ٦٥

الجنود واستسلم سبائة منهم، وغنم العرب أربعة مدافع سريعة الطلقات ، ولم يكن معهم سوى مدفعين قديمين . ولما علمت الحامية التركية في الكرك بكارثة وادي موسى ، بادرت إلى إخلاء المدينة على حصانتها .

وجاء في نشرة وزارة الحربية البريطانية في آب (اغسطس) ١٩١٧ (١٣٣٦هـ)، ان خطة العرب في بداية هزمتهم هي خطة حسنة تحوي في مطاوعها حذقاً وحزمًا ودهاء ، فقد خربوا قسماً من السكة الحديدية ، واستولوا على مراكز الأتراك على جانبي الطريق ، وكانوا على جانب من البسالة ، يتغلبون على جيش أكثر منهم عدداً وعدداً . وقال لجان سندرس الألماني : « ان العرب من أول شهر أيار (مايو) إلى التاسع عشر منه خربوا خمسة وعشرين جسراً^(١) » .

وقد خرب العرب محطة القطرانة وأسروا عدداً من الترك ، ثم هجموا على الحسا فأخذوا قطاراً كان هناك ، ودمروا قسماً من العدة والذخيرة ، ولكن الأتراك أخرجهم بعدئذ من الحسا ، فتقهقروا جنوباً وهم يخرجون الجسور والخط الحديدي .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ هاجمت القوى البريطانية الحامية التركية في عمان ، فسقطت السلط في أيدي العرب والبريطانيين ، وعاد الأتراك فهاجموها في آذار (مارس) ١٩١٨ (١٣٣٧هـ) ، وردوا البريطانيين إلى غربي الأردن .

ولما عزم الحلفاء على القيام بهجوم عام لضرب الجيش التركي الألماني الضربة القاضية ، فاوض البريطانيون الأمير فيصلاً لتجهيز حملة تسير من أبي الأثل إلى جسر تل شهاب في حوران لتقطع خط الرجعة على الجيوش التركية ، فتألفت الحملة من الجيش النظامي ترافقه قوات من البدو .

ويبدو ان القيادة التركية علمت بأمر هذه الحملة ، فأمر القائد التركي حامية معان بالهجوم على الجيش العربي في مقره بالوهيدة لإشغال الحملة عن المسير إلى تل شهاب . وزحف الألمان مع الأتراك من الشمال على الشوبك والطيفة ليلتقوا مع

١ - خطط الشام ج ٣ ص ١٥٢

الجيش التركي الزاحف من الشرق ، وبذلك أصبح الجيش العربي في خطر التطويق والإبادة ، لأن قسماً كبيراً منه كان قد ذهب مع الحملة . ولكن أحد العسكريين العرب الذين كانوا يشتركون في الهجوم التركي ، بادر إلى الاتصال بالأمير فيصل في مقره بأبي الأثل ، وأطاعه على حقيقة الموقف ، فأسرع إلى إرسال عدد من الجنود لمشاغلة الجيش التركي ، ريثما تقدم فرسان الجيش العربي ثم تبهم المشاة فأنقذوا الموقف .

وعهد الأمير فيصل بإدارة المنطقة إلى أخيه الأمير زيد ، والتحق بالحملة العربية يرافقه قليل من الجند والحرس وبعض المتطوعة من البدو وأهل البلاد ، قاصداً لأزرق ليتخذها مقراً لقيادة الحملة ، وضرب موعداً لنوري الشعلان كي يلاقيه فيها مع المقاتلين من أفراد قبيلته ، كما أوعز إلى عودة أبي تابه أن ينزح مع رجاله من الجفر إلى الأزرق ، ثم كاف أحد شيوخ بني صخر تخريب جسر عمان لقطع الاتصال بين القيادة التركية ومعان ، كما قام نوري السعيد بقطع الخط الحديدي في تل العرار شمالي درعا ، فغداً الجيش التركي في فلسطين وفي معان والمدينة مفصولاً عن قاعدته في دمشق .

وقد قامت حملة نوري السعيد بأعمال بطولية خارقة ، فنسفت جسراً في محطة نصيب جنوبي درعا ، ثم نسفت جسراً آخر في محطة المفرق ، وقطعت السكة الحديدية على مسافة طويلة فعزلت درعا عن دمشق وفلسطين وشرقي الأردن والحجاز ، فلما اخترق الجيش الانكليزي جبهة الجيش التركي الممتدة من شمالي بافا إلى أريحا على البحر الميت ، وجسد الترك الدروب مسدودة في هزيمتهم بالجيش العربي ، وبمقاتلة العرب من أبناء العشائر وقرى حوران ، فلم يتمكنوا من تأليف جبهة حربية في حوران ، كما لم يتمكنوا فيما بعد من تأليف جبهة جديدة في دمشق^(١) .

ولما رأى البريطانيون تقدم العرب ونجاح الثورة العربية ، بدأوا يفكرون في

١ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٧٥

ان يحولوا بينهم وبين النصر الأخير ، أو في أن يكونوا إلى جانبهم على الأقل حتى لا تقع بلاد الشام في قبضة العرب ، فكان ان أخذ اللورد اللبي يتقدم في فلسطين ، مستغلاً انشغال الجيش التركي بحربه مع القوات العربية تحت قيادة فيصل ، وكان ان احتل القدس في ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ (١٣٣٦ هـ) ، وكان أحد العوامل الرئيسية في انتصار اللبي ان الجيش العربي كان جيشه بمثابة الميمنة المظفرة التي أمته وكانت له الدرع الواقية ، وحمت خطوط مواصلاته الطويلة ، وحالت دون هجمات القوات التركية في منطقة يبر السبع والحليل^(١) .

وما لبثت الأنباء ان وافت بسقوط معان تحت ضربات الجيش العربي ، ثم وافت أنباء أخرى بسقوط عمان ، فرأى الأمير فيصل ان ينقل مقر قيادة الجيش العربي إلى بصرى قاعدة حوران ، مخافة ان يضم الأتراك شملهم في درعا دفاعاً عن دمشق . ولم يكده يستقر في بصرى حتى بلغه سقوط درعا في أيدي الجيش العربي بقيادة الشريف ناصر الذي بادى إلى تأليف حكومة عربية فيها قبل وصول الجيش الانكليزي الذي كان يسير في أثر الجيش التركي المنهزم .

يقول لورنس: « ولما سألت عن أخبار الجنرال باور قيل لي بأن رجاله ينتشرون الآن للاحاطة بدرعا ، فسارعت إلى قمة البويب ومنها إلى حيث يتخذ باور استعداداته لمهاجمة درعا كي أبلغه نبأ سقوطها وأوفر عليه غناء المعركة .

وبعد التحية والسلام أخبرت باور بواقع الحال ، فدهش للخبر وقال :
— على كل حال سأذهب إلى درعا كما تشير التعليقات المعطاة لي لأشكل قوة حرس للمحافظة على الأمن .

فأجبهه بأن العرب قد سبقوه إلى ذلك ونظموا حكومة عسكرية في المدينة^(٢) ، ومن أروع ما يرويه لورنس عن المعارك التي دارت في تلك المنطقة قوله :
« وأخبرنا الأعراب بأن فرقة رماحة جمال باشا قد دخلت طفس . وما كدنا نطل

١ - القومية العربية وتحدياتها ص ٨٩

٢ - أعدة الحكمة السبعة ص ٣٩٠

على القرية حتى تأكدت لنا صحة ذلك من رؤية النيران والحرائق ، ومن جماع الطلقات النارية بين الفينة والأخرى . وما هي إلا لحظات حتى بدأت تتجه نحونا جماعات بائسة من الشيوخ والنساء والأطفال لتروي لنا الكثير عن فظائع المحتاجين الذين أحرقوا القرية وفتكوا بكل حي تمكنوا منه .

« ومن مكان عالٍ شاهدنا العدو يتجمع خلف البيوت ويتجه نحو قرية الشيخ مسكين ، فما ان أصبح خارج القرية حتى فتحنا عليه نيران مدافعنا . وما كدنا نفعل حتى انضم إلينا نوري السعيد وبيزاني وعودة (أبو تايه) على رأس سائر للقوات . وكان طلال ثائراً يرغي ويزبد لما فعله أولئك الأوباش في أبناء قريته . وبسرعة فائقة أمطرنا العدو وابلاً من الرصاص والقنابل وشتتنا مثله . ثم ساد المكان جو من السكون الرهيب .

« تقدمنا بجذرفما كان الدخان يتصاعد من القرية ، وبين الأعشاب وقعت أنظارنا على ما تقشعر له الأبدان هولاً : قتلى وجرحى من نساء ورجال وشيوخ وأطفال ، خراب ودمار ، أهوال وفظائع كان أبشعها رؤية جسد امرأة ملقى على حائط حظيرة بشكل مربع ، الجذع إلى أعلى والرأس إلى أسفل ، وقد سموت تلك المنكودة على حائط من الطين مجربة غائصة حتى النصاب بين فخذيها العاريتين . وكان يبدو من شكل بطنها انها حبلى . لم تكن هذه المرأة وحدها هناك فقد وجدنا حولها جثث عشرين أخرى تفتن الأوغاد في التفطيع بها .

« لدى رؤية هذه الفظائع تكدرت أيما تكدر وأطلقت ضحكة وحشية كأنها ناقوس الهول يدق في السكون العجيب على تلك الهضاب العالية ، فصرخت : يا للرجال ، ويا لهذا الهول ، ان أشجعكم عندي من يأتيني بأكبر عدد من جثث هؤلاء الأتراك الأوغاد . فهب الرجال كالأسود الغاضبة يشدون في أثر العدو المتناثر في المعارج والمسالك يصبون عليه جام غضبهم قصاصاً له على وحشيته .

« أما طلال (الجريدين) الذي رأت عيناه ما حل بأبناء بلده ، فقد كان يشن كالنمر الجريح ويرفض أن يكلم أحداً منا . وبعد أن ألقى نظرة فيها كل الغضب والثورة والألم على الجوار كأنه يبحث عن المجرمين ، أسدل كوفيته على وجهه

وضغط على عنان فرسه فراحت تعدو به كالسهم المارق إلى السهل نحو العدو .
 « انحدر طلال على قمة الجبل ونحطى قاعاً عميقاً ، فذهلنا أمام هذا الجنوت
 وكأننا قد صعقنا في أمكنتنا وهو مندفع كالسهم . وجد الكون من حولنا ،
 وصمت الطبيعة ، فلم يعد يسمع غير وقع سنابك فرسه . وتوقف إطلاق الرصاص
 من الجانبين ، وراح الجميع ينظرون إلى طلال الذي ما كاد يقترب من العدو حتى
 صرخ صرخة الحرب :
 — طلال .. طلال ! ..

« فتساقط عليه زخ من رصاص العدو مزق أحشاءه فخرّ صريعاً مع فرسه .
 « تابع عودة هذه المأساة حانقاً مزجراً ثم قال :
 — رحمة الله عليه .. سيدفعون غالياً ثمن قتلك يا طلال !
 « وهز اللجام وتقدم بتزودة نحو العدو فيما دفعنا الفلاحين إلى تقطيع جناحي
 الأتراك .

« استيقظ أسد القتال في نفس عودة ساعته ، فأصبح بحكم الواقع والقدر
 رئيسنا جميعاً ، وتمكن بناورة بارعة أن يجر العدو إلى أرض رديئة ويقطع أوصاله
 إلى ثلاث قطع . وتولينا أمر ذلك القطع الواحدة بعد الأخرى وأفنيهاها عن بكرة
 أبيها ، انتقاماً لمذبحة طغس والمقل طلال أحد قاداتنا الشجعان (١) .

ونقل الأمير فيصل مقر قيادته إلى درعا ، وتولاه القلق الشديد ، خشية أن
 يسبقه الإنكليز إلى احتلال دمشق ، فبادر إلى إرسال نسيب البكري إلى صديقه
 سلطان باشا الأطرش ليستجده على الاشتراك في المعركة . ولبنى سلطان الأطرش
 نداء الأمير ، فالتحق به مع عدد من رجاله ، كما انضم اليهم عدد آخر من المتطوعة
 السوريين ، وزحف الجميع إلى دمشق .

يقول أمير اللواء محمد علي العجلوني : « وهبت حوران بكل قواها مع عشائر
 جبل الدروز بزعامة سلطان الأطرش وقبائل البدو ، فزقوا وحدات الجيش التركي

وفضوا على مقاومته نهائياً ، وارتفع رقم الأسرى إلى عشرات الألوف ، فتعذر على الحملة تأمين تموينهم فأمر فيصل بتحويلهم إلى إدارة الجيش الانكليزي^(١) .
 وكان الشريف ناصر وعودة أبو تايه ونوري السعيد يقودون الجيش العربي الباسل ، ويخوضون على رأسه المعارك البطولية . وقد استطاعوا ان يكتبوا على مشارف دمشق نهاية الجيش التركي الرابع .

١ - ذكرياتي عن الثورة العربية ص ٧٢

الفصل الخامس عشر غروب الحكم العثماني في البلاد العربية

كانت دمشق الهدف الرئيسي لمعركة البلاد العربية ، فهي بالنسبة للحلفاء قاعدة القوات التركية في هذه المنطقة الحربية المترامية ، وهي بالنسبة للعرب قلب العروبة ، ومبعث الفكرة القومية ، ومنطلق الحركة التحررية ، ومطلع الفجر الذي يتطلع اليه الملايين في كل بلد عربي .

وكان الأمير فيصل قد انتقل إلى درعا في أواخر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ) ، فتابع أفراد الجيش العربي ملاحقة الجيوش التركية في الليل والنهار ، بين درعا والجلب المانع ، بعد ان انضم اليهم عرب الرولة وعرب عنزة وجمهور من الدروز ، وظلوا يقتلون ويأمرون بالمئات والألوف ، حتى انتهوا من تمزيق الجيش الرابع التركي ، ونهب المواطنين خزانة هذا الجيش وكانت تملأ مراكبتين من القطار بين دمر والشادروان ، فكانت نهايته ومقبوته في ذلك الجبل المطل على دمشق التي شهدت إعدام الأحرار العرب من قبل جمال باشا قائد هذا الجيش ، وشعر كل عربي انه صاحب هذا النصر العظيم .

وكان الأتراك قبل تحرير مدينة دمشق ، قد عقدوا مجلساً حربياً حضره قادة

الجيش من الترك والألمان والنمساويين والمجريين ورجال الشورى الحربي ، فاقترح بعض أعضاء المجلس نفس جميع المؤسسات الحكومية في دمشق ، وقيل نفس المدينة بكاملها ، وكان الألمان قد أعدوا العدة لذلك ، إلا ان القائد النمساوي أقنع زملاءه بأن هذا عمل غير معقول ، وكان جمال باشا المرسيني المعروف بجمال باشا الصغير من رأي القائد النمساوي فعاضده ، ثم غادر دمشق على سيارته إلى ربات ضحوة يوم ٣٠ ايلول (سبتمبر) فكان آخر قائد تركي خرج من عاصمة سورية بعد ان حكمها الأتراك أربعائة وأربع عشرة سنة^(١) .

وقد وصف المارباشال لجان فون ساندروس القائد العام للجيش التركية في البلاد العربية ، في مذكراته ، الوضع الذي ساد سورية في تلك الأيام العصية ، فقال :

« وفي يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٨ علمت ان جموعاً عربية غفيرة تجمعت في شرق الشام وجنوبها . وكانت حالة الشام الأدبية - وقد تحولت تحولاً مريعاً - تبعث على الحذر والخوف ، فقد كثرت توارد رجال القبائل المسلحين إلى دمشق وكانوا يتجولون في أسواقها ويطلقون الرصاص إغراباً عن فرحهم وسرورهم ، وكان الدمشقيون يتهافتون علناً على قراءة منشورات الطيارات الانكليزية وكانت تلقىها بكثرة ، فتزداد بذلك الدعوة العربية انتشاراً . وبدأت القوضى تسري إلى جميع فروع الأعمال ، كما كثرت ورود جواسيس فيصل ورجاله وكانوا يدعون الناس إلى الثورة والانتقاض . واتصل بي ان كثيراً من أهل دمشق هياؤا العلم العربي في دورهم استعداداً لإعلانه ، وقد رفع على دمشق يوم ٢٩ سبتمبر ، وأطلق بعضهم الرصاص على قوافل الجيش فأوقفها ونهبها ، كما أطلق الرصاص على آخر قوة تركية مرت في أسواق دمشق ، وغادر آخر جندي تركي محطة القدم مساء ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ ، بعد ان خسر الترك كثيراً من جنودهم في تلك المحطة وفي الطريق لأن السكان كانوا يهاجمونهم^(٢) » .

١ - خطط الشام ج ٣ ص ١٥٦

٢ - الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٢٦٨

أما اللورد اللنبي قائد الحملة البريطانية فقال في التقرير الذي أرسله في ٢٨ تموز (يوليه) ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ) إلى وزارة الحربية البريطانية عن أعمال الجيش العربي: « أشكر لجلالة الحسين بن علي ملك الحجاز إخلاصه العظيم لقضية الحلفاء. ولا أملك نفسي عن توجيه عاطر الشناء إلى سمو الأمير فيصل لما أظهره من براعة في القيادة ، وعلى إخلاصه القلبي ، وعلى ما أبداه من بسالة ومهارة في الأعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي ، وقد ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب ». ثم قال في التقرير الختامي الذي رفعه في شهر تشرين الأول (أكتوبر) عن سير الحرب: « وقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة بقطع مواصلات العدو قبل القتال ، وبمعاونته لفرساننا في أثناء الزحف على دمشق ، فقد رابط على الطريق الذي تقهر منه العدو شمالي درعا ، فحال دون فرار جانب من الجيش العثماني الرابع وأنزل بالعدو خسائر كبيرة » .

وإلى هاتين الشهادتين لقائد ألماني وقائد بريطاني ، نضيف شهادة قائد فرنسي هو الجنرال مورداك مدير الغرفة العسكرية للرئيس كليمنصو الذي قال في وصف الأمير فيصل لمناسبة منحه وسام الصليب الحربي وشارة سعف النخل في ٤ شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) : « انه أمير يشار اليه بالبنان ، بملوء من الحمية والنخوة ، أيد بعزم وطيد قضية أبيه جلالة ملك الحجاز منذ سنة ١٩١٦ ليخلع النير التركي ويساعد الحلفاء ، وكان ملازماً لجنوده ، ونظم عدة هجمات حربية مهمة على سكة دمشق - المدينة وقاد فيها الجنود بنفسه ، واحتل العقبة والوجه من شهر آب (اغسطس) سنة ١٩١٧ إلى شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٨ ، وهجم هجمات كثيرة في الجهات الجنوبية والشمالية من معان ، واستولى على عدة محطات ، وأسر عدداً كبيراً من الأسرى ، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثاني والجيش الثامن من العثمانيين بقطعه مواصلاتها في شمالي درعا وجنوبها وغربها ، ثم دخل مع جنود الحلفاء دمشق وحلب بعد أن فعل فعلاً تدل على

منتهى الجرأة والاقدام^(١) .

وكان قادة جمعية «العربية الفتاة» في جيش الأمير فيصل، قد اتفقوا مع رضا باشا الركابي وشكري باشا الأيوبي على تشكيل حكومة عربية في دمشق دون انتظار دخول الجيش العربي إليها ، بعد أن عجزت القوى التركية عن المقاومة ، إلا أن رضا باشا لم يكن في دمشق إذ عينته القيادة التركية قائداً عاماً للاستحكامات التي فكرت في إقامتها حول المدينة للدفاع عنها ، فاضطلع شكري باشا الأيوبي بذلك ورفع العلم العربي على دار الحكومة في أصل ٣٠ ايلول (سبتمبر) ، وكانت شكري باشا طيب القلب فأشرك معه الأمير سعيد وأخاه عبد القادر وقبل تقدمها عليه ، كما أشرك بديع المؤيد وفارس الحوري^(٢) .

وقد أرسل سعيد الجزائري إلى عمر الداعوق رئيس بلدية بيروت برفقة جلاء فيها : « بناء على انسحاب الحكومة التركية فقد أسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرف ، طمئنوا الجميع واعدنوا الحكومة باسم الحكومة العربية » . واجتمع وجهاء بيروت وكان بينهم جماعة من عائلات بهم وطراد وسرسق وسلام

١ - يلاحظ أن هذا الاطراء ينطوي ضمناً على التقليل من اهمية الاعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي في الحرب مع الدولة التركية ، وهذه هي في الواقع وجهة النظر الرسمية الفرنسية وقد أعرب عنها جان بيشون بصراحة جازحة . انظر :
Le partage du Proche-Orient p. 145

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٧٣ ، وقد روى الأمير سعيد قصة طريقه لهذا العلم مفادها أن شقيقه الأمير عبد القادر كان قد هرب من بورسه وهو المنفى الذي أرسل اليه أفراد أسرة الأمير جميعاً ، واستنطاق الوصول الى مكة في اوائل عهد الثورة ، وكان موسم الحج مزدحماً بالحجاج من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، فأخرج الحسين علماً وصلّى عليه أربعون ألف مسلم من الحجاج ، وطاف بالعلم سبع مرات حول الكعبة ، ثم سلمه الى الأمير عبد القادر ليرفعه على سراي دمشق . ثم عفت الدولة العثمانية عن الأمير عبد القادر فعاد الى دمشق ومعه العلم العربي وقد رفع على سراي دمشق عندما حان الوقت (انظر جهاد نصف قرن ص ٧٩) أما لورنس غيروي ان الأمير عبد القادر قد سحق بالثورة فجأة ، ثم نخلت عنها فجأة (اعمدة الحكمة السبعة ص ٢٦٠) وينسب اليه اعمالا شبه جنونية ، بل انه لا يتردد في نعتة بالجنون (المرجع السابق ص ٢٨٧ - ٢٨٨) .

والطيارة ، فألقوا حكومة عربية موقفة برئاسة عمر الداعوق . وأسندت إدارة الأمن العام إلى أحمد مختار بيهم يعاونه كل من سليم طيارة وجان فريج ، وعين محمد فاخوري ويوسف عودة لإدارة المؤسسات الخيرية ، وحسن قرنفل ونسيم مطر لإدارة الأعاشة .

وفي أول تشرين الأول (أكتوبر) دخل الجيش العربي دمشق ، وعلى رأسه الشريف ناصر . فاستغرب قاداته ان يترأس الأمير سعيد الحكومة لأنه وشقيقه لم يكونا من أنصار الثورة العربية ، وطلبوا من الأمير سعيد التزام داره .

وفي الثالث من تشرين الأول وصل الأمير فيصل إلى دمشق ، فاستقبل فيها استقبالاً لم تر المدينة شيئاً له منذ قرون ، وقد تجدد هذا الاستقبال الحافل في كل مدينة سورية دخلها ، لأن الأمير العربي البطل كان قد أصبح في نظر العرب رمز النضال القومي ضد المستعمرين ورمز الحرية التي ينشدون . وقد ترجل الأمير من سيارته عند أبواب دمشق ، ثم امتطى صهوة جواد أصيل وسار في موكب حافل أحاط به حوالي ألف وخمسمائة فارس من رجالة في أيديهم سيوفهم ورماحهم وبنادقهم ، وسار شباب دمشق بين يديه فرقاً تهزج الأهازيج الحماسية ، واخترق هذا الموكب العظيم دمشق من شمالها إلى جنوبها ، وكانت النساء تزغود وتثر عليه الأزهار من الشرفات واسطحة المنازل . وقد نزل الأمير في دار محمود البارودي .

ثم وصل الجنرال النبي مع الحملة البريطانية التي كانت تزحف على الفيحاء عن طريق جسر بنات يعقوب - القنيطرة ، وقد سميت « الحملة المصرية » زيادة في التقرب من العرب والتودد لهم . فالتقى الجنرال بالأمير فيصل « وسلمه بريقة صادرة عن وزارة الخارجية البريطانية تعترف فيها للعرب بصفة المحاربين ^(١) » .

وأسند الأمير فيصل في الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) رئاسة الحكومة إلى رضا باشا الركابي في بلاغ قال فيه انه ألف حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً تاماً باسم الملك حسين ، يشمل نفوذها سائر البلاد السورية ، وان هذه

الحكومة سيكون دأها العدل والمساواة ، فهي لا تفرق في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم ، وناشد المواطنين أن يكونوا يداً واحدة ومثالاً حسناً حتى يثبت للعالم أجمع أنهم أهل للاستقلال وحكم أنفسهم بأنفسهم .

وقد منح رضا الركابي صلاحيات الحاكم العسكري العام ونولى نوري السعيد قيادة الجيش ، وجميل المدفعي إدارة الأمن العام ، ومحمد علي التميمي مديرية الشرطة ، وزكي العظمة قيادة موقع دمشق ، وكانت هيئة جمعية « الفتاة » تجتمع خلال ذلك بانتظام ، وتقرر الحطة التي يجب اتباعها ، وتعطي رأياً في جميع الأمور المهمة ، وتنفذها بواسطة الأمير فيصل ورضا الركابي وهما من أعضائها^١ .

وفي ٦ تشرين الأول عين الأمير شكري الأيوبي حاكماً للساحل السوري ، فانتقل إلى بيروت مع معاونيه رفيق التميمي ورئيس ركن حربته جميل الألسي ، تحف به شردمة من الفرسان ، واحتل در الحكومة ، وأعلن انضمام العاصمة اللبنانية إلى أسرة الحكومة العربية ، ثم رفع العلم العربي على السري الصغير بهتفال مهيب ، وكانت فاطمة الحمصاني شقيقة الشهيد محمد ومحمود هي التي رفعت العلم بيدها تكريماً لذكرى الشهداء الأبرار ، وألقيت في الاحتفال كلمات وطنية حماسية من قبل الشيخ مصطفى نجا والمطران جراسيموس مسرة والشيخ مصطفى الغلاييني والختوري يوسف اسطفان . ثم انتقل شكري باشا إلى لبنان وأعلن في بعبدا نسيم الأمير فيصل إعادة امتيازاته التي ألغها الأتراك إلى سابق عهدها ، وعين حبيب باشا السعد متصرفاً على لبنان بعد أن أفسح بين الطاعة للملك حسين^٢ .

إلا أن فرنسا ما لبثت أن احتجت على ذلك احتجاجاً شديداً ، وأسرت فأنزلت في لبنان في الثامن من تشرين الأول ١٩١٨ قوة عسكرية كانت قد أعدها لهذا الغرض ، وكانت القوى البريطانية هي التي تحتل لبنان ، فأيدت القيادة البريطانية

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٧٧

٢ - عشت وشاهدت ص ١٨

ذلك ، وطلبت من شكري باشا الأيوبي مغادرة بيروت ، وأصدر الجبرال اللبي في التاسع من تشرين الأول قراراً بتعيين الكولونيل الفرنسي دي بيابات « حاكماً على المنطقة الغربية من بلاد العدو المحتلة بالنيابة عن الحلفاء » كما أصدر أمره بإئزال العلم العربي عن دار الحكومة فأُنزل في احتفال كئيب دون أن يرفع مكانه علم آخر . وفسرت هذه الاجراءات بأنها تدبير عسكرية موقته ريثما يبت في مصير البلاد بعد انتهاء الحرب .

ولم تكن مهمة الجيش العربي قد انتهت بتحريره دمشق ، فاتجه منها إلى الشمال لمطاردة فلول الجيش التركي ، ودخل الشريف ناصر وعلي جودة الأيوبي حمص في الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ، وفي اليوم السادس عشر دخلا حماة . واشترك العرب مع الجيش الانكليزي في قتال الأتراك في معرة النعمان وفي خان السيل فأجولهم عنها .

وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول دخل نوري السعيد حلب ، واشترك في اليوم التالي في مطاردة الأتراك حتى سمية شمالي حلب ، وكان ليمان فون ساندرس قد استقال من القيادة العامة فعهد بها إلى مصطفى كمال ، وحاول هذا أن يقيم خطأ دفاعياً جديداً في حلب ، إلا أن الأمور كانت قد خرجت من يده وبات من العسير إنهاص معنويات الجيش التركي من جديد بعد أن رأى المواطنين جميعاً يتألبون عليه ويطاردونه ويهاجمونه في كل مكان ، فانسحب القائد الجديد ببقايا ذلك الجيش إلى سمية .

وانهار الجيش التركي بعد ذلك انهياراً تاماً ، فعرض الهدنة على الحلفاء ، فوافقوا على ذلك ، وعقدت الهدنة بين الفريقين في الثلاثين من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٨ ، وكان هذا التاريخ نهاية حكم الأتراك عن البلاد العربية ، ولم يبق لهم فيها يومئذ سوى حامية المدينة التي كان يحاصرها الأمير علي والأمير عبد الله ، فاضطرت إلى الاستسلام في أوائل سنة ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) ، وزاد مجموع أسراها على ٦٠٠ ضابط وعشرة آلاف جندي ، عدا حاميات المحطات بين المدينة ومعان وكان عدد جنودها كبيراً .

وكان قائد حامية المدينة فخري باشا قد تلقى أمراً من الباب العالي للاستسلام فلم يدعن له ، والتجأ إلى الروضة الشريفة وهدد بمواصلة الدفاع حتى ولو أدى ذلك إلى هدم قبر الرسول ، إلا أن أركان حربه تغلبوا عليه واضطروه إلى الاستسلام ، فقدم سيفه إلى الأمير عبد الله في احتفال مؤثر ، وعومل بكثير من الاحترام إكباراً لبطولته^(١) .

وبلغ مجموع الذين أسرمهم العرب في الثورة نحو ٣٥٠٠٠ جندي وضابط^(٢) .
وبما يجب ملاحظته أن الجيش العربي كان دائماً السباق في احتلال المدن السورية ، وقد خطب القائد مكاندرو في إحدى المآدب ، بحضور المستر مارك سايكس والمسieur جورج بيكو ، فقال بعد أن أثنى على شمم العرب وذكائهم ونبوغهم وشجاعتهم : « وما يلفت النظر أنهم بفرط بسالتهم ، واقدامهم سبقونا إلى حلب يوم كامل أربعاً وعشرين ساعة^(٣) » .

وعلى أثر عقد الهدنة زار الجنرال اللنبي الأمير فيصل في دمشق ، وأطلعته على الخطة التي ستبني في إدارة البلاد . وتتألف هذه الخطة في إنشاء حكومة عسكرية عربية يبدأ سلطانها من حدود الحجاز ويضم شرقي الأردن ودمشق وحمص وحماة وحلب ، ويكون عني رأسها الأمير فيصل باسم القيادة الحليفة ، وعين الكولونيل كورتواليس ممثلاً للجنرال اللنبي والكولونيل كوس ممثلاً للفرنسيين ، كضابطي ارتباط لدى الأمير ، لتأمين التفاهم بين الفرقاء الثلاثة . أما الساحل السوري فسيديره باسم الجيش الحليف ضابط فرنسي هو الكولونيل دي باباب ، وأما الساحل الفلسطيني فسيديره ضابط بريطاني هو الميجر جنرال آرثر مولي .

وعلى الرغم من التأكيدات العديدة التي قطعت للأمير فيصل بأن هذا الوضع مؤقت ، وسينتهي بعد عقد الصلح وتسوية الأمور المتشابكة بين الحلفاء ، فإن

(١) ذكريات المجلوني ص ٧٥ ، انظر أيضاً « مذكراتي » لعبد الله بن الحسين ص ١٤٤ وما بعدها وفيها تفاصيل غاية في الطرافة والمتعة .

٢ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٧٧

٣ - خطط الشام ج ٣ ص ١٥٨

الأمير لم يرتح لهذه التدابير ، ولم يكتفِ السلطات البريطانية قلقه من جرائمها ، وتأكيده بأن هذا القلق إنما يعكس الحالة النفسية التي يلمسها لدى أقطاب الحركة العربية وأفراد الجيش العربي والمواطنين العرب جميعاً ، ولا سيما بعد إنزال العلم العربي عن دار الحكومة في بيروت وقدم القوات الفرنسية إلى لبنان ، وفي هذا الوقت نفسه كان الملك حسين يحتج ويهدد بالاستقالة وينذر بنشوب الاضطرابات والثورات في البلاد العربية (١) .

وكان من جراء ذلك أن صدر في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ تصريح انكليزي فرنسي بشكل بلاغ رسمي عن القيادة العامة يطمئن أهالي البلاد على مستقبلهم وهذا نصه :

« ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترة في الشرق ، تلك الحرب التي أهاجتها مطامع الألمان ، إنما هو لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طويلاً تحت مظالم الترك ، تحريراً تاماً نهائياً ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً . ولقد أجمعت فرنسا وانكلترة على أن تؤيد ذلك بأن تشجعا وتعيننا على إقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سورية والعراق ، المنطقتين اللتين أتمّ الحلفاء تحريرهما ، وفي الأراضي التي ما زالوا يجاهدون في تحريرها ، وان تساعد هذه الهيئات وتعتزف بها عندما تؤسس فعلياً . وليس من غرض فرنسا وانكلترة ان تنزلا أهالي هذه المناطق إلى الحكم الذي تريدانه ، ولكن مهما الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتها المفيدة عمل هذه الحكومات والادارات التي يختارها الأهليون من ذات أنفسهم ، وأن تضمن لهم عدلاً منزهاً يساوي بين الجميع ، ويسهل عليهم ترقية الأمور الاقتصادية في البلاد ، بإحياء مواهب الأهالي الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ، ووضع حدٍ للتخلف القديم الذي قضت به السياسة التركية . تلك هي الأغراض التي ترمي إليها الحكومتان المتحالفتان

١ - انظر نص رسالة الحسين الى نائب الملك بمصر في الثورة العربية الكبرى ج ١

في هذه الأقطار المحررة (١) .

وأعاد هذا التصريح المشترك الاطمئنان من جديد إلى نفوس العرب ، فرحل الأمير فيصل إلى حلب فاستقبلته استقبالا عظيماً وألقى فيها خطاباً كبيراً هو أول خطبه السياسية ، وقد لوحظ في خطابه تعريض شديد للأتراك ، وبالخطبة التي اتبعوها إزاء العرب ، وفتكهم بالأحرار الشهداء ، وعلق بعض الساسة السوريين على هذا التعريض الذي لم يصدر مثله في بقية المدن السورية ، بأنه جواب لما كانت يأمله الأتراك من مناصرة الحلبين لهم لدى إنسحابهم ، استناداً لصلة القرى مع بعض الأسر البارزة في حلب ، ولوجود أقلية تركية في بعض أقضية الواقعة على الحدود (٢) . وبما جاء في هذا الخطاب :

« أيها الاخوان ، اننا اليوم في موقف حرج ، فالأمم المتمدنة وحلفاؤنا ينظرون إلينا بنظر الإعجاب والتقدير ، وأعداؤنا يرمقوننا بعين الانتقاد . ولقد خرج الأتراك من بلادنا ونحن الآن كالطفل الصغير ، لا حكومة ولا جند ولا معارف ، والسواد الأعظم من الشعب لا يفقهون معنى الوطنية والحريّة ، ولا ما هو الاستقلال ، وذلك نتيجة ضغط الأتراك على عقول وأفكار العامة ، فلذا يجب أن نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقلال ، ونسعى أن كونا أبناء أجدادنا لنشر لواء العلم ، لأن الأمم لا تعيش إلا بالعلم والنظام والمساواة ، وبذلك نحقق آمال حلفائنا ..

« وأحضر اخواني العرب على اختلاف مذاهبهم بالتمسك بأهداف الوحدة والاتفاق ونشر العلوم ، وتشكيل حكومة نبیض بها وجوهنا ، لأننا إذا فعلنا كما فعل الأتراك نخرج من البلاد كما خرجوا ، لا سمح الله ، وان فعلنا ما يقضي به الواجب يسجل التاريخ أعمالنا بمداد الفخر .

« انني أقل الناس قدراً وأدناهم علماً ، لا مزية لي إلا الإخلاص ، وانني أكره هنا ما قلته في جميع مواقفي بأن العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد ، وان

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٨٢ ، العهد المتعلقة بالوطن العربي ص ٧٨ ، يوم ميلون ص ٢١٢ ، انظر ايضا الثورة العربية الكبرى - وثائق واسانيد ص ١١٠

٢ - سورية والعهد الفيصلي ص ٢٤

الديانات تأمر كلها باتباع الحق والأخوة ، فمن يسعى لإيقاع شقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي (١) .

وبينما كان الأمير في حلب ، تلقى بركة من والده بضرورة السفر إلى فرنسا لحضور مؤتمر الصلح في فرساي ، فبادر بالسفر لحضور ذلك المؤتمر التاريخي نائباً عن الملك حسين ومندوباً عن البلاد العربية .

وكان كل شيء يدعو إلى الغبطة والتفاؤل ، فقد حققت الثورة العربية أهدافها ، وحررت البلاد العربية من برائن الأتراك ، ووفى العرب بعهودهم على أحسن وجه ، واثقوا ينتظرون تحقيق المواثيق التي أعطيت لهم بسخاء ، وتآليف الدولة العربية المستقلة الموحدة التي حلموا بها وكافحوا من أجلها ، مطمئنين إلى عدالة قضيتهم ، وشرف حلفائهم ، والوعود التي طالما صدرت عن هؤلاء تأكيداً لانتصارهم للشعوب المضطهدة ونضالهم في سبيل حريتها وحقوقها في تقرير المصير .

١ - انظر النص الكامل لهذا الخطاب في نهر الذهب من تاريخ حلب ج ٣ ص ٦٦٢

الفصل السادس عشر

الأعيان السياسية البريطانية

كانت بريطانية تهدم بيد ما تبنيه بالأخرى ، إذ بينما كان السير مكماهون يدغدغ آمال الشريف القومية ، متعهداً له باسم حكومته ، بإنشاء الدولة العربية الكبرى ، بكامل وحدتها ، استقلالها ، كان الساسة البريطانيون يفاوضون حلفاءهم الفرنسيين على اقتسام البلاد العثمانية ، دون أن ينسوا حصة القيصريّة الروسية من تركية الرجل المريض^(١) . وقد أدت تلك المفاوضات إلى عقد معاهدة سرية في سان بطرسبورغ (لينينغراد) في الرابع من آذار (مارس) سنة ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) ، وهذا نص المواد الخاصة منها بالحدود :

المادة الأولى — تتعهد فرنسا وبريطانية العظمى وروسية فيما بينها ان تعمل يداً واحدة في سبيل انقاذ البلاد العربية ، وحمايتها ، وتأليف حكومة إسلامية مستقلة فيها ، تتولى بريطانية مراقبتها وادارتها .

المادة الثانية — تتعهد الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيل سائر السبل المؤدية

١ - انظر تفاصيل المفاوضات بين فرنسا وبريطانية وروسية لاقتسام تركية الرجل المريض في كتاب :

إلى مرور الحجاج وعدم الاعتداء عليهم .
المادة الثالثة - تقسم البلاد العثمانية إلى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة على الوجه التالي :

- أولاً تضم إلى روسية المناطق التالية :
 - أ - ولايتا أرضروم وبتليس والمناطق التابعة لهما .
 - ب - الأراضي الكائنة جنوبي كردستان ، وتمتد على خط من ولاية موش إلى سعرد ومن هناك تنحدر إلى جزيرة ابن عمر ، ثم تتبع خطاً مستقيماً إلى العمادية ، ومنها إلى الحدود الإيرانية .
 - ج - تتجه نقطة الحدود هذه من موش شمالاً إلى البحر الأسود فتدخل طرابزون في سمتها .
 - د - تنتهي نقطة حدود روسية على البحر الأسود شرقي طرابزون في منطقة تحدد فيما بعد .
 - هـ - تخضع هذه الأراضي خضوعاً تاماً إلى حكومة صاحب الجلالة قيصر روسية وتعتبر من ممتلكاته .
- ثانياً - تضم إلى منطقة نفوذ فرنسا المناطق التالية :
 - أ - السواحل السورية ، وتبدأ هذه السواحل من حدود الناقورة مارة بصور وصيدا فيروت فطرابلس واللاذقية ، وتنتهي إلى الاسكندرونة .
 - ب - تضم المناطق الساحلية جميعها إلى فرنسا ، مع جبل اللبناني المعروفة حدوده بموجب الاتفاق الدولي .
 - ج - تضم جزيرة ارواد والمناطق المجاورة لها والجزر الصغيرة القائمة على الساحل المعرف عنه في الفقرة السابقة .
 - د - تضم ولاية كليشيا إلى النفوذ الفرنسي ، وتبدأ حدود هذا الخط من جهة الجنوب من الحدود الخاضعة إلى النفوذ الفرنسي في جزيرة ابن عمر ثم تنحدر شمالاً من الاطاغ - قيصري راق طاغ - ييلديز طاغ - زرع - اكين - خربوط .
 - هـ - تظل هذه المنطقة خاضعة تمام الخضوع للنفوذ الفرنسي .

- ثالثاً - تؤلف منطقة النفوذ البريطاني من المناطق التالية :
- أ - تضم المنطقة الممتدة من الحدود الروسية والفرنسية في الحطين المذكورين إلى النفوذ البريطاني ، وهذه المنطقة تضم القطر العراقي مع مدينة بغداد .
- ب - السواحل الممتدة من الحدود المصرية إلى حيفا فعكا حيث تتصل بمحدود نفوذ فرنسة .
- ج - تضم المنطقة الممتدة من خليج فارس إلى آخر البحر الأحمر إلى نفوذ بريطانية المطلق .
- د - تؤلف الحكومات العربية . عملاً بالمادة الآتية ، من سكان المناطق المسكونة بالعرب على ان تكون هذه الحكومات حائزة على السيادة والاستقلال اللازمين لها والذين يعينان فيما بعد بالاتفاق بين الحكومات المتحالفة .
- المادة الرابعة - تتألف في المنطقة الكاثنة بين منطقتي النفوذ الفرنسي والبريطاني دولة أو حلف دول عربية مستقلة وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسة وانكلترة ، على ان تحدد حدود هذه الدولة حين عقد هذا الاتفاق .
- المادة الخامسة - يكون ميناء اسكندرونة دولياً وتعلن حريته .
- المادة السادسة - تعتبر فلسطين وأماكنها المقدسة منطقة خارجة عن الأراضي التركية على ان توضع تحت ادارة خاصة وفقاً لاتفاق يعقد بين انكلترة وفرنسة وروسية بهذا الشأن وتحدد مناطق نفوذ المتعاهدين ومصالحهم^(١) .
- ثم اتفق الانكليز والفرنسيون على إجراء مفاوضات أخرى فيما بينهم لاقتسام مناطق النفوذ بصورة مفصلة في الحصة التي تخصصها لهم معاهدة بطرسبورغ ، وقد عرفت هذه المعاهدة الجديدة باسم معاهدة سايكس بيكو نسبة إلى السر مارك سايكس والمسيو جورج بيكو الطرفين المتفاوضين في هذا الموضوع ، وقد أباحا لنفسيهما تمزيق البلاد العربية حسب رغبات كل منها ، ولوّتا الحارطة العربية بأشتات

١ - انظر النص الكامل لهذه المعاهدة في « الثورة العربية الكبرى » ج ١ ص ١٨٥ ، والعهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٦٧

الألوان بينما كان المناضلون العرب يصبغونها بلون النجيع في سبيل حريتهم واستقلالهم ووحدهم .

ونشر في ما يلي المواد الخاصة بالحدود في هذا الاتفاق الفاجع :

المادة الأولى - ان فرنسا وبريطانية العظمى مستعدتان ان تعترفوا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية ، تحت رئاسة رئيس عربي في داخلية سورية وداخلية العراق ، المبيتين في الخريطة الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسة في المنطقة الأولى ولانكلترة في المنطقة الثانية حق لأولية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في المنطقة الأولى وانكلترة في المنطقة الثانية بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب ، بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية - يباح لفرنسة في شقة سورية الساحلية ، ولانكلترة في شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس ، إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالوساطة ، أو من المراقبة ، بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة - تنشأ ادارة دولية في فلسطين ، يعين شكلها بعد استشارة روسية وبالاتفاق مع بقية الحلفاء ويمثلي شريف مكة .

المادة الرابعة - تنال انكلترة ما يأتي :

- ١ ميناء حيفا وعكا .
- ٢ - تتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدماً .
- المادة الخامسة - تكون اسكندرونة ميناء حراً لتجارة الامبراطورية البريطانية ، وتكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاذ الواقعة تحت حمايتها .
- المادة التاسعة - من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضات في أي وقت كان للتنازل عن حقها ، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء (أي شقة سورية الساحلية) لدولة أخرى سوى للدولة العربية أو حلف الدول العربية بدون ان نوافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك ، التي تتعهد للحكومة

الفرنسية يمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحراء (العراق) .
 المادة العاشرة - تتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسية بصفتها حاميتين للدولة العربية على ان لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على سائر البحر الأبيض الشرقي . على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير .
 المادة الحادية عشرة - تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعين حدود الدولة أو حلف الدول العربية ^(١) .

ولما تسربت أنباء المعاهدتين السريتين إلى إيطاليا ، احتجت عليها وطالبت بحصتها من الميراث العثماني ، وعلى اثر ذلك جرت مفاوضات جديدة أدت إلى توقيع ملحق « سونينو » في شباط سنة ١٩١٧ (١٣٣٦ هـ) اعترف الحلفاء بموجبه بحق ايطالية في احتلال جنوب غرب الأناضول ، وبإشراكها في الادارة الدولية لفلسطين ^(٢) .

وقد أجمع المؤرخون على ان هذا المسلك البريطاني لا يمثل له في الحث بالعودة ، لأن بريطانيا عقدت هذه المعاهدات أو الاتفاقات التي تتعلق بصير البلاد العربية ، دون أن تطلع عليها الملك حسين الذي كان يمثل هذه البلاد ، والذي اتفقت معه على شروط تختلف عن بنودها كل الاختلاف ، وتناقض العهود التي قطعت للعرب ، تلك العهود الكواذب التي كانت بمثابة القفاز الأبيض تتوارى فيه اليد الملطخة بالدم .

١ انظر النص الكامل لاتفاق سايكس بيكو في « الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين » ، المجموعة الاولى ص ٨٤ ، والعهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٦٧ .

٢ - شعر الإنكليز بعد انتهاء الحرب بأن اتفاق سايكس بيكو لم يعد فسي مصلحتهم ولا يتفق مع الاوضاع الجديدة التي نشأت في الشرق الأدنى ، فدخلوا يهددون بالالفاه بحجة ان معاهدة بطرسبورغ تعتبر لاغية بعد ان انهارت القيصرية في روسيا . وبعد مباحثات طويلة بين لويد جودج وكليمنصو أدرك هذا ان انكلترا لن تعترف بالاتفاق الا اذا ادخلت عليه تعديلا لمصلحتها ، وكان هذا التعديل يرمي الى اخراج الموصل من منطقة النفوذ الفرنسي وانفراد انكلترا بالاشراف على فلسطين . وقد اضطرت فرنسا الى الموافقة على ذلك مقابل اعطائها جزءاً من نفط الموصل واطلاق يدها في سورية بعد نقل دير الزور اليها من العراق .

ولما كانت نفقات الحرب قد أثقلت كاهل الدولة البريطانية ، وهي تعرف
مكامن المال الحيء ، فقد التفت الساسة الانكليز شطر الصهيونية العالمية الممثلة
باللورد روتشيلد بالإضافة إلى دوافع سياسية واستعمارية ليس هذا مجال التوسع فيها ،
فكتب اليه اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية ، في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر)
سنة ١٩١٧ (١٣٣٣ هـ) ، واعداً إياه باسم حكومة صاحب الجلالة ، بصفاقة
لا مثيل لها ، بإنشاء دولة صهيونية في فلسطين ، وكأنه يهبه مزرعة من مزارعه .
وإلى القارئ نص ذلك الكتاب المتضمن هذا الوعد المشؤوم :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب
اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً
انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف
غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع
به اليهود في البلدان الأخرى (١) » .

وقد ظلت معاهدة بطرسبورغ واتفاق سايكس بيكو طي الخفاء ، حتى
أذاعتها الحكومة البلشفية في روسيا في عداد الوثائق القيصريّة التي أذاعتها حكومة
الثورة لملحة المانية التي كان لها يد كبرى في عودة يمين إلى روسيا من منفاه ،
بعد ان تعهد لها بأن يعمل جاهداً لإيقاف الحرب وإخراج الدولة الروسية من
صف الحلفاء ، والتخلي لألمانيا عن قسم كبير من أراضي بلاده (٢) .

وأرادت تركية ان تستغل الموقف فأرسلت نصوص تلك الوثائق إلى الملك
حسين بوساطة جمال باشا الصغير والي سورية وقائد الجيش الرابع الحمله على عقد
الصلح بين العرب والترك ، فتولى الملك الغضب والاستنكار ، وأرسل إلى السير
ريجنالد ونجت الذي خلف مكماهون في مصر ، يسأله عن حقيقة المعاهدة ، فجار
ونجت في أمره ، وكتب إلى وزارة الخارجية البريطانية يستشيرها في الجواب الذي

١ - انظر الترجمة العربية لتقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، والوثائق الرئيسية فسي

قضية فلسطين - المجموعة الاولى ، ص ٨٧ ، والمعاهد المتعلقة بالوطن العربي ص ٧٩

٢ - انظر « لينين » لقنري قلمجي ص ١٧٤ - ١٧٦

ينبغي له أن يوجهه إلى الملك حسين ، وبدلاً من أن تنصح حكومة صاحب الجلالة بسلوك موقف الصدق والشرف ، نصحت بالمرأوة والرياء ، فكتب ونجت إلى الملك حسين ان ما قاله جمال باشا ليس إلا ضرباً من ضروب الوقعة بين العرب والحلفاء ، وكان هذا الجواب يعني ان معاهدة بطرسبورغ واتفاق سايكس بيكو لا وجود لهما إلا في مخيلة الخصوم المغرضين ، وهذا نص الخطاب :

« ان البولشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة ، بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين انكلترة وفرنسة وروسية في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك ، وذلك قبل النهضة العربية ، وان جمال باشا اما من الجهل أو الحبث غير في مقصدها الأساسي وأهمل شروطها القاضية لضرورة رضى الأهالي وحماية مصالحهم . وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسية قد أوجد حالة اخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى (١) » .

ولا تخرج عن هذا المعنى وهذه الموارد ، المذكرة التي وجهتها الحكومة البريطانية إلى ملك الحجاز بوساطة معتمدها في جدة ، وقد جاء فيها :

« ان الرغبة والصراحة التامة التي اتخذاها جلالتم بإرسال الكتب التي أرسلها القائد التركي في سورية إلى سمو الأمير فيصل ، إلى جناب نائب جلالة الملك ، كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى ، وان الاجراءات التي اتخذاها جلالتم في هذا الصدد لم تكن إلا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة التي كانت دائماً شاهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى .

» وما لا يحتاج إلى دليل ان السياسة التي تسج عليها تركية ، هي إيجاد الارتياح بأن توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية وتلقي بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن أقوال الدسائس لن

تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين انجبت عقولهم إلى فكر واحد وغرض واحد .
 « ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها ، ما زالت واقفة موقف الثبات لكل نهضة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة ، وهي مصممة على ان تقف بجانب الأمم العربية في جهادها حتى تبني عالماً عربياً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني ، وتجتث التنافس المصطنع الذي أحدثته السلطات الرسمية التركية ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين ليلبوا حريتهم^١ .
 ولما أعلن وعد بلفور كان له تأثير عميق في الأوساط العربية ، وراى الحذر والمجود على قوات الثورة ، وطلب الملك حسين من بريطانيا ان تبادر حالاً إلى تفسير هذا الوعد ، مؤكداً أن على هذا التفسير يتوقف مصير التحالف العربي الانكليزي في الحرب التي تدور رحاها في البلاد العربية ، فأرسلت اليه الكوماندور هوغرت رئيس المكتب العربي في القاهرة في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ) ، فقابل الملك حسين مرتين وأبلغه رسالة من قبل الحكومة البريطانية تنطوي على تأكيد صريح بأن « الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق مع حرية السكان العرب من الناحيتين السياسية والاقتصادية^٢ » .

ويعلق الباحثون أهمية كبرى على هذه الرسالة لأنها ضمنحت بوضوح حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية^٣ . ويقول المؤرخ الانكليزي جورج كيوك في ذلك : « وقد بذلت سلطات الجيش غاية وسعها لإبقاء أمر التصريح سراً مكتوماً عن الطوائف غير اليهودية ، أي عن المسلمين والمسيحيين الذين يتكلمون اللغة العربية

١ - الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٢١٤ ، المهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٨٠ ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ص ٩٩ .

٢ - نقطة العرب ص ٣٧٦ ، الثورة العربية ، وثائق وأسانيد ص ١٠٣ .

٣ - العالم العربي ص ١٤١ .

والذين يبلغ تعدادهم يومئذ ٩٠ في المائة من حملة السكان ، غير ان بعض الأنساء عنه وصلت إلى مسامع الشريف حسين ، فبعث إلى بريطانية يستفسر في شيء من الاهتمام عن حقيقة ما حصل ، فأجابت الحكومة على استيضاحه بأن تأييدها للأمانى الصهيونية (لا يتجاوز حدود الكفيلة بحرية السكان الحاليين سواء من الوجهة الاقتصادية أم السياسية) وقد رضى الشريف هذا الوعد . »

وإلى جانب هذه الرسالة التي أبغث الملك حسين ، قدم إلى الحكومة البريطانية سبعة من أقطاب الحركة العربية هم رفيق العظم ومختار الصلح وعبد الرحمن شهبندر وخالد الحكيم وفوزي البكري وحسن حمادة وكامل القصاب . مذكرة يعرضون فيها عن قلق بلادهم من جرء معاهدة سايكس بيكو وتصريح بلفور اللذين يناقضان العهد المقتطوع للعرب ، ورغبتها في معرفة حقيقة نوايا الحكومة البريطانية بشأن مستقبل الوضع السياسي فيها . وقد أجابتهم وزارة الخارجية في ١٦ حزيران (يونيه) سنة ١٩١٨ ، ببيان رسمي تلي عنهم في مقر قيادة الجيش البريطاني في القاهرة وأرسلت نسخة منه إلى الملك حسين . وكان هذا البيان تصريحاً رسمياً علنياً واضح الحدود ، جددت به الحكومة البريطانية عهداً بالمضي في السعي لتحرير البلدان العربية من الحكم العثماني حتى تنال حريتها واستقلالها ، وأضافت إليه عهداً جديداً بأن لا يقوى في أي منطقة من هذه البلدان نظام للحكم بغير رضى الأهلىن .

وقد جاء في هذا البيان أن الأراضي العربية التي ورد ذكرها في مذكرة الأقطاب السبعة تنقسم إلى أربعة أقسام أو طبقات :

« ١ - الأراضي التي كانت حرة ومستقلة قبل قيام الحرب .

٢ - أراض حريت من السيطرة التركية بعمل العرب أنفسهم في أثناء الحرب الحاضرة .

٣ - أراض كانت في الماضي تحت الحكم العثماني وتحتلها قوات الحلفاء في الحرب الحاضرة .

١ - موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٢٣٣ .

٤ - أراض لا تزال تحت السيطرة التركية .

ففيما يتعلق بالطبقين الأولين ^(١) ، تعترف حكومة جلالته بالاستقلال التام والسيادة للعرب الذين يقطنون هذه الأراضي ، وتؤيدهم في جهادهم في سبيل الحرية . وفيما يتعلق بالأراضي التي تحتلها قوات الحلفاء ^(٢) ، قلقت حكومة جلالته نظر أصحاب المذكرة إلى نصوص التصريحات الصادرة من القواد العامين ، عند الاستيلاء على بغداد والقدس . وهذه التصريحات تتضمن سياسة حكومة جلالته بإزاء أهالي هذه الأقاليم . وترغب حكومة جلالته في أن تكون حكومة هذه الأقاليم قائمة على رضا المحكومين . وهذه السياسة ستظل مؤيدة من حكومة جلالته .

وأما فيما يتعلق بالأراضي المذكورة في القسم الرابع ^(٣) ، فإن من رغبة حكومة جلالته أن تفوز الشعوب المظلومة في هذه الأراضي ، بالحرية والاستقلال ، ولا تزال حكومة جلالته تعمل على تحقيق هذه الغاية .

وحكومة جلالته تعلم تمام العلم ، مقدار الصعوبات والأخطار التي تحيط بالذين يعملون لاسترداد حرية البلاد المذكورة .

على ان حكومة جلالته ، على الرغم من هذه العقبات ، تثق وتؤمن بإمكانات التغلب عليها ، وهي راغبة في تأييد كل من يعملون على تذليلها ، ومستعدة للنظر في أي مشروع للتعاون يتفق مع الأعمال الحربية الحالية وينطبق على المبادئ السياسية التي تستوشد بها حكومة جلالته وحلفاؤها ^(٤) .

يقول جورج انطونيوس : « وكان الحسين صريحاً في جوابه فقال لهوغارت :

١ - شبه جزيرة العرب والحجاز .

٢ - كان الحلفاء يحتلون في ذلك التاريخ القسم الأكبر من العراق والنصف الجنوبي من فلسطين .

٣ - الاجزاء التي لم تكن قد تحررت بعد من سورية والعراق .

٤ - الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المجموعة الاولى ، ص ٨٠ ، مؤتمر فلسطين العربي البريطاني ص ٣٧٦ ، ولهذا البيان الذي يؤكد العهد المقطوعة للحسين ، أهمية خاصة لأنه صدر بعد اتفاقية ساكس بيكو وبعد وعد بلفور ، مشتملاً تعهدات بريطانية للشريف حسين بمساعدة العرب في نضالهم من أجل الحرية والاستقلال .

ما دامت الغاية من وعد بلفور أن يهيء لليهود ملجأ من الاضطهاد فانه سيبدل كل نفوذه ليساعد على تحقيق تلك الغاية وسوافق على كل تدبير يُرى مناسباً ، لتأمين الأماكن المقدسة والاشراف عليها من قبل أتباع كل مذهب من المذاهب التي تملك لها معابد مقدسة في فلسطين . غير انه وضع ان مسألة التنازل عن مطلب السيادة للعرب لن تكون موضع بحث أبداً ، إلا أنه يرضى حين يحين الأوان أن ينظر في الاجراءات التي قد تبدو أوفق من سواها لتزويد الحكومة العربية في سورية (بما في ذلك فلسطين) بخبراء اداريين وفنيين . وقدم الحسين في الأشهر التي تلت براهين كثيرة على إخلاصه في موقفه ، فبعث برسائل إلى أتباعه في مصر وفي صفوف قوات الثورة ليخبرهم انه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأن توطين اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب في تلك البلاد^(١) .

ومن الملاحظ ان العرب قد وقفوا ذاك الموقف الصلب في وجه المطامع الصهيونية قبل معرفة حقيقتها وإدراك أهدافها ، بل « ان أهداف الصهيونية نفسها — كما يقول الدكتور أمين نبيه فارس — لم تكن قد تطورت بعد إلى ما أصبحت عليه بعد مؤتمر بلتيمور في ربيع سنة ١٩٤٢^(٢) » .

وقد صور نوري السعيد موقف العرب يومذاك في خطاب ألقاه في مؤتمر لندن في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٩ (١٣٥٨ هـ) لمعالجة قضية فلسطين ، فقال :
« وحينما اتصل بالجيش العربي تصريح بلفور في شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وكان إذ ذاك يقترب من العقبة ، عم الذعر كافة القوات العربية ، فتشاورنا فيما بيننا وأعلننا عدولنا عن الحرب في سبيل استقلال العرب ريثما يرد الينا تأكيد بأن تعهدات السرهنري مكماهون ستنفذ .

« وأبلغ الملك حسين احتجاجه على تصريح بلفور في شهر يناير سنة ١٩١٨ إلى القائد هوغارت الذي أرسلته الحكومة البريطانية إلى جدة يحمل تأكيدات صريحة

١ - بظلة العرب ص ٣٧٦ ، انظر ايضا المهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٨٢ .

٢ - ملحق جريدة الحياة الخاص بالثورة العربية الكبرى ص ٨٤ .

بأن تصريح بلفور لا يتعارض والحرية السياسية والاقتصادية التي وعد بها العرب في مكاتبات مكماهون ، كما أكدت له بواسطة هوغارت نفسه بأن هذا التصريح لا ينطوي على أكثر من وعد بإيواء العاجزين من اليهود في فلسطين لأسباب روحية وثقافية ، وأنه لا توجد نية في إنشاء دولة يهودية . وأبلغ الحسين هذه التأكيدات إلى القوات العربية فعادت إلى مواصلة القتال^{١١} .

وبالإضافة إلى هذه التصريحات والوعود ، كانت الطائرات الحليفة تلقي على المدن العربية المنشائر التي تدعو العرب إلى مناصرة الحلفاء وتؤكد لهم أن هؤلاء إنما يقاتلون من أجل حرية الشعوب وحقوق تقرير المصير ، ونشر هنا نموذجاً واحداً من هذه المنشائر ، وهو يحمل توقيع الجنرال مود ، وقد ألقته الطائرات البريطانية على بغداد في ١٩ آذار (مارس) سنة ١٩١٧ :

« يا أهالي ولاية بغداد

باسم ملكي ، وباسم الشعوب التي يحكمها ، أوجه اليكم هذا البلاغ :
لقد استهدفت أعمالنا الحربية كسر العدو وطرده من هذه الأصقاع . وعهد إليّ بالاشراف والرقابة المطلقة على جميع المناطق التي تقوم فيها جيوشنا بالأعمال الحربية . ولكن جنودنا لا تدخل مدنكم وغياضكم دخول الغزاة الأعداء ، بل دخول المتقذرين المحررين .

فمنذ عهد هولاءكم وبلادكم خاضعة للطغيان الأجنبي : عاصمتكم الجميلة هزلت . قصوركم دمرت . جناتكم ذبلت . وها أنتم وآباؤكم تستغيثون من وطأة العبودية . أبناءكم يقادون إلى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . وأموالكم تسلب منكم وتبذر في بلاد بعيدة .

ومنذ أيام « مدحت » والآراك يتكلمون عن الإصلاح ولكن الدمار السائد واليأس يشهدان على عقم الوعود ...

هناك تمنيات لا يزفها ملكي وشعوبه فحسب بل جميع الأمم العظمى التي

١ - أسرار الثورة العربية الكبرى ص ٢٠٦

تربطنا وإياها أو أصر الحلف . ان تعودوا فتعموا بازدهار العصور الغابرة ورفاهها لما كانت أراضيكم ندر اللبن والعسل . وكان سلفاؤكم الصالحون ينشرون العلوم والفنون في العالم . وكانت مدينة بغداد إحدى عجائب الدنيا . تقوم بينكم وبين ممتلكات مليكي صلات تجارية وثيقة . وكان تجار بغداد وتجار بريطانية يتبادلون الفوائد التجارية منذ أكثر من قرنين . ولكن الألمان والأتراك اتفقا على سلبكم . وشرعا منذ عشرين عاماً بأن يتخذوا من بغداد قاعدَة للتهجم على النفوذ البريطاني ونفوذ حلفائه في إيران والبلاد العربية . ولذلك لم يعد في وسع بريطانية العظمى غض الطرف عما يحاك بالحاظر أو عما سوف يحاك بعد في بلادكم لأن من واجبها الدفاع عن مصالح الشعب البريطاني ومصالح حلفائه . وهي لا تطيق التعرض لمثل الأخطار التي هيأها الأتراك والألمان في بغداد خلال الحرب مرة ثانية .

أما أنتم يا أهل بغداد—من يهتم انعاش تجارتهم وضمان سلامتهم من أي غزو أو اضطهاد هما موضع عناية الحكومة البريطانية بصورة خاصة — فيجب ان نحاطوا علماً بأنه ليس لدى هذه الحكومة أي رغبة في فرض مؤسسات أجنبية عليكم بل جل ما ترغب به ان ترى أماناً في فلاسفتكم وأدبائكم في طريق التحقيق ، وان تعود السعادة لأهل بغداد فيتمتعوا بثرواتكم في ظل مؤسسات تتوافق ومبادئهم المقدسة وما لقوميتهم من مثل عليا .

وفي الحجاز لقد طرد العرب الأتراك والألمان ونادوا بالشريف حسين ملكاً حراً مستقلاً . وسيادته حليف للأمم المحاربة ضد الأتراك والألمان . وهكذا كان شأن العرب النبلاء أمراء الكويت ونجد والعسير .

وقد استشهد كثير من العرب النبلاء في سبيل تحرير بلادهم . قتلهم أسياهم الترك الطغاة .. ولكن استشهادهم في نظر الحكومة البريطانية وحلفائهم لم يذهب سدى . وان للشعب البريطاني وحلفائه الرجاء والرغبة الصادقة ان يتمكن الجنس العربي في استعادة مجده ومكانته الغابرين بين شعوب العالم وهكذا يتم اتحادهم في ظل الوفاق والسلام .

اذكروا ، يا أهل بغداد . انكم على مر ستة وعشرين جيلاً غانتم الجور

الأجنبي الذي كان دأبه إيقاع الشقاق بين بيت وآخر . بين الصديق وصديقه . بين الأخ وأخيه ليؤمن مصلحته . وهذه أكره السياسات لدى بريطانيا العظمى وحلفائها . لأن السلام والرفاه لا يرتعان حيث يرتع الحقد والبغضاء في كنف حكومة فاسدة .

هذا واني بأمر حكومتي أكلفكم بواسطة أعيانكم وقدمائكم وممثليكم ان تبادروا إلى التعاون مع ممثلي بريطانيا العظمى السياسيين الذين يصحبون الجيش البريطاني في إدارة شؤونكم المدنية بشكل يؤمن معه الاتحاد بينكم وبين اخوانكم في الشمال والشرق وفي الجنوب والغرب لكي يصار إلى تحقيق أمانكم القومية (١) .

والواقع ان تلك البيانات والتصريحات والمناشير ، قد أعادت الاطمئنان إلى نفوس العرب ، وجددت الحماسة في قوات الثورة ، وبعثت الأمل في نفوس الحسين بن علي وأنجاله الميامين ، فانتقلوا بقواتهم إلى الهجوم الباسل ، يقتحمون المخاطر ، ويمتازون مئات الكيلومترات ، في كفاح يومي مرير ، وفي ظروف قاسية يصعب احتمالها حتى على من تعودوا حياة الصحراء ، وعلى طريق شائكة دامية يكمن لهم الموت على كل منعطف من منعطفاتها ، ويواجهون في كل بقعة منها قطعة من جحيم أو عاصفة من عذاب ...!

١ - نهضة العرب ، التحرر فلاستقلال فالعولمة ، ص ٨٠ ، اليهود الملتقة بالوطن العربي ص ٧٥ .

الفصل السابع عشر

الأمير فيصل في مؤتمر الصلح

ما كاد الأمير فيصل يضع قدمه في القارة العجوز ، حتى أدرك حقيقة المأساة التي كانت البلاد العربية مسرحها ، وكان الملك حسين وأنجاله وقواده وأبناء شعبه أبطالها الذين عاشوا كل ما في البطولة من نبل وتضحية وإباء ، وعانوا كل ما في المأساة من خيبة ومرارة وألم عميق .

لقد جاء الأمير البطل إلى فرنسا ليمثل في مؤتمر الصلح شعبه المكافح ، بعد أن بذل وناضل وصابر ، وضحي الوف الشهداء على مذبح حريته ووحدته واستقلاله ، فاستقبلته السلطات الفرنسية في مرسيلية في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ) استقبالا رسمياً ، ولكنه سرعان ما لاحظ ان الحكومة الفرنسية انما تستقبله بوصفه أميراً حجازياً ونجل ملك الحجاز الذي اشترك في الحرب مع الحلفاء ، لا كقائد حليف دخل سورية على رأس جيش عربي أسهم إلى حد كبير في معركة الحلفاء بالبلاد العربية ومن حقه أن يحضر مؤتمر الصلح ويشترك في تقرير مصير بلاده . وقد أسرفت الحكومة الفرنسية بما أحاطت به الأمير من مظاهر التكريم والتبجيل ، ولكنها كانت تعمل في الوقت نفسه لاقصائه عن الاشتراك في مؤتمر الصلح في فرساي كمثل للعرب ، وأعدت برنامجاً خاصاً لاقامته وزيارته للجهة الغربية ،

وعينت لمرافقته الكولونيل بريون ممثل فرنسا في جدة « وكان سمو الأمير بارندائه الملابس العربية ، وعلى رأسه الكوفية والعقال ، وبوجهه السموح المستطيل ، يوحى إلى كل من يشاهده بنبالته وسمو وجهته ، ويستميل إليه الأفئدة والقلوب ، بل إن كثيراً من رجال الغرب المرموقين راح يشبهه بالسيد المسيح (١) » .

وكان برنامج زيارة الأمير لمواقع القتال في أنحاء الجبهة المختلفة ، يرمي إلى إبعاده قدر المستطاع عن باريس حيث تتلاقى وفود الدول الحليفة استعداداً للمشاركة في المؤتمر التاريخي . وقد انتبه الأمير فيصل إلى ذلك ، ففقط برنامج زيارته وعاد إلى باريس لمقابلة رئيس الوزارة الفرنسية . وعين اليوم السابع من كانون الأول (ديسمبر) موعداً لهذه المقابلة ، ولكن بريطانية كانت قد تعهدت لفرنسة قبل هذا التاريخ ، بتأييد مطالبها في سورية مقابل ضم الموصل إلى العراق ، فلما اجتمع الأمير بالرئيس كليمنصو لم يجد لديه أي عطف على القضية العربية ، أو أي ميل للاعتراف بحقه في الاشتراك بمؤتمر الصلح .

يقول الأمير مصطفى الشهابي : « ومن المعلوم أن السبب في وقوف فرنسا هذا الموقف إنما هو رغبتها في الاستيلاء على سورية كلها ، وهي وإن قبلت في اتفاق سايكس بيكو بأن تكون سورية الداخلية مستقلة وخاضعة لنفوذها ، فعنى النفوذ في نظرها إقامة أمير عربي موال لها وقابل بما توجه إليه ، ولم يكن فيصل بن الحسين ذلك الأمير الرخو المستكين ، بل كان كما قلت ركن القضية العربية ودعامة استقلال بلاد العرب وفي رأسها الشام ، ولهذا كانت فرنسا تخفي له العداء كما كانت تسعى في إقصائه عن ديار الشام (٢) » .

ولما الأمير إلى لندن ، حيث رافقه الكولونيل لورنس وعمل على تسهيل مهمته . وقد تناقضت الآراء في لورنس ، وحقيقة موقفه من العرب ، ومدى إخلاصه لقضيتهم . ولعل رأي الاستاذ سليمان موسى أقرب الآراء إلى الصواب ، فهو يرى

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الأولى ص ٩٢ .

٢ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ٩٣ .

ان صداقة لورنس للعرب كانت تابعة من صميم نظراته إلى مصلحة بريطانية ، إذ كان يعتقد بان المصالح المشتركة تربط بين العرب وانكلترا^{١١} .

وكان لورنس قد أبدى غضبه لنقض العهود مع العرب ، وأخذ يعمل لايحاد تسوية لهذه القضية التي تمس الشرف البريطاني . ويروي تشرشل في كتابه « عظماء معاصرون » ان لورنس حين مثل بين يدي الملك جورج الخامس في شهر تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ عند عودته من ميدان القتال إلى انكلترا « أراد الملك أن يقلده بيده شارة وسام الحمام وشارة وسام الخدمة الممتازة ، اللذين سبق نشر خبر الانعام عليه بها في الجريدة الرسمية ، فالتمس من الملك اعفاه من قبولها ، ولم يكن هنالك ثالث بينها ، فأعفاه » .

يقول تشرشل : « ولت لورنس على ما فعله مع الملك ، حينما اجتمعت به في باريس ابان انعقاد مؤتمر الصلح ، فقبل اللوم بروح مرحة طيبة ، وقال انه ما كان يسعه ان يسلك سوى هذا المسلك ليلفت أنظار المقامات العليا في الدولة إلى ان شرف بريطانية رهن باخلاصها في معاملة العرب ، وان الغدر والتسليم بطلب فرنسا في سورية هما وصمة عار في تاريخنا ، وقال انه كان لا بد من اطلاع الملك على ما يقترب باسمه ، وانه لم يكن يعرف لذلك وسيلة أخرى ، وينبغي علي ان اسلم بأن هذا الحديث شوقي الى الاستزادة من المعلومات المتصلة بما وقع فعلاً في حرب الصحراء ، وفتح عيني على تلك الانفعالات النفسية التي كانت تغلي في صدور العرب ، فطلبت التقارير وأمعنت النظر فيها ، ثم تحدثت إلى كليمنصو فأخبرني بأن اتجاه الافرنسيين نحو سورية يرجع إلى مائة عام ، وهو لا يطبق حتى مجرد التفكير في ان فرنسا ، وهي التي اريقت دماؤها في خنادق الفلندر ، تخرج من الحرب الكبرى صفر اليدين ، لا تتال حصتها من الاراضي المفتوحة ، كما لا يطبق ذلك مواطنوه

١ - راجع كتاب « لورنس والعرب » للاستاذ سليمان موسى وهو أرفى دراسة عربية عن تلك الشخصية الاسطورية التي كتب عنها كثير من المؤلفات باللغات الأجنبية . انظر بصورة خاصة ص ٢٦٣ وما بعدها عن صداقة لورنس للعرب .

ولا يقبلونه بحال من الأحوال .^(١) »

وقد استقبلت الحكومة البريطانية الأمير فيصل بكل مظاهر الحفاوة والتكريم وحددت له موعداً لمقابلة ملك الإنكليز ، ورافقه في هذه المقابلة الكولونيل لورنس وكان يرتدي اللباس العربي رغم أن المراسم البريطانية لا تجيز مثل الضباط البريطانيين في حضرة الملك بغير زيهم العسكري .

ويقال أن كبيراً من رجال البلاط عنف لورنس على ظهوره بهذه الملابس في بلاط بكنغهام قائلاً: « أيجوز للكولونيل لورنس أن يظهر في هذا المكان وهو رجل من رعية التاج بل ضابط بريطاني بيزة رسمية أجنبية ؟ » فأجابه بحزم ولباقة : « إذا خدم رجل سيدن اثنين وكان عليه أن يسيء إلى واحد منها فالأفضل أن يسيء إلى أقواهما . أنا هنا ترجمان رسمي للأمير فيصل وهذا اللباس الذي تراه هو لباسه^(٢) . » وكان لورنس يعجب بفيصل اعجاباً خاصاً وقد عبر عن ذلك في امكينة متعددة من كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » فقال انه منذ رآه وتعرف به آمن بأنه القائد المنتظر والزعيم الذي سيسير بالثورة إلى هدفها المنشود ، وروى انه كان يبذل الجهود الحثيثة لرفع معنويات رجاله ويعير المنهار منهم قبساً من روحه ، وقد كانت المصاعب تهون لديه في سبيل هدفه ، وبينما كان يقوم على رأس رجاله في إحدى المعارك يشجعهم بأقواله وأفعاله خائنه قواه فاغمي عليه وحمل من قلب المعركة والزبد يتدفق من فمه . « وقد علمني صبره اللامتناهي درساً جديداً ، وأفهمني معنى الزعامة في البلاد العربية » وكان صوته ذا جرس موسيقي عذب ، وكان يستعمل هذا الجرس بعناية فائقة مع رجاله « فهو يتحدث اليهم بلهجتهم القبلية ولكن بنغمة مترددة غريبة كأنه يتعثر بين الجمل مفتشاً عن الكلمة التي تؤدي ما يعنيه . وكان في إمكانه أن يجعل من الكلمات ستاراً شفافاً يمكن المرء أن يرى بوضوح من ورائه الروح الطاهرة المقدمة التي تشع في كلماته » وكان يصلح ذات اليمين وبين العشائر المتخاصمة ويزيل ما علق بالنفوس من رسوبات الثار^(٣) « ويدفع من جيبه ما يختلف عليه من

١ - أسرار الثورة العربية الكبرى . مؤساة الشريف حسين ص ٢٧٤ .

٢ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٨ .

فوارق تقدير قيم الديبات ، وذلك كي يعيد سرباً طريق الوثام بين المتخاصمين . وبالفعل كان بمثابة محكمة التمييز العليا وحكمه غير قابل للنقض في غربي الجزيرة العربية ، وفي ذلك أظهر حكمة بالغة ولا سباً في الاحكام التي كانت تصدر عنه ، فهو لم يتجزأ أبداً لأي من الطرفين المتخاصمين مستعيناً على ذلك بمصافته المشهورة وذاكرته العجيبة . وقد مكنته هذه الحُصَال الحميدة من السيطرة على جميع العشائر الضاربة في المدينة حتى دمشق وما وراءها ، وبذلك أصبحت الحركة العربية حركة وطنية قومية تساوي بين العرب جميعاً^(١) .

ولما طلب الأمير من الحكومة البريطانية تحقيق العهود التي قطعتها للعرب بوساطة الملك حسين ، وفقاً للنصوص المحفوظة في وزارة الخارجية البريطانية ، وإعطائه صوراً عن تلك النصوص ليجري البحث على أساسها ، أجابته بالمطلة وتلكاً الموظفون البريطانيون في تحقيق مطلبه . الا ان بريطانية ساعدت الأمير في الوقت نفسه ، بتعزيد من الولايات المتحدة، على دخول مؤتمر الصلح ، فمنح الحجاز والعرب حق الاشتراك فيه بممثلين عوضاً عن ممثل واحد ، ورغم مقاومة فرنسة الشديدة لذلك^(٢) .

وعلى اثر ذلك عاد الأمير إلى باريس ، وقرر أن يكون المندوب الثاني في المؤتمر محمد رستم حيدر بالنظر لدراسته الحقوقية والسياسية ، وأن يكون كل من نوري السعيد والدكتور احمد قدرى وعوني عبد الهادي أعضاء ماعدين ليعملوا في لجان المؤتمر .

وقد افتتح المؤتمر في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) وكانت تسوده نزعتان ، نزعة الرئيس وبلسن الذي كان يحلم باقامة نظام عالمي يسوده الحق والحرية والسلام ، ونزعة الدول الاستعمارية التي تتسابق وتتنافس وتحك الدسائس والمؤامرات لتخرج كل منها من المؤتمر بنصيب أكبر من الغنائم والأسلاب .

١ - أعمدة الحكمة السبعة ص ٤٨ و ٥٢ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٧ و ١٢٣ .

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٩٧

Le Partage du Proche - Orient - P. 169

وكان أعضاء الوفد العربي ينتهزون كل فرصة لتوطيد العلاقات الودية مع الوفد الأميركي، لشعورهم بأنه الوفد الوحيد الذي يؤيد حقوق الشعوب. وقد هاجم الرئيس ولسن في المؤتمر أحلام الفتوحات والاستعمار، وتبادل البلاد بين الدول، كأن الشعوب ليست سوى أثاث ينقل، وقال إن الزمن قد تغير ولم يبق الدبلوماسيون قادرين على الاجتماع حول مائدة لفرض إرادتهم على الشعوب وتبديل خريطة العالم. وكانت بريطانيا وفرنسا قد كشفتا القناع عن وجهيهما الاستعماريين، وبناتنا قد حاولتا إعطاء الاستعمار « مهمة إنسانية » بحجة تقديم المساعدة للشعوب النامية التي تعتبر وديعة مقدسة في ذمة المدينة، ومن « واجب » الدول المتقدمة أن تقوم بدور الوصية عليها للأخذ بيدها في مدارج الحضارة. وإرضاء الولايات المتحدة وافق أعضاء المؤتمر على أن يكون للشعوب المعنية حقها في تقرير مصيرها. إلا أن تقرير المصير لم يكن يعني لدى الدول الكبرى، سوى حق اختيار وصاية هذه الدولة أو تلك! وقد كان هذا القرار بإحلال الوصاية أو الانتداب محل الاستعمار المكشوف، من أول القرارات التي اتخذها المؤتمر، وفي ما يلي أهم ما جاء فيه :

المادة ١ - لمثل هذه الأسباب ولا سيما لسوء الإدارة التركية التاريخية في معاملة الشعوب الخاضعة لها وللمذابح الأرمنية الهائلة وسواها في السنوات الخمس المتأخرة قرر الحلفاء والدول المشتركة معهم فصل أرمنية وسورية والعراق وفلسطين وبلاد العرب فصلاً تاماً عن المملكة التركية من دون إلحاق ضرر بسكان الأقسام الأخرى من المملكة التركية .

المادة ٢ - قررت الدول المتحالفة والدول المشتركة معها أنه نظراً للفرصة السانحة للبت في مصير المستعمرات والأراضي التي كانت لألمانية وتركية وهي مأهولة بسكان لا يستطيعون الوقوف وحدهم بالنسبة لحالات العالم الحاضرة الشديدة - العمل في هذه الأراضي مبدأ ترقية وإسعاد هذه الشعوب الذين يعتبرون وديعة مقدسة في ذمة المدينة وأن ينص على ذلك في دستور جمعية الأمم .

المادة ٣ - اقترح الحلفاء بعد الدرس الدقيق أن أفضل طريقة للقيام بهذا المبدأ هي وضع هذه الشعوب في عهدة الأمم الراقية التي تكون بالنسبة إلى مواردها أو

اختبارها أو مركزها الجغرافي أقدر على القيام بهذه المهمة فيجب أن تقوم بهذه المشاركة كوصيات من قبل جمعية الأمم .

لمادة ٤ - تعتقد دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن طبيعة الوصاية يجب أن تكون حسب درجة السكان من الرقي ومركز البلاد الجغرافي وحالتها الاقتصادية وما شاكل هذه الظروف .

لمادة ٥ - لما كان الحلفاء يعتبرون بعض الشعوب التي كانت خاضعة في السابق للمملكة التركية بلغت من الرقي درجة يصلح الاعتراف بها كأمم مستقلة محتاجة إلى استمداد النصائح الإدارية ومساعدة دولة وصية حتى تصبح قادرة على السير وحدها فإن رغائب هذه الشعوب يجب أن يكون لها مقام أولي في اختيار الدولة الوصية . ولما أقر مجلس الحلفاء الأعلى عهد جمعية الأمم في شهر شباط - فبراير سنة ١٩١٩ أدمج هذه المبادئ في المادة الثانية والعشرين منه تهيئة لها وتوكيداً وهذا نصها :

« يجب أن يطبق على لمستعمرات والبلدان التي قضت نتائج الحرب الأخيرة خروجها عن سلطة الدول التي كانت تسيطر عليها في الماضي والتي تسكنها شعوب لا تزال إلى الآن غير قادرة على الوقوف منفردة في معترك الحياة، المبدأ القاضي بجعل سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة في يد العالم المتمدن، ويجب أن ينص في هذا العهد على الضمانات اللازمة لحسن القيام بهذه الوديعة. والطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عملياً هي أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى الدول الراقية التي تمكنها مواردها المادية أو اختباراتها أو موقعها الجغرافي من القيام بهذه المهمة على سبيل الانتداب من قبل جمعية الأمم .

وتختلف طبيعة هذه الوصاية باختلاف درجات هذه الشعوب في التقدم وباختلاف موقعها الجغرافي وأحوالها العمرانية وما اشبه من الظروف، ولما كان بعض الشعوب الصغيرة التي كانت ضمن السلطنة العثمانية قد بلغت من الرقي درجة يمكن أن يعترف معها مؤقتاً بكونها أمة مستقلة، على شرط أن تسترشد إدارتها بنصائح ومساعدة تستمدتها من دولة منتدبة، إلى أن تصبح أهلاً للسير وحدها، على أن تحمل رغبة هذه الشعوب باختيار الدولة المنتدبة محلها من الاعتبار . ويجب في جميع الأحوال على كل

دولة من الدول المنتدبة أن تقدم تقريراً سنوياً إلى مجلس جمعية الأمم عن البلاد الموضوعه تحت وصايتها . ويجب على هذا المجلس أن يحدد تحديداً صريحاً نوع السلطة أو المراقبة أو الادارة التي تخول الدولة المنتدبة ممارستها . ويجب أيضاً انشاء لجنة دائمة لتسلم تقارير الدول المنتدبة سنوياً وفحصها وإمداد المجلس برأيها في جميع الأمور المختصة برعاية شروط الانتداب (١) . »

وقدم الأمير فيصل إلى المؤتمر مذكرة مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) هذا نصها :

« جئت ممثلاً لوالدي الذي قاد الثورة العربية ضد الترك تلبية منه لرغبة بريطانية وفرنسة ، لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسية من خط الاسكندرونه — ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً ، معترفاً باستقلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم . ويستثنى من هذا الطلب الحجاز وهو دولة ذات سيادة ، وعدن وهي محمية بريطانية . وبعد التحقق من رغبات السكان في تلك المنطقة يمكننا أن نرتب الأمور فيما بيننا ، مثل تثبيت الدول القائمة فعلاً في تلك المنطقة ، وتعديل الحدود فيما بينها ، وفيما بينها وبين الحجاز ، وفيما بينها وبين البريطانيين في عدن ، وانشاء دول جديدة حسب الحاجة وتعين حدودها . وستقدم حكومتي في الوقت المناسب بمقترحات تفصيلية في هذه النقاط الصغيرة . واني لأستند في مطلبي هذا على المبادئ التي صرح بها الرئيس ولسن (وهي مرفقة بهذه المذكرة) وأنا واثق من أن الدول الكبرى ستتم بأجساد الشعوب الناطقة بالعربية وبأرواحها أكثر من اهتمامها بما لها هي نفسها من مصالح مادية (٢) . »

ثم ألقى في السادس من شباط (فبراير) خطاباً بسط فيه مطالب العرب ، وهاجم بشدة تقسيم بلادهم وفق معاهدات سرية وجعلها مناطق نفوذ للدول العظمى وطالب باستقلالها ووحدتها .

١ — الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٩ — ٢٠ ، المهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٩٨ .
٢ — يقطعة العرب ص ٣٩٨ نقلاً عن مذكرات هنتر ملر ، انظر ايضاً تاريخ سوريا السياسي من الانتداب الى الانقلاب ص ٩ ، الثورة العربية الكبرى ص ٣١ .

إلا ان صوت الأمير فيصل لم يكن الصوت العربي الوحيد الذي ارتفع في قاعة المؤتمر ، فقد تكلم فيه أيضاً شكري غانم بوصفه رئيس الجمعية السورية اللبنانية في باريس ، فطلب إقامة وحدة سورية باشراف فرنسا ، كما تكلم داود عمون فطلب انفصال لبنان عن سورية واستقلاله باشراف فرنسا . وتكلم أخيراً السيد هوارد بلس رئيس الجامعة الأميركية بوصفه شخصية محايدة ذات اطلاع على حقيقة الاوضاع في سورية ، فقال إن السوريين ينشدون الوحدة والاستقلال .

ودعا الامير فيصل إلى ارسال لجنة لاستفتاء العرب في حقيقة مطلبهم وتقدير مصيرهم . وعلى الرغم من معارضة انكلترة وفرنسة فقد وافق المؤتمر بناء على الحاح مندوبي الولايات المتحدة على ارسال لجنة إلى سورية لهذا الغرض . وغادر الامير باريس عائداً إلى سورية بعد ان حصل من الوفد الأميركي على وعود حارة بتحقيق مطالب العرب ، وقال له الرئيس ولسن : « لا يخامرناك أي شك في أن حقوق العرب ستصان ، ولن تروا في بلادكم أبداً عمالاً للاستعمار باسم المشورة أو خلافها ، وإذا أحوجتكم المشاورة فستكون بناء على رغبتكم وموافقتكم^(١) » ، وبقي محمد رستم حيدر في باريس ممثلاً للحجاز في المؤتمر مع عوني عبد الهادي الذي أنابه الامير عنه .

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٠٥ .

الفصل الثامن عشر على مفترق السبيل

كانت البلاد العربية تقف يومذاك على مفترق التاريخ ، فالمستعمرات التركية المحررة كانت لا تزال تدعى « بلاد العدو المحتلة » والأوضاع السائدة فيها تعتبر أوضاعاً مؤقتة ريثما يتقرر مصيرها في مؤتمر الصلح. وكانت بريطانية وفرنسية تستغلان هذه الفرصة لتثبيت أقدامها في المناطق التي منحت لهما في معاهدة سايكس بيكو والتعديلات التي أدخلت عليها ، وتصفان كل خطوة تخطونها نحو هذا الهدف بأنها تدبير مؤقت ستزيله أو تعدله التسوية العامة التي سيقرونها صانعوا السلام في فرساي^(١).

وكانت الجزيرة العربية قد تركت على حالها ، ففي الحجاز كان الملك حسين هو السيد المطلق ، بينما كان عبد العزيز آل سعود سيد وسط الجزيرة العربية وكانت نفوذه يتعاظم وسلطانه يمتد أكثر فأكثر . وقد استقل الأديسي في عسير ، والامام يحيى في اليمن ، بعد استسلام القوات التركية للقوات الانكليزية في عدن . أما العراق فقد اعتبر وحدة قائمة بذاتها ذات حكومة واحدة على رأسها مندوب بريطاني

١ - انظر البيان الانكليزي الفرنسي ص ٢٦٣ من هذا الكتاب .

من المدنيين ، يعاونهم موظفون بريطانيون وهنود . وأما سورية وفلسطين فقد قسمتا إلى ثلاث مناطق لكل واحدة منها إدارة تختلف اختلافاً كلياً عن إدارة الأخرى ، وتعرف الأولى باسم « إدارة منطقة العدو المحتلة - القسم الجنوبي » وتضم فلسطين وإدارتها بريطانية ، وتعرف الثانية باسم « إدارة منطقة العدو المحتلة - القسم الشرقي » وتضم داخل سورية من العقبة إلى حلب وإدارتها عربية بإشراف الأمير فيصل ، والثالثة هي « إدارة منطقة العدو المحتلة - القسم الغربي » وتضم لبنان والساحل السوري من صور إلى حدود كيليكية وإدارتها فرنسية^(١).

وقد نأكد للأمير فيصل أثناء وجوده في لندن وباريس أن هذه التدبير الموقتة قد تتحول إلى تدابير دائمة إذا لم يستطع إرغام الدول الأوروبية على احترام إرادة الشعوب العربية ، وقد تركز أملنا في ذلك على اللجنة الدولية التي قرر مؤتمرها الصلح إرسالها إلى البلاد العربية لاستفتاء أهلها في مصيرهم وشكل الحكم الذي يطمحون إليه . ومن أجل ذلك رأيناه يغادر المؤتمر عائداً إلى سورية لاطلاع مواطنيه على حقيقة الوضع .

وقد استقبل الأمير فيصل في بيروت في أيلول ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) ، استقبالاً رائعاً اشتركت فيه وفود من جميع المدن اللبنانية والسورية وخطب في مستقبله فقال :

« إن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى .. لقد اعترف العالم باستقلالنا فعلياً أن نأخذ وأما نطلبه تماماً خالياً من كل شائبة ، وكل من يطلب معونة انكلتية أو أميركية أو فرنسية أو إيطالية فهو ليس منا . نحن لا نكرر أننا محتاجون إلى المعاونة الفنية وسنتفق عليها مع من نريد بحسب ما يوافقنا ، وهذا لا يكون إلا بعد أن نأخذ الاستقلال المطلق . »

وقد طلب إليه المجتمعون نشر بيان عن حقيقة الموقف والخطوة الواجب اتباعها ليطمئن أهل البلاد على مستقبلها ، فأذاع في اجتماع صحفي البيان الآتي :

١ - يقظة العرب ص ٣٨٨ .

« يا أبناء سورية العزيرة :

ها قد عدتُ إلى الوطن بعد أن فارقت خمسة أشهر . وقد أبلغتُ العالم المتمدن ما انتدبتموني اليه من بيان مطالبكم فتقرر مبدئياً استقلال بلادكم ، وصحت النية على ارسال لجنة تحقيق دولية تحقق ما نقلت إلى الغربيين من رغائبكم . وستصل اللجنة في هذين الاسبوعين . وبهذا ترون أن قد تم القسم الأعظم من المهمة الخارجية التي نعمل لأجلها وذلك بحسن نيات الحكومات الأربع المعظمة وصدقها في أقوالها وتمسكها بالمبادئ السامية التي جعلتها دستوراً لأعمالها وطبقاً لأمانى الأمة .

بقيت هناك المهمة الداخلية التي هي من خصائص هذه الأمة بأجمعها وهي المسؤولة عنها ، ونجاحها موكول اليها ، فعلى الشعب أن يقوم بما يقرره المؤتمر السوري العام الموقت الذي ينعقد عما قريب .

الأمم تود لكم النجاح ، وأنا أريد منكم أن تبرهنوا لهذه البعثة المحترمة التي ستشهد بالحق ، لكم أو عليكم ، بأنكم تستحقون الاستقلال وانكم قادرون على إدارة شؤونكم بأنفسكم . سجلوا أمام العالم والتاريخ أنكم أمة تفدي كل عزيز في سبيل أشرف غاية وهي الاستقلال الذي أعاونكم عليه وأنا أحد أفرادكم .

أنا لا أشك أنكم يد واحدة في المطالبة بحقوقكم الصريح والسعي للوصول اليه بكل ما في نفوسكم من قوة . تعملون وغايتكم متحدة ، والصدق رائدكم في أقوالكم وأعمالكم جرياً على ما تقتضيه منكم محبتكم لهذه التربة الطاهرة ، متمسكين بأهداب الحزم ، متخذين أسباب السكينة والتؤدة والغيرة على هذا الوطن .

واني آمل أن تثبتوا للعالم أنكم أحفاد اولئك الاجداد الذين كانوا سدنة الحرية ودعاة العدل . والتاريخ شاهد لا يماري في صحة القول . وإن ما قامت به الجاليات السورية المنتشرة في أقطار العالم من جلائل الأعمال ليدخل السرور إلى فؤاد كل من يحب هذه البلاد . فقد أسمعت صوتها بأنها لا ترى السعادة إلا في الاستقلال التام بدون قيد ولا شرط ، فاذا كانوا على تفرقهم لا يرضيهم إلا هذا فأنتم باجتماعكم أكثر استمسكاً بحقوق بلادكم . تستقلون في بلادكم استقلالكم في بيوتكم ، فينظر كل

صقع من اصقاعكم في شؤونه بنفسه مع احترام تقاليده وعاداته . أما المعاونة التي نحتاج اليها فنبتاعها بأثمانها .

هذا ما أحب أن نجعلوه يا بني وطني نصب أعينكم ، وأن تكونوا المثال الحي ، وقدوة الابناء والأحفاد (١) . »

ثم انتقل في الثالث من أيار (مايو) إلى دمشق التي كانت تنتظر مقدمه لتعرب له عن أعماق الحب والتقدير ، لأنه لم يعد في نظرها أميراً ينحدر من أعرق اسرة عربية ، أو بطلاً خاض المعركة وانتصر فيها ، بل غدا رمز حريتها واستقلالها وأمل غدها المرتجي .

وقد دعا الامير رجالات سورية ووفودها وشبابها المستنير إلى اجتماع كبير عقد في دار الحكومة في الخامس من نيسان (ابريل) وألقى فيه الخطاب التاريخي التالي الذي لخص فيه جميع مراحل القضية العربية وكان بمثابة استفتاء تمهيدي يسبق استفتاء اللجنة الدولية :

« أتشرف بأن ألقى بضع كلمات على مسامعكم الكريمة . وهذه الكلمات ستكون تاريخية بالنسبة لحياة الأمة العربية الجديدة في مستقبلها . وأرجو العفو والعذر إذا سمعتم بعض أغلاط تقع مني في أثناء الحديث لكوني لست من رجال هذا الموقف وأرجوكم أن تنظروا إليّ بعين العذر . وقد دفعني إلى الكلام :

أولاً - ان أكثر هؤلاء الكرام الذين أتشرف بمخاطبتهم مجتمعون هنا من كافة أنحاء سورية ، وقد أتوا إلى بيروت لملاقاتي وأداء التحية باسم جميع المواطنين الذين ينوبون عنهم . وحضروا إلى هنا ليسمعوا مني ما حصل في الغرب في مؤتمر السلام بخصوص بلاد العرب عامة وسورية خاصة . ولا شك في أنني مجبر على القاء هذه الكلمات لأطمئن أهل البلاد على بلادهم وعلى استقلالهم ، مع اني بعض الأحيات لا يمكنني أن أصرح بكل شيء لبعض الموانع السياسية التي تجبرني على السكوت عنها . ولما كان أكثر الذوات لا يعرفون ما هي الحركة الثورية التي قامت في الحجاز

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٠٨ ، يوم ميلاد ص ١٧ .

وما هو السبب الدافع اليها ولربما انهم قبل يومنا هذا كانت أفكار بعضهم ممن لا يعلم السياسة العمومية داعية إلى اتهام هذه الثورة بتهم لا محل لذكرها وبقول ان من قام بهذه الحركة أتى بخيانة للوطن أو للأمة أو للجامعة العثمانية التي كنا نحن من أفرادها. ولكن على أثر انكسار الاتحاديين وتشتت شمل الاتحاد الجرمني ، علم المجموع أن من قام بالثورة هو رجل أو رجال عالمون بسير الحركة السياسية والعسكرية في العالم . وأن من قام بهذا ما قام إلا لحفظ قسم من جسم البلاد العثمانية وانقاذه مما سيقع به بعد الحرب . ولا شك أن المسؤول في الحركة . أي الحركة الثورية العربية هو أولا والذي ثم الحجازيون مادة ، الذين قاموا بها فعلاً . أما السوريون فانهم مسؤولون عنها معنى لانهم قد شوقوا الحجازيين لهذه الحركة فزرى والله الحمد أن الفخر وان كان أولاً للحجازيين فهو فخر للجميع . لأن هذه الثورة هي ثورة قومية لا يمكن أن نسندها إلا إلى الأمة جمعاء . نعم ! إن والذي قام بالثورة في أثناء النزاع العظيم الديني بعد مارأي أن الاتراك انقادوا إلى التيار الالمانى وأوردوا الأمة العثمانية موارد الهلاك ورأى أن دوام العرب في الحرب مع الاتراك المتحدين مع الالمان سيوقع البلاد التركية في ذات الموقع ورأى أن الأمة العربية التي طالما تمت الحروج من نير الاستعباد والنهوض إلى ما كانت عليه في سابق التاريخ طامحة بأنظارها إلى الافلات من أشراك أعدائها . لهذا قام بالحركة بعد أن أتت إلى سورية وقابلت بعض الرجال الذين منهم كثيرون في مجلسنا هذا سواء من البدو أو من الحضرة عقب بجثي إلى هنا ولا شك في أنهم يذكرون ذلك .

« ولما وصلت إلى دمشق ورأيت ما رأيته من رجال الثورة رجعت إلى الحجاز وأخبرت والذي كيف انهم قاموا بواجبهم وعليه قام . ولكن تقدير الباري جعل السوريين في موقف لا يمكنهم من مؤازرة الحجاز بما قام به لأسباب تعلمونها وهو ضغط الاتراك عليهم وما أتوه من الأفعال التي سيسطرها التاريخ ويحسد ذكر من قتل ومن استشهد في تلك الاثناء من السوريين باحرف ذهبية . قام والذي ولم يفكر فيما يقع على الحجاز والحجازيين من القيام ضد الاتراك ولم يتيقن من النتيجة . إلا ان الباري سبحانه وتعالى يستر هذه الأمور فجلا الاتراك عن سورية .

« لا شك أنه قبل ذلك أتى ببعض مذاكرات أو معاهدات بينه وبين الأمم
 المحالفة أمم الحلفاء . واتكالا على الباري سبحانه وتعالى ثم على العهود التي أخذها قام
 بالواجب الى أن انتهى الحرب وبدأ في الصلح . ذهبت عن والذي إلى باريس عقب
 جلاء الأتراك ولتنفيذ الخطط العسكرية في البلاد المحتلة . جعلت البلاد السورية
 مقسمة على ثلاث مناطق وهذا لتنفيذ الخطط العسكرية ليس إلا . وأسست الحكومة
 العربية العسكرية في داخلية سورية وهي ليست حكومة دائمة . ولذلك ذهبت إلى
 المؤتمر الذي انعقد في باريس لأخذ كل مستحق حقه . وصلت باريس ودخلت المؤتمر
 وجمعية الأمم لبث رغائب الشعب على قدر اجتهادي وتمكنت من قول ما أريد .
 وعند ذهابي رأيت أمم الغرب في حالة جهل عميق عن أحوال العرب . كانوا لا
 يعرفون عن العرب إلا ما كانوا يعرفونه عنهم في حكايات ألف ليلة وليلة ليس إلا .
 كانوا يظنون العرب عبارة عن الامم السالفة العربية ولا يفكرون بوجود الامم
 العربية الحاضرة ولا يعرفون شيئاً عن الافكار السياسية والنهضة التي حصلت فيها .
 يفكرون العرب هم عبارة عن عرب البادية الذين يسكنون الصحراء وأما باقي
 سكان البلاد المعمورة فهم يعدونهم غير عرب . ولا شك أن جهلهم هذا جعلني أصرف
 وقتاً طويلاً لأفهم هذه الامم الحقيقة وأثبت أن العرب أمة واحدة تقطن في البلاد
 التي تحدها البحار من الشرق والجنوب والغرب وتحدها جبال طوروس من الشمال .
 « قلت هذا للمؤتمر وأخبرتهم بمقاصد العرب ونواياهم . وبما أنهم قاموا لانصاف
 المظلوم فبعد أن فهموا المقاصد والمطالب وما فعله العرب من المعاونة للحلفاء في هذه
 الحرب اعترفوا باستقلال العرب مبدئياً ، ولكونهم ليسوا عالمين الدرجة التي حازتها
 الأمة العربية اليوم من الرقي الأدبي والسياسي ولتأمين السلم في البلاد بأجمعها رأوا
 أن يتدبوا هيئة دولية لتوى الحقيقة بأبصارها وها هي قادمة اليكم .

« كانت مدافعتي عن بلاد العرب على قسمين : الأول — البلاد العربية لا يمكن
 تجزئتها . القسم الثاني — بما أن البلاد العربية بين سكانها اختلافات في طبقات العلم
 والتعليم ليس إلا ، فالظروف ليست كافية لتجعلهم أمة واحدة . لذلك رأيت
 الدفاع كما يلي :

« إن سورية والحجاز والعراق قطعات عربية . وكل قطعة منها يطلب أهلها الاستقلال . وقلت ان نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية هي تابعة للحجاز ليس الا . وهذه يرئسها والدي . أما سورية فيجب أن تكون مستقلة . وكذلك العراق يريد استقلاله ولا يريد معاونة أو حماية . نحن لا نؤذى في سورية أن نبيع استقلالنا بما نحتاج اليه من المعاونة في ابتداء تكويننا ، بل ان الأمة السورية هي أمة تريد أن تستقل وتأخذ ما تحتاجه من المعاونة بشئنا أي بدراهم معدودات .

« دافعت هذا الدفاع ولا حاجة إلى غير ذلك . لأن مجلسي هذا هو خاص لسورية . فاني أقول عن سورية :

« دافعت عن سورية بمحدودها الطبيعية . وقلت ان السوريين يطلبون استقلال بلادهم الطبيعية ولا يريدون أن يشاركهم فيه شريك وقد توقفنا والحمد لله . العراق بلاد مستقلة بلا علاقة بسورية ، كما أن سورية لا علاقة لها بسائر البلاد العربية . مع أن العرب أمة واحدة . وكلنا يعلم ان المقاطعات العربية بالنسبة للتاريخ والجغرافية والصلات القومية هي بلاد واحدة . وان هذه المقاطعات تكون جواركها ومصالحها الاقتصادية موحدة لا حاجز يحجز المناسبات الودية والاقتصادية بينها . »

« كانت مدافعاتي عن البلاد بهذه الصورة وكانت الامم تنظر إلى طلباتي نظراً الارتياح والقبول . وما حصل من الجدل ما هو إلا من عدم معرفة تلك الأمم مقاصد العرب وطواياها خوفاً من وقوع مالا تحمد عقباه مما بذره الاتراك ولكون الأمم الغربية تنظر إلى المجموع التركي العثماني كمجموع واحد ، وما يحصل من الاتراك يظنونهم من العرب . فبعد أن وقفوا على حقيقة الأمر وعرفوا ما هي مقاصد السوريين أذعنوا لهم وأعطوهم كل ما يطلبونه . وها أنا بين ايديكم قد قدمت اليكم من مؤتمر السلم أبلغكم ذلك ، وستصل اليكم الهيئة الدولية وتجبركم بما أخبرتكم به ، ونطلب منكم أن تعربوا لها عن ضمائركم بأية صورة كانت لأن الأمم لا تريد اليوم أن تحكم أمة أخرى إلا برضاها . »

« وقد جعلت جمعية الامم مانعاً للحرب ووكلت محل الاختلافات والنظر فيها . وسيكون للعرب مندوب في جمعية الامم وهذه التي تنظر إلى ما هو حاصل أو

ما يحصل بين الأمم من الاختلافات بعد رجوع هذه الهيئة إلى باريس . وستمع رأي كل شعب من الشعوب التي كانت تحت يد الترك وتعلن مطالب العرب وغيرهم إما استعباداً أو حكماً ذاتياً استقلالياً على قدر علم وعرفان واقتدار الأمم التي إنسلخت عن الاتراك .

« فالموقف اليوم هو بيدكم . ان التسويات الخارجية قد تمت بفضل الباري سبحانه وتعالى وبحسن نية من حالفنا من الدول العظام الذين لا يمكنني أن أفرق بين الواحدة والآخرى في حسن النية وهم بكل ارتياح قد قبلوا ما نثرت بين أيديهم من الأقوال .

« أنا الآن سأبتدىء في قولي عما يجب علينا عمله ولكن قبل كل شيء يلزمي أن أرجع ثانياً إلى الماضي فأقول :

« إن الثوار قاموا ولم يستشيروا الأمة لعدم مساعدة الوقت فحملوا المسؤولية وعملوا ما عملوه حتى اليوم .

« والآن ذكرت ما حصل في السابق إلى تاريخنا هذا . وأريد من حضر من ممثلي الأمة الذين في حالتهم الحاضرة ليسوا بمثلها بالصورة الحقيقية ولكنهم بموقعهم الأدبي يمثلون الأمة تمثيلاً معنوياً . أطلب منهم أن يصرحوا لي بأفكارهم وأن يقولوا لي هل ما تقنأ به في السابق هو حسن أم لا ؟؟ (فأجيب الأمير على سؤاله « حسن ، حسن !! » وأعقب بالتصفيق والتهنئة) .

« وهل هو موافق لرغائب الأمة أم لا ؟؟ (فأجابه الحضور : « موافق ، موافق » مع التهتاف الشديد) .

« وهل أعمالنا هي مقرونة برضى الأمة أم لا ؟ (فأجاب الجميع : « نعم ، نعم ! وكل الرضى وفوق الرضى » مع تصفيق وتهتاف) .

« هذه أعمالنا في السابق . ولكن بعد اليوم يجب على رجال الثورة أو رجال الحكومة الحاضرة (قولوا ما شئتم) أن يظلوا سائرين بأعمالهم . لأننا إلى الآن ما تمكنا من تأسيس حكومة أساسية . ولكن بما أن الوقت قد ساعد واجتمعت هيئة الوفود فلا يمكنني أن أرجعهم قبل الاطلاع على أفكارهم الخصوصية . هل

يريدون أن ندأوم على عملنا أم لا ؟ (الجواب : «ندأوم ، ندأوم ، ندأوم ،
مع الهتاف) .

« هل الأمة معتمدة على من هو قائم بأمرها أم لا ؟ (فأجابوه : « معتمدة ،
معتمدة ، معتمدة » .

« أرجوكم الاصغاء لبعض كلمات نجبول في خاطري . هل تسمح الأمة بأن
أدير الحكومة مع السياسة الخارجية والداخلية بعد اليوم أم لا ؟ (فقالوا : «نعم ، نعم ،
نعم ! » وقوطع بالهتاف والتصفيق الشديد وقال الجميع : فليحي أميرنا فيصل
تكراراً وتكلم بعض الحضور باختصار ، ثم عاد إلى الكلام فقال :)

« أشكر هذه الهيئة وأشكر هؤلاء الذوات على مام ناظروب إليّ به من
الارتياح والطمأنينة ولكنني أيضاً أجب نظرم إلى مسألة وهي : لا شك أن
الوكيل أو الشخص الذي يدافع في الحقوقيات لا يمكنه المدافعة عن حقوق موكله
إلا إذا كان بيده وثائق تخوله ذلك ، كذلك السياسيون لا يمكنهم الدفاع عن الأمة
إلا إذا كانوا حائزين على الشروط التي تمكنهم من العمل . فلهيئة الحاضرة تسأل الأمة
هذا السؤال وتريد الإجابة عليه وهو :

« هل الأمة تؤيد كل أعمالي في الداخل والخارج قولاً وفعلًا ؟ وهل تساعدني
بإعطاء جميع ما أطلب منها بدون شرط ولا قيد أم لا ؟ (فأجيب نعم لك الأمر) .

« هذا الذي أريد . لا شك أن هذه هي النقطة الأساسية التي تكون مستنداً
للشخص والذوات أو للهيئة التي ستعمل لتدبير الشؤون بعد اليوم إلى حين انعقاد
المؤتمر السوري الذي سينعقد في هذه الأيام .

« ولكنكم أعمل إلى ذلك الوقت بإزماني الاعتماد وقد طلبته منكم واعطيتوني
إياه وسأعمل .

« أرجو الباري سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير وإني أريد من الأمة
أن تنظر إليّ بالنظر السابق . وانتظر من الأمة أن لا تغتر وتقول : الامم اعطتنا
استقلالنا ، فإن اعتراف تلك الأمم ما هو إلا اعتراف معنوي ، فلا نعطي شيئاً إلا
ما نأخذ به أيدينا . فالأمر بيد الأمة وعليها القيام . وأن لم نقم واتبعنا الاهواء وقلنا

نحن مستقلون وكل منا تقاعد عن واجبه الوطني فلا استقلال لنا .
 « أقول هذا لاني رأيت الأمة عند قدومي قابلتني بكل ترحيب . وأريد ان
 الأمة تؤيد أقوالها بأفعالها . هذا طلبي مختصراً جداً . ولعدم علمي بما سأطلبه لا
 يمكن أن أقول شيئاً . ولكن بعد ان أحرزت ثقتكم وثلت اعتمادكم فعلي قدر ما
 أراه من الحاجة سأطلب من الأمة أن تؤازرنني معاً .

سعد الدين الحليل (حوران) ان حوران تقدم لسموه ما يطلب . وقام موفد آخر
 وتكلم بحماسة شديدة . ثم قام أحد موفدي فلسطين وقال إن دماء الفلسطينيين وأموالهم
 للأمير . وقال أحد موفدي العامريين . اننا قد لبسنا للحرب عدتها . نحن وجميع
 العرب من لم يقتل فليمت . فقال له الأمير أرجوك التوقف لأن ما قيل ليس بلسان
 العموم أريد أن ينتدب أحد منكم للكلام .

فقام الشيخ نوري الشعلان شيخ مشايخ الزوله فقال : « نحن العرب عيالهم
 وبيوتهم الشعرية فذاك وطوع يديك . ومن لا يفعل ذلك يخرج عن دين الاسلام » .
 وقال نسيب بك الأطرش : « نحن جميع عشائر سورية العربات والدروز
 نضحي حياتنا تجاه خدمتك وخدمة الأمة العربية والحائد عن ذلك يكون خانن
 الناموس والشرف والعرب » .

الشيخ عبد الحسين صادق (جبل عامل) : « انني باسم أهل جبل عامل أبايعك
 على الموت » .

الأمير : لم يكن زمن المبايعه ، نحن اليوم في دمشق وكلامي موجه للدمشقيين
 والسوريين ، وأريد ان أسأل أهل دمشق ثم أهل المقاطعات .
 محمد فوزي باشا العظم ومحمد أبو الحيو عابدين والشيخ أسعد الصاحب وغيرهم :
 نحن وهينو أمرك نقديك ونعتمدك .

بطريك الروم الكاثوليك : كما تأمرون سموكم فأمرنا بما تشاؤون .
 ثم سأل سموه بطريك الروم الأرثوذكس فأجابه : « بيننا وبين سموكم اتفاق
 في هذه القاعة على شرائط معدودة لا تخرج من ذاكرتكم الشفافة . فنحن عليه
 راسخون » . ثم استأنف بطريك الروم الكاثوليك وقال : « اني أعتمد نفس الاعتماد

الذي اعتمده بطريرك الروم الأرثوذكس .
 مطران السريان الكاثوليك : انني أعتمد نفس الاعتماد الذي اعتمده غبطة
 بطريرك الروم الأرثوذكس .
 مطران السريان القديم : أقول بلسان أمة السريان في سورية انهم طوع أمرك .
 تباعك بقلوبها وتعتمد عليك .
 سعيد باشا سليمان (بعلبك) : عموم أهل قضاء بعلبك تحت أمرك ، مئات
 وألوف رهن اشارتك .
 عمر بك الأتليسي (حمص) : قدمت من حمص وما ودعت الحصين إلا بعد ان
 اعتمدوني وهم يسلمونك دماءهم وأرواحهم .
 ابراهيم الخطيب (جنوب لبنان) : فوضناك ان تكون سلطاناً (سمو الأمير
 باسم : ابق ذلك الآن) جبل لبنان جزء متمم لسورية لا ينفك عنها .
 وهكذا صرح جميع أعيان البلاد ووجوهها الذين كانوا حاضرين باعتماد واحد
 تلو الآخر ، وأبأنوا جميعاً ان أرواحهم ودماءهم طوع إشارة سموه . وفي النهاية قال
 سمو الأمير : « لقد حصل المطلوب » ثم تكلم مطران الأرمن باللغة التوكية فشكر
 ما لقيه مهاجرو الأرمن من عطف العرب وانسانيتهم خلال سني الحرب الأربع
 وقال : ان تاريخنا سيكتب اسم العرب بحداد من ذهب فأنا أبارك لكم وأشكركم .
 ثم استأنف الأمير الكلام فقال :
 « لا شك انني بعد ما أخذت هذا الاعتماد من هذه الهيئة سأداوم وأثابر على أعمال
 كما سبق حتى انعقاد المؤتمر العام الذي أخبرتكم عن انعقاده في هذه الأيام والذي
 سيسن القوانين التي توضع لإدارة شؤون سورية كافة .
 « ولا شك ان فكري في إدارة سورية هو انني أرى مطالب الأقلية من الشعب
 تكون مرجحة على آراء ورغائب الأكتورية . وهذا أولاً بالنسبة لما بذل الأتراك
 من الشقاق والنفاق بين العناصر . البلاد ستقسم إلى مناطق بموجب الحالة الجغرافية
 والسياسية التي اكتسبها السكان بالنسبة إلى اختلاف مناطقهم . وانني أعلم يقيناً ان
 القسم الجنوبي من البلاد السورية لا يدار كما يدار الساحل ولا يدار الساحل كما يدار

داخل سورية مثلاً وحران وجبل الدروز والمنطقة الجنوبية . وقولي هذا قول شخصي لأنني فرد ولكنني أؤثر على المجموع بآله من الاعتماد عليّ . وإن شاء الله أرى منهم اعتماداً دائماً ويأخذون أقوالى ويعملون بها لأن النتيجة حسنة إن شاء الله (تصفيق وسكوت برهة) .

« واني أطلب من الجميع كبيراً كان أو صغيراً أن يعتمدوا على الباري سبحانه وتعالى ثم على من هو منهم أي شخصي الحقير . لأنني سأدافع عنهم وسأنظر اليهم على اختلاف أديانهم نظرة واحدة .

« لا فرق عندي بينهم . بل أرى الصالح والمتعلم مقدمين في نظري . أقسم على هذا بشرف آبائي وأجدادي ، كما اني أطلب من الأمة أن لا تنظر إلى شخصياتها في المعاملات العامة وليس لأحد منا أن يقول كنت كذا ناظراً لشأنه العائلي . بل لينظر كل منا إلى النفع العام في جميع الأمور التي يجب أن تقدم على المصالح الخاصة . ولا شك ان الشخص بذاته محترم عند الجميع . ولكن العمل يجب أن يكون بالعلم . فقد يكون الرجل وجيهاً في البلاد وهو غير قادر على إدارة وظيفة . فليعلم كل إنسان انني لا أتحزب لشخص لأنه من عائلة أو أسرة ذات شأن وقوة ، بل أنظر إلى اقتداره الشخصي لا لمقامه الاجتماعي في الأمة فأستخدمه في العمل الذي يليق به . لأن الحرمة الشخصية معنوية والعمل عائد للأمة جميعاً فلا يمكن إدخال الشخصيات في العموميات .

« وأرجو أن تعتمد الأمة على الأمم التي حالفها وناصرتها والتي لولاها لم نستطع الاجتماع الآن . ولكننا واثقون ان حلفاءنا لا يريدون لنا إلا الفلاح ولا طمع لهم بغير نجاحنا . فعلينا أن نثبت لهم انا أمة تريد ان تستقل ، ولنعافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا ونحترم كل من يأتينا من الأمم الغريبة لخدمتنا في بلادنا .

« هذا وأرجوكم رجاء خاصاً أدعوكم به إلى الاتحاد وجمع الكلمة . فهذه وظيفة الأمة لا وظيفتي الخاصة . إذ أنا فرد منكم . ولا استقلال لكم إلا إذا لزمتم السكون وعلمت بما يقوله من أنتم معتمدوه .

« هذه أقوالى وربما أطلت أو أخطأت ، ولو خطب في هذا الموقف غيري لتكلم الساعات الطوال ولكن عجزى يجعلنى أقول السلام عليكم ^(١) » .

وكانت الهيئة الادارية لجمعية الفتاة التي تتعاون مع الأمير فيصل في توجيه سياسة البلاد ^(٢) ، تتألف حينذاك من ياسين الهاشمي وشكري القوقلي وعزة دروزة وتوفيق الناطور والدكتور أحمد قدرى ورفيق التميمي ومحمد رستم حيدر ، وبعد تغيب التميمي في بيروت وحيدر في باريس حل محلها سعيد حيدر وأحمد مريود . وقد تشكل إلى جانب الجمعية العربية الفتاة التي ظلت جمعية مرية ، حزب جديد هو حزب الاستقلال ليكون المظهر الخارجي للجمعية ، وتألقت لجنته الادارية الأولى من سعيد حيدر وأسعد داغر وعزت دروزة وزكي التميمي وفوزي البكري وعبد القادر العظم وسليم عبد الرحمن وفايز الشهابي . كما تأسس النادي العربي في دمشق والنادي العربي في حلب فكانا يجمعان شمل الشباب المثقف ويثان فيهم الروح الوطنية . وكان لولب النادي العربي في دمشق الشيخ عبد القادر المظفر الباني .

إلا ان الأمير فيصل رأى ان هذه الهيئات الوطنية لا تكفي لتمثيل البلاد تمثيلاً شعبياً ، وليست لها صفة قانونية للتعبير عن رأيها والتكلم باسمها ، فكان أول ما اتجه إليه دعوة البلاد إلى انتخاب مجلس نيابي لمواجهة لجنة الاستفتاء الدولية هيئة رسمية ذات صفة قانونية . ولما كان الوقت لا يتسع لإجراء الانتخابات ، كما ان حكومتي الاحتلال في الساحل وفلسطين لا تسمحان بذلك ، فقد تقرر أن

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٢٥ ، سورية والعهد الفيصلي ص ٧٢ ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١١٠ ، يوم ميلاد ص ٢١٧

٢ - يقول عزة دروزة ان جمعية الفتاة كانت القوة المؤثرة في جل مظاهر العهد الفيصلي وأحداثه ان لم يكن كلها ، فالرأس الأول فيصل كان منها ، وكان البارزون من بطانته ورجال قصره منها ، وكان هو شديد الاتصال ببيتها المركزية وبكثير من أعضائها ، حتى انه لم يكذب يخلو من بعضهم في جميع ساعات يقظته ، ولم يكن يقطع بشأن أو يهم بعمل أو يصدر أمراً الا ويكون لهم رأي أو يد فيه أو علم به (انظر حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٧٥) .

ومن انتسب الى الجمعية في هذا العهد عبد الرحمن شهنيدر وهاشم الاتاسي وابراهيم هنانو ويوسف العظمة وحسن الحكيم ويوسف ياسين وتوفيق الشيشكلي وصالح قنباز وخير الدين الزركلي .

تجري الانتخابات من قبل الناخبين الثانويين الذين قاموا بانتخاب نواب البلاد في مجلس المبعوثان . وهكذا اجتمع نواب سورية وبيروت وطرابلس واللاذقية وجميع مدن فلسطين في السابع من حزيران (يونيه) سنة ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) بدمشق^(١) ، وتألقت منهم هيئة أطلق عليها اسم « المؤتمر السوري العام » ، وافتتح الأمير المؤتمر بخطاب جامع قال فيه ان مهمة أعضاء المؤتمر الأساسية هي تمثيل البلاد أمام لجنة الاستفتاء الدولية ، وعرض مطالبها وأمانها عليها ، وسن دستور يحدد واجبات المواطنين وحرياتهم ويكفل حقوق الأقليات الدينية .

وقد أورد عزة دروزة اللائحة التالية بأسماء أعضاء المؤتمر وهو يقول انه أخذها من لوحة الصورة الكبيرة التي جمعوا فيها بمناسبة إعلان الاستقلال ومن الذاكرة لأن اللوحة لم تحتو صور الجميع ، وهو يرجع ان هناك أسماء أخرى لم تظهر صور أصحابها وغابت عن ذاكرته^(٢) .

المنطقة الداخلية بما فيها شرق الاردن إذ كان أحد مقاطعاتها وبما فيها الأقضية الأربعة التي ألحقت ببلدان: عبد القادر الخطيب دمشق . محمد فوزي العظم دمشق . فوزي البكري دمشق . فخري البارودي دمشق . أحمد القضاني دمشق . محمد المجتهد دمشق . مسلم الحصني دمشق . الياس عويشق دمشق . عبد الرحمن اليوسف دمشق . عزت الشاوي دمشق . يوسف لينادو دمشق . الشيخ تاج الدين الحسيني دمشق . فاتح المرعشلي اعزاز . جلال القدسي اعزاز . تيودور أنطاكي حلب . سعد الله الجابري حلب . حكمة النبال حلب . يوسف الكيالي حلب . نوري الجسر حلب . عيسى المدافات الكرك . خليل العتھوني معان . سعيد أبو ناجي السلط . عبدالمهدي محمود الطفيلة . سليمان السوري عجلون . سعيد الصليبي السلط . محمود أبو رومية حوران . ابراهيم

١ - حالت السلطات الفرنسية دون وصول بعض أعضاء المؤتمر الى دمشق من المنطقة التي تحتلها .

٢ - حول الحركة العربية الحسديدة ج ١ ص ٩٧ ، انظر أيضاً سورية والعهد الفيصلي ص ٩١

هناو حارم . خالد البرازي حماه . عبد الحميد البارودي حماه . عبد القادر الكيلاني حماه . عبد الرحمن ارشيدات عجلون . شريف الدرويش الباب . محمود نديم منبج . حكمة الحراكي المعرة . حسن رمضان الزبداني . فايز الشهابي حاصبيا . سعيد حيدر بعلبك . محمد حيدر بعلبك . تامر حماده الهرمل . ناصر المفلح حوران . زكي يحيى إدلب . فؤاد عبد الكريم إدلب . أحمد العياشي إدلب . محمود الفاعور القنيطرة . خليل أبو الريش النبك . هاشم الأتاسي حمص . وصفي الأتاسي حمص . مظهر رسلان حمص .

لبنان والساحل الغربي : رشيد رضا طرابلس الشام . توفيق البيسار طرابلس الشام . عثمان سلطان طرابلس الشام . الشيخ عبد العظيم طرابلس الشام . ابراهيم الخطيب لبنان . رياض الصلح صيدا . عفيف الصلح صور . عبد الفتاح الشريف عكا . سليم علي سلام بيروت . جميل بيهم بيروت . أمين بيهم بيروت . جورج حروفش بيروت . ناجي علي أديب جبلة . محمد خير اللاذقية . محمد الشريقي اللاذقية . منيع هارون اللاذقية . صبحي الطويل اللاذقية . توفيق مفرج الكورة . دعاس الجرجس حصن الأكراد . رشيد نقاع المتن . مراد غلمية مرجعيون . سعيد طليع لبنان . فلسطين : سعيد الحسيني القدس . راغب النشاشيبي القدس . ابراهيم القاسم عبد الهادي نابلس . غزة دروزة نابلس . عادل زعيتو نابلس . أمين التيمي نابلس . الشيخ طاهر الطبري طبريا . يوسف العاقل طبريا . عبد الرحمن النحوي صفد . صلاح الدين قدورة صفد . الدكتور أحمد قدري الخليل . رفيق التيمي الخليل . سليم عبد الرحمن طولكرم . حسين الزعبي الناصرة . عبد الفتاح السعدي عكا . الشيخ ابراهيم العكي عكا . الحاج أمين الحسيني القدس . عارف العارف القدس . يوسف العيسى يافا . معين الماضي حيفا . رشيد الحاج ابراهيم حيفا . الشيخ سعيد مراد غزة . رشدي الشوا غزة .

وبعد أيام ثلاثة من افتتاح المؤتمر وصلت لجنة الاستفتاء إلى دمشق ، وكانت مؤلفة بأجمعها من الأميركيين ، لأن بريطانيا وفرنسة تلتكأتا في إيفاد مندوبيهما للانضمام إلى المندوبين الأميركيين فيها ، ثم رأتا ان الاشتراك فيها قد يخرج

مركزها في المستقبل فيما إذا اتخذنا موقفاً معارضاً لرغبات المواطنين ، أما إيطالية فلم تبد أي اهتمام بالموضوع . وتجاه ذلك رأى الوفد الأميركي في اللجنة أن يقوم بالمهمة الموكولة إليه منفرداً ، فزار فلسطين ولبنان ثم انتقل إلى سورية ، وقد عرفت لجنته باسم « لجنة كنف - كراين » أو « لجنة كراين » وهما العضوات البارزان فيها .

وقد كان الصوت العربي الذي أصغت إليه في سائر المناطق مجعاً على الرغبة في الاستقلال والوحدة السورية ضمن وحدة عربية عامة مستقلة ورفض السياسة الصهيونية ووعدهم بلفور رفضاً قاطعاً .

ولن نتحدث بالتفصيل عن أعمال اللجنة في المناطق التي زارتها ، لأننا سنفرد فصلاً خاصاً للقرار الذي قدمته إلى مؤتمر الصلح ، لأنه يعطي صورة دقيقة وواضحة وغير مغرضة عن الأوضاع السائدة في البلاد العربية يومذاك ، ومشاعر المواطنين على اختلاف فئاتهم ونزعاتهم ، وضعتها لجنة محايدة يتمتع رجالها بزايا ثقافية وأخلاقية عالية ، كما أن هذا التقرير يعتبر وثيقة هامة بالنسبة لقضية فلسطين ، إذ بدأ أعضاء اللجنة تحقيقهم وهم كما يقولون مبالون إلى تحقيق وعد بلفور ، إلا أنهم بعد استفتاء السكان العرب واليهود والضباط البريطانيين تأكد لهم ما في هذا الوعد من تناقض لأنه قضى بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين دون أن يمس ذلك بالحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية فيها ، بينما أيقن أعضاء اللجنة بأن إنشاء وطن قومي لليهود هناك لا يمكن أن يتم دون اهتمام الحقوق المدنية والدينية للجماعات الأخرى ، بل أن بعض الضباط البريطانيين أكدوا لهم أن ذلك المشروع لا يمكن أن يتم إلا بقوة السلاح ، في حين صرحهم ممثلو اليهود بأن الصهيونيين يتوقعون أن يجلبوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضي منهم . وقد رأت اللجنة أن ذلك كله يتناقض مع أهداف الحلفاء ومبادئ الرئيس ولسن ، ودعت إلى إدخال تعديل كبير على المشروع وتحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وقبيل مغادرة اللجنة دمشق زارها وفد كبير من أعضاء المؤتمر السوري العام ، وقدموا إليها قراراً اتخذته المؤتمر بالإجماع في جلسته المنعقدة في ٢ تموز (يولييه) سنة

لياك

ان يضللك الحفونة

لا تبع

بلاد اجدادك فتلعنك اولادك واحفادك

عش حر

فك امرك من نير الاستعباد فتسربح وتكن مطالبك هي
اولاً - اطلب (الاستقلال السياسي التام) بلا قيد ولا شرط
ولا حاية ولا وصاية
ثانياً - لا تقبل بتجزئ بلاد اهلك ووطنك اي (سوريه كلها
جزء لا يتجزأ)

ثالثاً - اطلب حدود بلادك من الشمال (جبال طوروس) ومن
الجنوب (صحراء المينا) ومن الغرب (البحر المتوسط)
رابعاً - تمنى لفة البلاد الحرة العربية (الاستقلال والانضمام)
خامساً - عند الاحتياج رجح ان تكون المعاونة المالية والفنية من دوله
لعمريكا بشرط ان لا تمس استقلالنا السياسي التام

سادساً - اختج على المادة (٢٢) من قانون جمعية الامم القائلة بوجود
الوصاية لملك اهل الاستقلال

سابعاً - ارفض كل حق ندعيه دولة ما بان لها حقوقاً تاريخية او
ارجحية في بلادنا رفضاً باتاً

وطني عربي مفادي

نموذج من الاعلانات التي وزعت على الأهلين عند مجيء اللجنة الأميركية للاستفتاء

١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) وتضمن المطالب التالية :

١ - الاعتراف باستقلال سورية الطبيعية (بما في ذلك فلسطين وشرقي الأردن ولبنان) واستقلال العراق .

٢ - رفض اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور وكل مشروع آخر يرمي إلى تجزئة سورية أو إنشاء دولة يهودية في فلسطين .

٣ - رفض الوصاية التي ينص عليها نظام الانتداب ، وقبول المعونة الفنية الأجنبية ، ويفضل ان تكون الولايات المتحدة هي الدولة التي تقدم تلك المعونة ، فإذا لم يكن ذلك ممكناً فتكون بريطانيا ، على ان لا يمس ذلك الاستقلال التام والوحدة القومية والسيادة الوطنية .

وهذا هو النص الكامل لقرار المؤتمر السوري العام :

« اتنا نحن الموقعين أدناه بامضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام والمؤلف من مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية والحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين قد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الأربعاء المصادف لتاريخ ٢ تموز - يوليو سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المينة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها إلى الوفد الأميري المحترم من اللجنة الدولية :

« أولاً - اتنا نطلب الاستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية التي تحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً (رفع) فالخط المار من جنوب (الجوف) إلى جنوب (العقبة الشامية) و (العقبة الحجازية) وشرقاً نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقي (أبي كمال) إلى شرقي (الجوف) وغرباً البحر المتوسط ، بدون حماية ولا وصاية .

ثانياً - اتنا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية ، مدنية ، نيابية ، تدار مقاطعاتها على طريقة الامر كزبة الواسعة وتحفظ فيها حقوق الأقليات على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الأمة جهاداً استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه وان نجاهر بالاعتماد التام على سموه .

« ثالثاً - حيث ان الشعب العربي الساكن في البلاد السورية شعب لا يقل رقياً من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو في حالة أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانية في مبدأ استقلالها فاننا نحتج على المادة (٢٢) الواردة في عهد جمعية الأمم والقاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة .

« رابعاً - إذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها فاننا بعد ما أعلن الرئيس ولسن ان القصد من دخوله في الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار ، نعتبر مسألة الانتداب الواردة في عهد جمعية الأمم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس باستقلالنا السياسي التام . وحيث اننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار . وحيث اننا نعتقد ان الشعب الأمريكي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار وانه ليس له مطامع سياسية في بلادنا ، فاننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسي التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاماً .

« خامساً - إذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها فاننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانية العظمى على أن لا تمس استقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة .

« سادساً - اننا لا نعترف بأي حق تدعيه الدولة الفرنسية في أي بقعة كانت من بلادنا السورية ونرفض أن يكون لها مساعدة ويد في بلادنا بأي حال من الأحوال .

« سابعاً - اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطناً قومياً للإسرائيليين ونرفض هجرتهم إلى أي قسم من بلادنا . لأنه ليس لهم فيها أدنى حق ولأنهم خطر شديد جداً على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي . أما سكان البلاد الأصليون من اخواننا الموسويين فلهم

ما لنا وعليهم ما علينا .

« ثامناً - اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان ، عن القطر السوري ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان .

« تاسعاً - اننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر ونطلب عدم إيجاد حواجز اقتصادية بين القطرين .

« عاشراً - ان القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ولسن التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية أو كل وعد خصوصي يرمي إلى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان .

« هذا وان المبادئ الشريفة التي صرح بها الرئيس ولسن لتجعلنا واثقين كل الثقة في أن رغائبنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هي الحكم القطعي في تقرير مصيرنا . وان الرئيس ولسن والشعب الامريكى الحرس يكونون لنا عوناً على تحقيقها فيثبتون لملأ صدق مبادئهم السامية وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام ونحو شعبنا العربي بنوع خاص . وان لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نثر على الدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية ، إلا لأنها تحاملت على حقوقنا القومية ، فيحقق لنا رغائبنا بتمامها فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد ان أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال ونطلب السماح لنا بإرسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقاً لرغائنا هذه والسلام^(١) » .

يقول الدكتور أحمد قدرى : « وأذكر انني كنت ذات مرة مع الكاتبين ياي (أحد أعضاء اللجنة) الذي كنت أألزمه لمعرفة الافرنسية ، نسير على مقربة من مدرسة المارستان لتسهيل مقابلة اللجنة للبيئات الدينية الاسلامية ، فررنا أمام دار

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٤٨ ، العهد المتعلق بالوطن العربي ص ١٢٤ ، يوم .

ميسلون ص ٢٦٢

سامي باشا مردم بك ، وكانت بناته الصغيرات يلعبن منشدات الأناشيد الوطنية في البهو الخارجي ، فاغتنمت الفرصة ودعوته للدخول ، وترجمت له ما كنّ يقلنه ، وقد سألهن بالفرنسية عن الداعي لما ينشدنه ، فأجبنه بأنهن لا يرغبن بديلاً بالاستقلال التام لبلادهن ، ويرفضن أي مساعدة فرنسية . فضحك وهو يقول : « ان هذا الوعي في سورية لمن دواعي فخرها . أخشى ما أخشاه أن لا تتحقق مطالبكم رغم الجهد الوطني الذي قمت به لتوحيد كلمتكم . فأميركة لم يعد بوسعها التدخل في شؤون بلاد خارجة عن حدودها »^(١) . ولا أدري كيف يسعها تقديم المساعدات لكم ، وحتى المساعدة الفنية . اني أقول لك هذا كصديق ، مع ان واجبي لا يسمح لي بالافضاء بتصریح كهذا ، فكان لما قاله لي ، ولتأييد المستر كراين ذلك تلميحاً ، تأثير كبير في قرار المؤتمر السوري العام ، فقبل طلب المساعدة الفنية التي لا تمس الاستقلال التام من أميركة وان لم تقبل فن بريطانيا^(٢) .

ويفسر أسعد داغر هذا الاتجاه بقوله ان الحجة التي كان يستند اليها القائلون بطلب المساعدة الأميركية أو الانكليزية ، ان أميركة لا تقبل ان ترتبط بعهود جديدة خارج القارة الأميركية ، وان انكلترة لا يسعها بالنظر إلى علاقاتها الودية مع فرنسة ان تقبل بما تعدده الحكومة الفرنسية حقاً لها ، فينتج عن ذلك اننا نطلبنا المساعدة الأميركية أو الانكليزية نكتسب عطف الشعبين وصادقتها ، من دون ان نستهدف انفوذهما أو انتدابهما ، فنجعلها بذلك عوناً لنا على درء المطامع الفرنسية^(٣) .

١ - كان كثير من الشخصيات الاميركية ينتقدون خروج الرئيس ولسن على مبدأ مونرو الذي اتخذ قاعدة للسياسة الاميركية منذ سنة ١٨٢٣ وهو يقضي برفض تدخل اوروبا في شؤون الولايات المتحدة وعدم تدخل هذه في شؤون غيرها .

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٢٥ .

٣ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٣١ .

الفصل التاسع عشر تقرير لجنة كراين

يشمل تقرير لجنة كراين أمور الشرق الأدنى ، ويسهب في تحليل الأوضاع السائدة في البلاد العربية اسبابا كبيرا يجعل من الصعب الاستشهاد بالكثير مما ورد فيه ، إلا ان اهميته الكبرى في تصوير الواقع العربي يومذاك ، والاتحاد المكين بين المسلمين والمسيحيين لاجراز الاستقلال ، وبطلان الدعاوى الاستعمارية والصهيونية ، تحتم علينا تلخيص بعض فصوله ونقل مقاطع كبيرة منه .

وينقسم التقرير إلى ثلاثة أقسام : « المقدمات ، فالمسائل بوجه عام ، فالاستنتاجات والملاحظات » وقد أطلعت اللجنة قبل سفرها من باريس على التقارير المختلفة والعرائض والوثائق التي جاءت إلى دائرة آسية الغربية في قسم الخبراء الاميركيين في مؤتمر الصلح كما اطلعت على طائفة من الكتابات عن الشرق الادنى .

والطريقة التي اتبعتها اللجنة في اعمالها هي الاجتماع بالافراد والوفود الذين يمثلون الطبقات المختلفة في المدن التي زارتها ، وقد زارت ٣٦ مدينة وبلدة سورية في المناطق العسكرية الثلاث : الانكليزية والعربية والفرنسية ، ووقفت على أحوال الجهات الاخرى من الوفود واللجان التي قابلتها . وتضم سجلات اللجنة اسماء ١٥٢٠ قرية اتصل ممثلوها باللجنة وأبلغوها وجهات نظرهم .

وبلغ مجموع السكان في سورية ^(١) ثلاثة ملايين و ٢٤٥٥٠٠ نسمة ينقسمون هكذا : مسلمون ٢ ٣٦٥٠٠٠ نسمة ، مسيحيون ٥٨٥ ٥٠٠ ، دروز ١٤٠ ألفاً ، يهود ١١٠ آلاف ، طوائف أخرى ٤٥ ألفاً. ويجب اعتبار هذه الأرقام في كل حال على وجه التقريب . ويمكن اعتبارها أقرب إلى الصواب في ما يتعلق بنسبة السكان في كل مقاطعة .

ومع التقرير خارطة توضح حدود المناطق العسكرية وحدود (فلسطين الكبرى) التي يطلبها الصيونيون ، و (لبنان الكبير) الذي يطلبه اللبنانيون ، ولا يمكن أن يكون عدد الوفود قياساً نسبياً للسكان ، فإن المسيحيين منقسمون إلى طوائف صغيرة كثيرة حتى إن وفودهم كانت أكثر عدداً من وفود الاكثية الاسلامية .

وقد تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة اثناء وجودها في سورية ، واتخذت جميع الوسائل للتثبت من العرائض والتواقيع «ولكنها بالنظر إلى طبيعة مهمتها والتسهيلات المحدودة لا تستطيع أن تضمن سلامتها من الغش » ولأن قيمة العرائض الفردية تختلف في عدد التواقيع إلا أن العدد نفسه لا يصح اتخاذه قياساً . مثال ذلك ان بعض العرائض التي لم يوقعها غير أعضاء المجلس البلدي قد تعبر عن الرأي العام أكثر من عريضة يوقعها ألف قروي .

ويبلغ مجموع التواقيع ٩١٠٧٩ تنقسم هكذا : ٢٦٣٢٤ من المنطقة الجنوبية و ٢٦٨٨٤ من الغربية و ٣٧٨٧١ من الشرقية ومعدل التواقيع في كل عريضة ٤٩ اسماً .

وتشتمل هذه العرائض مع ما تقدم على صورة الرأي السياسي في سورية ، لأن أكثر العرائض الشاذة ينسخ بعضها بعضاً ، فإن عرائض المسيحيين في فلسطين تساوت مع عرائض المسلمين بعد التيار الذي تدفق على اللجنة في حلب . ولم تؤثر حركات أعوان الفرنسيين في طرابلس في موقعي هذه العرائض أكثر من المساعي المعاكسة لانصار الاستقلال في عمان .

١ - كان هذا الاسم يطلق يومذاك على سورية ولبنان والاردن وفلسطين .

وبما لا خلاف فيه ان صفة هذه العرائض تمثيلية كما تدل عليه لائحة الوفود التي استقبلتها اللجنة، ولأنها جاءت من الطبقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية كافة والجمعيات، لأن القوم علموا أن اللجنة لا تذيع أي عريضة يقدمها فرد أو جماعة. وحدث في بعض المدن ان السلطة العسكرية حاولت السيطرة على اللجنة مباشرة أو بواسطة أخرى ولكن الاحزاب المعارضة كانت تعرض افكارها ومطالبها خطابة أو كتابة. وتحدث التقرير عن الخطط السياسية التي ظهرت جلياً في العرائض فإنه كان في ١٣٦٤ من ١٨٣٦ عريضة هذه الخطط بالحرف الواحد. وهناك عرائض أخرى كثيرة فيها شبه قريب منها.

ولم يكن في العرائض الاولى التي تلقتها اللجنة في بافا يوم ١١ حزيران - يونيو - باستثناء العرائض الصهيونية - برهان على وجود سياسة معينة متفق عليها لمستقبل سورية، بل كان هناك تفاوت عظيم في المعاني والمباني. وقد وجد بينها أربع عرائض. تشتمل على ما يمكن تسميته برنامج الاستقلال وهو يتضمن:

١ - وحدة سورية السياسية ومن ضمنها كيليكييا شمالاً والصحراء السورية شرقاً وفلسطين حتى دجلة جنوباً.

٢ - الاستقلال الناجز لسورية.

٣ - مقاومة ارضي القومى الصهيوني والهجرة اليهودية.

ثم صار هذا البرنامج العلامة الواضحة في عرائض المنطقة الجنوبية فاشتملت عليه ٨ من ٢٣ في القدس و ١٠ من ٣٥ في حيفا والناصرة، وكانت ٨٣ من ٢٦٠ في المنطقة الجنوبية أو ٣٢ بالمئة استقلالية، بينما هناك عرائض تضرب على ما يشبه هذا الوتر.

أما في دمشق فقد صار برنامج الاستقلال الأصلي بعد تأييد المؤتمر السوري له في دمشق يعرف ببرنامج دمشق، وهو يشتمل على ثلاث مواد من برنامج الاستقلال مع ادخال لفظة « المساعدة » من اميركا وإذا رفضته فانكثروا. وفيه أيضاً ما يأتي:

رفض المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم. رفض المطالب الفرنسية كلها في سورية. الاحتجاج على المعاهدات السرية والاتفاقات الخاصة مثل اتفاق

سايكس - بيكو وتصريح بلفور ومقاومة استقلال لبنان الكبير . إنشاء حكومة ديمقراطية لامركزية برئاسة الأمير فيصل . المطالبة بالاستقلال والحريّة الاقتصادية للعراق .

وقد تلقت اللجنة ثلاث عرائض تحتوي على (برنامج دمشق) قبل تأييد المؤتمر السوري له . ولكنها تلقت بعد ذلك ١٤٧٣ عريضة تضمنت ١٠٤٧ منها مواد هذا البرنامج ، منها ٩٧٤ مطبوعة .

وينقسم البرنامج اللبناني إلى ثلاثة أقسام كما تدل على ذلك العرائض :

١ - لبنان كبير فرنسي مستقل .

ب - لبنان كبير مستقل .

ج - لبنان إداري .

يطلب أصحاب البرنامج الأول فصل لبنان الكبير عن سورية واستقلاله التام مع سهول البقاع وضم طرابلس أحياناً ، وأن يكون تحت الوصاية الفرنسية . وقد تلقت اللجنة ١٣٩ عريضة تؤيد هذا البرنامج من ١٤٦ رفعت إليها في المنطقة الخيرية المحتلة كانت عشرون منها ذات صيغة واحدة .

وبرنامج الحزب الثاني كبرنامج الحزب الأول إلا أنه خال من طلب الوصاية الفرنسية ، و٣٣ من ٣٦ عريضة من هذا البرنامج مطبوعة في شكلين و٨ منها مضاف إليها طلب الوصاية خطأ .

وأما برنامج لبنان الإداري فيطلب لبنان الكبير كمقاطعة مستقلة إدارياً ضمن الوحدة السورية . ولم يرد ذكر للوصاية في هذا البرنامج على الإطلاق . وعدد العرائض التي اشتملت عليه ٤٩ وهي خطية ليس منها غير ٣ مطبوعة .

وبشأن البرنامج الصهيوني تلقت اللجنة ١١ عريضة تستحسن البرنامج الصهيوني وهو إنشاء وطن قومي لليهود وفتح باب الهجرة لهم . وجميع هذه العرائض من اللجان اليهودية ، و٨ عرائض أخرى تستحسن إنشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين بدون موافقة على البرنامج الصهيوني كله . وقد رفع فلاحو العرب الذين هم على ولا ، مع النزلاء اليهود ٤ من هذه الثاني .

وتحدث التقرير عن الحدود الجغرافية على الشكل التالي :

- ١ - نالت « سورية المتحدة » أكبر نسبة في ١٥٠٠ عريضة وهي ٨٠،٤ بالمئة من مجموع العرائض . وسورية المتحدة هنا يدخل فيها كيليكييا والصحراء وفلسطين . وتحدد عادة : جبال طوروس شمالاً ونهر الفرات والحسابور والخط الممتد من أبو كمال إلى شرقي الجوف شرقاً ورفع - العقبة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط غرباً . ومع ان وحدة سورية هي المادة الاولى في برنامج استقلال دمشق فان عدداً كبيراً من المسيحيين في المقاطعات كلها يؤيدونها كما تدل عليه العرائض .
- ٢ - العرائض التي تؤيد الصهيونية وعددها ١٩ فقد طلبت ٦ منها فصل فلسطين عن سورية .
- ٣ - طلبت جماعتان مسيحيتان في فلسطين وضع فلسطين منفصلة تحت الوصاية البريطانية تفضيلاً لذلك عن سورية المتحدة تحت الوصاية الفرنسية .
- ٤ - تضمنت ٢٤ عريضة أكثرها من مسيحي الجنوب طلب الاستقلال الاداري لفلسطين ضمن سورية ، وهذا ولا شك يندمج في طلب الوفود الأخرى الاستقلال والحكم اللامر كزي .
- ٥ - وثقلت اللجنة ٢٠٣ عرائض ضد الوحدة السورية أو ٩٠،١٠ بالمئة يطلب أصحابها لبنات كبيراً مستقلاً .
- ٦ - زاد طلب الوحدة السورية ظهوراً وثأكبداً في العرائض التي رفعت إلى اللجنة احتجاجاً على استقلال لبنان الكبير وعددها ١٠٦٢ ، بعضها مندمج في برنامج دمشق وبعضها من البروتستانت والمصادر المسيحية الأخرى في لبنان .
- ٧ - أظهر ٣٣ وفدأ من اللبنانيين الممثلين للمسلمين والمسيحيين خوفاً من المستقبل الاقتصادي إذا فصل لبنان عن سورية ، وطلبوا أن يكون مستقلاً ضمن الوحدة السورية . وفسر بعضهم الاستقلال الاداري باستقلال إقليمي حكومة لامر كزية .
- ٨ - كان سهل البقاع معتبراً عادة جزءاً من لبنان الكبير لا ينفصل عنه وقد أشارت ١١ عريضة بوجوب ضمه إلى لبنات وطلبت ٨ من دمشق بقائه في منطقة

دمشق .

٩ - كانت كيليكيا تعد من سورية مثل سهل البقاع ، وقد طلب ذلك أصحاب ١٥٠٠ عريضة من القائلين بسورية المتحدة . وقد سمى عريضتان بأسماء مدنها ووجدت ٣ عرائض تطلب اعطائها لأرمينية .
وتحدث التقرير عن « الاستقلال الناجز » فقال :

١ - النسبة الكبرى الثانية هي للاستقلال الناجز ، فإنها ٧٥٠٥ بالمئة . وقد أيدته الوفود الاسلامية كلها . ومن المؤكد كما دلت عليه الاحاديث الشغبية ان كلمة « الاستقلال الناجز » لم تستعمل بمعنى الحرية التامة من كل ارشاد اجنبي كالوصاية مثلاً . فان كثيراً من هذه العرائض كانت تشير أحياناً إلى اختيار الدولة الوصية أو طلب (المساعدة) الاجنبية . وهناك جماعة الاندية العربية ترغب في التحرر التام من كل سلطة اجنبية بيد أن السواد الاعظم يطلب الاستقلال ويحدد الوصاية كمسألة اقتصادية وتعليم اداري .

٢ - يكاد عدد العرائض التي طلب فيها استقلال العراق يوازي عدد العرائض التي تقدم ذكرها فقد بلغ ١٢٧٨ أو ٦٨٠٥ بالمئة . ويجب أن يضاف إلى هذا ٩٣ من ٩٧ عريضة تطلب الاستقلال لسائر البلدان العربية ، وقد استعملت عبارة « كل البلدان العربية » في عرائض فلسطين ثم استبدلت « بالعراق » في برنامج دمشق ، فيكون مجموع العرائض التي طلب فيها الاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق (١٣٧١) .

أما شكل الحكومة فقد أجمل التقرير مطالب السكان بشأنه كما يلي :

١ - بلغ عدد العرائض التي طلب فيها انشاء مملكة ديمقراطية دستورية لامركزية ١١٠٧ أو ٥٩٠٥ بالمئة وكلها عدا ٥ تطلب الأمير فيصلاً ملكاً . وقد كانت هذه العرائض كثيرة في المنطقة الشرقية ولم يكن الامر كذلك في فلسطين حينما وصلت اللجنة ، إذ لم يرد ذكر المملكة في غير خمس عرائض من ٢٦٠ ذكر الأمير فيصلاً في اثنتين منها .

٢ - طلب ٢٦ وفداً من المسيحيين في المنطقة الغربية « حكومة تمثيلية ديمقراطية

ذات شكل جمهوري » ورفع مثل هذا الطلب إلى اللجنة من وفود في المنطقة الشرقية ، فالمجموع ٣٤ أو ١٤٨ بالمثل . والغرض من هذا الطلب مقاومة فكرة المسلمين أو المملكة السورية برئاسة فيصل .

٣ - اشتمل البردمج الدمشقي على طلب الضمانات الكافية لحماية حقوق الاقليات وأيد هذا الطلب عدد كبير من الوفود المسيحية في لبنان فبلغ المجموع (١٠٢٣) أو ٥٤،٩ بالمثل ، وقد نال هذا الطلب من المسلمين والمسيحيين تأييداً لم ينله سوى معارضة الصهيونية .

٤ - طلب ٥ عرائض في الجنوب ن تظل اللغة العربية لغة رسمية بدلاً من العبرانية وطلب في ١٠ إلغاء الامتيازات الأجنبية .

٥ - رفعت إلى اللجنة ١٩ عريضة أو ١٠٢ بالمثل تطلب الاستقلال الاداري لسائر المقاطعات السورية وذلك علاوة على العرائض التي طلبت فيها الاستقلال الاداري لسورية وفلسطين .

وأما الوصاية فقد انقسم القوم خمس فرق تجاه الدولة الوصية فكانت بعضهم يقول إذا كانت الوصاية إجبارية فأننا نطلب هذه الدولة أو تلك ومعنى ذلك أنهم يقبلون الوصاية محتجين . وقد كانت الأكثرية الكبرى تطلب (المساعدة) بدلاً من الوصاية خوفاً ان تكون هذه رداء للمقاصد الاستعمارية .

١ - مجموع العرائض التي طلبت فيها انكلترة بالدرجة الأولى ٦٦ عريضة أو ٣،٥ بالمثل منها ٤٨ من الوفود الأرثوذكسية بفلسطين و ٤ من الدروز ومجموع العرائض التي طلبت فيها انكلترة بالدرجة الثانية ١٠٧٣ أو ٧٥،٥ بالمثل منها ١٠٣٢ تطلب مساعدة انكلترة إذا امتنعت أميركة .

٢ - مجموع العرائض التي طلبت فيها فرنسة بالدرجة الأولى ٢٧٤ أو ١٤،٦٨ بالمثل منها ٥٠ من لبنان فقط . وبلغ مجموع العرائض التي طلبت فيها فرنسة بالدرجة الثانية ٣ فقط .

أما مجموع العرائض التي طلبت فيها مساعدة أميركة في الدرجة الأولى فهو ١١٢٩ عريضة أو ٦٠،٥ بالمثل منها ٥٧ تطلب أميركة كدولة وصية و ٨ تفضل وصايتها إذا

كانت الوصاية إجبارية .

ويقول التقرير بصدد الصهيونية :

تكلمنا عن الصهيونية آنفاً ، ونقول الآن : انه بلغ عدد العرائض التي تقاومها ١٨٥٠ أو ٧٣،٣ بالمئة . وهذا العدد الأكبر هو الثالث في أي مطلب آخر وهو يمثل الرأي العام المسيحي الاسلامي أكثر من سواه . وكانت حركة مقاومة الصهيونية قوية في فلسطين على الأخص ، إذ كانت ٢٢٢ من ٢٦٠ عريضة ضدها أو ٨٠،٣ بالمئة وهذه أكبر نسبة لأي مطلب آخر .

وجاء في التقرير ان اللجنة تلقت عدداً من الاحتجاجات والانتقادات وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

أولاً - انتقاد مطالب الدول ونوعيتها وسياستها بتحديد أو تعيين .

ثانياً - انتقاد معين على سوء الادارة والحلل والرشوة في الادارة العسكرية .

ثالثاً - احتجاجات على تدخل السلطات العسكرية المحلية ومضايقتها للجنة .

١ - عرضت على اللجنة ثلاث شكاوى عامة ضد الانكليز .

٢ - كانت الشكاوى العامة على الفرنسيين كبيرة جداً ، بلغ عددها ١١٢٩ أو ٦٠،٥ بالمئة ، وهذا ناتج بالأكثر عن وجود احتجاج من هذا النوع في برنامج دمشق . وعرضت على اللجنة ٢٤ شكوى ضد أعمال معينة أتاها الفرنسيون و ١١ شكوى ضد النفي والحرس المسلح والتهديد والإرهاق وما شاكل ذلك من الوسائط التي قال الشاكرون ان السلطات الفرنسية لجأت اليها لمنع الذين لا يمالئون الفرنسيين من الظهور أمام اللجنة .

٣ - ظهور الانتقاد العام على الحكومة العربية في ٣٥ عريضة من المسيحيين وفيها يتخوفون من سوء مصير المسيحيين في الحكم العربي . وانتقدت الحكومة العربية أيضاً في ٤ عرائض أخرى .

٤ - اشتملت ١٠٣٣ عريضة على الاحتجاج على المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم المتضمنة « وضع الجماعات المنفصلة عن تركية تحت إشراف إحدى الدول » وهذا الاحتجاج يؤيد طلب الاستقلال التام لسورية الوارد في برنامج دمشق .

٥- اندمج في ٩٨٨ عريضة ، احتجاج على المعاهدات السرية التي تقسم سورية بدون معرفة أهلها أو رضاهم على الاتفاقات الخاصة والمقصود بذلك اتفاق سايكس - بيكو ، وتصريح بلفور وان لم يرد لها ذكر . وقد ورد هذا الاحتجاج في برنامج دمشق وأيدته الأحزاب الأخرى أيضاً .

وبعد ان فصل التقرير رغبات السكان بالنسبة للمطالب السياسية والتقسيمات الجغرافية ، يعود فيحدد هذه الرغبات بالنسبة للمناطق التي زارتها اللجنة وهي المنطقة الجنوبية : ويقوم بإدارتها ضباط بريطانيون ، والغربية : ويتولى شؤونها الفرنسيون ، والشرقية : وهي بأيدي العرب ، والشمالية : وهي بإدارة الفرنسيين أيضاً . فيقول بالنسبة للمنطقة الجنوبية : لما كانت الشيع المسيحية ، ولا سيما الكاثوليكية منها كثيرة ، كان من المرتقب ان لا تكون النسبة متعادلة في عدد اللجان والوقت الذي خصص لها فذلك أعدت البعثة بياناً بأغراضها كانت تلقى على الوفود والجماعات وأذاعته أيضاً في الصحف بشكل أحاديث . واتخذت أنواع الحيلة لتكون مهمتها واضحة وجلية .

وقضت اللجنة أسبوعاً في القدس ، أمضت يومين منه في زيارة بيت لحم والخليل وبيبر السبع ، واستفتت رؤساء الطوائف المختلفة . وطافت شمالي فلسطين بسرعة فاستقبلت الوفود في رام الله ونابلس وجنين وحيفا وعكا . وقد كان بعض هذه الجماعات يأتي من أماكن بعيدة يستحيل على اللجنة زيارتها . واجتمعت في مستعمرة « ريشون ليزيون » الصهيونية بزعماء عدة مستعمرات يهودية وأعضاء اللجنة الصهيونية المركزية .

١ - الحكومة المحتلة : كان الموظفون البريطانيون - من الميجر جنرال السر آرثر موني قائد منطقة بلاد العدو المحتلة الجنوبية إلى أصغر موظف - لطفاء مجاملين وأكثرهم ذو خبرة سابقة قبل الحرب في الهند أو في مصر والسودان ، وبصفتهم مجموعاً فهم هيئة ذات أهمية واقتدار تعمل في البلاد لمصلحة أهلها .

٢ - مطالب الشعب : اجتمعت كلمة المسلمين في فلسطين وهم حسب الاحصاء الانكليزي الأخير نحو أربعة أخماس السكان على المطالبة باستقلال سورية المتحدة ،

ولم تشذ منهم سوى فئة معروفة من الموظفين كانت تسير مع تيار النفوذ السياسي . وقررت الأحزاب التي اجتمعت في يافا ان سورية أهل لحكومة مستقلة بلا دولة وصية ، وانه إذا أصر مؤتمر الصلح على تعيين دولة فانهم يفضلون الولايات المتحدة . وقد أيد الناس في القدس وغيرها من فلسطين هذا القرار وكانوا يميلون مسألة الوصاية إلى المؤتمر السوري الذي ينطق بلسانهم . ورفض بعض المسلمين ولا سيما في الجنوب قبول الوصاية رفضاً باتاً مهما كان نوعها .

وكانت مطالب المسيحيين في فلسطين وهم (١٠) بالمئة من مجموع السكان، مختلفة، فكانت جماعات الشمال كاللاتين الكاثوليك في طبرية وحيفا وأكثر مسيحيي الناصرة مع المسلمين في طلب الاستقلال وترك تقرير مسألة الوصاية إلى المؤتمر السوري . وكان الروم الكاثوليك والموارنة يطلبون الوصاية الفرنسية . وكان الأرثوذكس في كل مكان متفقين على طلب الوصاية الانكليزية . وهناك جماعات أخرى لم يطلب أحد منها وصاية أميرة مباشرة ولكنها كانت تقول بأنها لو تأكدت من قبول الولايات المتحدة فانها لا تختار سواها ، وأكثر المسيحيين من هذا الرأي وكلهم في جانب الوصاية يريدون دولة ذات حكم صحيح .

وكان اليهود الذين يؤلفون أكثر من (١٠) بالمئة من سكان فلسطين يؤيدون الصهيونية، في الحين الذي اتفقت فيه كلمة المسلمين والمسيحيين على مقاومة الصهيونية، وهذه المسألة ذات علاقة كبيرة بوحدة سورية .

٣ - الصهيونية : أعلن يهود فلسطين تأييدهم للصهيونية بوجه عام واختلّفوا في التفاصيل والطرق الموصلة إلى تحقيقها ، ويمكن وصف الأمور التي اتفقوا عليها في ما يلي :

جعل فلسطين « وطناً قومياً » في الحال وان يصير الحكم السياسي في البلاد عاجلاً أو آجلاً معروفاً باسم الحكومة اليهودية ، والسماح لليهود بالمهاجرة إلى فلسطين من كل مكان في العالم ، وان يكون شراء الأراضي مباحاً لهم وان تكون العبرانية لغة رسمية ، وان تكون بريطانيا الدولة الوصية لفلسطين لتحمي اليهود وتساعد على تحقيق مشروعهم ، ولما كانت الدول الكبرى في العالم قد استحسنت

فكرة الصهيونية فلا تحتاج إلى غير تنفيذ . اما الذي اختلف عليه اليهود فهو : مسألة الحكومة اليهودية وهل يجب إنشاؤها عاجلاً أو بعد زمان طويل ، وهل يسرون على حسب الطقوس والتقاليد اليهودية القديمة أم على الطريقة العصرية فيهتمون بالمسائل الاقتصادية واستثمار الموارد واستخراج القوات الكهربائية من الأنهار .

٤ - الأماكن المقدسة : ذهبت سلطة التركي عن البلاد وقد حافظ على الحالة القديمة من جهة الأماكن المقدسة وتركها كما هي فمن يقوم مقامه؟ قد تكون الدولة الوصية : فإذا أخذت الوصاية دولة كاثوليكية فلا بد من وقوع مشاكل ، لأن الكاثوليك يعتقدون انهم مظلومون ويطلبون زيادة حقوقهم على حساب الروم ، فوجود دولة كاثوليكية يفقد التوازن الموجود ولا سيما في غياب روسية . وبما انه يوجد الآن وكيل محافظ للأماكن الكاثوليكية المقدسة أفلا يمكن توسيع نطاق هذه الفكرة وجعلها دستوراً لهيئة دائمة تحافظ على الأماكن المقدسة يكون للروم الأرثوذكس والبروتستانت والمسلمين واليهود ممثلون بها ، واعطاؤها سلطة ووسائل تستعين بها على العناية بهذه الأماكن كلها للأديان الثلاثة : ويجب ان يراعى في تأليفها أسباب الالفة والمحبة لئلا يبقى موضوع النزاع والخلاف .

وينتقل التقرير إلى الحديث عن المنطقة الغربية ، فيفصل أوضاعها على الشكل التالي :

١ - مطالب الشعب : كانت الحالة في المنطقة الغربية كالحالة في فلسطين إلا ان بعض المسلمين طلبوا المساعدة الأميركية أو الانكليزية ، وطلب الدروز الوصاية الانكليزية ، والموارنة وسائر الشيع الكاثوليكية طلبت وصاية فرنسة ، وانقسم الأرثوذكس فلم يجمعوا كلمتهم على طلب الوصاية الانكليزية كما فعلوا في فلسطين ودمشق ، وانقسم النصيرية أيضاً وكان أكثر الاسماعيليين مع فرنسة . وكانت آراء الذين يطلبون الوصاية الفرنسية مختلفة في مصير لبنان وعلاقته بسورية فان أكثر القوم من صور إلى طرابلس طلبوا استقلال لبنان الكبير وفصله عن سورية ووضعه تحت وصاية فرنسة . ورغب الآخرون ان تكون سورية متحدة تحت الوصاية الفرنسية مع تكبير لبنان وإعطائه نوعاً من الاستقلال الاداري الواسع .

أما في لبنان الأصلي فالأكثرية مؤيدة للفرنسيين معارضة للانكليز. ولم تستطع اللجنة سؤال الذين يميلون إلى فرنسة رأيهم في الوصاية الأميركية فيها إذا كانت ممكنة وكانت الوصاية الفرنسية غير مرغوب فيها بسبب براهمين أكيدة تدل على ان السواد الأعظم من السكان حتى الموارنة يفضلون أميركة على سواها. ويقال ان سبب التفضيل هو تجرد أميركة عن الأغراض الذاتية في الحرب، وكرمها قبل الهدنة وبعدها، والعلاقات الشخصية التي أنشأها عدد كبير من اللبنانيين الذين قضوا وقتاً طويلاً أو قصيراً في الولايات المتحدة ورجعوا إلى بلادهم محافظين على الاخلاص لأميركة.

وجاهر الدروز بطلب الانفصال عن لبنان إذا أعطي لفرنسة. هذا في لبنان الأصلي، اما في المناطق الأخرى التي يراد ضمها إلى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس فان فيها أكثرية كبرى من السكان تعترض على الحكم الفرنسي وتقاومه، ويدخل في هذه الأكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين وقسم من الروم الأرثوذكس وطائفة البروتستانت، وأكثر هؤلاء يريدون أميركة أولاً وانكلترة بالدرجة الثانية.

والأكثرية في باقي المنطقة الغربية إلى شمال لبنان الكبير المراد لإنشاؤه ضد الوصاية الفرنسية في كل الأحوال، ومن الباقين قسم كبير يعترض على الانفصال عن داخلية البلاد ويضع وحدة البلاد فوق فرنسة.

وبما يجدر ذكره انه بينما السوريون الوطنيون يرفضون مساعدة فرنسة ذاكرين اسمها، لم يتعرض أحد من نصراء فرنسة والراغبين في وصايتها لرفض أميركة أو انكلترة باسمها. على ان المسيحيين أظهروا في أحيان مختلفة انهم يخافون إذا صارت انكلترة وصية على البلاد ان تقام على المسلمين على المسيحيين.

لبنان: صارت هذه المنطقة الجميلة التي وضعت منذ سنة ١٨٦١ تحت حماية الدول الأوروبية الست وجعل حاكمها مسيحياً موضع اهتمام فرنسة من ذلك العهد، لأن أكثر سكانها من الموارنة والكاثوليك. وقد ظهرت في هذه المنطقة كسائر البلاد التي فصلت عن سلطة الباب العالي مباشرة آثار العمران فأنشئت الطرق وغرس

الأشجار وشيد عدد كبير من البيوت الحجرية ، وكان المال الذي يربحه المهاجرون في الولايات المتحدة عاملاً كبيراً في هذا التقدم ، وقد ازدادت ثروة الرهبات المارونية والأديرة في هذه السنين وأعفي لبنان من الخدمة العسكرية ، وكانت الضرائب التي يدفعها خفيفة . ولما كان قطراً مسيحياً وكان للمسيحيين فيه من وظائف الحكومة أكثر مما تخولهم نسبتهم العددية مال الدروز إلى الهجرة والحق باخوانهم في حوران استياء من عدم المساواة .

وقد ظهرت آثار سياسة فرنسة الاستعمارية في كثير من سكان هذه المنطقة وفي بيروت والأقسام الأخرى من سورية ، فهم يشعرون أنهم يعرفون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية وأنهم أرقى من سكان المنطقة الداخلية . هؤلاء هم الذين يطلبون فصل لبنان عن سورية ، أو هم البقعة التي نمت فيها هذه الفكرة .

وقد حمل قرب المنطقة الحكومة التركية على التساهل واللين مع المسيحيين وغيرهم في المناطق الأخرى لئلا يكون فارق كبير بينها في العمران ، ولكن إعفاء لبنان من الخدمة العسكرية واتساع المجال أمام طلاب الوظائف وقلة الضرائب أو صغرها مال بالكثيرين إلى فكرة لبنان الكبير تحت وصاية فرنسة . غير أن هناك حزباً كبيراً بين الميالين إلى فرنسة يقاومون فكرة جعل لبنان قسماً من فرنسة وهذا يصدق على ذوي المراتب الرسمية من الموارنة .

أن كل تعديل في الحالة يجب أن ينيل باقي سورية مثل هذا الضمان لا أن يحرم منه سكان لبنان ، وذلك مستطاع توفيره في سورية المتحدة بواسطة نوع كافٍ من الاستقلال الإداري . ويجب توقي ابقاء هذه المقاطعة ذات مركز ممتاز عن سواها لئلا يزداد ثقل الاعباء على المناطق الأخرى .

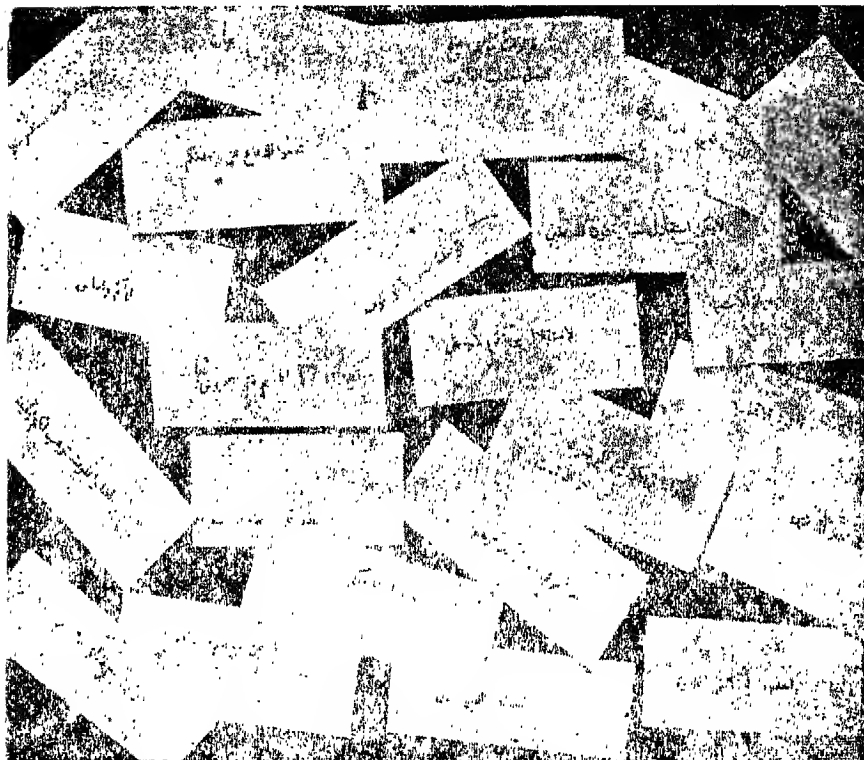
وينتقل التقرير إلى منطقة الاحتلال العربية فيشير إلى أن المؤتمر السوري قد عقد في أثناء وجود اللجنة في دمشق وعلقت في الشوارع ألواح كتب عليها « نريد الاستقلال التام » . وأعدت اللجنة في خلال تلك المدة التدابير لرحلة إلى أطراف الصحراء للوقوف على آراء السكان ، ثم تنقلت في مختلف أنحاء المنطقة ، وخرجت بالآراء التالية :

كانت المطالب في المنطقة الشرقية أقرب إلى الاجماع من مثلها في المنطقة الغربية أو الجنوبية كما يظهر ذلك من النظرة الأولى إلى جداول العرائض ، ويؤيد الجانب الأكبر من هذه المطالب - بين شفهي وخطي - قرار المؤتمر السوري ، وقد اتفقت على هذا البرنامج أحزاب مختلفة متضاربة ، لأن الكل شعروا بوجوب الاتحاد والتضامن لسلامة الوطن . وكان لسعي الحكومة والأحزاب الأخرى تأثير على الأحزاب المتطرفة فسارت في الصف بعد نشوزها ، مثل الذين كانوا يطلبون الاستقلال التام بلا وصاية أو الذين يطلبون الوصاية وحدها . وبما لا ريب فيه ان مواد البرنامج الرئيسية تعبر عن فكر الجمهور العام ما أمكن التعبير عنه في أي بلاد كانت .

طلب القوم في هذه المنطقة « سورية المتحدة » بالإجماع تقريباً ، وطلبوا لها الاستقلال الناجز ، ورفضوا كل مساعدة فرنسية ، وأعلنوا انهم ضد البرنامج الصهيوني . واتفق المسلمون كلهم على طلب المساعدة من أميركة . وأيد اليهود المشروع الصهيوني لآخوانهم في فلسطين وطلبوا لأنفسهم الاستقلال الإداري . وطلب الدروز حكومة عربية تحت الوصاية البريطانية ، وانقسم المسيحيون حسب الطوائف حيناً وحسب المكان حيناً آخر ، وكان مسيحيو الجنوب كلهم حتى الكاثوليك واللاتين يطلبون الوصاية البريطانية ، أو الأميركية إذا كان الانكليز لا يستطيعون المجيء لسبب ما . وكان ذلك شأن أرثوذكسي دمشق وقسم منهم في الشمال . أما الطوائف البروتستانت الصغيرة فكانت تطلب وصاية انجلوسكسونية أمريكية أو انكليزية . وكان الأرثوذكس السوريون كلهم في جانب أميركة ، وكل الموارنة والكاثوليك (خلا الذين في عمان ودرعا) في جانب فرنسا كما ان المسيحيين كلهم تقريباً كانوا في جانب الوصاية .

ثم تحدث التقرير عن المؤتمر السوري وطريقة انتخابه والمقررات التي أعلنها وقدمها إلى اللجنة ، وقال ان الأدلة كثيرة على ان هذه المقررات تعبر عن أفكار القوم في سورية أتم التعبير .

ويقول التقرير انه كان متعذراً على اللجنة زيارة العراق في مثل ذلك الظرف.



لوحات واوراق إووريقات نصبت في الشوارع السورية ونثرت في الأسواق
عند مجيء اللجنة الاميركية للاستفتاء

بعد ان سئلت بإلحاح القيام بهذه الزيارة . وتلقت في دمشق وحلب شكايات على القوات الانكليزية المختصة بأنها تضيق على السكان حريتهم السياسية في الخطابة والعمل ، وانما تنوي فتح باب المهاجرة للهنود بصورة تؤذي سكان العراق في حقوقهم ومصالحهم .

وقدّمت هيئة في حلب بياناً وافياً إلى اللجنة يشبه برنامج المؤتمر السوري الدمشقي هذه خلاصته :

١ - يجب ان يكون العراق مستقلاً استقلالاً تاماً بما فيه ديار بكر ودير الزور والموصل وبغداد والمحيرة .

٢ - تكون الحكومة ملكية دستورية نيابية .

٣ - يكون الملك أحد أنجال الملك حسين ، فاما عبد الله واما زيد .

٤ - الاحتجاج على المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم .

٥ - رفض تدخّل أي دولة أجنبية في البلاد .

٦ - طلب المساعدة الاقتصادية والادارية من أميركة بعد نيل الاستقلال أو

الاعتراف به .

٧ - الاعتراض على المهاجرة كلها ولا سيما هجرة الهنود واليهود .

٨ - ان يكون لسورية الاستقلال التام .

٩ - ان لا تتدخل فرنسا في سورية .

يقول التقرير : وبما يلاحظ ان هذه الشعوب القديمة تطلب اتباعاً لتقاليدها حدوداً واسعة ليس في الإمكان الحصول عليها مثل دير الزور في سورية وديار بكر في أرمينية والمحيرة في العجم .

وجاء بطريق السريان الأرثوذكس « النساطرة » من دير زفران - الواقعة قرب ماردين - فقابل اللجنة في حمص ، وقال ان (٩٠) ألفاً من قومه قتلوا سنة ١٩١٥ ، ولما جاء الانكليز سنة ١٩١٨ كانوا جميعاً مستعدين للدخول في حكمهم والاذعان لهم ، ولكن وصول رسل الآستانه لاستشارة الأكراد ونهوض العرب للمطالبة باستقلالهم زاد الحالة سوءاً ، فلذلك يطالب ضم المقاطعة التي يقطنها شعبه

إلى العراق تحت الوصاية الأميركية أو البريطانية .

وتخلص اللجنة إلى اتخاذ التوصيات التالية :

لسورية مقام جغرافي عظيم سياسياً ونجارياً ، مديناً فهي 'الجسر الذي يصل بين أوروبا وآسية وإفريقية ، فيجب ان يكون العدل اساس الحكم في قضيتها لتتجنب عنه فائدة للمدينة في العالم . ويجب ان يعطى كل قسم من المملكة التركية السابقة حياة جديدة ويفسح المجال له بعد تبديل الأحوال السياسية لأنه ربما كان انحلال المملكة التركية فرصة عظيمة - لا تعود - لانشاء حكومة شرقية في سورية على مبدأ الحرية الدينية التامة التي تشمل - والأديان وتضمن حقوق الاقليات بنوع خاص . ومن الانصاف للعرب الاعتراف بالأمة العربية ورغائبها الوطنية كما انه من مصلحة العالم أن تتألف حكومة عربية على القواعد السياسية الحديثة . نعم ان العناصر متعددة والمصالح متباينة ، وان كثيراً من السكان غير صالحين الآن للحكم الذاتي ، ومع ذلك فان الأحوال ملائمة للقيام بهذه التجربة الآن لأن هؤلاء السكان كانوا على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم على نوع واحد من الاتفاق تحت الحكم التركي رغم سياسة التفريق التركي .

ولا بد ان يكونوا احسن حالاً في عهد حكومة حديثة ووصاية راقية ، وعلى كل فان مشاركة دولة تنتدبها جمعية الأمم يمنع هذه النهضة من السير في الطريق التي سارت عليها تركية الفتاة وحينئذ يدرك العرب ايضاً ان هذه افضل فرصة سانحة لتأليف حكومة عربية فيجتهدون لتكامل حركتهم بالقوى المبنية . وما ظهر الآن من مقاصد الامير فيصل يجمع له جديراً كل الجدارة برئاسة حكومة جامعة بين المبادئ الشرقية والغربية ويضمن نجاح هذه التجربة بواسطة دولة وصية مخلصه . ويبقى في الامكان إذا فشلت هذه التجربة الرجوع الى تجزئة الأراضي . بيد ان تجزئة الأراضي حسب المذاهب يولد مشاكل لا عداد لها .

لذلك يجب ان يكون الغرض من كل سياسة يسار عليها في المسألة السورية :
« انشاء حكومة وطنية تستمد سلطتها من مشيئة الشعب الحرة » وان تكون هذه السياسة متفقة جهد الامكان مع وحدة البلاد الجغرافية والاقتصادية .

هذه هي الحطة الطبيعية التي ينبغي السير فيه - هذا إذا كان السير ممكناً لأنها تتفق مع رغائب مؤتمر الصلح ورغائب السواد الأعظم من السكان .
ان اول وأهم ما تشير به هو انه مهما كانت الادارة اجنبية سواء كان ما يؤنى به الى سورية دولة او اكثر - ان لا تأتي كدولة مستعمرة بل كدولة وصية من قبل جمعية الامم غايتها ومهمتها المقدسة « خدمة الشعب السوري وترقيته »

ويجب ان تكون مدة الوصاية محدودة نعينها الجمعية حسب الحقائق التي تراها في تقارير الدولة الوصية ، وان تكون الدولة الوصية سلطة كافية ذات زمن محدود أيضاً لتكفل نجاح الحكومة الجديدة وتمكن من القيام بالمشاريع الأدبية والاقتصادية اللازمة لحياة البلاد . وان تصرف الدولة الوصية همها الأكبر إلى التعليم الضروري لأبناء البلاد الديمقراطية وتكوين روح وطنية قوية ، وهذا لازم بنوع خاص في سورية التي استفاق ضميرها حديثاً . وعلى الدولة الوصية ان تسعى منذ البداية لتدريب الشعب السوري على الحكم الذاتي المستقل بأسرع ما تسمح الأحوال وذلك بإنشاء جميع ما يقتضي لحكومة ديمقراطية من الدساتير وإشراك السكان في الادارة وزيادة نصيبهم من الحكم شيئاً فشيئاً ، حتى تتألف بالتدريج روح وطنية متنورة في الوطنيين لا تنظر إلى مصالحها الشخصية عند النظر في مصلحة البلاد وتتألف في الوقت نفسه قوة كبيرة منظمة لخدمة البلاد . ولما كان من الواجب ان لا يطول زمن المشاورة بلا سبب مشروع فمن الضروري إنشاء حكومة ذاتية مستقلة حالما يمكن الاقدام على هذا الأمر ، مع العلم أن الغرض الأول من الحكومات ليس الحصول على أشياء معينة بل ترقية الوطنيين .

ومن واجب الدولة الوصية في سورية وفي هذا العصر المتمدن ان تجعل الحرية الدينية التامة في مأمن قولاً في الدساتير ، وعملاً في الادارة . وان تكون عنايتها شديدة بالمحافظة على حقوق الأقليات إذ لا شيء أكثر أهمية من هذا في نجاح الحكومة العربية الجديدة .

ويجب التوقي من تراكم الديون الكبيرة على الحكومة الجديدة في ترقيتها الاقتصادية كما يجب التوقي من غمها في شؤون الدولة الوصية الاقتصادية والمحافظة

من جهة أخرى على امتيازات الأجانب كحقوقهم في إنشاء المدارس والمشاريع الاقتصادية الخ . ومن الواجب عرضها على جمعية الأمم لتعدها كما تقتضي مصلحة سورية . ولا ينبغي للدولة الوصية ان تستخدم سلطتها لتأييد مشاريع احتكارية إلى حد يضر بسورية أو الأمم الأخرى بل يجب ان تعمل للسير بالحكومة الجديدة إلى الاستقلال الاقتصادي سريعاً كالسير بها إلى الاستقلال السياسي .

ومهما كان نصيب الآراء الأخرى فإنه يجب العمل بهذه الآراء إذا كانت مؤتمر الصلح وجمعية الأمم مخلصين لمبدأ الوصايات (الموضوع في دستور الجمعية) وتجب المحافظة على مصالح سورية الجوهرية كيفما كان شكل الإدارة فيها فان المؤتمر السوري في دمشق تساوره المخاوف من جعل سورية مستعمرة لإحدى الدول تحت اسم آخر غير الاستعمار ، فلذلك يجب نزع هذا الخوف بنزع أسبابه .

وتشير اللجنة في الدرجة الثانية بالمحافظة على وحدة سورية حسب رغائب السواد الأعظم من سكانها كما تدل على ذلك عرائضهم ، لأن البلاد المشار إليها محدودة وعدد سكانها قليل جداً — ووحدتها الجغرافية والجنسية واللغوية واضحة بيئة لا تحتل إنشاء حكومات مستقلة ضمن حدودها المطلوبة . وإذا كان في الوسع تجنب هذا التقسيم فان البلاد عربية بلغتها ومدنيتها وتقاليدها وعاداتها .

ان هذا الرأي مطابق للنظريات العامة التي سبق ورودها كما انه ينطبق على مبادئ جمعية الأمم ويتفق مع رغائب الأكرية في البلاد .

يجب ان ترسم حدود سورية الجغرافية لجنة خاصة، وتعتقد اللجنة ان طلب المؤتمر السوري إدماج كيليكييا في سورية لا مسوغ له تاريخياً ولا تجارياً ولا من حيث العلاقات اللغوية لأن الحد الفاصل بين أبناء اللسان العربي وأبناء اللسان التركي يضع كيليكييا مع آسية الصغرى أكثر مما يضعها مع سورية . وعلاوة على ما تقدم فليست سورية محتاجة إلى شاطئ بحري آخر مثل أقسام آسية الصغرى .

ولا ينبغي حين الاعتراف بوحدة سورية نسيان الأمانى الطبيعية في المناطق التي تشبه لبنان الذي له نوع من الاستقلال . وتكون الوحدة أصح وأمن إذا أعطي لبنان وما شاكلة نوعاً واسعاً من الاستقلال الإداري فان برنامج دمشق نفسه يطلب

حكومة على قاعدة الامر كزية الواسعة . تمتع لبنان بكثير من الرخاء والحكم الاداري في المملكة التركية فمن الضروري ان لا يكون حظه في المملكة السورية أقل من حظه في المملكة التركية ، بل يجب ان يعتقد بأن علاقاته الاقتصادية والسياسية مع باقي سورية تكون وهو عضو في سورية أفضل منها إذا انفصل عنها انفصلاً تاماً .

وبالطبع ان لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يخشى تسلط المسلمين في سورية المتحدة وهناك موانع أربعة تقيه هذا الخوف :

أولاً - استقلاله الاداري الواسع .

ثانياً - وجود دواة وصية قوية مدة طويلة يتألف فيها الدستور الذي تدير عليه الحكومة الجديدة .

ثالثاً - مشاركة جمعية الأمم التي نحافظ على الحرية الدينية وحقوق الأقليات .

رابعاً - شعور الحكومة العربية بضرورة المحافظة على لبنان لكي تستطيع الدخول في جمعية الأمم .

وعلاوة على ذلك فإذا كان عدد مسيحيين كبيراً في داخل المملكة يزول الخطر من جنوح المسلمين إلى الاستياء الذي لا بد منه إذا كان عدد المسيحيين كبيراً خارج المملكة وهذا الأمر تؤيده الحوادث في الهند في علاقات الأديان المختلفة .

ثم ان لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يكون أقوى وأفيد إذا كان ضمن سورية المتحدة مما لو كان خارجها منفرداً لو حده إذ يكون شريكاً لها في كل منافعها ومصالحها الحيوية ، ولذلك نرى ان تكون سورية ولبنان متحدتين معاً لفائدتهما وهذا رأي اللبنانيين المتتوربين أنفسهم .

ومثل هذا الكلام يقال عن فلسطين وهي وان كانت « الأرض المقدسة » عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء فانها ذات موقف دقيق يحتاج إلى معالجة دقيقة وسيأتي الكلام عنها في سياق الحديث عن الصهيونية .

تشير اللجنة في الدرجة الثالثة بوضع سورية تحت وصاية دولة واحدة كواسطة طبيعية لتأمين الوحدة وفائدتها . ولا ترى تقسيم إدارة المقاطعات السورية بين عدة

وصيات ولو كانت الوحدة الوطنية معترفاً بها ، فليست هذه ولا تلك بالطريقة الطبيعية التي تعتقد اللجنة انها الفضلى لتوحيد الحكومة الجديدة أو الشعب كله . وليس من المستبعد ان ترغم الظروف مؤتمر الصلح على الأخذ بوصاية مقسمة . وهذا ليس بالحل الذي يجب اختياره عن طواعية لعدم اتفاهه مع مصلحة السكان الكبرى . ويجب ان لا ننسى ان السوريين هناك وانهم مضطرون إلى الاتفاق معاً على صورة ما ، ولا بد لهم من العيش بعضهم مع بعض سواء العرب في الجهة الشرقية أو الذين على الساحل من المسلمين والمسيحيين . فل يعاونون على ذلك أم يعرفون بإنشاء علاقات ودية ولائبة بواسطة دولة وصية واحدة ؟ لا ريب في ان الحل الإداري السريع لمسألة العلاقات الصعبة هو تقسيم القوم إلى أجزاء صغيرة مستقلة ، وبعض الأحيان لا بد أن يكون الفصل جلياً واضحاً كما في قضية العلائق بين الترك والأرمن ، ولكن الفصل التام بين تلك الأجزاء لا ينتج عنه غير اشتداد الخلاف وزيادة العداوات بين العناصر .

ان العبرة التي يلقها علينا درس الشعور الاجتماعي الحديث توجب إدراك (النصف الآخر) على قدر ما يستطيع إدراكه بالعلاقات المكنية ألية ، فعلى الدولة الوصية التي تمنح بعض الجماعات استقلالاً إدارياً محلياً معقولاً ان تعمل في الوقت نفسه على تقوية وحدة الشعور الوطني في سائر البلاد ، وعلى تجنب العلاقات الودية بين تلك الجماعات المختلفة لأن سكان سورية كما سمعناهم أكدوا لنا مراراً ان العلاقات القديمة بين الجماعات المختلفة ناشئة عن سياسة الحكومة التركية السيئة ، فإذا شمل العدل الجميع على السواء . ووضع ان غرض الحكومة هو خدمة جميع الطبقات بلا تفضيل ولا تمييز تحسنت العلاقات وزال سوء التفاهم ولا يتم الوصول إلى هذا الأمر بتفريق الناس بعضهم عن بعض وجعلهم أعداء .

بناء على ماتقدم يلح رجال اللجنة في وضع سورية تحت وصاية واحدة وذلك لفائدة المذاهب والجماعات كلها .

وتشير رابعاً بأن يكون الأمير فيصل رئيس حكومة سورية المتحدة للأمور التالية :

١ - طلب المؤتمر السوري التمثيلي هذا الطلب بالإجماع باسم الشعب السوري وليس هناك ما يحمل على الشك بأن السواد الأعظم من سكان سورية يرغبون رغبة صادقة في ان يكون الأمير فيصل حاكماً .

٢ - ان المملكة الدستورية القائمة على مبادئ الديمقراطية ملائمة للعرب بطبيعة الحال ولما ألفوه من أحوال القبلية ولا احترامهم لزعمائهم فانهم يحتاجون أكثر من كل شعب إلى ملك كمر كز شخصي لسلطة الحكومة .

٣ - ان الأمير فيصل وصل إلى سلطته الحاضرة وصولاً طبيعياً ، ولا يوجد شخص آخر يقوم مقامه .

ومن مميزات انه ابن شريف مكة ، وله مقام كبير في العالم الاسلامي ، وكان أحد زعماء العرب الكبار الذين حملوا التبعة في ثورة العرب ضد الترك واشتركوا في تحرير الشعوب الناطقة بالعربية في المملكة التركية ، ولذلك وضع فيه المؤتمر السوري ثقته التامة . ولقد أخذ الانكليز بتناصره ونوسمرا خيراً من تقلده رئاسة الحكومة العربية الجديدة فهو عربي عصري يميل إلى الأخذ بفضائل المدنية الغربية . وصلاته مع العرب في شرق سورية ودية فلا خوف على مملكته من هذا الجانب ، كما هو محبوب من العرب في المنطقة الشرقية . وهيئات ان يوجد رجل يتفق الناس على محبته أكثر منه ، فهو متساهل حكيم حاذق في سلوكه مع الناس واكتساب مودتهم وثقتهم وهو رجل مخلص بعيد النظر . ولا يمكن الجزم الآن فيما إذا كانت له القوة الكافية التي يحتاج اليها في معالجة الصعوبات ولكن بما لا شك فيه انه لا يوجد زعيم عربي آخر فيه من عناصر القوة ما فيه وسيكون أكبر معين في زمن الوصاية .

يستطيع مؤتمر الصلح ان يثق كل الوثوق بأن وجود عربي له هذه الصفات على رأس هذه الحكومة الجديدة في الشرق الأدنى مفيد .

وتنهي اللجنة توصياتها بالتوصية التالية بشأن البرنامج الصهيوني :

تشير اللجنة بوجوب تنقيح البرنامج الصهيوني لفلسطين تنقيحاً كبيراً ولا سيما هجرة اليهود غير المحدودة التي ترمي إلى جعل فلسطين بلداً يهودية .

١ - باشرت اللجنة درس الصهيونية وهي مياة إلى استجسانهم ، ولكن الحقائق الحسية التي وجدت في فلسطين مع قوة المبادئ العامة التي أعلنها الحلفاء وقبلها السوربون حملتها على وضع المشورة الآتية .

٢ - تلقت اللجنة من اللجنة الصهيونية وصراعا إنشائية كثيرة عن البرنامج الصهيوني وسمعت كثيراً عن المستعمرات الصهيونية ومطالبها في المؤتمر ورأت بنفسها شيئاً مما فعلته ووجدت عدداً كبيراً يؤيد مبادئنا الصهيونية وخططهم وهي تعجب من انصراف تلك الجوالي إلى العمل وتغنيها بالوسائل الحديثة على العقبات الطبيعية .

٣ - تعتقد اللجنة ان الصهيونيين حصوا على تشجيع معلوم من الحلفاء في تصريح اللورد بلفور الذي كتبه اقتباسه والاستشهاد به وتصديق ممثلي الحلفاء الآخرين عليه . إنما إذا عمل بهذا التصريح الذي يقضي بإنشاء « وطن قومي لليهود في فلسطين مع الفهم الصحيح بأنه لا يجب ان يعمل شيء يس بالحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين » .

إذا عمل بهذا النص لا يبقى شك في انه يجب إدخال تعديل كبير على البرنامج الصهيوني .

ان إنشاء وطن قومي « للشعب اليهودي » لا يعني جعل فلسطين بلداً يهودية ، كما انه لا يمكن إقامة حكومة يهودية بدون اهتمام الحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين . والحقيقة التي وفقت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثلي اليهود هي ان الصهيونيين يتوقعون ان يجلبوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضي منهم .

ان الرئيس ولسن في خطبته التي ألقاها في ٤ تموز-يوليو سنة ١٩١٨ وضع المبدأ التالي كواحد من المقاصد الأربعة الكبرى التي مجارب الحلفاء من أجلها وهو :
« حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالأرض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية يجب ان يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً لا على المصالح المادية أو لفائدة أي دولة أو أمة أخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي أو لسيادتها » فإذا كان هذا المبدأ سيسود وإذا كانت رغائب السكان في فلسطين

سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريباً يرفضون البرنامج الصهيوني رفضاً باتاً، والجدال تثبت أن سكان فلسطين لم يجمعوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض. فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لا حد لها واضغط اقتصادي اجتماعي متواصل ليسلم بلاده ، نقض شائن للمبدأ العادل الذي تقدم شرحه ، واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية .

وقد اتضح أيضاً أن الشعور العدائي ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين بل يشمل سكان سورية بوجه عام فان ٧٢ بالمئة من مجموع العرائض في سورية ضد الصهيونية ولم ينل مطلب نسبة أكبر من هذه النسبة غير الوحدة السورية والاستقلال . وقد أعرب المؤتمر السوري الدمشقي عن هذا الشعور العم في المواد ٧ و ٨ و ١٠ من بيانه .

ولا ينبغي لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ أشده وليس من السهل الاستخفاف به فان جميع الموظفين الانكليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة ويجب أن لا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندي ، وهذا في نفسه برهان واضح على ما في البرنامج الصهيوني من الاجفاف بحقوق غير اليهود . لا بد من الجيوش في بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ، ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة . هذا فضلاً عن أن مطالب الصهيونيين الأساسية في حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفي سنة وهذه دعوى لا تستوجب الاكتر اهتمام .

وهناك أمر لا يجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين مع الوقت بلداً يهودية ، وهو أن فلسطين هي الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، هم أمروها ملايين من المسيحيين والمسلمين في العالم ، ولا سيما ما يتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق . فمسألة فلسطين وما يتفرع منها مسألة دقيقة حرجة ، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن

المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصد هؤلاء . والسبب في ذلك هو ان الأماكن الأكثر تقدساً عند المسيحيين هي ماله علاقة بالمسيح ، والأماكن التي يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة . ولا يستطيع المسيحيون والمسلمون في هذه الأحوال ان يرضوا من وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود . ثم هناك أماكن أخرى لها في نفوس المسلمين مثل هذا الشعور ، ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمراً طبعياً . فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حساباً ، ولا للشعور العدائي ضد الصهيونية في جميع أنحاء العالم التي تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة .

وبناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود ، ان الواجب يضي عليها بأن تشير على المؤتمر ان لا يؤيد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدريج ، وبعبارة أخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية إلى فلسطين ، والعدول بتاتاً عن الخطة التي ترمي إلى جعل فلسطين حكومة يهودية .

ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين إلى سورية المتحدة كأقسام البلاد الأخرى ووضع الأماكن المقدسة تحت إدارة لجنة دولية تكون كما هي الحال في الوقت الحاضر تحت إشراف الدولة الوصية وجمعية الأمم ويكون لليهود بالطبع عضو في هذه اللجنة .

وينتهي التقرير بتوصيات اللجنة بشأن العراق " فيقول :

بالنظر للقرارات ، التي أصدرها مؤتمر الصلح في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، وبالنظر للتصريح الانكليزي الفرنسي الصادر في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ ، - في عشية الهدنة - وكل من هذه الوثائق يصنف سورية والعراق في مقام واحد ليعالج أمرهما بطريقة واحدة ، كما يقطع لكل منهما الوعود والتأكيدات ذاتها فإن

١ - من اجل توحيد المصطلحات استبدلت عبارة ما بين النهرين « بالعراق » .

عضوي اللجنة بوسيان مؤتمر الصلح بأن يتبع تجاه العراق سياسة توازي بشكل عام تلك التي أوصى باتباعها حيال سورية حتى لا يتحول التصريح الانكليزي-الفرنسي إلى « قصاصة أخرى من الورق » .

١ - ووفقاً لذلك فإننا نوصي، انسجماً تاماً مع التعليقات الصادرة الينا، وباعتبار ان ذلك بتقديم على غيره في الأهمية ، بأن أية إدارة (حكومة) أجنبية تدخل إلى العراق يجب ان تأتي العراق ليس كدولة مستعمرة بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، بل كدولة منتدبة من عصبة الأمم ، مشفوعة بإدراكها الجلي بأن « رفاه الشعب وإنماؤه » يؤلفان بالنسبة إليها امانة مقدسة . ومن أجل هذه الغاية يجب ان يكون للانتداب أجل محدود ، وان تقرر موعد انتهائه عصبة الأمم ، في ضوء جميع الوقائع كما ترد من عام إلى آخر ، سواء في التقارير السنوية للدولة المنتدبة المرفوعة إلى العصبة أو بطرق أخرى .

ان النص الكامل للتوصية الأولى بشأن سورية مشفوعاً بالتوصيات الملحقه بها ، ينطبق نقطة نقطة على العراق بالصحة ذاتها التي ينطبق فيها على سورية .
ولإذا ما قام مؤتمر للصلح وعصبة الأمم والدولة الموكل إليها الانتداب بتنفيذ سياسة الانتدابات المتجسدة في ميثاق عصبة الأمم ، تنفيذاً مخلصاً ، فان أهم مصالح العراق الأساسية تصان بذلك تماماً ، ولا تصان بغير هذا .

٢ - ونوصي ، في المقام الثاني ، بأن تصان وحدة العراق ، وان تخطط حدوده المضبوطة بواسطة لجنة تخطيط للحدود ، بعد تعيين الانتداب عليه . وعلى وجه الاحتمال يجب ان يشتمل (العراق) على الأقل ، على ولايات البصرة وبغداد والموصل . كما يمكن إلحاق المناطق الكردية والآشورية الجنوبية بالعراق . فالحكمة من إيجاد قطر موحد هي ، في حالة العراق ، في غنى عن النقاش .

٣ - ونوصي في المقام الثالث ، بأن يوضع العراق تحت إشراف دولة منتدبة واحدة ، باعتبار ان ذلك السبيل الطبيعي لتأمين وحدة حقيقية وفعالة . كما ان مهمة إنماء الشعب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتعليمياً تستدعي مثل هذا الانتداب الموحد . وليس خليفاً بأن ينجم عن محاولة تقسيمه وتجزئته إلى « مناطق نفوذ » من

جانب عديد من الدول ، إلا تعريض مصالح الشعب إلى الهدر والاضطراب والاحتكاك والأذى. وهذا يتضمن انه ليس للدولة المنتدبة ان تكون دولة مستثمرة إنما يجب ان تحافظ على حقوق الشعب كأمانة مقدسة .

٤ - لما كان من المرغوب فيه بوضوح ان يكون ثمة انسجام في المؤسسات السياسية والاقتصادية والتدابير المتعلقة بسورية والعراق ، ولما كان يجب ان يكون للشعب الكلمة الأولى في تقرير شكل الحكومة التي سيعيش في ظلها ، فاننا نوصي بأن تكون حكومة العراق ، انسجاماً مع الرغبات السافرة لشعبها ، ملكية دستورية ، كالحكم المقترح لسورية ، وبأن يعطى شعب العراق فرصة يعلن فيها ملكه المختار وان تراجع عصبة الأمم اختياره هذا وتثبته . ويمكن الافتراض بما يقارب الصواب ان ال ١٢٧٨ عريضة الواردة من سوريين بطلب الاستقلال للعراق - وتعادل ٦٨ بالمائة من مجموع العرائض الواردة - تعكس الشعور في العراق بالذات ، كما ان الاتصالات التي استطعنا تأمين عقدها مع العراقيين تدعم هذا الافتراض وتجر إلى الاعتقاد بأن البرنامج الذي رفعه في حلب ، الممثلون العراقيون ، برئاسة جعفر باشا الحاكم العسكري لمنطقة حلب ، والذي يوازي عملياً البرنامج المرفوع في دمشق ، خليق بأن يؤيده الشعب العراقي بشكل عام . وسواء أكان هذا التأييد يشمل كل مادة في البرنامج على وجه سواء ، وسواء أكان يشمل تعيين ملك من أبناء ملك الحجاز ، فليس لدينا من المعلومات الكافية للفصل في الأمر ، ولهذا أوصينا باجراء استفتاء على هذه النقطة . هذا على الرغم من وجود بيانات بريطانية على أن العراقيين قد عبروا عن تحييدهم لواحد من أبناء عاهل الحجاز كأمر يولى عليهم .

٥ - يعلن البرنامج العراقي عن اختياره اميركة كدولة منتدبة من غير بديل ثان . ولا شك أنه كان في العراق قسط كبير من الانفعال الساخط ضد بريطانية العظمى ، فالعرائض تتهم على وجه التعيين السلطات البريطانية في العراق بتدخل كبير في حرية الرأي والتعبير (الكلام) والانتقال - وقد يور الكثير منه في وقت الاحتلال العسكري ، ولكن المشاعر المهيجة بذلك القدر قد تتجج بالطبع

عدم استعداد للتعبير عن الرغبة في اختيار بريطانية العظمى دولة منتدبة . ومن جهة أخرى فإن مادة الكتيب المسمى : « نسخ وترجمات التصاريح وغيرها من الوثائق المتعلقة بتقرير المصير في العراق » قد استدعتها محاولة من جانب الحكومة البريطانية في العراق لتأمين آراء الزعماء المتقدمين في كل جماعة فيما يتعلق بتقرير المصير . أما هذه المادة ، نظراً لأنهم مرفوعة مباشرة إلى المسؤولين البريطانيين ، فهي بلاريب أميز لمصلحة البريطانيين مما لو كانت خلاف ذلك ، ولكنها تدل بما لا يقبل الشك على أن قسماً كبيراً من الرأي (العام) من شأنه أن يختار الانتداب البريطاني . وعلى كل حال فإن مجال اختيار دولة منتدبة ذات قدرة وتجربة كافيتين ومتميزة بالعدالة الأساسية هو مجال محدود ولا ريب . وأنه ليس مما يقبل الاحتمال ، أن العراقيين إذا جبهوا برفض أميركة قبول الانتداب على العراق ، خليقون بأن يجعلوا بريطانية موضع خيارهم الثاني على الأقل ، كما فعلت الأغلبية السورية . وهناك شواهد إضافية كذلك على هذه النقطة . ولما كان لا يبدو محتملاً أن أميركة تستطيع أن ، أو خليفة بأن تتقبل انتداباً على العراق ، وبالإضافة إلى إمكان قبول انتداب على سورية وآسية الصغرى ، فإن عضوي اللجنة يوصيان بأن ينيط مؤتمر الصلح الانتداب على العراق ببريطانية العظمى للأسباب العامة الآتية ذكرها في معرض التوصية بجعلها دولة منتدبة على سورية في حالة عدم قبول أميركة ذلك ، إذ أنهم قد تكون أنسب الدول للمهمة الخاصة المنطوية في ذلك ، ونظراً لعلاقاتها العريقة مع العرب ، كعرفان لجميل تضحياتها التي بذلتها لإنقاذ العراق من الأتراك ، هذا مع عدم الإقرار لها بحق الفتح ، كما تعبر ببياناتها هي عن إسقاطها لدعائها بهذا الحق ، ونظراً للمصالح الخاصة التي لها ، طبيعياً ، في العراق بسبب من قربها إلى الهند وصلاته الوثقى مع شبه الجزيرة العربية . وبسبب مما سبق أن قامت به من عمل في الأقليم (العراقي) .

وإن تلك الأسباب لتجعل انتداباً بريطانياً أحسن ما يكون ، على وجه الاجتهال ، لخدمة المصالح الكبرى للشعب العراقي ككل ، على الرغم من أنه من الأحسن لبريطانية وللعالم ، من وجهة نظر المصالح العالمية الكامنة في الحيلولة دون إثارة الغيرة والشكوك والخاوف من سيطرة دولة منفردة ، ألا يضاف أي أقليم

جديد إلى الامبراطورية البريطانية . وعلى كل حال فان انتداباً بريطانياً سيتمتع بميزة مقررة هي النزوع إلى دعم الوحدة الاقتصادية والتعليمية في كل من ارجاء سورية والعراق ، سواء أ كانت سورية تحت انتداب بريطانية أو أميرة ، وهكذا فان (الانتداب) سيعكس بشكل أكثر مما سبق العلائق الوثقى في ميدان اللغة والعادات والتجارة بين هذين الجزئين من الامبراطورية العثمانية السابقة .

وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالامكانات الزراعية والبتول وغيره من المصادر سيلوح حتماً ، رغم توفر كل النوايا الطيبة ، خطر الاستئثار والسيطرة الاحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق . فهذا الخطر يتطلب احترازاً متزايداً ونزهاً . وإذ العراقيين يشعرون شعوراً قوياً بمحنة هذا الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية ، حتى ولو اقتصرت الهجرة على المسلمين الهنود . فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين كلفة وعادات مختلفة كلفة باعتبارهم يهدد حضارتهم العربية .

وتنهي اللجنة تقريرها الكبير ببيان وجهات نظرها بشأن الدولة أو الدول التي ستكون لها الوصاية في هذه المنطقة ، استناداً إلى ما عرفته من رغبات المواطنين^(١).

١ - يستطيع القارئ الاطلاع على خلاصات اوفى من تقرير لجنة كراين هي : الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٥١ - ٨٣ ، مذكرات حسن الحكيم ج ١ ص ١٧١ - ٢١٨ ، بفضة العرب ص ٦٠٠ - ٦٢١ ، العهد المتعلق بالوطن العربي ص ١٠٤ - ١٢١

الفصل العشرون

المؤتمر السوري يعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية

أطل شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) والأفق السياسي في البلاد العربية ينذر بهبوب العاصفة . ذلك أن تقرير لجنة كراين لم يكن له أية نتيجة إيجابية ، وقد أهمل في دروج المؤتمر مع الكثير الذي أهمل بما يعبر عن صرخات الشعوب والآمال التي عقدتها على أول محاولة تبذل لاقرار السلام في مؤتمر عالمي وعلى صعيد الحق والعدل .

لقد كان رد الفعل الوحيد لهذا التقرير الذي يسجل حقيقة الأمان في العربية ، أنه أثار الحكومة الفرنسية على بريطانية ، فاتهمتها في حملات صحفية عنيفة ، بالتآمر على « حقوقها » في سورية ، وأخذت تلح على تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو .

وانتهزت بريطانية هذه الفرصة السانحة لتعديل الاتفاقية بما يتلاءم مع مطامعها في البلاد العربية، وبعد مفاوضات ومساومات عديدة وافقت فرنسا على ضم الموصل إلى العراق ، وعلى أن تكون فلسطين بإدارة الانكليز وحدهم ، وعلى أن تبقى شرق الاردن ضمن منطقة الاحتلال البريطاني .

وأثناء تلك المفاوضات ، ورداً على ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين ضد القوات الفرنسية ، والاعتداء على جورج بيكو والأميرال مورني في بعقلين واصابة

الأميرال خلال ذلك بجرح خطير، واضطراب الحركة الوطنية في جميع أنحاء سورية، أبلغت القيادة العليا البريطانية الأمير فيصل في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١٩، ان المارشال اللنبي عازم على إعادة الأمن إلى نصابه إذا حدثت قلاقل أو اضطرابات ضمن منطقة قيادته. فأجابه الأمير بأنه لا يوافق على تقسيم البلاد العربية المفصولة عن تركية أبداً، ولا يساعد على استعمارها، وان مبعث المظاهرات والاضطرابات التي يقوم بها الشعب إنما هو خوفه من أن تهضم حقوقه وعدم اطمئنانه على مصيره. وكان الجواب الذي تلقاه ان المارشال اللنبي سيعاقب كل محاولة مشروعة كانت أم غير مشروعة تخل بالأمن والنظام (١).

وتلقى الأمير فيصل في اليوم التالي برقية من لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية يدعوه فيها إلى باريس (٢)، على أن يصل إليها قبل السادس عشر من ذلك الشهر. فبادر الأمير بالسفر إلى حيفا بقطار خاص، وأجر منها على نساءة بريطانية قاصداً مرسلية، وكان يرافقه المقدم أركان حرب محمد اسماعيل والشيخ فؤاد الخطيب سكرتيره للشؤون الخارجية وحداد باشا مدير الأمن العام والدكتور أحمد قدري طبيبه الخاص والحوري يوسف اسطفان الخطيب الماروني الذي التحق بالحركة الوطنية في دمشق ونحسين قدري مرافقه العسكري وتوفيق الناطور وجميل الإلشي، ثم لحق به من لبنان الأمير أمين أرسلان والأمير فايز شهاب والدكتور سامع الفاخوري.

وكان من المفروض أن تسرع النسافة البريطانية في سيرها لتصل بالأمير إلى فرنسة في الوقت المحدد، ولكن مفاوضة الحكومتين الفرنسية والانكليزية لم تكن قد انتهت، وكانت فرنسة قد اعترضت على اشراك الأمير فيصل فيها، فتلقت النسافة وهي في عرض البحر أمراً بالتباطؤ في سيرها، وعرجت على مالطة بحجة

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٣٥

٢ - قال الدكتور احمد قدري (ص ١٣٥) وامين سعيد (ج ٢ ص ٨٧) ان الدعوة وجهت إلى الأمير لزيارة لندن، وقال محمد غزوة دروزة (ج ١ ص ١٠٣) انه دعي إلى باريس، اما جورج انطونيوس فقال (ص ٤١١) انه دعي إلى اوربة.

احتياجها لبعض الاصلاح والوقود ، ووصلت إلى مرسيلية في ١٨ ايلول (سبتمبر) بعد أن توصلت فرنسة وبريطانية إلى التفاهم على معظم الأمور المختلف عليها ، وصدر في السابع عشر من ذلك الشهر بلاغ رسمي يعلن ان الاتفاق قد تمّ بشأن حلول القوات الفرنسية محل القوات البريطانية في سورية و كيليكية باستثناء المدن الأربع : دمشق وحمص وحماة وحلب ، التي تبقى القوات العربية فيها ، وتدخل الأفضية الأربعة : البقاع وبعبك وحاصبيا ورأسيا التي كانت تابعة للمنطقة الشرقية في منطقة الاحتلال الفرنسي .

وكان معنى جلاء بريطانية أنها تريد أن تدع القوات العربية في المنطقة الشرقية من سورية وجهاً لوجه مع القوات الفرنسية ، مطلقة أيدي هذه القوات في تسوية الأمور بحسب مقدرتها ودهائها ... وكان ذلك كله يتم في انتظار قرار مؤتمر الصلح ، ومن أجل وضع هذا المؤتمر أمام الأمر الواقع .

وعبئاً كان العرب يحاولون حث أعضاء المؤتمر على النظر في قضية البلاد العربية ، خوفاً من أن ينسحب الأمير كيون منه فيخسروا عضداً قوياً . وقد رفع عوني عبد الهادي تقريراً إلى المؤتمر اقترح فيه فصل القضية العربية عن القضية التركية ، والاسراع بنظر القضية الأولى لاعتبارات بينها في اقتراحه . ومع أن بعض أعضاء الوفد الاميركي وعدوه بالتأييد ، إلا أن الكلمة الفعلية ظلت للانكليز والفرنسيين ، فأرجئ النظر في القضية العربية ، ثم حدث بعد ذلك أن انسحب الأمير كيون فعلاً ورفضوا ابرام معاهدة فرساي ، فكان هذا الانسحاب خيبة جديدة للعرب ، بعد أن باع الانكليز صداقة العرب بزيت الموصل ، ونقضوا عهودهم لهم . وقد وصف المستوكران رئيس اللجنة الاميركية إلى بلاد المشرق ما جرى أبلغ وصف بقوله : « لما خرجنا من باريس في صيف سنة ١٩١٩ إلى الشرق كنا كلنا آمالاً بنجاة سورية وتحريرها ، فلما عدنا وجدناها بيعت ببيع السلع ... باعها الانكليز بزيت الموصل ، وهو الزيت الذي تنازل عنه الفرنسيون ثمناً لاطلاق أيديهم في سورية »^(١) ،

ولما وصل الأمير إلى الساحل الفرنسي قابله مندوب من قبل لويد جورج يبلغه اضطرابه للعودة إلى لندن بسبب تأخر وصوله، وبأنه ينتظره في العاصمة البريطانية. وفي لندن أدرك الأمير أن كل شيء قد انتهى، وكانت كلمات المسؤولين له من قبيل التعزية وتطبيب خاطر، وقد نصحوه بمقابلة كليمنصو والتفاهم معه.

وقابل الأمير ذلك بغضب شديد، وأكد للمسؤولين البريطانيين أن هذا الاتفاق من شأنه أن يثير الاضطرابات في البلاد العربية، وجدد مطالبته بتنفيذ العهود المعلقة لأبيه الحسين من قبل مكماهون باسم صاحب الجلالة، وهي صريحة بشأن إقامة دولة عربية مستقلة في سورية الداخلية بما فيها شرق الأردن وولاية الموصل، ولا مجال فيها لأي تأويل، فسمع من اللورد كيززون وزير الخارجية « ما حطم أمله وكشف له حقيقة الموقف بنفض بريطانية يدها من القضية السورية وإطلاق يد فرنسا فيها^(١) ». ولما أعياه الأمر أخذ يناضل لابقاء القضية العربية ذات صبغة دولية، فلا تطلق في سورية يد فرنسا وحدها، فكان كل ما استطاع الوصول إليه هو موافقة بريطانية على تشكيل لجنة عسكرية من أربعة ضباط : فرنسي وإنكليزي وأميركي وعربي للنظر في الخلافات التي قد تقع هناك.

وعلى أثر ذلك انتقل الوفد العربي إلى باريس في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر)، وأخذ يسعى دون جدوى لاقتناع الوفد الاميركي بالتدخل لالغاء الاتفاق البريطاني الفرنسي المعقود في ١٥ ايلول (سبتمبر)، وحينئذ لم يجد الأمير فيصل بداً من العمل بنصيحة اللورد اللنبي له بمقابلة الرئيس كليمنصو ومحاولة التفاهم معه.

وكانت الحكومة الفرنسية تبالغ في الحفاوة بالأمير فيصل، والرئيس كليمنصو يكثر من زيارته والتودد له، بينما هي ماضية في تنفيذ خططها الاستعمارية، وقد عينت الجنرال غورو وهو من كبار قادتها مندوباً سامياً لها في سورية وقائداً عاماً للجيش الفرنسي في الشرق، فصرح قبل سفره إلى بيروت بأن مهمته هي احلال الجنود الفرنسيين محل الجنود البريطانيين في تلك البلاد إلى أن يتقرر مصيرها في مؤتمر

السلام . وقد أثار ذلك قلق أعضاء الوفد العربي ، بسبب اختيار قائد كبير لهذا المنصب يعاونه كثير من الضباط ، والشروع في إرسال قوى فرنسية كبيرة إلى سورية ، فصرح الأمير فيصل في مؤتمر صحفي بأنه « يرغب في اتفاق ودي مع فرنسا والتعاون مع الجنرال غورو ، إلا أنه لا يتمكن من التسليم بتجزئة البلاد خلافاً لرغبات سكانها وللاعود الرسمية التي وعد بها بأن لا يتم في بلاد العرب أي حل يخالف لرغبات السكان » وأضاف : « وأقول هنا ان المستر لويد جورج أطلعني منذ أيام على مذكرة وطلب مني التسليم بها فرفضت ذلك بتاتاً ، وعندي توكيل من العرب فلا يحق لي أن أقبل شكلاً من أشكال الحكم يعارض آمالهم ، ولم أفعل في باريس سوى أني طلبت من المسيو كليمنصو أن لا يجرىء بلادنا وأن تظل القيادة العسكرية فيها موحدة إلى أن يصدر قرار المؤتمر ، فلم ألتق جواباً على ذلك ، فإذا رأى العرب أن الأمم الأخرى خدعتهم فانهم يطلبون العون في مكان آخر ^(١) » وقد أفضت مباحثات الأمير مع وزارة الخارجية الفرنسية في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) إلى الاتفاق الموقت التالي :

١ - تأليف لجنة من فرنسي وعربي وانكليزي لتسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق .

٢ - انسحاب الجنود العرب من البقاع التابع للمنطقة الشرقية المستقلة « ولو انه بمقتضى معاهدة سايكس بيكو ضمن المنطقة الغربية » .

٣ - يشرف على أعمال الشرطة والدرك الموجودة حالياً بالبقاع هيئة مختلطة مؤلفة من ضباط فرنسيين وعرب يتفق عليها محلياً .

وأبرق الأمير فيصل بذلك إلى شقيقه الأمير زيد بن الحسين الذي كانت له مواقف مشهودة في حرب التحرير العربي والذي كان ينوب عن أخيه في حكم المنطقة الشرقية كلما تغيب عنها ، مؤكداً له أن المفاوضات مستمرة مع الحكومة الفرنسية ، طالباً منه تهدئة الحواطر وتطمين الأهالي .

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٤١ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٩١

ولكن الجوال غورو لم يرق له هذا الاتفاق ، وكان قد استقر في بيروت وبدأ
بمد نفوذه إلى كل الانحاء ، فأخر تسليم بركة الأمير فيصل إلى الأمير زيد حتى
انتهت القوات الفرنسية من احتلال المنطقة العربية بما في ذلك البقاع .

وأبلغ الكولونيل كوس المعتمد الفرنسي ، رضا الركابي ان هذا التدبير إنما
هو تدبير مؤقت وان قرار الجنرال غورو يقضي بأن تبقى ادارة الجهات التي احتلتها
الجنود الفرنسية في المنطقة الشرقية مرتبطة بحكومة دمشق العربية . كالسابق ، وان
الحامية العربية في بعلبك تبقى جنباً إلى جنب مع الحامية الفرنسية ، وهكذا الأمر
في رفاق والجهات التي تمتد فيها خط الحديد ، أما المنطقة الشرقية الحالية ، فتظل
حكومتها مسؤولة عن الأمن داخل حدودها دون تدخل الجيوش الفرنسية ، إلا إذا
قضت الضرورة بمساعدة الحكومة العربية وبطلب منها ^(١) .

ولكن احتجاج الأمير فيصل إلى كليمنصو ، واقتناعه « بأن هذا الاحتلال
سيؤدي إلى اقتتال العرب والفرنسيين لا محالة ^(٢) » ، ورغبة الرئيس الفرنسي في
محاسنة الأمير وموادعته أملاً في الوصول إلى عقد معاهدة معه تحقق مطامع فرنسا ،
دفعاً بالحكومة الفرنسية إلى اصدار أمر إلى غورو بسحب القوة الغازية من بعلبك
والاكتفاء بإبقاء ضابط الارتباط . ومع ذلك فان مجيء هذا الضابط إلى بعلبك قد
أدى إلى تجمع السكان في مدخل البلدة والحيولة بينه وبينها ، فعاد أدراجه بعد أن
صودرت أمتعته ، وعدت السلطة الفرنسية في بيروت هذا العمل إهانة لها ، فوجهت
إلى بعلبك حملة كبيرة اشتبكت مع المجاهدين ودمرت بعض القرى ثم جلت عن
بعلبك بعد ان تدخلت الحكومة العربية في الأمر وأعادت أمتعة الضابط الفرنسي
إليه .

وكانت الأحداث تتعاقب خلال ذلك في سورية ، والثورات تنشب في أطراف
البلاد وعلى حدودها كلها وقع اصطدام بين القوات الفرنسية والمواطنين ، والسنطات

١ - سورية والعهد القيصلي ص ١٢١

٢ - محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ١١٢

البريطانية تحتطف قبل جلائها عن دمشق ياسين الهاشمي رئيس ديوان الشورى الحربي (وزارة الدفاع) وتنقله إلى معتقل في الرملة لأنه أقر طاب الهيئات الوطنية بفرض الخدمة العسكرية الاجبارية وساعد النور في المنطقة الغربية^(١) ، ورضا الركبي يعتمد إلى الاستقالة أمـام إصرار الهيئات الوطنية على مقابلة القوة بالقوة لمعرفته البون العظيم بين قوى الفريقين . ويتقرر السوري يعقد دورة جديدة بدعوة من الأمير زيد يتخذ فيها قراراً شديد النجدة بئد فيه بنكت خلفاء لعهودهم ، وخرقهم ميثاق جمعية الأمم قبل أن يحف مداده ، ويدعو الأمة إلى الدفاع عن وحدتها واستقلالها وشرف قومها إلى آخر نسمة فيها .

وإثر استقالة الركبي عين مكانه عبد الحميد باشا القلطي . وبعد عدة أيام عين الأمير زيد مصطفى نعمة وكيلاً للاحكام العسكرية العام ، وحدثت مديرية الداخلية العامة وعهد بها إلى رشيد ضابيع ، أمـ منصب رئاسة ديوان الشورى (وزارة الدفاع) فقد أسند إلى يوسف العظمة فقيوت بذلك فكرة الدفاع . ثم أقرت الخدمة العسكرية الاجبارية لمدة ستة أشهر من سن العشرين إلى الأربعين ، إلا انه تعذر تسليح الجيش بالسلاح الثقيل ولم تكن بطاريات المدفعية الست التي كان الملك حسين قد أرسلها استجابة لطلب الأمير فيصل . وهي من مخلفات الجيش العثماني ، لتكفي ، ولم يكن العتاد الكافي متوفراً لها^(٢) .

وظل مشروع المعاهدة بين فيصل وكيمنصو موضع درس ومراجعة وتعديل عدة أسابيع ، وفي أوائل كانون الثاني ١ يناير (سنة ١٩٢٠) ١٣٣٩ هـ وصل إلى باريس الدكتور ثابت نعمان طبيب الملك حسين . حاملاً إلى الأمير فيصل أمراً

١ - يرى بعض المؤرخين ان في طبيعة الاسباب التي دعت الى اغتيال ياسين الهاشمي مساعده الثورة الوطنية في العراق (الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٠٤ وحول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ١٠٧ ، وذكريات المجلوني ص ٨٩) وسعبه لغيام اتحاد بين سورية والعراق الامر الذي يخالف الاتفاق الذي تم اخيراً بين الحلفتين (سورية والمهد الفيصلي ص ١١٧) .

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٥٢

تحريراً من الملك يحظر عليه توقيع أي اتفاق يتنافى والعهود المعطاة له من الحكومة البريطانية قبل دخوله الحرب ، وهذه العهود صريحة بأن يكون العرب مستقلين استقلالاً تاماً في المنطقة التي يتباحث الأمير بشأنها مع الحكومة الفرنسية^(١). وكان معظم أعضاء الوفد العربي قد وافقوا على توقيع المعاهدة ، إلا أن رسالة الملك حسين رجحت لدى الأمير فيصل رأي المعارضين ، فاكتمى وكليمنصو بوضع الحرفين الأولين من اسمها عليها ، على أن توقع فيما بعد إذا وافقت عليها الهيئات الوطنية السورية .

وسافر الأمير إثر ذلك إلى بيروت حيث صرح بأنه سيستشير الأمة في نصوص الاتفاق قبل إقراره بصورة نهائية ، ثم يعود إلى أوردية لإنجاز مهمته في مؤتمر الصلح والعمل على تحقيق ما تصبو إليه البلاد من حرية واستقلال . ثم انتقل إلى دمشق وألقى خطاباً كبيراً في « النادي العربي » قال فيه : « انني أتيت من الغرب لأقف على رغائب الأمة ، بعد انسحاب الأمير كين من المعترك السياسي ، وكنت أود أن أفتح أبواب التفكير في مستقبل البلاد بالحالة في الغرب لأنني جئت لأمكث بضعة أيام ثم أرجع إلى ما يجب عليّ الاهتمام به هناك » .

ثم قال : « وانني وإن كنت لا أحيط علماً بكل ما يحول في الأفكار المختلفة ، فاني أفتخر بشيء واحد وهو انني أحببت وطني ، وسعيت لوطني ، ولي غاية واحدة وهي أن أرى بلادي مستقلة ، ولا تنحصر هذه البلاد في بلدة واحدة ، بل أن كل بلاد العرب هي بلادي . أنا والله لا تخيفني قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات ، وإنما أخاف التاريخ والمستقبل ، وأخاف أن يقال أن فلاناً عمل عملاً لا يليق بأبائه وأجداده الذين كانوا يسعون للاستقلال ، وأرجو أن تعلم الأمة بأنني في الغرب مثل ما أنا هنا ، لا أبذل كلامي سواء أمام السياسيين أم في أخرج المواقف ، ومبدي هو أن تكون بلادي مستقلة ، واني عامل بما هداني الله إليه لاستقلال بلادي وإرجاع مجدنا الغابر ، والله يشهد بأنني أسعى لذلك ولا أظن بأنه يوجد في البلاد رجل واحد

يرضى باستعباد الأجنبي ، بل أعتقد أن الرفيع والوضع والشيخ والشاب والعالم والجاهل يشعرون بشعور واحد وهو طلب الاستقلال التام للبلاد ^(١) .

وأنهى الأمير في ٢٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٠ حكومة الحاكم العسكري وأسس حكومة مجلس مديري برئاسة أخيه الأمير زيد ، وعين أمين التميمي معاوناً له ، ورضاً الركابي مديراً للحربية ، واسكندر عمون مديراً للعدلية ، وساطع الحصري مديراً للمعارف ، ورشيد طليع مديراً للداخلية ، وأحمد حلمي مديراً للمالية ، ويوسف العظمة لرئاسة أركان الحرب العامة .

وقد أفسح الخلاف الذي ذكره بين جمعية العربية الفتاة والتنظيمات الوطنية التي تعمل بوحدها ووحى الأمير ، المجال لتأسيس حزب جديد ضم وجهاء البلاد وعرف باسم « الحزب الوطني السوري » ، وتألقت لجنته الاستشارية الأولى من الشريف ناصر وعبد الرحمن اليوسف وفوزي البكري وعلاء الدين الدروبي وراشد مردم بك وعلي العسلي وعطاء الأيوبي وبديع المؤيد وأحمد الحسيني وأنور البكري وشريف الكيلاني والشيخ تاج الدين الحسيني ونسيب حمزة وزكي المهاني وحسن السيوفي وعمر العابد والشيخ عبد المحسن الاسطواني والدكتور شاكر القيم والشيخ عبد الجليل الدرة والشيخ عبد الحميد العطار والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ محمد المجتهد وأحمد ابيش ومحمد العجلوني ومسلم الحصني . وكانت جمعية الفتاة أكثر حماساً ، بينما كان الحزب الوطني أكثر اعتدالاً .

وبينما كان الأمير فيصل يقوم بجولة في المدن السورية ثم يزور بيروت طالباً من الجنرال غورو إصدار عفو عام عن الثوار نوطئة لإنشاء حكومة وطنية في لبنان ، سقطت وزارة كليمنصو وحلت محلها وزارة ميلبران ، وكان كليمنصو أشد ميلاً إلى التفاهم مع فيصل مراعيًا اشتراكه في الحرب مع الحلفاء في مرحلة من أخرج مراحلها . فانقطع الأمير عن التصريح بأنه عائد قريباً إلى باريس لمتابعة أبحاث مؤتمر الصلح .

١ - المرجع السابق ص ١٦٥ ، يوم ميلسون ص ٢٢٤

يقول الدكتور أحمد قدرى : « وبعد انت يش الوطنيون من الوصول إلى تحقيق أهداف البلاد بواسطة مؤتمر السلم والمفاوضات مع بريطانيا وفرنسة، وانسحاب أميركة وهي رافعة لواء حرية الشعوب من مسرح السياسة الأوربية ، قرروا وضع مؤتمر السلم أمام الأمر الواقع ، وذلك بإعلان استقلال سورية العربية والمحتلة^(١) ، والمناداة بفصل ملكاً دستورياً عليها ، لذلك كلف الأمير بالعدول عن السفر إلى أوربة ، والاكتفاء بمساعي مندوبيه فيها ، ودعوة المؤتمر السوري الذي علق جلساته على اثر جلاء الجيش البريطاني ، ليقول كلمته بتحقيق هذه المهمة الوطنية الكبرى . وقد سهل قبول فيصل لهذه الفكرة تحييزها من قبل الكولونيل تولا الفرنسي الذي كان قد عين ليكون بعية جلالة اسوة بما كان عليه الكولونيل لورنس . كما شجع ممثل ايطالية في سورية كثيراً على اتخاذ هذه الخطوة الجريئة ، أما الانكليز فلم يكونوا راضين عن هذا الاجراء ، وكان هذا ظاهراً في كل تصرفاتهم^(٢) . »

وعلى اثر ذلك دعي المؤتمر السوري إلى الاجتماع ليقول كلمته في هذا الموضوع ، فاجتمع في ٦ آذار (مارس) ١٩٢٠ (١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ) برئاسة هاشم الأتاسي ، وافتتحه السيد عوني عبد الهادي بكلمة ألقاها بالنيابة عن الأمير فيصل جدد سموه فيها عرض القضية العربية وبيان الأسس العادلة التي تقوم عليها فقال :

« أيها السادة ، في الوقت الذي قرب فيه يوم حل المسألة التركية حللاً نهائياً في مؤتمر الصلح رأيت أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البلاد حسب رغائب الأهالي الذين رأوا فيكم الكفاءة للنيابة عنهم في مثل هذا الوقت العصيب .

فقد وعد مؤتمر السلم أن ينظر في رغبة الشعوب بل حتم على نفسه بأن يقرر مستقبل كل أمة حسب إرادتها ورغائبها تحقيقاً للمبادئ السامية التي خاض الحلفاء لأجلها غمار الحرب الكبرى .

١ - أي سورية بحدودها الطبيعية سواء منها المنطقة التي يسودها الحكم العربي أو المناطق التي يحتلها الانكليز والفرنسيون .

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٧٦

الرئيس ولسن ذكر في خطابه في مؤتمر فرنون في ٤ تموز سنة ١٩١٨ المادة
الآتية :

« كل مسألة أرضية كانت أم سياسية أم اقتصادية أم دولية يجب أن تحسم على
موجب الاساسات المستندة إلى حرية قبول الشعب ذي العلاقة رأساً بتلك المسألة ،
لا على القواعد النفعية المادية أو المصالح التي يتطلبها شعب أو أمة أخرى لأجل
تأمين نفوذها الخارجي أو سيادتها . »

وقد ذكر جميع رؤساء الحكومات المتحالفة أقوالاً لا تقل في معاني استقلال
الشعوب عن أقوال الرئيس ولسن في هذا الصدد ، وقد نشرت حليفانا انكلترة
وفرنسة منشوراً في ٨ تشرين الثاني الماضي أكدتا فيه استقلال بلاد العرب المنشود.
أيها السادة ، لما كانت هذه الحرب ، حرب حرية واستقلال ، حرباً جاهدت
فيها الأمم ذباً عن كيانهما السياسي دخل فيها صاحب الجلالة والذي المعظم في صفوف
الحلفاء بعد أن استوثق من العرب في الجزيرة وفي سورية وفي العراق فقاتلوا قتالاً
شهد لهم فيه أعظم رجال أوربة السياسيين والعسكريين وأثنوا على شجاعتهم
وبسالتهم غاية الثناء ، ولا بد أن يحفظ التاريخ أعمالهم الجليلة في إبان الحرب التي
استمات فيها الحجازي والسوري والعراقي واني واثق بأن لأمة العربية ستنال من
آلغهم ما ناله غيرها من حلفائنا الذين نالوا الظفر على الأعداء .

ان هذا الظفر لم يكن عسكرياً فقط بل هو سياسي قبل كل شيء لأنه ظفر
الحق على القوة ، والحرية على الاستبداد ، فقد انتشرت اليوم فكرة الاستقلال بين
الشعوب وانتعشت في أفئدتهم فلن تزول بعد الآن .

استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه وبفضل ما
قاسوه من أنواع العذاب والقهر . فالأمة العربية لا تقبل اليوم أن تستعبد كما اني
أعتقد انه ليس هنالك أمة تريد استعبادنا ، فرحلاتي الرسمية العديدة إلى أوربة ،
والأحاديث والكتابات التي جرت بيني وبين سامتها لم تبقي في نفسي مجالاً للشبهة
والتردد في نوايا حكوماتها الحسنة .

أيها السادة ، اننا لا نطلب من أوربة أن تمنحنا ما ليس لنا به حق ، بل نطلب

منها أن تصدق على حقنا الصريح الذي اعترفت به لنا كأمة حية تريد حياة حرة واستقلالاً تاماً وتود أن تعيش مع سائر الأمم المتعدنة على غاية من الولاء والمحبة الخاصة ، فسياستنا في المستقبل ستكون سياسة صلح وسلم مبنية على الثقة المتبادلة والمنافع المتقابلة ، وبكلمة واحدة سياسة تتفق مع مصالح الأمة ، ومنفعة السلم العامة ، فالعرب لا يستنكفون من تبادل المنافع بينهم وبين الأمم المتعدنة ، ولا يرفضون صداقة من يريد صداقتهم ، شريطة ألا يس ذلك بكرامتهم ولا يخل باستقلالهم السياسي التام .

أيها السادة :

ان مهمتكم اليوم خطيرة ، ومهمتكم كبيرة ، فأوربة تنظر إلينا عن كسب ، وستحكم لنا أو علينا بالنسبة إلى الحطة السياسية التي سنسير عليها ، والأعمال التي سنقوم بها في المستقبل .

فدولتنا الجديدة التي قام أساسها على وطنية أبنائنا الكرام هي في حاجة اليوم إلى تقرير شكلها أولاً ووضع دستور لها يعين لكل منا ، أمرنا ومأمورنا ، حقوقه ووظائفه في حياتنا المستقبلية التي أرجو أن يكون ملؤها الجد والعمل والاقدام .

وقبل أن أختم كلامي في هذه الجلسة الخالدة أريد أن أذكركم باخوانكم العراقيين الذين جاهدوا معكم وأبلوا بلاء حسناً في سبيل الوطن وبالواجب الذي يتحتم علينا في أمر التضامن والتعاقد ، لنعيش حياة سعيدة قوية .

وأفروكم السلام العربي الخالص ، متمنياً لكم التوفيق والنجاح في مساعيكم الوطنية والسلام عليكم^(١) .

وفي اليوم التالي عقد المؤتمر جلسته الثانية وقرر إعلان استقلال سورية بمحدودها الطبيعية بما فيها فلسطين ، وان يكون فيصل بن الحسين ملكاً عليها ، كما قرر أن يكون علمها العلم العربي ذا الألوان الأربعة مضافاً إليه نجمة بيضاء في مثلثه الأحمر .

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٧٨ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٢٨ ، سورية والعهد فيصل ص ١٣٦ ، يوم ميستون ٢٣٦

وقد رفض المؤتمر في هذا القرار التاريخي وعد بلفور والاحتلال العسكري للمناطق السورية الثلاث ، وأكد وجوب استقلال العراق استقلالاً تاماً على ان يكون بينه وبين سورية انجناد سياسي واقتصادي .

وهذا نص القرار التاريخي :

« ان المؤتمر للسوري العام الذي يمثل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (الفلسطينية) تمثيلاً تاماً يضع في جلسته العامة المنعقدة يوم الأحد المصادف لتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ و ليل الاثنين التالي المصادف ٨ آذار ١٩٢٠ القرار التالي :

ان الأمة العربية ذات المجد القديم ، والمدنية الزاهرة ، لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم تترك دم شهدائها الأحرار ، ولم تثر على حكومة الأتراك ، إلا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة بصفها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة ، لها الحق في أن تحكم نفسها بنفسها أسوة بالشعوب الأخرى التي لا تريد عنها مدنة ورقياً ، وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استناداً على ما جهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم وحكوماتهم وما قطعوه من عهود خاصة مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية ، وما جهر به الدكتور ولسن من المبادئ السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة بالحقوق وإنكار سياسة الفتح والاستعمار ، وإلغاء المعاهدات السرية المحققة بحقوق الأمم وإعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها التي وافق عليها الحلفاء رسمياً كما جاء في تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ أمام مجلس النواب ، واللورد غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء في جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التي رفعها المسيو بريان بواسطة السفير الأميركي في باريس وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٧ وتصريح المسيو ريبو رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٢٢ أيار ١٩١٧ أملم مجلس النواب وبيان مجلس النواب الفرنسي ليلة ٤-٥ حزيران ١٩١٨ وبيان مجلس

الشيوخ في ٦ منه وما جاء في خطاب المستر لويد جورج في غلاسكو بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩١٧ .

وقد كان ما قام به جلالة الملك حسين المعظم من الأعمال العظيمة ، في جانب الحلفاء ، هو الباعث الأكبر لتحرير الأمة العربية وإنقاذها من ربطة الحكم التركي فخلد لجلالته في التاريخ العربي أجل الآثار وأفضلها ، وقد أبلى أنجاله الأمراء الكرام مع الأمة العربية في جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات حاربوا خلالها الحرب النظامية التي شهد لهم بها أقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المتمدين ، وضجوا العدد الكبير من أبنائهم الذين التحقوا بالحركة العربية من أنحاء سورية والحجاز والعراق فضلاً عما قام به السوريون خاصة في بلادهم من الأعمال التي سهلت انتصار الحلفاء ، على ما أصابهم من الاضطهاد والتغريب والقتل والنفي والتعذيب ، تلك الأعمال التي كان لها الأثر الأكبر في انكسار الترك وجلائهم عن سورية وانتصار قضية الحلفاء انتصاراً بهراً حقق آمال العرب بوجه عام والسوريين بوجه خاص ، فرفعوا الأعلام العربية وأسسوا الحكومات الوطنية في أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار . ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مندق أعين حلفاء رسمياً أن لا مطمع لهم في البلاد وانهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب في الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريراً نهائياً ، وأكدوا أن تقسيم المناطق لم يكن إلا تدبيراً عسكرياً مؤقتاً لا تأثير له في مصير البلاد واستقلالها ووحدةها ، ثم أنهم قرروا بعد ذلك رسمياً الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع ألمانيا فاعترفوا فيها باستقلالها تأييداً لما وعدوا به من إعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها ، وأرسلوا اللجنة الأميركية للوقوف على رغائب الشعب ، فتجالت لها هذه الرغبة في طلب الاستقلال التام والوحدة السورية التامة .

لقد مضى عام ونصف عام والبلاد لا تزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم والحكم العسكري الذي ألحق بها أضراراً عظيمة وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية ، وأوقع الريبة في نفوس أبنائها من أمر مصيرها ، فاندفع الشعب في

أكثر أنحاء البلاد وقام بثورات أهلية منتفضاً على الحكم العسكري الغريب ومطالباً باستقلال بلاده ووحدتها .

فنحن أعضاء هذا المؤتمر ، بصفتنا الممثلين للأمة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلاً صحيحاً ، نتكلم بلساننا ونجهر بإرادتها ، رأينا وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج ، واستناداً على حقنا الطبيعي الشرعي في الحياة الحرة وعلى دماء شهدائنا المراقبة ، وجهادنا المديد في هذا السبيل المقدس ، وعلى العهود والوعود والمبادئ السامية السالفة الذكر ، وعلى ما شاهدناه كل يوم من عزم الأمة الثابت الأكيد على المطالبة بحقها ووحدتها ، والوصول إلى ذلك بكل الوسائل ، فأعلننا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بمحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس النيابي ، على أن تراعى أمانى اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون معزول عن كل تأثير أجنبي ، ورفض مزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطن هجرة لهم ، وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد ، وجعل الأمة ترى فيه رجلاً العظم ، ملكاً دستورياً على سورية بلقب صاحب جلالة الملك فيصل الأول ، وأعلننا انتهاء الحكومات الاحتلال العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث ، على أن يقيم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية .

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك ، وكانت الأسباب المستند إليها استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب المستند إليها في إعلان استقلال القطر العراقي ، وبما ان بين القطرين صلات وروابط تاريخية واغوية واقتصادية وجنسية وكل واحد من القطرين لا يستغني عن الآخر ، فنحن نطلب استقلال القطر العراقي ، استقلالاً تاماً على أن يكون بين القطرين اتحاد سياسي اقتصادي .

هذا واننا باسم الأمة السورية التي أنابتنا عنها ، نحفظ بصدقة الحلفاء الكرام

محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام ، وان لنا الثقة التامة بأن يتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المحترمة عملنا هذا المستند إلى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة بما تتحققه فيهم من نبالة القصد وشرف الغاية ، فيعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية ، فيقوم الجند الوطني ، والادارة الوطنية بحفظ النظام والادارة فيها مع المحافظة على الصداقة المتبادلة حتى تتمكن الأمة السورية العربية من الوصول إلى غاية الرقي وتكون عضواً عاملاً في العالم المتمدن .

وعلى الحكومات السورية التي تتألف استناداً على هذا الأساس تنفيذ هذا القرار^(١) . »

وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٨ آذار (مارس) زار الأمير وفد انتخبه المؤتمر وأبلغه قراره التاريخي ، فشكر لزاثيره والمؤتمر ثقتهم به ، ثم انتقل إلى دار البلدية حيث اجتمع أعضاء المؤتمر وأعضاء بلدية دمشق وجهائها ورجال الحكومة وقادة الجيش لمبايعة الأمير . وقد حضر الحفلة مندوبو فرنسة وإيطاليا وبقية الدول ، ولوحظ عدم اشتراك أي ممثل بريطاني فيها . وقد نهض رئيس المؤتمر السوري السيد هاشم الأتاسي وقدم سكرتير المؤتمر عزة دروزة ليتلو قرار المؤتمر قتلاه من شرفة البلدية ، ثم تقدم رئيس البلدية غالب الزاقي وهو يحمل بيده علم سورية الجديد ونشره فهتف الحاضرون واستلمه منه فخري البارودي مرافق الأمير ورفع على السارية ، فهتفت الجماهير الغفيرة التي كانت تملأ ساحة الشهداء (المرجة) بحياة الأمة العربية وحياة الملك حسين وأئمتك فيصل .

ثم تقدم غبطة غريغوريوس البطريك الأرثوذكسي معلناً باسمه وبأسماء الملتفين حوله بطريك الروم الكاثوليك ورؤساء الطوائف المسيحية من سريان ورمين أرثوذكس وكاثوليك وموارنة وبروتستانت وحاخام الاسرائيليين ، مبايعة جلالة الملك فيصل

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٨١ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٢٠ ، سورية والعهد الفيصل ص ١٣٨ . المؤيد المتعلقة بالوطن العربي ص ١٧٤ ، يوم ميسلون ص ٢٧٨

على ألباس الشورى والعدل والمساواة ، فقبل جلالاته المباشرة على هذه الأسس (١) .
وبعد أنت تمت هذه المراسم نهض الملك وقال : « أشكر للأمة نيانتها الحسنة
نحوي ، وعلى ما أبدته من حسن الاعتماد ، وأشهد الله اني ما قمت إلا بما يجب علي ،
وأتمنى أن أوفق لأقوم بكل ما يكفل استقلال البلاد وحريتها ، ولأعني بشؤون
الشعب السوري ورفقه ، وأشهدكم على قولي هذا والله خير الشاهدين » .
وقد رحب الشعراء العرب بهذه الوثبة الكبرى ، واحتفل الحزب الوطني
السوري في بونس ايرس بتسليم فيصل عرش سورية وألقى الدكتور جورج صوابا في
هذا الاحتفال قصيدة حماسية قال فيها مخاطباً الأمة العربية :

يا أمتي جاهري بالحق لا تحلمي	ونازعي الخلق بقيا مجدك المهرم
قد قام فينا صلاح الدين ويجهم	فليقحم الشام من قال لم يقيم
ففيصل العرب مستل بساحتها	في حده الحد بين الذل والشمم
يا أيها الشعب دافع عن كيالك لا	تجبن وذداً بالقنا عن مجد ذا العلم

وخاطب فيصلاً شاعر مهجري آخر هو الياس فرحات من قصيدة طويلة بقوله :

أفصل والمطامع محذقات	بنا وحوادث الأيام تترى
فلا تترك لذي طمع علينا	يدأ تخفي وراء الخلو مرا

وكان الزعماء العراقيون المقيمون في سورية يومئذ ، قد ألفوا مؤتمراً مماثلاً
للمؤتمر السوري برئاسة توفيق السويدي (٢) ، واتخذوا باسم الشعب العراقي قراراً

١ - انظر وثيقة مبايعة الرؤساء الروحيين في « سورية والمهد الفيضلي » ص ١٤٢

٢ - تالف المؤتمر العراقي من توفيق السويدي وجميل المدغمي وعلي جودت الايوبي وعبد
الله الدليمي ومكي الشريعتي وابراهيم توحلة وثابت عبد النور واسعد صاحب وجميل
الفسكري وسعيد الشخيلي وتحسين علي واسماعيل نامق وسامي الاورفلي وفرج عمارة وناجي
السويدي ويونس وهبه وحامد صدر الدين واحمد رفيق ونوري قاضي ورشيد الهاشمي
وصبح محمد ورضا الشيباني ومحمد اديب ومزت الكرخي وعبد اللطيف الفلاح و توفيق
الهاشمي ومحمد البسام .

باستقلال العراق التام والمناداة بالأمر عبد الله بن الحسين ملكاً دستورياً عليه ،
 واتحاد العراق وسورية اتحاداً سياسياً واقتصادياً^(١) . وقد تلا السيد توفيق السويدي
 هذا القرار في ذلك اليوم التاريخي نفسه من شرفة البلدية ، فألهب المشاعر وأثار
 حماسة الحاضرين ، ثم رفع علم الدولة العراقية العربية ليخفق إلى جانب العلم السوري
 ويتعانق معه في سماء دمشق ، وكانت ألوان العلمين واحدة ، وهي ذاتها ألوان علم
 الثورة العربية ، وهي ذاتها ألوان علم الدولة العربية في الحجاز ، وقد امتاز العلم
 السوري بنجمة واحدة بيضاء في مثله وامتاز العلم العراقي بنجمتين^(٢) .
 وقد حيا الشعراء هذا العلم بقصائد رائعة ، ومنها قصيدة لأبي الفضل الوليد
 يقول فيها :

العرب حولك جند أيها العلم منهم تآلفت الأوطار والمهم
 من خضرة ونباض : نعمة وهدي ، وحمرة وسواد : نقمة ودم
 ألوانك استكملت أمجاد مملكة فيها تلاقى النهى والبأس والكرم
 اليك نرنو وفي أجفاننا عبر وفي القلوب شعور بات يجتهد
 من الحجاز إلى أرض الشام إلى أرض العراق لك الآفاق تبسم

وعلى اثر إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وانتخاب فيصل بن الحسين
 ملكاً عليها ، احتج البطريرك الماروني على قرار المؤتمر السوري وأنكر ان يكون
 اللبنانيون الذين اشتروا في هذا المؤتمر يمثلون الشعب اللبناني ، كما احتج مجلس
 إدارة لبنان على ما ورد في هذا القرار فيما يتعلق بجبل لبنان . الا انه لم تمض ثلاثة
 أشهر على ذلك حتى اجتمع مجلس إدارة جبل لبنان واتخذ القرار التالي :
 « ان مجلس إدارة جبل لبنان النيابي المؤلف نظاماً من ١٣ نائباً وفي الوقت

(١) انظر نص القرار في الثورة العربية الكبرى ج ٢ ، القسم ٢ ص ٣٥ ، العهد
 المتعلق بالوطن العربي ص ١٧٩ .

(٢) انظر مقال اكرم زعيتر « كلمات صريحة بعد ٣٤ سنة » في كتاب « رسالة
 في الاتحاد » .

الحاضر من ١٢ نائباً عاملاً بسبب خلوت مركز أحد نائبي كسروان المستقيل ، قد وضع نهار السبت الموافق ١٠ تموز سنة ١٩٢٠ بأكثرية الكبرى القرار الآتي :

« انه لما كان اللبنانيون ، منذ أعلنت الدول العظمى ، حق إنشاء الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد ، قد طالبوا وما زالوا يطلبون ، تأييد حقوقهم بتأسيس حكومة وطنية مستقلة .

ولما كان استقلال جبل لبنان ، ثابتاً تاريخياً ، ومعروفاً منذ أجيال طويلة وموقعه وطبيعته أهليته الموافقة للحرية والاستقلال منذ القدم بما يستلزم استقلاله وحياده السياسي أيضاً لوقيته من المطامع والطوارئ ، وكان مع ذلك من أهم مصالحه وراحته شعور الوفاق وصفاء العلاقات مع مجاوريه ، وقد دل على ذلك ما أحدثه التقاطع من ثوران الجملاء لارتكاب الحوادث المؤلمة المقلقة المتسلسلة من السنة الماضية إلى هذه الآونة .

« فبناء على ما تقدم قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلاً لوفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين سورية ولبنان ومصالحهما ودوام حسن العلاقات بينهما في المستقبل ، وبعد البحث في هذا الشأن ، وجد انه من الممكن الوصول إلى ذلك بمقتضى البنود الآتية :

- ١ - استقلال لبنان التام المطلق .
- ٢ - حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربي .
- ٣ - إعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سورية .
- ٤ - المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلسي لبنان وسورية .
- ٥ - يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الاربعة وضمانة أحكامها .

« ولأجل التمكّن من العمل بحرية ومعزل عن ضغط وتأثير خارجي ولأجل السعي الناجح لدى المراجع الايجابية ، لتقرير أحكام البنود الأربعة المتقدم بيانها

والتي هي مطالب الأمة اللبنانية ، ومصصلحة لبنان الحقيقية المنزهة عن المآرب والأغراض الحصرية ، وبالنظر لنيابة هذا المجلس عن الشعب اللبناني القانوني والمؤيدة مؤخراً أيضاً بأصوات أكثرية الشعب الكبرى ، قد قررت أكثرية المجلس موقعة هذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات للملاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآتية بيانها ، في أعمال القضية والمراجع الايجابية وإبلاغ هذا القرار بكامله إلى المقامات الرسمية والسعي بالطرق الممكنة » .

سعد الله الحويك (نائب الرئيس) ، خليل عقل ، سليمان كنعان ، محمود جنبلاط ، فؤاد عبد الملك ، محمد الحاج محسن ، الياس الشويري ، وتخلف العضو الثامن وهو الياس بريدي مع أنه متضامن مع الأعضاء الموقعين بسبب مرضه وأرسل نسيه ميشيل قاصوف فاشترك في اجتماعاتهم ، ووعده بالحق بهم . ولكن الفرنسيين علموا بذلك قبل ميعاد سفر هؤلاء الأعضاء منفردين إلى دمشق في ١٠ تموز (يولييه) . فألقت السلطة الفرنسية القبض عليهم وحكمت عليهم بالنفي مدة طويلة ، ونفي معهم الأمير أمين أرسلان إلى أرو و ثم لجزيرة كورسيكا . ثم أصدر الجنرال غورو قراراً بإلغاء مجلس الإدارة .

الفصل الحادي والعشرون الكذوبة اسمها الانذابات

ما كادت البيعة تتم للملك فيضل حتى عهد جلالاته إلى رضا الركابي بتأليف وزارة جديدة ، فعمد إلى تأليفها من رضا الصلح الداخلية ، وعبد الحميد القلظجي للحرية ، وفارس الخوري للعالية ، وساطع الحصري للمعارف ، والسيد جلال زهدي للعدلية ، ويوسف الحكيم للتجارة والزراعة ، وسعيد الحسيني للخارجية ، وعلاء الدين الدروبي رئيساً لمجلس الشورى . وسمي احسان الجابري رئيساً لأمناء الملك . وألقت الوزارة أمام المؤتمر السوري بيانها الوزاري ^(١) ، فناقشه أعضاء المؤتمر ثم منحوا الوزارة ثقتهم بالاجماع .

وكان اختيار رضا الركابي رئيساً للوزارة دليلاً على رغبة الملك في انتهاج سياسة معتدلة ، والواقع ان هذه الوزارة قد سميت في بعض الأوساط « وزارة الشيوخ المعتدلين » ، إلا انها لم تكن تستطيع تجاهل إرادة الشعب الممثلة في المؤتمر السوري ، هذا المؤتمر الذي منحها ثقته وهي مسؤولة أمامه ، فأبرقت إلى لندن

(١) انظر نص البيان في « مذكراتي من الثورة العربية الكبرى » ص ١٨٩ ، « الثورة العربية الكبرى » ج ٢ ص ١٣٤ ، « يوم ميسلون » ص ٢٥١ .

وباريس راجية منها الاعتراف بما تم ، وأعقب ذلك بمذكرة إيضاحية إلى كل من دول الحلفاء تبلغها فيها قرار المؤتمر السوري وإعلان الإستقلال ، مؤكدة عزمها على إنشاء صلات ودية معها .

أما الملك فيصل فيبدو انه كان لا يزال يعتقد بعض الأمل على الرئيس ولسن ، فوجه اليه رسالة خاصة ذكر في مقدمتها كعاج العرب الدامي خلال الحرب لنصرة الحلفاء ، وذكر الرئيس الأميركي بمبادئه المتضمنة حق الشعوب في تقرير مصيرها وفتحها باستقلالها ، ثم قال :

«لقد قسمت سورية عقب الهدنة إلى أربع مناطق إدارية ، وذلك وفقاً لمعاهدة سرية لا نعلم من حقيقتها شيئاً ، فحقق الشعب عندما رأى ما آلت اليه حالة بلاده ، ولم يسكن جأشه إلا بعد التأكيدات العديدة بأن هذه التقسيمات وقتية لا بد أن تضحل مع الحكم العسكري ، ولم يطل هذا الأمر حتى ذاع خبر عقد اتفاق بين بريطانية وفرنسة يؤول إلى فرط عقد البلاد وتقسيمها ، فكان لهذا النبأ وقع سيء في النفوس ، حتى ان الشعب عيل صبراً ورجع بعضه إلى امتشاق الحسام^(١) للذود عن وحدة سورية التي أصبح أمرها مبهماً ، وبما ان القسم الشمالي من سورية يتأخم بلاداً لا تزال تتأجج فيها نيران الثورات ، أوجسنا خيفة من أن يتسرب ذلك الاضطراب إلى سورية بأجمعها .

ولم نردوا لتلافي الأمر ، أنجع من جمع المؤتمر السوري المنتخب من الشعب وإعلان استقلال سورية والمناذاة في ملكاً عليها ، بما أدى إلى إرجاع الأمن إلى نصابه في البلاد ، وكل هذا يتفق مع وعود الحلفاء وتصريحاتهم ، وبما اننا لا نطلب إلا حقاً منحتنا إياه الطبيعة ، وزكته دماؤنا في الحروب ، وأيده تاريخنا ، فأننا نتوقع ان يقابل الحلفاء حكومتنا الجديدة بارتياح .

ان تقسيم سورية الحاضرة هو حجر عثرة في سبيل رقيها الاقتصادي والسياسي ،

(١) يشير الى الثورات الشعبية التي اشتعلت ضد فرنسة في اتجاه مختلفة من سورية ولبنان .

ولا يمكن أن نجيم السلام فوق ربوعها إلا بعد أن تؤمن وحدتها وتضمن استقلالها^(١)، إلا أن الرئيس ولسن كان قد أقعده المرض، وأتعبته المؤتمرات والدسائس، وأبعده قرار الكونغرس الأميركي نهائياً عن مسرح السياسة الدولية^(٢)، أما بريطانيا وفرنسة فكان من الطبيعي أن تستكرا تلك البادرة الوطنية الجريئة التي كانت في الواقع تحدياً صريحاً لهما، فأصدر قلم المطبوعات الفرنسي في بيروت بلاغاً أنكر فيه أن تكون قرارات دمشق قد اتخذت بموافقة الحكومة الفرنسية «لأن مثل هذه القرارات هي من شأن مؤتمر السلام» وأرسل اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية بريقة إلى الملك فيصل أبغاه فيها «عدم اعتراف حكومته بما جاء في قرار المؤتمر، وخاصة عن فلسطين والعراق، وإن مصلحة الملك في الإسراع بالقدوم إلى أوربة لعرض قضيته على مؤتمر الصلح» وأعلن لويد جورج في مجلس العموم أن الحكومتين البريطانية والفرنسية أبلغتا فيصل بأنهما لا تعترفان بما تم في دمشق، وأنه دعا فيصل للحضور إلى أوربة لحل هذه القضية في مؤتمر الصلح.

وقد أجاب فيصل على بريقة اللورد كيرزون بالبرقية التالية في ٢٨ آذار (مارس) ١٩٢٠: «إن المؤتمر السوري الذي اجتمع في السابع من هذا الشهر في دمشق، هو نفس المؤتمر الذي عقد فيها اجتماعات عديدة على مرأى ومسمع من السلطة البريطانية التي كانت في يدها قيادة سورية في ذلك الحين.

لقد اجتمع هذا المؤتمر لإبداء آرائه للجنة الأميركية التي جاءت لأخذ آراء الأهالي، وفقاً لقرار مؤتمر الصلح، وطال اجتماعه بعد ذلك ثلاثة أشهر، وفي نهاية السنة الماضية عقد اجتماعاً آخر، وبحث في مسائل داخلية متنوعة، ولم تقابل اجتماعاته الأخيرة بأدنى احتجاج من السلطات البريطانية أو الفرنسية، وهو مؤلف

(١) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٩٥، يوم ميسلسون ص ٢٨٤ - ٢٨٥،

سورية والعهد الفيصلي ص ١٤٧.

(٢) كان السياسيون الأميركيون يتمسكون بمبدأ مونرو الذي نادى به سنة ١٨٢٣

وهو يقضي بالابتعاد في شؤون أوروبا في شؤون الولايات المتحدة ولا تتدخل هذه في شؤون غيرها من دول العالم.

من هيئة نظامية أعضاؤها مندوبون منتخبون انتخاباً قانونياً ، فعقد اجتماعه الأخير ، الذي أعلن فيه استقلال البلاد والمناذاة بي ملكاً عليها ، لا يمكن أن يعتبر انه تصرف خلافاً لآراء الحكومتين الانكليزية والفرنسية ، مادام بيانه مؤسساً على ما لهاتين الحكومتين وسواهما من الحلفاء من النصريحات والوعود ، يضاف إلى ذلك ان المؤتمر وضع أمامه ، بالوسيلة التي اتخذها ، تسكين الشعب والحفاظة على الأمن من الأفكار المريبة التي بدأت بالانتشار في الشرق ، وأعلن بأوضح أسلوب إخلاصه لدول الحلفاء ، وعلى الأخص للحكومتين (انكلترة وفرنسة) ، فالشعب وأنا في أوله ، أظهر لبلادكم تعلقه المخلص يوم كان للعرب مجال ، وحارب في صفوفكم ، وكان له السرور أنه ساهم في الظفر الذي تمّ في الشرق ، ولا يمكن أن يتصرف اليوم خلافاً لمصالح بريطانيا العظمى وحلفائها ، بل بالعكس من ذلك بدافع دفاع المتحمس ، عن هذه المصالح ، ويكون مستعداً على الدوام لوضع كل موارده في خدمة الحلفاء ، وقد أظهرت الحرب الأخيرة برهاناً ساطعاً على حسن نياتنا ، ولكن يجب ألا يغرب عن البال ، انه اثر الوعود التي قطعت لنا أخذت على عاتقها إدخال الشعب العربي في الحرب العالمية ، وتعرضت لمسؤولية عظمى تجاه الشعب ، فهذا الشعب يطلب مني الآن إنجاز الوعود التي وعدته بها ، بما يضطري أن أرجوكم إيجاد حالة تمكنني من إنجاز الوعد .

ان لي مزيد الأمل في هذه الظروف ، انكم تبلغوني جواباً على هذه البرقية الاعتراف مبدئياً باستقلال سورية التام ووحدتها ، الأمر الذي يسمح لي بالذهاب إلى أوربة لأقدم الشكر لحكومة جلالة ملك بريطانيا على ذلك ، ولتنوير المجلس الأعلى عن موقف سورية (١) .

ولكن الدول الحليفة كانت ماضية في تحقيق أهدافها الاستعمارية ، وقد رأت أن تحجب صورتها الشوهاء بطلاء خادع ، فأطلقت على الاستعمار الجديد اسم

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١٩٦ ، يوم ميلاد ص ٢٨٦ - ٢٨٧ سورية والعهد الفيصلي ص ١٤٨

الانتداب ، تضليلاً الرئيس ولسن وغيره من النظريين الذين كانوا مأخوذين حقاً بفكرة الحرية وحق تقرير المصير ، وخداعاً للشعوب التي كانت تعد لتكون قرباناً على مذبح مؤتمر السلام .

وكانت المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم قد اعتبرت بلاد الشام والعراق تابعة للانتداب من حرف « أ » ويشمل هذا الانتداب « البلاد التي يقطنها جماعات بلغوا من التقدم مبلغاً يجوز معه الاعتراف مؤقتاً بأنهم أمم مستقلة ، على أن يقود خطاهم مندوب ينصحهم ويعينهم في الإدارة حتى يصبحوا قادرين على السير وحدهم ، ويجب أن يعتد برأي هؤلاء الجماعات عند انتخاب الدولة المنتدبة ، ومفهوم الانتداب في هذا التعريف انه غير الاستعمار وغير الوصاية ، وانه مجرد نصيحة ومساعدة يجب أن يتما بموافقة الشعب المنتدب عليه . إلا ان فرنسا وبريطانية ما لبثتا ان استصدرتا من عصبة الأمم في ٢٤ تموز (يولييه) ١٩٢٢ ماسمي بصكوك الانتداب ، وقد انتهكت هذه الصكوك التزامات الحلفاء الأخلاقية والشرعية معاً ، وأعطت الدول المنتدبة كل وسائل التسلط الاستعماري ، وان كانت هذه الدول لم تنتظر صدور تلك الصكوك لبسط سيطرتها وفرض طغيانها على الشعوب التي اعتبر الميثاق استقلالها وتطورها وديعة مقدسة في ذمة المدينة الحديثة ^(١) .

ويروي عوني عبد الهادي انه ذهب ذات يوم مع نوري السعيد لمقابلة المستر بولك الذي كان يرأس الوفد الأميركي بعد عودة الرئيس ولسن إلى بلاده ، وقال لبولك :

— لماذا ترى تعملون على تجزئة بلادنا ؟ إذا لم يكن بد من الانتداب فليكن بيد دولة واحدة لحفظ وحدة العرب .

قال عوني عبد الهادي : « وأذكر ان الدموع تفرقت في عيني نوري السعيد

١ - انظر صكوك الانتداب على سورية ولبنان وفلسطين والعراق في «الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب» و «محاضرات في الاستعمار ج ٢ ص ١٢٩ ، بقلمة العرب ص ٢٧٢ ، المعهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٢٠٢ ، خطط الشام ج ٢ ص ٢٥٣

من شدة التأثير .. وقام بولك ووقف نجاه خارطة كبيرة ، وأشار أولاً إلى فلسطين وقال :

— ان انكلترة مصممة على المجيء إلى هنا ، وفرنسة مصممة ان تأتي إلى هنا (وأشار إلى سورية ولبنان) ولو أدى الأمر إلى الحرب لاعتقاد الفرنسيين ان القضية تتعلق بشرف بلادهم ” .

وقريب من هذا ، وهو يزيد تفسيراً ، قول جات فلوريه : « كل شيء أو لا شيء .. يجب أن نعلم اننا إذا فقدنا سورية ، نفقد بالتالي سمعتنا ونفوذنا في افريقية الشمالية (٢) » .

ولعل من المفيد حقاً والطريف جداً ، أن نسمع أقطاب الانتداب أنفسهم يتحدثون عنه ويتناقشون فيه ، كما حدث في جلسة ٢٥ حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٠ في المجلس النيابي الفرنسي ، قبل معركة ميسلون بشهر واحد ، أثناء مناقشة مشروع الاعتمادات الجديدة التي طلبها وزير الدفاع ، وهذا نص هذه المناقشة الفاضحة :

دالاديه — لقد طلبت الحكومة — من أجل ما أسمته بالقضية الاسلامية — رصد اعتمادات خاصة تبلغ نحو ٥٢٥ مليوناً في ميزانية وزارة الدفاع . و ١٨٧ في ميزانية وزارة الخارجية . هذا مع العلم بأن هذه المبالغ قد ترتفع إلى الضعف . فهل يسوغ لنا — في الوقت الذي ما تزال بلادنا تحمل في جنباتها آثار الجراح البليغة — ان نتورط في سياسة بسط النفوذ ، والابهات الفارغة ، التي قد تؤدي ببلادنا إلى الهلاك؟ يقال لنا فيما يتعلق بكيليكيا ، ان الحكومة عازمة على إخلاتها ، وانها عدلت عن سياسة المغامرة والحرب . مع ان المعارك ما تزال مستمرة ، واننا نتكبد في سورية وكيليكيا خسائر فادحة تزداد يوماً بعد يوم ، حتى اننا نجهل عدد موتانا بالضبط .. وقد قيل لنا انهم بلغوا ٦٠٠ رجل خلال شهر واحد . ويقال لنا أيضاً ، بأننا لا نريد ان نبسط حمايتنا على سورية واننا لا نرغب في تأسيس ادارة على غرار الادارة في

١ — ملحق جريدة الحياة الخاص بالثورة العربية الكبرى ص ١٣

٢ — الراحل لعبد الرحمن الكيالي ، ج ١ ص ١٣

مراکش . ولكن جميع الدلائل تشير إلى عكس هذه المزاعم . فإذا كانت حجج الحكومة التي تسردها تبور عملاً سلمياً ، تقوم به هناك ، فما هي الحاجة إلى تجهيز الحملات العسكرية ؟ ..

بريان - انهم هم الذين يناشدوننا المعونة ..

دالاديه - ان هؤلاء الذين يناشدونكم لا يمثلون الشعب السوري كله ، إنما هم أقلية ضئيلة ، تريد حماية نفسها والمحافظة على مصالحها المرتبطة بمصالحهم ومع ذلك فليس ثمة حاجة إلى الحروب وإسالة الدماء ..

بريان - نحن لا نرغب في الحرب ، ونخوضها لأنها وسيلة من وسائل السلم ..
دالاديه - ان هذا تعليل مضحك .. لماذا لا نحصل في سورية على مركز أدبي ومادي بالجهود السلمية وحدها دون حرب ؟ ..

بريان - ان الجهود السلمية أصبحت مستحيلة ..

دالاديه - انني أتساءل ، لماذا يبدو لكم الآن ان الجهود السلمية أصبحت مستحيلة ؟ ..

بريان - لأن القتال واقع فعلاً وفي عدة مناطق .. وحركات العصيان لا نسمع لنا بالتفاهم ..

دالاديه - ولكن لم هذا القتال ؟ .. ولم حركة العصيان ؟ .. أليس نتيجة أخطائكم ؟ .. انني ممن يرون ان الحرب في سورية ، هي نتيجة أخطاء لا ريب فيها . وأعتقد بأننا لم نأخذ بعين الاعتبار ، حقيقة الهياج العميق الذي يسود العالم الاسلامي بأجمعه .. يجب ان لا ننسى ، بأن في سورية ثلاثة ملايين مسلم ، وثلاثمائة ألف من المسيحيين . واننا هناك أمام شعب لا يشبه القبائل بأي وجه من الوجوه . فهو شعب عامل ، ويتحلى بحضارة قديمة جداً . وقد أثبت - من قبل الحرب وبتطوره المستمر - بأنه يرغب في بلوغ الحرية والاستقلال ، وتأسيس دولة حقيقية . فكيف ننسى تلك الحركات القومية العظيمة ، التي ساهم بها جميع السكان ، من مسلمين ومسيحيين ، بصورة لم يعهد لها مثيل في الشرق كله ، تلك الحركات التي اتفق فيها الشعب السوري بمجموعه ضد الأتراك ، لتأسيس دولة قائمة على السلام

والنظام ؟ .. حتى ان الأتراك أنفسهم تمهينوا هذه البادرة ، وقد بلغ بهم تمهينهم ، إلى التفكير بإيجاد اتحاد « تركي - عربي » على غرار « الاتحاد النمساوي - المجرى » . فكيف ، وقد استبعدتم بالعرب خلال خمس سنوات لمحاربة الأتراك ، وفاديتهم مع حلفائكم خلال هذه المدة من على المنصات الأميركية والانكليزية والابطالية والفرنسية وفي كل مكان وزمان بالألا " غاية لكم إلا الذود عن حرية الشعوب - فكيف تتجراؤون الآن - واسمعوا لي ان أقول - بأية وقاحة تحاولون اليوم ان تملكوا بلاداً ليست لكم .. بلاداً آن لها ، ولها كل الحق في ان تنعم بالحرية والاستقلال ..

نوبلوميير - ان الانتداب يأسيد دالاديه ليس احتلالاً .. بل هو على العكس تماماً ..

دالاديه - وهذا تعليل مضحك جديد .. الأمر إذن ليس احتلالاً واستيلاء .. مما هو إذن ؟ .. عليك تريد ان تقول انه ممارسة الانتداب .. ان هذه التعابير لا تخفي الحقيقة .. وقد قرأت تقريرك الذي تقول فيه « انك ضد الفتوحات وضد المغامرات ولكنك تريد الاعتماد على أساليب أكثر ليونة »

نوبلوميير - انني أعتمد قبل كل شيء على قرار سان ريمو . فقد كانت حقناً في سورية متنازعا عليه حتى صدور ذلك القرار . فأصبحنا منذ صدوره نملك حقاً دولياً متيناً . وقد حصلنا على موافقة انكلترة وإيطالية والميكادو . وأنا لا أطلب مبلغ الخمسة مائة مليون فرنك لتجهيز حملة عسكرية ، بل للقيام بباحثات ومفاوضات ، اما الجنود فسيكرومون للزينة فقط .. وهذا المال الذي سنصرفه ، سيكون لحل المسألة السورية فقط ..

دالاديه - أنا أعتمد من جهتي ، انه من الخطأ البين ، ان تقولوا لهذه الشعوب - المتحمسة والمصممة على التحرر والانعقاد - ان تقولوا لها ، اننا نحاول الاستيلاء على بلادك ، ونسعى إلى الانتداب عليها ..

نوبلوميير - هذا غير صحيح ..

دالاديه - انكم تفرضون الانتداب عليها .. ان الكلمات لا تبدل حقيقة

الأمر . كنتم تتكلمون في الماضي عن تغلغل سلمي ، وها أنتم الآن تتكلمون عن الانتداب . وفي الحقيقة انكم تتقدمون إلى احتلال سورية برووس الحراب ..
نوبلوميير - ان القضية فقط تقتصر على تأمين النظام الفرنسي في بلاد تسودها فوضى هائلة ، وذلك لأن النظام الوطني ، عاجز عن فرض نفسه بنفسه . وإذا كنا نرغب في فرض نظامنا إنما نفعل ذلك ، لنجني ثمرات جهودنا وأتعبنا في أقرب وقت ممكن ، ولنرى الموارد المحلية تفي بمحاجات الناس ، وتسمح للأهلين بأن يعيشوا أحراراً مستقلين ..

ليون بلوم - وما هي الوسيلة لذلك ؟ ..

نوبلوميير - الوسيلة هي فرض النظام الذي يعجزون عن فرضه بدوننا ..

بلوم - وكيف ستؤسسون أنتم هذا النظام ؟ ..

نوبلوميير - طبعاً بمعونة الدرك .. هذا أمر بديهي .. فكيف تريدوننا ان نؤمن نظاماً بدون الدرك ؟ .. فهذه الطريقة هي أساس كل حياة اجتماعية ، أو قريبة من الاجتماعية ..

لوناى - وسيكون الأمر كذلك حتى في عصبة الأمم ..

دالاديه - انني لا آسف على اشتراكى في هذه المناقشة ، حتى ولو لم أكن قد توصلت إلى أي نتيجة ، سوى حمل نوبلوميير على الافصاح عن فكرته إفصاحاً تاماً . فالأمر إذن ، هو إرسال درك وتغلغل سلمي . ولكن مينيتهى بمحكمة عسكرية ومعارك دامية . انكم إذا واصلتم هذه السياسة المحقاء ، ستعرضون البلاد إلى خطر قد ينتهي بكارثة حقيقية يابفادكم مائة ألف جندي ليموتوا في سورية .
نوبلوميير - ان الغاية تبرر الوسيلة .

دالاديه - أنا لن أصوت على رصد هذا الاعتماد . في الوقت الذي رزى فيه شعبنا بليون ونصف من أبنائه . وفي الوقت الذي يتوقب علينا فيه ان نركز قوانا لتعمير نواحيها الخربة . انني أعارض هذا المشروع ، وأرجو ان تعذروني إذ أنسحب من هذه الجلسة ^(١) ..

١ - معارك الحرية في سورية ص ٢٩ - ٣٣

ولما اتخذت عصبة الأمم في ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ قرارها بانتداب فرنسا على سورية ولبنان ، وبريطانية على العراق وفلسطين ، أرسل اللورد اللبني بوصفه قائد جيوش الحلفاء برقية إلى الملك فيصل قال فيها :

« يا صاحب السمو ، أمرتني حكومة جلالته أن أقدم لكم الرسالة الآتية :

بنتيجة المقررات التي اتخذها الحلفاء أخيراً في سان ريمو ، قد تم الاعتراف بسورية والعراق دولتين مستقلتين ، على شرط أن تتناولهما مساعدة دولة منتدبة إلى أن يحين الزمن الذي تستطيعان فيه الوقوف وحدهما .

وبناء على هذه المقررات ، قد أودعت مهمة الانتداب لسورية إلى فرنسا ، كما ان مهمة الانتداب للعراق أوكلت إلى انكلترة مع انتدابها لفلسطين ، وان حكومة جلالته تشعر شعوراً قوياً بأن الوقت قد أزف للوصول إلى خطة تأتلف بها مطالب الشعب السوري مع هذه المقررات .

وقد ذكرتم سموكم في كتابكم رقم ١٠٣ المؤرخ في ٢٨ آذار ١٩٢٠ المرسل إلى وزير الخارجية البريطانية ، رضاءكم بالسفر إلى أوروپة ، على شرط الاعتراف باستقلال الشعب السوري ، وحكومة جلالته مستعدة بناء على القرارات التي اتخذت أخيراً ، للاعتراف بسموكم مبدئياً رئيس دولة مستقلة ، إلا انها تعتقد اعتقاداً قوياً بأن قضية ملكيتكم إنما ينحصر حق البت فيها رسمياً بمؤتمر الصلح وحده ، ولذلك تلج على سموكم بأن تأتوا إلى أوروپة بدون إبطاء ، وتبسطوا قضيتكم أمام رجالها ، وسيعقد المؤتمر دورته القادمة في باريس في آخر شهر ايار (مايو) ، وتأمل أن يجد سموكم السبيل لحضور المؤتمر خلال اجتماعاته هذه .

وانني بالالاحاح على سموكم بإجابة دعوة حكومة جلالته بالسفر إلى باريس بلا انتظار ، أرغب في أن أؤكد لكم ان الباعث الوحيد لحطة حكومة جلالته في هذا السبيل ، هو رغبتها في اعطاء آمال سموكم وأمانيه الاعتبار التام ، مع منحكم الفرصة اللازمة لبسط قضيتكم بكل تفاصيلها ^(١) .

١ - اتى عن الثورة العربية الكبرى ص ١٩٩ ، يوم ميسلون ٢٩٠

وعززت فرنسا هذه البرقية برسالة وجهها الميسو ميلران إلى الملك فيصل في ١٣ أيار (مايو) ، ورد فيصل على برقية ميلران ببرقية أعرب فيها عن استياء السوريين من تقسيمهم إلى شعوب عديدة ، إذ أنهم شعب واحد وينزع نزاعاً واحداً ، ورجا الاعتراف بوحدتهم واستقلالهم . أما الدعوة التي وجهتها إليه الحكومة الانكليزية عن طريق اللورد كيرزون تارة واللورد اللني تارة أخرى ، فقد رفض تليتها مكثفاً بمساعي نوري السعيد الذي كان قد انتدبه لزيارة لندن وباريس ، وكان من المنتظر سلفاً أن تحقق هذه المساعي في تغيير مجرى السياسة الدولية .

ولم يقتصر رد الملك فيصل على مقررات الحلفاء وإنذاراتهم ، على الرسائل والبرقيات ، وإنما عمد إلى تأليف حكومة دفاع وطني ، متجاوباً في ذلك مع رغبة الهيئات الوطنية وإرادة المواطنين في اتخاذ التدابير الفعالة لصيانة استقلال البلاد وتحقيق أمانها المقدسة . وقد تألفت هذه الحكومة برئاسة هاشم الأتاسي ، وضمت ساطع الحصري للمعارف ، رضا الصلح لرئاسة مجلس الشورى ، الدكتور عبدالرحمن شهنيد للخارجية ، يوسف العظمة للحربية ، فارس الحوري للمالية ، جلال زهدي للعدلية ، يوسف الحكيم للتجارة والزراعة ، علاء الدين الدروبي للداخلية ، وخلف هاشم الأتاسي في رئاسة المؤتمر السيد رشيد رضا ، وقال الملك فيصل في الكتاب الذي بعث به إلى هاشم الأتاسي في ٣ أيار (مايو) : « عهدنا اليكم بتأليف وزارة جديدة يكون أول مهمها المحافظة على الأمن والراحة في الداخل ، والدفاع عن حقوق هذا الوطن إزاء كل من يريد به سوءاً أو يحاول الوقوف في سبيل استقلاله المقدس في الخارج . . . » كما أنه طلب من الوزارة في كتاب الموافقة على تأليفها أن تبذل كل مساعيها « في تحقيق رغبات الأمة في اتخاذ أنجع التدابير في الدفاع عن استقلالها المقدس »^(١) .

وقدمت الوزارة بياناً للمؤتمر السوري قالت فيه ان أساس خطتها هو :

١ - تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن في جملة ما يتضمنه حق التمثيل

الخارجي .

٢ - المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية ، مع رد طلب الصهيونيين بمجعل القسم الجنوبي منها وهو فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٣ - رفض كل مداخلة أجنبية تمس سلطاننا القومي ^(١) .

وانتقلت الوزارة الجديدة إلى تنظيم أسباب الدفاع ، فوسعت قانون التجنيد وجعلت مدة الخدمة العسكرية الاجبارية ستة أشهر ، وطرحت على الاككتاب قرضاً وطنياً بنصف مليون دينار سوري بضمان أملاك الدولة وبفائدة قدرها ستة في المائة لإنفاقه في وجوه الدفاع الوطني .

لقد كانت الحماسة الوطنية بالغة أوجها ، ولكن الدولة حديثة العهد قليلة الخبرة ، وهي في فقر شديد إلى السلاح والذخيرة ، وقد التحق عدد كبير من الضباط العراقيين في الجيش العربي بالثورة المشتعلة في العراق ، بل ان بعض هؤلاء الضباط ونخص منهم بالذكر جميل المدفعي وعلي جودة الأيوبي وتحسين علي هم الذين أضرمو نيران هذه الثورة من الحدود السورية . وكذلك انضم عدد من الضباط السوريين إلى الثوار المناضلين في جبل عامل وجبال العلويين والجزيرة العليا وانطاكية . ولذلك كان لا بد للحكومة من أن تطلب مزيداً من العون والمناصرة ، وقد أعرب الملك فيصل عن ذلك في خطاب ألقاه في مأدبة افطار كبرى دعا إليها رجالات البلاد ومفكرها في ٢٥ ايار (مايو) وكان آخر خطاب ألقاه في سورية ^(٢) وقد

١ - انظر مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٠٨ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٤٦ ، سورية والعهد الفيصل ص ١٦٠ .

٢ - اشار اسعد دافر الى خطاب آخر ألقاه الملك فيصل في تلك الفترة ، وربما في اليوم نفسه ، في التكنة العسكرية بدمشق وكانت خاصة بالجند ، فقال : « لا أنسى ما حييت الخطبة الحماسية التي ألقاها الملك فيصل على الجند في انهاء زيارته للتكنة ، فلا أنسى اني سمعت او قرأت ما هو ابلغ منها واشد وقعاً . ولعل المحيط الذي أقيمت فيه ضاعف تأثيرها في نفسي التي كانت حينئذ مستعدة للتأثر بكل مظاهر الحماسة ، ولكن ذلك وحده لا يمل تأثيرها العظيم في نفوس الجنود . وهذا ما يحملني على الاعتقاد بان الملك فيصل كان حتى تلك الساعة عازماً على الموت على رأس الوطنيين في سبيل الدفاع عن البلاد ، وأن ما قاله في خطبته كان صادراً من أعماق قلبه فبلغ الى أعماق نفوس السامعين » انظر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٣٦

تحدث فيه عن الانتداب وقرارات سان ريمو ، فقال :
 « أريد بهذه المناسبة ، أن أقول بعض كلمات أعلم أنها تم الأمة كثيراً ، إن
 هذه الكلمات منتظرة من الحكومة لا مني ، لأنني غير مسؤول ، ولكنني أستمع
 رئيس الوزارة فأقول :

ان الأمة اليوم في شوق عظيم إلى معرفة حالها ومصيرها ، لقد أباحونا القرار
 الذي وضع في سان ريمو ، بشأن مستقبل البلاد بصورة مجملة ، فيئس البعض من جراء
 ذلك وظن أنه قضي على مستقبلنا وأن كل سعي نبذله لا يأتي بفائدة ، وقال القسم
 الأعظم من سكان البلاد : لقد قضي علينا ونحن لا نريد أن نستعبد فلنمت شرفاء .
 هاتان هما الفكرتان السائدتان اليوم وكلاهما غير مطابقتين للحقيقة ، لأنه لم
 يقض علينا بالفناء لنأس ، ولا قضي علينا بالاستعمار لكي نقول يجب أن نموت
 شرفاء .

إذا قضي علينا ؟ من المعلوم أنه اتخذ قرار يعترف باستقلال سورية على ما يقال
 وجعلها تحت الانتداب ، ولكن ما هو هذا الانتداب ، وما هي كلفته ، وهل هو
 يقضي علينا أم لا ؟ فهذا ما لا يزال مجهولاً .

لقد اتخذت الأمة قراراً من قبل أعلنت فيه استقلالها وقالت انه يجب على الأمم
 ان تعترف به ، فكما اننا اتخذنا قراراً يوافق مصلحتنا فقد اتخذوا هم أيضاً قراراً
 لأنفسهم يلائم مصلحتهم ، وكل من الفريقين يدعي الحق لنفسه ، ولكن ما بينهما من
 الود لا يجعل أحدهما يعتدي على حقوق الآخر ، وإن كان كل منهما ينظر إلى
 مصلحته قبل مصلحة سواه .

الأمة السورية أعلنت استقلالها وفقاً لمصالحها ، أما الدول فمع اعترافها بهذا
 الاستقلال فقد اشتطت له شروطاً ثلاثاً مصالحها أيضاً ، وعندما أعلننا استقلالنا قلنا
 باحتواء مصالح الجميع لتكون في تآلف مع الشعوب التي حاربنا معها ، ثم ان
 الدول وضعت شرطها وقالت لنا تعالوا نؤلف بين مصالحنا ومصالحكم ..

فيظهر من هذا انه لا ضير علينا حتى الآن ، وان أبواب المذاكرات ما زالت
 مفتوحة لكلا الفريقين ، ويجب أن يُعلم انه ينظر إلينا اليوم كامة مستقلة .

ان كلمة الانتداب لا حد لها ولا معنى صريح وقد رفضتها الأمة رفضاً باتاً ، ولا يقبلها أحد يريد الحياة ، فهي كلمة مطاطة تفسر طوراً بأشد أنواع الاستعمار وثارة بأخف ضروب المعاونة الودية التي لا تمس الاستقلال ، ومع ذلك فقبولها عار على كل أمة تريد الحياة .

أرجو من الأمة أن تعرف أن رئيسها أو حاكمها أو ملكها الذي انتخبته هو على هذا المبدأ ، لا يرضى أن يقال ان المملكة التي هو رئيسها تحت قيود مملكة أخرى ، فالأمة التي عاشت قروناً عديدة ومدنت العالم لا يمكن أن تنقيد بهذه القيود ، وأريد ألا يكون رفض الأمة للانتداب اعتماداً على القول فقط .

تذكرون جميعكم انني كنت أقول دائماً ولا سيما بعد رجوعي من أوربة أن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى . أنتم تطلبون مني الاستقلال وأنا أطلب منكم الوسائل . تذكرون اننا لما كنا تحت سلطة الاحتلال وكانت الحكومة بدون قوة اجرائية والأمة محتاجة إلى القوة أي إلى الجسد أردت أن أظهر للأمة ضرورة التجنيد فتطوعت جندياً بسيطاً ، ولم يكن في الامكان حينئذ وضع قانون للتجنيد بسبب الاحتلال ، فلما جلا الجيش البريطاني عن البلاد رأت الحكومة ضرورة التجنيد لحفظ النظام أولاً وللمدافعة عن البلاد ثانياً ، فوضعت قانون التجنيد ، ورأينا الفرق بين الجند عندما كان مطبوعاً وبقي أكثر من سنة دون أن تتمكن من تنظيم قطعة للعرض فضلاً عن الدفاع ، على أنه لم ير شهران على وضع القانون حتى رأينا أن لنا جيشاً ولو قليلاً ، ونظاماً ولو في حالة الطفولة . ولكن الحكومة ترى أن هذا الجيش لا يكفي لحاجة البلاد داخلاً وخارجاً ولا سيما أن هذا القانون استثنى قسماً عظيماً من الخدمة .

ان الأمم تنظر الينا من وجهتين : الأولى نظرة صديق يريد منا أن نظهر بمنظور منظم عظيم ، ونخشى وقوع حادث مكدر ، يعكر علينا ويفسح مجالاً لإظهارنا بمنظور الهمجية ، والثانية نظرة فريق ربما يطمع فينا ، فالحكومة مجبرة على إيجاد القوة التي تفرح صديقها وتدعم كيانه وتحافظ على نظامها ، لا سيما وان المناطق السورية المحتلة هي في حالة فوضى أخشى أن تسري الينا ، وتسيء سمعتنا في الخارج ، فيجب أن تسهر الحكومة على حفظ النظام في الداخل وعلى إيجاد قوة نجعلنا محترمين .

من أصدقائنا وأعدائنا وان كنت لا أعرف أن لنا عدواً .
ان الأمة تريد الاستقلال وترى أن كل وزارة وحكومة لا تعلن انها دفاعية
لا تصلح لها ، فالأمة التي تطلب هذا يجب أن تقدم الوسائل اللازمة له من المال
والرجال .

يجب ألا يتسرب اليأس إلى نفس أحدنا ، وعلى المفكرين والعقلاء وأرباب
الصحف أن يجولوا دون ذلك ، فنحن سنعيش ولن يمس استقلالنا بسوء ، ولا شك
ان هذه الأمة التي بذلت عشرات الألوف من الضحايا في غاليسيا والقفقاس ويران
والروماني خدمة لمصالح غيرها ، لا تتأخر عن بذل اضعاف ذلك دفاعاً عن كيانها
وحريتها ولو كانت خارجة من حرب طويلة مهلكة .

ولما كان من غير المستطاع إيجاد جيش بلا مال فقد أصدرت الحكومة قرصاً
مضموناً ، يمكنها من إيجاد قوة تضمن حياتها المقبلة ، فأرجو من الأمة أن تقبل
عليه ، وتثبت للعالم المتمدن أنها لا تحتاج من الخارج حتى ولا للمال ، فلديها كل
شيء عند اللزوم .

لقد اعتادت الحكومات أن تصدر قروضاً عند وقوع الأزمات ، وعندئذ
يكون إقبال الأمم على القروض مقياساً لحياتها ، فأريد أن يصادف هذا القرض
إقبالاً عظيماً ولا سيما انه مضمون برهائن تعود بفائدة عظيمة على حاملي اسناده ،
فأستنهض الهمم إلى الإقبال على القرض والجندية ولا شك في أنه لا يتأخر عن ذلك
إلا من كان عدواً للوطن .

ان جميع الحاضرين هنا هم أعين هذه الأمة ، التي ترى صالحها ، واتجاهها ، فعليهم
أن يسعوا لإرشادها إلى هاتين الغايتين الشريفتين : المال والجندية ، فيكونوا بذلك
خير مساعد لحكومتهم وأمتهم .

هذا ما أرجوه من الأمة وأوصيها بالانصراف إلى الجد والزمانة في جميع
حركاتها وسكناتها ، أما الذين يقولون بالاستماتة في سبيل الحياة الحرة والموت الشريف
فاني أندس في فكرتهم وأعد نفسي فرداً من أفرادهم ، وإذا دنت التهلكة أكن
أول من يموت ، ولكنني أطعمتهم على انه لم يحكم علينا بالأعدام ، فهذا الحكم لم يصدر

ولن يصدر ، وعلينا أن نستعد ونتروى ، وألا تكون حركاتنا تابعة للخيالات بل للماديات والمحسوسات .

ان مسألة سورية من أعظم مشاكل العالم التي يصعب حلها فلا يحكم فيها نهائياً بمجرد قول جريدة أو خطبة شخص مسؤول أو غير مسؤول ، فالحكومة التي رئيسها أمامي أسأله أنا والأمة عن نتيجة الحالة وهي تنتظر اليوم نتائج الأمور .
أريد من الأمة، أن تثبت إلى النهاية، وأن تنتظر النتيجة بروابة جاش ، وقد حكومتها بالجنود والمال ، وتبذل جهدها ، والتوفيق منه تعالى ، وأرجو أن نكون في العام القادم حول هذه المائدة وقد نسينا هذه الأيام العصية ^(١) .

وكان الدكتور عبد الرحمن شهنندر من أشد المعجبين بالملك فيصل وما كان يتميز به من بطولة ووطنية وعظمة حقيقية لا تعرف الزيف والخل ، وقد روى ابن استراكه في الوزارة الأتاسية أتاح له ان يرى جلالة يعمل في أخرج الأوقات ، وقال : « وأذكر هنا حادثة ندل على ما تحلى به من الموهبة السياسية وكيف كان سابقاً إلى رؤية الخطر المدام ومحيطاً بالقواعد الأساسية التي تسيّر بموجبها الشؤون من غير أن يغرق في التفاصيل ويرتبك بالشؤون العرضية الثانوية مشغولاً بها عن الأمور الجوهرية الأولية . فقد كنا ذات يوم في مجلس الوزراء نعالج مشاكلنا مع الفرنسيين كالعادة ، ونسعى بكل ما أوتينا لدفع كارتهم عن البلاد، ولم يكن في الأفق السياسي حدث جديد يدعونا إلى الاضطراب ، فدخل علينا الملك وعليه علائم الاضطراب والقلق كأنه يتوقع بلاء ، ثم قال : « انني لأخشى أن تسيّر أمور الدولة من الآن فصاعداً في الوعر ، وأن تتكوّم العقبات أمامنا ، فقلنا : « ما الذي حدث ؟ » فقال : « ان الفرنسيين عقدوا اليوم أساس اتفاق مع الترك ، وستفرغون لمعالجة القضية السورية ، لأن اتفاقهم مع الترك يعني توفير جيوشهم في الشمال لمحاربتنا في الجنوب » وقد صدق ظنه وجاءت النتائج طبق ما توقع لأت

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢١٣ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ ، يوم ميسلون ص ٢٣٩

الجنرال غورو حالما حصل على هذه الراحة في الحدود الشمالية تمر وكشر عن قابله .
ولو أوتي المليك الحالم حزمًا على قدر فطنته وبعد نظره ، لتمكن من استغلال
ضعف الفرنسيين لمصلحة سورية عندما كان يعصرهم الترك عصرًا يقطع الأنفاس في
جهات اورفة وماردين وعينتاب (١) .

وما دمنا قد استشهدنا برأي الدكتور شهنذر في الملك فيصل ، فإنا نرى من
المفيد ان نضيف اليه رأي الأستاذ ساطع الحصري ، وكل منها قد عمل معه عن
كثب واطلع على دخائل نفسه في ظروف متنوعة وتبين خصاله بكل تفصيل وكل
تأكيد ، وقد رسم الأستاذ الحصري صورة رائعة له في مقال بعنوان « فيصل
الكبير » جاء فيه : « .. ونظرًا إلى ما لاحظته في هذه الظروف المتنوعة خلال
تلك السنين الطويلة ، علمت بأنه كان يتأثر بخصال قيمة جداً ، تجعله وجعله عظيماً
بكل معنى الكلمة . انه كان ذكياً حاد الذكاء ، ومرناً خارق المرونة ، كان
يتمتع بحياة شديدة ، وفعالية لا تعرف الكلال ، وكان قادر المثل في روح المثابرة
وفي شيمة التعقب ، وفوق كل ذلك ، كان يحمل في طيات جنبه وطنية حارة عميقة
تدفعه إلى العمل في سبيل الوطن بدون انقطاع ، وتجعله مستعداً لتضحية كل ما هو
عزيز عليه ، عند الاقتضاء . ان اجتماع هذه الأوصاف والمزايا في نفس الملك فيصل ،
جعل حياته مثلاً رائعاً للتطور الدائم والتقدم المستمر والارتفاع السريع . كان
كل يومه أحسن من أمسه بدرجات كبيرة ... » (٢)

أما الدكتور أحمد قنري الذي كان طيب فيل الحاص ومرافقه الدائم فيقول
عنه : « أنه صاحب قدم سابقة في الجهاد ، وصاحب يد سابعة على الأمة العربية بما
قدم وبذل . وقد بدت غيrote على أمة منذ كان في دمشق إلى جانب جمال الطاغية ،
ثم ظهرت عبقرية الادارية وذكاءه الملتزم خلال حربه للعثمانيين ونجشيمهم الهزيمة ،
ثم كان له تبصره السياسي في الاستباق إلى دخول دمشق كفانح عربي إلى جانب

١ - المخطف ، عدد اكتوبر ١٩٢٢

٢ - مجلة « الاديب »

جيوش الحلفاء ، وتسلمه مقابل الحكم وتصريفه الأمور طبق سياسة حازت رضى الجميع وتأييدهم . والواقع الذي لا ينكر ان فيصلاً كان موقفاً في أوربة بمواقفه الحازمة وسياسته المثلى ، وقد وجد من الرئيس ولسن خير ظهير . ولكن خذلان انكلترة اياه تنفيذاً لاتفاقها مع فرنسة على اقتسام البلاد المنفصلة عن تركية ، وانعزال امريكة عن التدخل في السياسة الأوربية ، ومؤامرة عصبة الأمم في مؤرّيع الانتدابات على الأمم الضعيفة مخالفة بذلك مبدأ تقرير المصير الذي أعلنه ولسن وارتضته كافة الدول في سياستها ، خالت دون تحقيق غاياته النبيلة ، زد على ذلك قنعت الفرنسيين وإصرارهم على احتلال سورية ولبنان كيفما كان ^(١) .

وبينما كان المسؤولون يفكرون في مواجهة الخطر في كثير من القلق والاضطراب ، وكان الملك فيصل يحاول معالجة الموقف بالمفاوضات السياسية وانتظار قرارات مؤتمر الصلح ، احتلت مفرزة فرنسية محطة سكة حديد رفاق الكبرى في البقاع ، وتقدمت قوة أخرى من جرابلس في شمال سورية وعسكرت على نهر الساجور ، فاحتج الملك على ذلك احتجاجاً شديداً وأبلغ ممثلي الدول الأجنبية مذكرة قال فيها :

« لقد احتلت رفاق قوة فرنسية بقيادة الكابتن هاك حاكم زحلة العسكري ، ووصلت قوة أخرى إلى نهر الساجور . وقد حدثت هذه الحوادث فجأة ومن دون موافقتنا بل من دون اطلعنا عليها قبل وقوعها ، وهي لا تتفق مطلقاً مع التأكيدات التي نلناها ، محافظة على الحالة الحاضرة . ورغبة منا في انقاذ السلام وفي المحافظة على روابط الصداقة والود حتى النهاية ، لم نتخذ حتى الساعة أي تدبير في مقابل هذه الأعمال العدائية . ويظهر لي بجلاء وثقة ، ان الثقة التي وضعناها في حلفائنا الافرنسيين ستنتهي باحتلال بلادنا كلها ، وبيت صلات الصداقة والود بيننا وبينهم . وفي الختام اني آسف لإبلاغكم بأننا نعتبر الحركة الجديدة للجيش الافرنسي في داخل منطقتنا ، عملاً عدائياً تقع تبعته كاملة على عاتق مسيه » .

وقد ادعت السلطة الفرنسية بأن ما جرى في شمال سورية لا يزيد على إبدال

جنود المخافر الأمامية على الحدود التركية بجنود غيرها ، وبرت احتلال رباق بأنه رد على احتلال الجنود السوريين لمجدل عنجر . ولما أبدى الملك استعدادة لتخفيض القوات السورية في مجدل عنجر وإعادتها إلى ما كانت عليه قبلاً ، إذا ما جلت القوات الفرنسية عن رباق والمعلقة ، لم يتلق أي جواب .

وغالى الجنرال غورو في موقفه فمنع الملك من السفر إلى أوربة للاتصال بمؤتمر الصلح لعله يظفر بمعاونة محبي السلام لدفع الكارثة ، وكان فيصل قد أرسل مستشاره السياسي نوري السعيد إلى الجنرال لتأمين هذه الغاية ، فكان جوابه ان سفر فيصل إلى أوربة يتوقف على قبوله الانتداب الفرنسي أولاً ، وانه يخشى إذا سافر بغير طريق بيروت ان لا تستقبله فرنسة ولا تعرف اليه ^(١) .

واحتج الملك فلم ينفع الاحتجاج ، ثم كلف فنصل ايطالية ^(٢) وغيره من القناصل تبليغ احتجاجه لحكوماتهم وجمعية الأمم لتعذر إرسال برقياته بغير تلك الوسيلة ، وطلب تأليف لجنة تحكيم دولية لحسم الأمر ، متعهداً بالخضوع لقرار لجنة التحكيم ، راجياً تدخل الدول حقناً للدماء ومنعاً لخراب البلاد ، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح .

(١) سورية والعهد والفيصل ص ١٧٥

(٢) كان المركيز باتيرنو دي مانكي فنصل ايطالية يعطف على القضية العربية ، وكان رجالات

العرب في دمشق يستمعون برأيه في بعض الازمات .

الفصل الثاني والعشرون

عاصفة على دمشق

كان يوم الرابع عشر من تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ يوماً حزيناً كثيراً في حياة دمشق وحياة فيصل بن الحسين ، انقلبت فيه حلاوة الملك إلى مرارة ، وتحولت أضواء النصر إلى مخاوف ونذر . فقد كانت المفاجأة الأخيرة في سلسلة المتاعب والأزمات ، الانذار الذي وجهه الجنرال غورو إلى الملك في ذلك اليوم ، وهو إنذار شديد اللهجة خاطب فيه الملك فيصل بوصفه قائد جيش الحجاز ، واعتبره محتلاً لسورية ، وسمى القوات السورية القوات الشريفة والمؤتمر السوري مجلساً يحكم باسم حكومة ودولة لم يُعترف بوجودهما . وقضت الانذار البنود الخمسة التالية :

١- ان ترضى الحكومة العربية بالانتداب الفرنسي الذي هو مجرد مساعدة من الدولة المنتدبة لا تمس استقلال البلاد !

٢ - ان توقف التجنيد وتخفيض عدد أفراد الجيش .

٣ - ان ترضى بالتعامل بورق النقد السوري .

٤ - ألا تمنع في احتلال محطات خطوط رفاق وحلب وبعبك وحمص وحمه

احتلالاً عسكرياً مع احتلال مدينة حلب نفسها^(١).

هـ - ان تعاقب الثائرين .

واشترط الجنرال تنفيذ هذه البنود قبل الثامن عشر من تموز (يولييه) ، وبدأت جيوشه خلال ذلك استعدادها للزحف من لبنان .

وإلى القاريء نص هذا الانذار التاريخي الذي بورت فرنسا به احتلالها لسورية وزحفت جيوشها على اثره للسيطرة عليها ، ونستهله بالرسالة التي أرفقت بالانذار :

« يا صاحب السمو ، أتشرف بأن أرسل مذكرتي المؤرخة ١٤ يوليو ، أقدمها إلى سموكم الملكي وأناشد أخلاقكم السامية ووطنيتكم الصحيحة وشعوركم الودي نحو فرنسا أن تقبلوها .

« لقد برهنت فرنسا من جهتها على إخلاصها لسورية بقبولها القيام بمهمة ارشاد الدولة الجديدة وقيادتها بنزاهة . ولذلك أريد أن أظن أن سموكم الملكي سيصغي إلى صوت الحكمة في معالجة هذه القضية الخطيرة فلا يتضامن مع حكومة لا تمثل سوى الأحزاب المتطرفة من الشعب .

« ولا أفكر أنني قادر على ان أعول في تنفيذ الضمانات التي تشرفت بطلبها على سموكم الملكي إذا تولت ذلك الحكومة فبقاؤها في مناصبها ينطوي على معنى العداء لفرنسة وقد بذلت جهدها لجر بلادكم إلى الحرب والقائما في أتون بلاياها ولن يعصمها

١ - كانت السلطات السورية قد رفضت ان تسهل للجنرال غورو استعمال السكة الحديد لإرسال القوات والذخائر إلى كيليكية حيث كانت الجيوش الفرنسية مشتبكة في معاربة القوات التركية الكمالية ، وكانت نتيجة ذلك ان شعر الفرنسيون بحرج مركزهم في كيليكية فاتفقوا مع مصطفى كمال على الجلاء عنها واسترداد قواتهم منها ، ودفنوا بها فجأة إلى سورية . ويروي أمين سميد أن بعض الفئات كانت تنمو إلى تعاون سورية وتركية الكمالية للقاتلة الفرنسيين حتى النهاية وحملهم على الاعتراف باستقلال سورية ، وقد سافر يوسف المظلة إلى أمزاز على الحدود التركية وتباحث مع مندوبي الحكومة الكمالية في انشاء تعاون عسكري بين الحكومتين ، فوعده بان يطلعوا حكومتهم على اقتراحاته ويبلغوه الجواب ، ولكن الهدنة التي عقدها فرنسا مع الاتراك أوقفت المباحثات عند ذلك الحد (انظر الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٤٩) .

سوى تصرف سموكم الملكي، وحده .

وهذا نص الانذار :

باسم الحكومة الفرنسية ، لي الشرف بأن أعرض على سموكم الملكي لآخر مرة، موقف هذه الحكومة ازاء السلوك الذي سلكته حكومة دمشق منذ مطلع هذا العام .

« سادت السكينة سورية امان الاحتلال الانكليزي ولم يتعكر صفو الأمن ويبدأ الاضطراب فيها إلا لما حلت جنودنا بحل الجنود البريطانية وقد أخذت هذه الاضطرابات تزداد من ذلك الجين .

« ولقد أثرت هذه الاضطرابات في رقي سورية ونظامها السياسي والاداري والاقتصادي أكثر من تأثيرها في سلامة جنودنا وفي الاحتلال الفرنسي في المنطقة الغربية . فحكومة دمشق تحمل كل التبعة ازاء سكان سورية الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا بأن تمتعهم بحسنات ادارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والتساهل والثروة، وإن أمانى الولاء والتعاون التي أظهرتها فرنسا لسموكم بتأييدها حقوق السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم ويقطنون القطر السوري بحكم أنفسهم بأنفسهم كأهم مستقلة قد أجاب عليها سموكم معترفاً بأن لسكان سورية مصلحة كبيرة في طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شؤون الأمة نظراً للتضعف الذي أصاب البلاد من الارهاق التركي والاضرار التي نتجت عن الحزب ، وتلك المشورة والمساعدة ستسجلها عصبة الأمم عندما تتحقق بالفعل . وقد دعا سموكم الملكي فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية .

ولما كنتم تفاوضون الحكومة الفرنسية في شهر يناير الماضي وكانت العصابات الخارجة من دمشق تجتاح المنطقة الغربية أرسل إليّ مسيو كامنصو البرقية الآتية :

« عندما بلغني خبر هجوم البدو في جنوب سورية وشمالها قلت للأمير فيصل انني اتفققت معه موقفاً على بعض المبادئ، وانني أحافظ أتم المحافظة على كلامي ولكن يجب أن يقابل خطتي هذه بمثل ما فيها من الاخلاص وأن يجعل سلطته محترمة على أنصائه فإذا لم ينفذ هذان الشرطان تنفيذاً دقيقاً فالحكومة الفرنسية تستأنف

العمل بجرية وتستعمل القوة لتأييد النظام واحترام الحقوق التي لها من المؤتمر ،
والبيان الآتي يوضح جلياً كيف ان حكومة دمشق لم تنقطع عن انتهاج خطة
معادية ومخالفة تمام المخالفة لسياسة التعاون التي رعى اليها رئيس الوزراء وتعهدهم
بتطبيقها .

١ - عداء جلي على قواطنا :

ان إصرار حكومة دمشق على رفض السماح للسلطة الفرنسية باستعمال سكة
رياق - حلب الحديدية هو عمل عدائي بحت . فالحكومة لا تجهل أن تلك السكة
لا بد منها لإعاشة إحدى فرقنا الفرنسية في الشمال وتمكينها من القتال . وهذه
الفرقة تقاتل قوات معادية تابعة لتركيا التي انتزع الحلفاء الظافرون سورية من
ربقتها ودفاعاً عن حدود حكومة سورية الجديدة التي يجب أن تربطنا بها روابط
المصلحة وعرفان الجليل .

ان حكومة دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدامها ضد
جنودنا المحتلة . وهذا المبدأ أعلنه قائد الفرقة الثالثة في حلب صراحة يوم ١٣ ابريل
بالقول الآتي :

« لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على الفرنسيين يجب علينا أن نغلق
البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجاً وسيقود ضباطنا هذه العصابات فإذا استشهد
أحدهم تعيل الحكومة عائلته » .

واليك الأدلة الآتية على دقة تنفيذ هذه الخطة :

في ١٣ كانون الأول - ديسمبر سنة ١٩١٩ هوجم موقعنا في تل كلخ بتحريض
السلطة الشريفة في حمص وفي أواخر ذاك الشهر ذبح بدو محمود الفاعور الذي قلم
لي يا صاحب السمو الملكي انه صديقكم الشخصي مسيحي مرجعوت وهجم على
جنودنا في ٤ يناير رافعاً العلم الشريفي .

وفي ٥ منه سنة ١٩٢٠ تحقق وجود الجنود الشريفة بين الذين هاجموا جنودنا
تحت قيادة ثريا بك (بركات) في فريق خان ثم في الحمام .

وفي حزيران - يونيو ثبت وجود أميرالاي و يوزباشي وستة ملازمين و ٣١٧ رجلاً من

الجيش الشريف بين العصابات التي كانت تعمل في ساحة مرجعيون وثبت استعمال معدات مأخوذة من الجيش نفسه وهي أربعة رشاشات ثقيلة وثلاثة خفيفة وخمسون صندوق ذخيرة وظهر أيضاً اشتراك محرضي المنطقة الشرقية في الاضطرابات التي امتازت بمذابح (عين ابل) وفتنة الشيعة في شهر حزيران - يونيه .
ثم ان منظمي العصابات محترمون كل الاحترام في دمشق لا سيما صبحي بركات الذي لا يجمل أحد إساءته اليه .
وعندما لم تكن العصابات ترسل من المنطقة الشرقية كانت للفتنة تثار في المنطقة الفرنسية نفسها .

وبهذه الأعمال وقعت اعتداءات عديدة على المسيحيين لاسيما في جسر القرون في ٢٩ كانون الأول - ديسمبر حيث تقع التبعة على الضابطين الشريفين واحد بك وتحسين بك .
وقد ساعد الشيخ صالح (العلي) بطل الفوضى والبغضاء لنا مساعدة مؤثرة مستمرة في جبال النصيرية .
ومن الممكن تعداد كثير من هذه الأمثلة وقد عرضناها على سموكم الملكي في حينها .

٢ - سياسة حكومة دمشق العدائية :

رأى سموكم الملكي إدخال أشخاص مشهورين بعدائهم لفرنسة في حكومة دمشق وكان تأثير المحيط شديداً عليكم حتى انكم لم تتمكنوا من السفر في الوقت المناسب تلبية لدعوة مؤتمر الصلح، وقد تألفت الوزارة من أناس من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسة ورفض مساعدتها بل تتناول، المجلس الأعلى الذي منحه فرنسة الانتداب لسورية .

ان رفض انتداب فرنسة رفضاً باتاً في ١٨ أيار - مايو الماضي هو خطة عياء قد تجر نتائجها المصائب على سورية .

٣ - التدابير الادارية ضد فرنسة :

ان التمتع الاقتصادي الظاهر في رفض ورق النقد السوري الجديد الذي أصدره البنك السوري لحساب فرنسة ومنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك

سورية في المنطقة الشرقية هو دليل جديد على عدااء مضر بمصلحة البلاد أيضاً .
وكذلك منع نقل الجيوب إلى المنطقة الفرنسية مبتدئاً من حماه فدمشق فحلب .
ثم ان السلطة الشريفة اجتازت حدود المنطقة الشرقية وتقدمت تدريجاً داخل
المنطقة لتظهر أنها توسعت توسعاً يقصد به إخراجنا .

ففي شهر آذار-مارس وضع مخفر شريفي في الحالصة ثم رفع العلم الشريفي على
القدموس بعد ذلك بقليل وفي نيسان - ابريل جعلت حكومة حلب القصور قضاء
شريفياً . ثم نصب قائمقام شريفي في جسر الشغور .

٤ - أعمال عدائية موجهة رأساً إلى فرنسا :

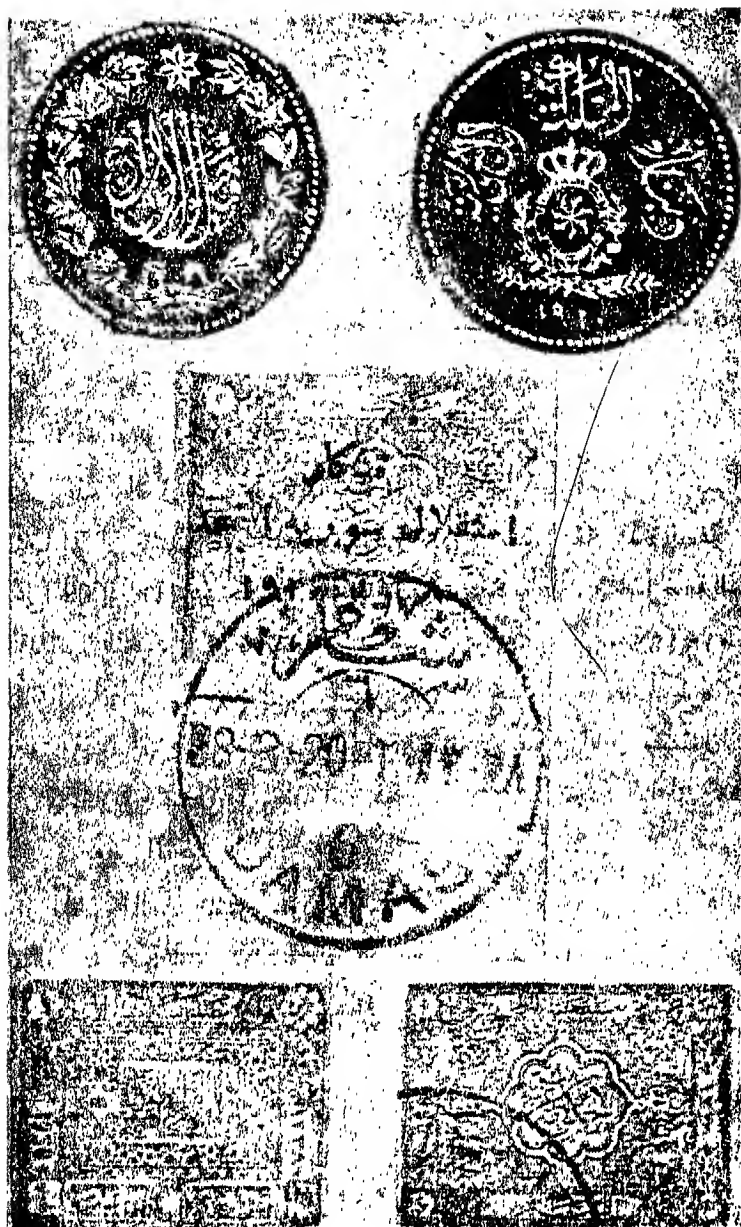
ان من كان صديقاً لفرنسة أو موالياً لها في المنطقة الشرقية يكون مشتبهاً به
من السلطة ويعامل معاملة سيئة في أغلب الأحيان ومن الأدلة الظاهرة على ذلك ان
فارس غنطوس ونسيب غبريل اللذين ضمنّت حكومة دمشق رسمياً رجوعهما إلى راشيا
أسيئت معاملتهما ووضعاً في السجن بعد رجوعهما .

وفي ٢٢ كانون الثاني-يناير هوجم وفد من دروز حوران جاء للسلام علينا أثناء
عودته في وادي القرن وقتل عدد من رجاله .

ولدينا أمثلة عديدة على ذلك ولا سيما في حلب أما من كان عدواً لنا فانه يحترم
في المنطقة الشرقية ويحمى من كل شيء ويحل على الرحب والسعة ، فقد احتفل
بالدنادشة احتفالاً كبيراً في دمشق بعد حوادث تل كلبخ ولم يسب بسوء في دمشق
أمين محيو الذي نسب مستودع العتاد الحربي في بيروت ، ثم ان سموكم الملكي سعى
مؤخراً لرجوع كامل بك الأسعد الثائر المشهور إلى المنطقة الغربية وهو قد نفى
بسبب فتن بلاد الشيعة وعليه قسم عظيم من تبعته .

وعدد سكان المنطقة الشرقية الذين أكسبهم عداؤهم لنا عطف الحكومة عظيم
جداً .

ان بث الدعوة ضد فرنسة في المنطقة الغربية قد ألبسته حكومة دمشق أشكالاً
خبيثة أرادت السلطة الفرنسية أن تغض عنها لأنها قررت اتباع سياسة
التساهل إلى النهاية .



الدينار السوري والطوابع البريدية السورية في العهد الفيصلي

وآخر هذه الأعمال وأظهرها شراء القسم الأعظم من أعضاء مجلس الإدارة
بائنين وأربعين ألف جنيه مصري .

وقد ألفت مخافنا القبض على هؤلاء الأعضاء في ١٠ تموز-يولييه بينما كانوا ذاهبين إلى
دمشق لبيع بلادهم منكرين الأمانى التي أعرب عنها مواطنوهم بالاجماع تقريباً منذ
عهد بعيد .

ان صحافة دمشق التي تفرط الحكومة في شد أزرها تواصل دائماً حملاتها على كل
ما هو فرنسي وتقبّح السلطة المحتلة في المنطقة الغربية وتزد كل مساعدة تعرضها
فرنسة على سورية وتيني أقبح إهانة .

٥ - الاعتداء على الحقوق الدولية :

بمقتضى هذه الحقوق يجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطراً سورياً لا بد أن
يظل عثمانيّاً إلى ان يقتضى تنفيذ المعاهدة بتغييره أن لا يعمل بغير هذه الصفة وأن
يحافظ على الحالة الراهنة وهو حارسها . ولكنه تصرف عكس ذلك متخذاً صفة السيادة
العليا وقد تقرر التجنيد الاجباري ونفذ منذ كانون الأول-ديسمبر سنة ١٩١٩ مع ان
البلاد لا تزال بلاداً أجنبية وهذا العبء الثقيل الذي لا يجدي نفعاً قد أكره عليه
الشعب حتى في المناطق التي لها شكل خاص كالبقاع . ونفذ في أناس مستثنين منه
كاللبنانيين والمغاربة المقيمين في المنطقة الشرقية . ولاقى هذا التجنيد الباطل مقاومة
نزيفة أدت في بعض الأحيان إلى إراقة الدماء .

ثم ان المجلس الملقب بالمؤتمر السوري الذي تألف واجتمع بصورة غير قانونية
يسن القوانين بل يحكم باسم حكومة ودولة لم يعترف بوجودها . فضلاً عن ذلك
فقد قدم اللقب الملكي لسموكم الملكي بدون حق ولا وكالة مما وضعكم كما عبرتم عن
ذلك في موقف التمرد على مؤتمر الصلح .

ولم نحترم الامتيازات الأجنبية فان أحد رعايانا الأمير مختار الذي يمثل أسرة
كبيرة اشتهرت منذ القدم باتصالها بفرنسة قد أوقف ايقافاً معيباً في حلب .

ولست الاتفاقات السياسية محترمة أيضاً . فان لواء من الجيش الشريفى أرسل إلى
مجدل عنجر رغم الاتفاق الذي تم في كانون الأول-ديسمبر الماضي مع المسيو كلنصو

والذي يقضي أن لا نخل في البقاع قوة شريفة أو فرنسية .

٦ - الأضرار التي أصابت فرنسا وسورية من ذلك :

لم تستطع السلطة الفرنسية حتى الآن ان تنظم البلاد التنظيم الذي تنتظره منها لأنها اضطرت إلى صرف قواها وجهودها لقمع الفتن المتوالية ومواصلة المفاوضات السياسية الجدية العقيمة مع حكومة دمشق، فهي والحالة هذه غير مسؤولة عن هذا التأخير بل تتحمل العبء العسكري والمالي الذي تقضي به الحالة التي أوجدتها حكومة دمشق ولا يمكن أن تؤثر على التكاليف في الميزانية السورية سواء بفقد الدخل الذي ينشأ عن استمرار الفوضى أو بالاشتراك في نفقات السيادة التي تلحق بها في المستقبل .

ولقد بلغت حالة الفوضى التي أوجدتها مثيرو الفتن في البلاد حداً دعا إلى استجلاب قوات كبيرة أعظم عدداً مما يدعو اليه استبدال جنود انكليزية ابان السكينة

وأن هذه الأسباب تدل دلالة كافية على انه لا يمكن بعد الآن أن نعتد على حكومة جاهرت فرنسا بالعداء كل الجاهرة وأخطأت نحو بلادها خطأ عظيماً بظهورها عاجزة عن تنظيمها وإدارتها .

لذلك ترى فرنسا أنها مضطرة لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنودها وسلامة السكان التي نالت من مؤتمر السلم مهمة الوكالة عليهم فأتشرف بأن أبلغ سموكم الملكي أن هذه الضمانات هي كما يأتي :

١ - التصرف بسكة رفاق - حلب الحديدية لإجراء النقلات التي تأمر بها السلطة الفرنسية ويؤمن هذا التصرف بأن يراقب مفوضون عسكريون فرنسيون جميع ما ينقل في محطات رفاق وبعلبك وحمص وحماه وحلب تعضدهم قوة مسلحة مخصصة للمحافظة على المحطة واختلال مدينة حلب التي هي نقطة مواصلات هامة لا يسعنا أن نتروكها تسقط في يد الترك .

٢ - قبول الانتداب الفرنسي .

ان هذا الانتداب يحترم استقلال أهالي سورية ولا يناقض مبدأ الحكم بسلطة

سورية تستمد قوتها من ادارة الشغب ولا يتضمن سوى معاونة بشكل مشاعنة وتعاون مع الدولة المنتدبة دون أن يتخذ مطلقاً شكل استعمار أو الحاق أو ادارة تفندراً أساساً.

٣ - قبول الوق السوري .

تصبح هذه المعاملة عملة وطنية في المنطقة الشرقية فتلغى جميع الأتكام المتعلقة بالبنك السوري في المنطقة الشرقية .

٤ - تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداوة لفرنسة .

وهذه الشروط أقدم جملة ويجب قبولها جملة أيضاً بلا أدنى فرق خلال أربعة أيام تبتدىء من نصف ليل ١٥ تموز - يولييه (أي ١٤ منه الساعة ١٢ ليلاً) وتنتهي في ١٧ منه الساعة ٢٤ (أي الساعة ١٢ ليلاً).

فاذا جاءني علم من سموكم قبل هذا الموعد بقبول هذه الشروط فيجب أن تكون قد صدرت أوامركم في الوقت نفسه إلى المراجع اللازمة لكي لا تعارض جنودى الزاحفة لاحتلال المواقع المعينة ، ثم ان قبول الشرط الثاني والثالث والرابع يجب أن يؤيد رسمياً قبل ١٨ منه . أما تنفيذها بالتام فيكون قبل ٣١ منه الساعة ٢٤ (نصف الليل) .

وإذا كان سموكم الملكي لا يشعرني في الوقت اللازم بقبول هذه الشروط أتشرف بأن أبلغه أن الحكومة الفرنسية تكون مطلقة اليد في العمل . وفي هذه الحالة لا أستطيع أن أؤكد أن الحكومة الفرنسية تكتفي بهذه الضمانات المعتدلة . ولا تقع على فرنسا تبعة المصائب التي تحمل بالبلاد فهي قد برهنت على تساهلها من زمن طويل وفي الآونة الأخيرة ، فحكومة دمشق هي التي تتحمل جميع أعباء مسؤولية فصل الخطاب الذي لا أنظر اليه إلا آسفاً ولكني مستعد له بمثابة لا تترزع^(١) .

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٦٧ ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٢٨ ، مذكرات حسن الحكيم ج ١ ص ١٣ ، يوم ميسلون ص ٢٩٩ ، اليهود المتعلقة بالوطن العربي ص ١٩٧

وعصفت الحيرة إثر ذلك بالحكومة العربية المستقلة في دمشق ، واستولى القلق على أفراد الشعب ، واضطرب الملك فيصل أمام الحيات المتراصة التي كان يمني بها بعد أن أجزل الحلفاء له الوعود والعهود ، ورأى يوسف العظمة أن يقاتل السوريين دفاعاً عن الاستقلال الذي بذل العرب في سبيله دمهم بسخاء ..

ولكن ما كاد الامر يبحث جدياً في مجلس الوزراء حتى قال ياسين الهاشمي وهو قائد منطقة دمشق^(١) ، انه لا يستطيع النهوض بأعباء الدفاع عن هذه المنطقة ، لأن الجيش أضعف من القيام بهذه المهمة .

واعترف يوسف العظمة بأن الجيش لا يزال ضعيفاً غير قادر على النهوض بالأعباء الجسام ، ولكنه أصر على ضرورة القتال وقال ان ذلك واجب لثلاثة أسباب : أولها ان الشعور الوطني يأبى على المرء أن يسلم بلاده للغزاة دون أن يستنفد في دفع العدوان قواه ، وثانيها ان الشعب يلح في طلب الدفاع عن وطنه ويعلم التفاهة حول جيشه والسير معه نحو هذا الهدف المقدس ، وهذا التأييد الشعبي قوة معنوية لا يستهان بها .. وثالث تلك الأسباب ان القتال إذا طال واستطاعت البلاد أن تتال من القوى الغازية بقواها النظامية والشعبية بعض المال ، فان ذلك يفتح المجال للمفاوضة ، ويعزز موقف المفاوض السوري فيحز شروطاً أفضل من تلك التي ستفرض على البلاد في حال افتتاحها دون أية مقاومة .

وكان مجموع القوى العامة للجيش السوري يومذاك ثمانية آلاف جندي موزعين في دمشق وحلب ودرعا ، وكانت الأسلحة التي تملكها هذه القوى تتألف من ٢٥ ألف بندقية مختلفة الطراز لكل منها ٢٥٠ خرطوشة فقط ، ونحو ٥٠ مدفعاً عيار ٧٥ و ٤ مدافع من عيار ١٠٥ ، ولكل مدفع ٥٠ قنبلة ، وقد تألف هذا الجيش من جنود متطوعة ومن ضباط عرب تخلفوا عن الجيش العثماني أو كانوا في الأسر ، بعد أن حل إثر إعلان الهدنة جيش الثورة الذي كان يتألف من عشرة آلاف

١ - كان ياسين الهاشمي قد بقي معتقلاً في الرملة بضعة اشهر ثم اخرج عنه فعاد الى دمشق في ١٦ ايار (مايو) ١٩٢٠

جندي ، من قبل ديوان الشورى الحربي بدمشق الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي ، على ان يعاد تعيين الأكفاء من ضباط هذا الجيش مجدداً بحسب كفاياتهم والحاجة اليهم ، لأن ظروف الثورة التي رفعت بعض الضباط إلى مراتب عالية ، تختلف عن الظروف السامية الجديدة (١) .

يقول أسعد داغر : « وقد وجه كثيرون من الوطنيين انتقادات شديدة إلى ياسين الهاشمي وسلقوه باللسنة حداد ، واتهموه بأنه توخى بما قاله التنديد بسياسة يوسف العظمة وضربه ضربة قاضية ، وما دروا ان الهاشمي لم يكن يستطيع بصفته قائداً مسؤولاً ، سوى بسط الحالة من الوجهة العسكرية الصرف ، كما يراها أو يعتقد ، بلا زيادة ولا نقصان ، وأن يرد على الأسئلة التي توجه اليه بصراحة تامة ، خصوصاً وان الأمة لم تكن تعتمد على الجيش وحده في محاربة الفرنسيين ، وانه كان من الواجب ان يظل ما دار في المجلس سرّاً مكتوماً عن كل انسان (٢) » .

ويقول في مكان آخر ان يوسف العظمة وغيره من القادة لم يجرأوا على مصارحة الشعب بضعف الجيش وعدم مقدرته على الدفاع ، ولو صارحوه بالحقيقة « لعمل على الاستعداد لدفع عواقبها ولضحي بكل شيء في سبيل ذلك . فلو قيل له ان الجيش غير كاف ، لما تردد في قبول الخدمة الاجبارية أو التطوع ، ولو قيل له ان الدفاع عن البلاد يحتاج إلى أضعاف ما لديها من السلاح والذخيرة لما أحجم عن بذل الأموال في سبيل تداركها ، ولكنه كان يسمع ان الجيش على أتم استعداد وفي إمكانه ان يقذف بالفرنسيين إلى البحر في ثلاثة أيام . وقد سمعت هذه الكلمة بنفسه من رجل كبير مسؤول عن الجيش بحضور حبيب اسطفان وسليم عبد الرحمن (٣) » .

أما محمد علي العجلوني وكان قائد الحرس الملكي فهو يقول ان هيئة من الخبراء أرسلت إلى الجبهة لفحص التحصينات ودرس امكانيات الجيش . وكانت أبرز أعضاء هذه الهيئة الأمير زيد وياسين الهاشمي ، فذهبت إلى مجدل عنجر وهو الموقع المنيع والمحصن تحصيناً فنياً « وأشرأبت الأغناق ، اختلجت الأفئدة ، حينما عاث الوفد ومعه

١ - ذكريات العجلوني ص ٨٢ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٧٩

٢ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٣٥

٣ - المرجع السابق ص ١٢٥

تحسين الفقير قائد الفرقة المراقبة . ولم أتمالك ان اقتحمت غرفة الملك مع راسم سردست ، ودخلنا فاستمعنا إلى كلمات الهاشمي الهادئة القوية النبوات . ولفظ الجملة التاريخية التي لن أنساها : « ان جيش جلالكم لا يستطيع الثبات فنياً سوى بضع ساعات . وأطاحت الحية بكياننا فخرجنا مذهولين من هول المفاجأة . وكان لشهادة الهاشمي أثرها الأول في نفوس القوميين الذين يثقون بكفاءته الحربية ويطمئنون إلى ضميره الوطني ، فأسقط بأيديهم وعلت وجوه الجميع سحابة وجوم وشؤم^(١) .

وبعد اختلاف في الرأي وتضارب في الأهداف ، قرر مجلس الوزراء أن يعقد قادة الجيش مجلساً عسكرياً برئاسة الملك فيصل لاتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن . ومرة أخرى تضاربت الأجوبة واختلفت الآراء ، ثم تقرر ان في استطاعة الجيش العربي بما يملك من قوى واستعداد وباحكام مواقع الحربية وخطه في القتال ، وباستراك بقية القوى التي تؤلفها متطوعة الحوارة والبدو والأهالي مع أسلحتها الخاصة ، أن يقاوم بضعة أسابيع قد يتاح للحكومة خلالها كسب انتصار سياسي ، اما إذا لم يُتَمَّع للحكومة استخدام هذه القوى جميعاً ، وأن تستعد للقتال استعداداً وافياً يفتقر بحسن التوجيه والتنظيم ، فإن جيشها يعجز عن مقاومة الغزاة ساعة واحدة^(٢) .

وكان محمد كرد علي أحد الأشخاص الذين عارضوا مقاومة فرنسا بالسلاح ، وقد صور الموقف بشكل يدعو إلى الأسف ، وقال ان دعاة العامة ، ولعله يقصد الشيخ كامل القصاب^(٣) ، قد أضروا كثيراً بمجاستهم قضية الاستقلال^(٤) .

١ - ذكريات المجلوني ص ٩٦

٢ - يقول الدكتور أحمد قنري أن يوسف العظمة قد تخلف عن اجتماع القادة العسكريين وان هؤلاء قروا أن الهجوم الفرنسي اذا كان قويا فليس لدى الجيش العربي من العتاد ما يمكنه من أن يقاوم أكثر من خمس دقائق (مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٤٠) .

٣ - كان الشيخ كامل القصاب قد ألف عصبه باسم « اللجنة الوطنية » وجمع حوله فيها عدداً من زعماء الاحياء وارباب الحرف والصناعات وأخذ ينتقد تهاون الحكومة ويشير حماسة الجماهير الشعبية بطلاقة لسانه وفصيح بيانه .

٤ - أنظر تصوير كرد علي للموقف في خطط الشام ج ٣ ص ١٧٩

وكانت بريطانية قد اوصت الملك فيصل بوساطة معتمدها في دمشق بقبول شروط الانذار، وألغى المعتمد البريطاني الكولونيل ايستون على فيصل بذلك مرات عدة ، مما حمل الحكومة على انتداب وفد يسافر إلى حيفا للوقوف على رأي اللورد اللتبي ، وإذا بالوفد يبرق بوجوب الاتفاق ، ثم يعود حاملاً إلى الملك كتاباً بهذا المعنى يقضي على كل رجاء .

يقول الدكتور أحمد قنبري : « وكان من اثر هذا كله ان اضطربت دمشق وهاج الناس وقامت المظاهرات مطالبة بالدفاع حتى الموت ، إلا ان ذلك لم يمنع الحكومة من قبول الانذار في ١٧ تموز بعد أن استوثقت من فقدان العتاد وضعف الجيش ^(١) . » ويقول أمين سعيد : « .. فإزاء هذه الاعتبارات المادية قررت الوزارة في جلسة عقدها يوم ١٧ الجاري (أي قبل انتهاء المدة المحددة في الانذار) ان تشير على جلالة الملك بقبوله لعدم إمكان المقاومة مادياً ^(٢) . أما ساطع الحصري الذي كان من دعاة قبول الانذار ، بعد أن عرف حقيقة الوضع العسكري في البلاد وفقدان العتاد ، فقد رأى أن مجلس الوزراء باتخاذ هذا القرار إنما قام باداء واجب ، وان كان هذا الواجب أليماً جداً ^(٣) .. »

وقريب من هذا رأي وزير آخر من وزراء تلك الفترة العاصفة من حياة البلاد هو يوسف الحكيم ، فقد قال ان أركان الجيش وهم مصطفى نعمة وأحمد اللعام وشريف الحجار ومصطفى وصفي وعارف التوام وحسن الصبان ، أبلغوا مجلس الوزراء « ان العتاد الحربي لدى الجيش لا يزيد عن مئتين وسبعين فشكة لكل بندقية حرب ومئتين قنبلة لكل مدفع من المدافع السبعين ، ولما لم يستطع وزير الحربية أن يتقدم بأي دليل أو برهان على إمكان الدفاع في وجه الجيش الفرنسي مدة من الزمن يمكن فيها وصول خبر الحرب إلى مسامع الحلفاء ليتوسطوا في حل

١ - مذكراته عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٤٢ ، انظر أيضاً جولد. الحركة العربية ج ١ ص ٤٢٩ ..

٢ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٨١ ،

٣ - انظر يوم ميسلون ص ١٢١ - ١٢٦

الحلاف سلباً ، قبل أن تقتزن المعركة بنتيجة أليمة بالنسبة إلى سورية ، أجمعت كلمة مجلس الوزراء على رفض الدخول في الحرب منعاً لبغتك الدماء^(١) .
ووجد فيصل نفسه أمام الأمر الواقع ، فأبقر إلى الجنرال غورو في الثامن عشر من تموز (يولييه) مبلغاً إياه قبول شروط الانذار ، أملاً في إنقاذ دمشق من الاحتلال ، ولكن الجنرال لم يلبث أن أجاب في اليوم التالي بصلف الفاتح المتعسف انه ليس المقصود من مذكرة ١٤ تموز (يولييه) قبولها بل تنفيذ أحكامها بأعمال رسمية تجري قبل ١٨ تموز (يولييه) ، على أن يتم تنفيذ ما ورد فيها قبل نهاية الشهر ، وبما انه قد مدد الأجل ٢٤ ساعة اجابة لطلب الملك فانه قد يكون محققاً إذا لم يدها مرة أخرى قبل أن يتلقى نواب القبول من الملك رسمياً وفعلياً !.. وأضاف الجنرال قائلاً : « ولكي أدع لكم وقتاً كافياً لقبول المطالب وتنفيذها فقد قررت ان لا تتحرك جيوشي قبل ٢١ تموز عند منتصف الليل ! »

وكانت الحكومة بعد أن وافقت على قبول الانذار ، قد بدأت بتنفيذ أحكامه ، فأصدرت أمراً إلى قطعات الجيش العربي بالانسحاب من جميع المواقع والحصون التي كان معسكراً فيها ، والانتقال إلى العاصمة استعداداً لتسريحها ، وقد بدأ تسريح الجنود فعلاً ، وصرح الكثيرون منهم من المواقع التي يعسكرون فيها ، فضايف ذلك من هياج الشعب ، واستياء الهبئات الوطنية ، ووقعت حوادث شغب لا مبرور لها^(٢) ، وكان يتهم بالحيانة كل من ينصح بالروية ويشير بالاعتدال ، فلم تر الحكومة بداً من تأجيل انعقاد المؤتمر السوري شهرين ، وتلا يوسف العظمة قرار التأجيل بحضور رئيس الوزارة في الساعة التاسعة من صباح ٢٠ تموز (يولييه) ،

١ - ستورية والمهد الفيصلي ص ١٨١ - ١٨٣

٢ - يقول اسعد دافر ان يوسف العظمة حدثه بأنه اصدر الامر بتسريح الجيش وهو في أشد حالات الاضطراب ، وان القضاة كانوا لهم في مثل حالته ، فلم يخطر لهم ان يتخلوا التدابير التي تتخذ عادة ، فخرج الجنود من كتائبهم بأسلحتهم وهم يهتفون عند الحكومة بحجة انها سلبت البلاد الى الاجانب ، ثم ذهبوا الى القلعة لانتقاد الاستنحة والذخائر ، وعند ادى ذلك الى انتشار الفوضى والاضطراب ووقع مئات القتلى والجرحى (مذكراتي فكتن هامش القضية العربية ص ١٤٠ - ١٤١) .

ثم عقد مجلس الوزراء اجتماعاً وضع فيه نص مذكرة جوابية لغورو بقبول الإنذار وكل مطالبه ختمت بالجملة التالية : « وان يطول الوقت حتى تدرك حكومة الجمهورية ان هذه الأزمة الشديدة التي اجتازناها لم تكن سوى نتيجة سوء تفاهم واسع النطاق بينها وبين الشعب السوري الذي قاتل جنأً إلى جنب مع الحلفاء وضحي في سبيلهم » .

وفي هذه العاصفة التي هبت على دمشق ، وعلى الرغبة من تضحيات الحكومة ومواجهتها الصابرة لغضب الشعب ، وردت الأنباء في ٢١ تموز (يولييه) بأن الجيش المهاجم قد بدأ زحفه على العاصمة السورية . . . ويدهش الملك فيصل لذلك ويحجج ، فيجيب الجنرال بأن بركة الملك بتنفيذ الشروط المطلوبة منه ، قد وصلت بعد الوقت المحدد ، بسبب انقطاع أسلاك البرق ، وان مسؤولية قطع العصابات السورية لأسلاك البرق تقع على عاتق حكومة دمشق ، وقد بات من الصعب الآن توقيف الجيوش الزاحفة ، وان الزحف سيستمر حتى يصل الجيش إلى مقابل دمشق ، فإذا لم يجد مقاومة ، وإذا تم احتلال حلب والمحطات المذكورة في الشروط دون مقاومة ، فان الجيش لا يدخل دمشق !^١ .

وتأتي بعد ذلك أنباء جديدة بأن شرذمة من الجند العربي التي تخلفت بجمع الأسلحة والذخائر من السكان والعودة بها إلى دمشق ، قد وقعت في قبضة الجيش الزاحف ، وأسرهما واعتبرها من جيوش الأعداء لا من جيوش الحلفاء . .

واحتج فيصل من جديد ، ورفض غورو الاحتجاج ، وكتب إليه يطلب منه الموافقة على شريط جديدة بالإضافة إلى الشروط التي وردت في

١ - يرى بعض المؤرخين ان الحكومة السورية قد نسعت في تنفيذ شروط الإنذار ، فاصدرت الاوامر بتسريح الجيش ورفع الحصينات الامامية من مجدل عنجر وبوقف جلسات المؤتمر علامة المسالة والتسليم ، دون ان تنتظر جواب غورو ، وقد كان هذا السرع خطاً فاحشاً ليس فيه الجنرال ضعف المقاومة فاسفله في الخطوات التالية (انظر حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ١٢٠) .

الإنذار (١)

وحينئذ أدرك الملك فيصل ان الجنرال مصر على أن يدخل دمشق ، وان كل شروطه ليست إلا ذرائع يريد الاحتجاج باخلالها لتنفيذ خطته الباغية ، وكبر عليه أن يعطي فرنسة مجالاً للزعم بأنها دخلت عاصمة سورية برضاء أهلها ، فأشار على حكومته بأن تعلن قرارها باستعمال السلاح لمقاومة العدوان ، واستدعى الشيخ كامل القصاب زعيم اللجنة الوطنية يومئذ وخاطبه قائلاً : « لقد نزلت أنا وحكومتى على الرغبة التي طالما ناديت بها لمقاومة العدوان بالقوة وقبلت قولكم بأن القوى الوطنية مستعدة للاضطلاع بتلك المهمة ، فيها أروا هممكم ونشاطكم وجئنا بالقوى التي تقول انها مهتة للزحف ، وقد وعد الشيخ بتجنيد عشرة آلاف مقاتل متسلحين بالبنادق ولكنه لم يف بوعده ولم يتمكن من تحقيق شيء » (٢) .

وبادرت الحكومة فأبقت ما لم يكن قد تم تسريحه من قوى الجيش ، وأمرت القوى المنسحبة من مجدل عنجر بالتوقف في المواقع التي وصلت اليها (٣) . وأسّرت قيادة الدرك والجيش فجمعت فريقاً من الجنود الذين كانوا قد سرّحوا ، وأرسلت

١ - اسدب الملك فيصل الاساذ ساطع الحصري لعائلة الجنرال غورو في عاليه ومطالبته باعفاء زحف الجيش الفرنسي على سوربه ما دام قد قبلت شروط الإنذار وبدان بتنفيلها فعلا ، فقدم غورو شروطاً جديدة منها اقامة بعثة فرنسية في دمشق يكون لها حق الاشراف على الشؤون المالية والادارية والاقتصادية والتربوية والعسكرية ، وقد وافقت الوزارة على قبول هذا الإنذار الجديد ورفضه الملك فيصل (راجع تفاصيل ذلك في الثورة العربية الكبرى ج٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ ، يوم ميسلون ص ١٢٥ - ١٢٦) .

٢ - مذكري عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٥١ و ٢٥٩ ، انظر ايضا سوربه والعهد النبصلي ص ١٩١

٣ - كانت العوات النظامية المرابطة في مجدل عنجر بلغ ثلاثه الاف جندي مسلحين ببطارسين من المدافع ، بطاريه جبلية وبطاريه صحراويه ، ولا صدر الامر بتسريح الجيش في ١٧ تموز (بوليه) اسدب المدفعية الى دمشق كما فرق المشاة عاندين الى بيوتهم ، ولم يبق من مجموع قوات مجدل عنجر عندما نودي بالحرب في ٢١ تموز (بوليه) سوى عدد قليل من الجنود ارسلوا الى ميسلون فعول امين سعيد ان عندهم ٦٠ جنديا (الثورة العربية الكبرى ج٢ ص ١٩٧) بينما فعول محمد كردعلي انه ١٢٠ جنديا (خطط الشام ج٢ ص ١٨١) .

كل ما أمكن جمعه من قوى إلى ميسلون للدفاع فيها عن دمشق ، ولكن كان . من الواضح ان القوة العربية المنظمة كانت قد تضعفت ، ولم يبق هناك متسع من الوقت لجميع شملها وإعادة تنظيمها !

وفي مذكرات طه الهاشمي الذي كان يدون الأحداث يوماً فيوماً وكان يومذاك مديراً للأمن ، نجد الوصف الخي التالي للأيام الثلاثة العاصفة التي سبقت معركة ميسلون :

٢٠ تموز - أجلبت جلسات المؤتمر السوري لمدة شهرين . يلتجئ رئيس الوزراء وزير الحربية أوامر . خرج عدة جنود من ثكنة البرامكة شاهرين السلاح بدعوى أن الحكومة استسلمت للفرنسيين . مروا بشارع النصر ومروا بجرحس الموقع ، فبدلاً من أن يصدوم عن عملهم التحقوا بهم . شوقهم المشاغبون فزاد التجهيز . هجموا على القلعة . دافع الدرك . هجموا على مستودع السلاح ، صادروه وأخرجوا المساجين . بدأ إطلاق النار في البلدة واستمر إلى منتصف الليل . نهبت بعض الدكاكين . قتل ٢٥ وجرح ٣٥ شخصاً .

٢١ تموز - كنا مهتمين بحفاظة الأمن في الداخل . الأمن جيد ما عدا بعض السرقات تقع من قبل جنود النظامية . وفي القلعة سرق الضباط والجنود الأسلحة والمهمات .

وصل الدكتور أحمد قدري بعد الظهر في الساعة الثانية والنصف ، وأخبرني بأن جلالة الملك قرر الدفاع نظراً لتقدم الفرنسيين وعدم قبولهم الوقوف . الموقف خطر وربما يؤدي إلى إلغاء الحكومة واستعمار سورية . استتب الأمن ليلاً .

٢٢ تموز - أخذ الأهليون يتوافدون للذهاب إلى الجبهة متطوعين . وقد يستفاد منهم . علمت ان هدنة عقدت بين الفريقين لمدة ٤٧ ساعة . ربما تنتهي القضية بالمفاوضات برضاء الطرفين .

أظن ان أكبر جان جنى على وطنه أولئك المتحمسون الذين شوقوا الجنود في يوم ٢٠ تموز للالتحاق بالأهلين وحرزهم على الفوضى ، وفي هذه الأوقات العصيبة

تقدم الفرنسيون والنحل الجيش وسقطت حلب ، ولو لم يقع هذا التحمس لكأن الطالع قد ساعدنا ، رباً كانت حركتنا تجري بانتظام والأمن مستتب في كافة الانحاء (١) .

وكان ليل الثالث والعشرين من تموز (يولييه) ١٩٢٠ آخر موعد عينه الجنرال للدخول إلى دمشق . وكان كل ما استطاعت السلطات السورية حشده في ميسلون جيشاً قليل العدد لا يملك من الذخيرة الحربية إلا اليسير ، وعدداً من المتطوعين لا يزيد على الألف ، مسلحين بأسلحة مختلفة ينقصها العتاد (٢) . وقد بلغ مجموع هذه القوى ثلاثة آلاف مقاتل وتولى قيادتها شريف الحجار (٣) .

وقابل أسعد داغر يوسف العظمة في البلاط الملكي فسأله عن رأيه في الموقف ، وهل يستمر الجيش الفرنسي في زحفه وما هي التدابير التي اتخذت لمقاومته وصدّه بعد تسريح الجيش ؟ فقال انه لم يبلغه حتى تلك الساعة نبأ عن توقف الجيش الفرنسي الذي دخل الأرض السورية بحجة المراقبة على بنايسع المياه في أول الأمر ، ثم استولى على مجدل عنجر بعد جلاء الجنود السورية عنها . وقال عن التدابير التي اتخذت لمقاومته ان القوات التي كان قد صدر الأمر بتسريحها وقفلت راجعة إلى دمشق تلقت أمراً جديداً بالعودة إلى ميدان القتال من وسط الطريق « ثم اغرورقت عيناه بالدموع ونهض عن كرسيه وخرج إلى الشرفة فتبعته إليها محاولاً تخفيف ما اعتراه من شدة التأثر والانفعال ، وقلت : يا يوسف ان مزايا الرجولة تظهر في ساعات الحزن والشدائد ، ولسنا أول أمة في التاريخ استهدفت لما نحن مستهدفون له

١ - مذكرات طه الهاشمي ص ٦١ - ٦٢

٢ - كان قد هرع بانجاء ميسلون لصد العدوان عدة الاف من المواطنين المتحمسين وهم مسلحون بالسيوف او المسدسات او العصي بدون ميرة واعتدّة وقد اضطر الكثيرون منهم الى العودة بعد ان تاكدوا من صعوبة ما يرغبون الاقدام عليه لان الحرب فسي الجبهات العسكرية تحتاج الى جيش مدرب وعتاد وفير ونقلات منظمة (مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٢٥٠ و ٢٦٠)

٣ - يقول كردعلي ان عدد هذه القوى كان يراوح بين اربعة الاف وخمسة الاف (خطط الشام ج ٢ ص ١٨١)

وخذعت وأخطأت كما خدعنا وأخطأنا، ونحن لا نزال في بدء جهادنا والجهاد كالحرب السجال يتعاقب فيها الفشل والفوز . فقال : كَأَنَّ الْفَوْزَ مَكْفُولًا لَنَا فَأُضَعِّتْهُ بِيَدِي ، وإني أعرف ما يجب عليّ وسأقوم بواجبي ، ولست آسفاً على نفسي بل أسقي على الأمة التي ستظل سنوات كثيرة أو قليلة هدفاً لكل أنواع الحن والمصائب . فقلت : ما هذا الذي تقوله .. ان الامة محتاجة اليك في جهادها الحقيقي الذي يبدأ بعد هذه المحنة ، فاحفظ لها نفسك وقواك ومواهبك . فقال يوسف : اني مطمئن إلى مستقبل الأمة لما رأيته وخبرته بنفسه من قوة الحياة الكامنة فيها ، واثق من عطف أصدقائي على طفلي ، فسأذهب مستريح البال مطمئن القلب في طريق الواجب المفروض عليّ^(١) .

وأودع يوسف العظيمة ابنته الوحيدة امانة لدى ساطع الحصري وبقيّة أصدقائه ودخل على الملك فيصل قائلاً :

— أتيت لنتلقي أوامر جلاتكم .

— بارك الله فيك ، إذن أنت مسافر إلى ميسلون !

— نعم يا مولاي إذا كنتم لا تودون قبول الانذار الأخير ..

— ولماذا كنت تصر على الدفاع بشدة ؟

— لأنني لم أكن أعتقد بأن الفرنسيين يتمكنون من دوس جميع الحقوق

الدولية والانسانية ويقدمون على احتلال دمشق ، وكنت أظاھر بناورة للمقابلة بالمثل .

— وهل يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ؟

— إذن فهل يأذنني جلالة الملك بأن أموت ؟

— بعد ان انتهت الأمور إلى هذا الحد يجب علينا ان نموت جميعاً شرفاء، وننقذ

البلاد من حرب أهلية أيضاً .

١ - مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٤٢ ، انظر ايضا حول الحركة العربية

— إذن فانا أترك ابنتي الوحيدة أمانة لدى جلاتكم^(١) .
ثم سلم وخرج ليتولى قيادة الجبهة في ميسلون^(٢) .

وبات يوسف العظمة تلك الليلة مع جنوده في ميسلون تحت السماء المقمرة ، وفي جوار بضع شجيرات ظلت تتهامس طول الليل عن سر البطل الذي ساهر النجوم حتى شحبت وتضاءلت وتلاشت ..

ولما أفاق الصبح وأشرقت شمس الرابع والعشرين من تموز (يولييه) ، كان للقائد البطل خطة وهدف معينان :

فأما الخطة العسكرية فقد اخفقت لعوامل خارجة عن ارادته ، وزحف الجيش الفرنسي بطائراته ودباباته ومدفعيته الثقيلة وسياراته المصفحة^(٣) إلى دمشق على أسلاء الشهداء العرب الذين تساقطوا في سفوح ميسلون ببطولة رائعة ..
وأما الهدف القومي فقد حققه باستشهاده في ساحة الكفاح من أجل شعبه ووطنه ..

ويقول الدكتور عبد الرحمن شهنبر ان الملك فيصل قال عن يوسف العظمة في أواخر عهد الحكومة الوطنية : « ان هذا الرجل سيكون له شأن كبير بين الرجال ، وأكاد أرى بعيني منذ الآن الدور الخطير الذي سيمثله على المسرح السياسي » .

ويعلق الدكتور شهنبر على ذلك بقوله : « ان نبوءة فيصل كانت ولا شك متحققة لو أفسح القدر لشهد ميسلون المجال فأطال أجله » .
وفي رأينا ان يوسف العظمة ما كان ليستطيع مها أفسح له في مجال الحياة ، أن

١ — خصص الملك فيصل لابنة الشهيد ليلي العظمة مرتبة شهريا كان يصلها بانتظام حتى آخر أيامه .

٢ — مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٦٢

٣ — انظر تفاصيل الحملة الفرنسية في كتاب :

Le Partage du Proche Orient , p 211

Le livre d'or des troupes du Levant 1918-1936 وفي

يسجل انتصاراً أعظم من الانتصار الذي سجله باستشهاده ، أو انتحاره ، ليكون
قدوة ومثلاً للذين يأتون بعده من المناضلين .
ان يوسف العظمة ، بما سفك من دمه وبذل من روحه ليصون الشرف السوري
من ذل الاستسلام ، قد وضع في ذلك اليوم التاريخي ، اللبنة الأولى في صرح
الاستقلال الذي تنفياً سورية ظله اليوم (١) :

شهيد الحق في ثبج الصجاري تخاف العاصفات له ذبالا
مقيم ما أقامت ميسلون يذكر مصرع الأسد الشبالا
مشى ومشت فيالق من فرنسة تجر مطارف الظفر اختيالا
فكفن بالصوارم والعوالي وغيب حيث جال وحيث صالا (٢)

١ - انظر مقال « يوسف العظمة » لقدري قلنجي في مجلة « العربي » العدد ٣٠

٢ - من قصيدة لاجميد شوقي في بطل ميسلون

الفصل الثالث والعشرون

فيصل بن الحسين على عرش العباسيين

كان الخطر قد تفاقم بعد كارثة ميسلون حتى لا مزيد ، فانتقل الملك فيصل وأعضاء حكومته وعدد كبير من الوطنيين ، إلى الكسوة لمتابعة النضال ومعالجة الوضع الجديد ، وتخلف من أعضاء الحكومة فارس الحوري وعلاء الدين الدروبي ، وكان هذا على اتصال ودي بالفرنسيين ، فما لبث الملك أن قرر القيام بأخر تضحية ممكنة وإطلاق آخر سهم من كناته صبراً واحتثاً ، فأوفد كبير الأمناء إلى دمشق لتكليفه بتأليف وزارة جديدة ، لا اعتقاده بأف وزارة برئاسة الدروبي قد تستطيع الخروج من الأزمة القائمة والوصول إلى تسوية مرضية مع الفرنسيين^(١) . وقد بادر الدروبي إلى تأليف وزارة أدخل فيها ثلاثة من أعضاء الحكومة السابقة هم : فارس الحوري وجلال زهدي ويوسف الحكيم ، وضم اليهم أربعة وزراء جدد

١ - كان كتاب الجنرال غورو المرفق بالانذار يطلب بصراحة تبديل الحكومة السورية ، فلما وافقت هذه على قبول الانذار ، رأى الملك فيصل أن يعهد إلى ياسين الهاشمي بتأليف وزارة جديدة ، إلا أن الهاشمي اعتذر عن ذلك محتجاً بأن من الاوفق أن يتم قبول الشروط على يد الوزارة القائمة ، على أن ينظر في تأليف الوزارة الجديدة بعد الانتهاء من الأزمة (انظر يوم ميسلون ص ١٢٥ - ١٢٦) .

هم : جميل الإلشي وعطا الأيوبي وعبد الرحمن اليوسف وبديع المؤيد .
إلا ان احسان الجابري كبير الأمراء ، اتصل أثناء وجوده في دمشق بالمركينز باتروندي مانكي قنصل ايطالية العام ، وعلم منه ان الفرنسيين قرروا إعلان انتهاء العهد الفيصلي ، وانهم يحاولون دعم قرارهم هذا ببيان يوقعه جماعة من أنصارهم يعلنون فيه « ان البيعة للملك فيصل قد سقطت ، بناء على تركه العاصمة وفراره منها » ونصح المكينز بأن يعود الملك إلى دمشق لإجباط هذه المؤامرة ، وليكون إخراجهم من قبل الفرنسيين بالقوة .

وما كاد احسان الجابري ينقل ذلك إلى الملك ، حتى قرر العودة إلى دمشق ، وما لبث ان عاد اليها فعلاً ، إلا انه ما كاد يستقر فيها حتى جمع الجنرال غوايه قائد الحملة العسكرية التي احتلت دمشق ، أعضاء الحكومة الجديدة ، وأبلغهم ان مسؤولية الاضطرابات الدامية التي حدثت على مسرح سورية إنما تقع على عاتق الملك فيصل ، إلى درجة لم يعد معها من الممكن استمراره في حكم البلاد . ثم أرسل الجنرال غورو إلى الملك كتاباً يقول فيه :

« أتشرف بإبلاغ سموكم الملكي قرار حكومة الجمهورية الفرنسية : انها ترجو منكم أن تغادروا دمشق بأسرع ما استطاع بسكة حديد الحجاز مع عائلتكم وحاشيتكم . وسيكون تحت تصرف سموكم والذين معكم قطار خاص يتحرك من محطة الحجاز غداً ٢٨ تموز (يولييه) الساعة الخامسة صباحاً ^(١) » .

وقد احتج الملك فيصل على ذلك احتجاجاً شديداً للبهجة في بريقة وجهها إلى الجنرال غورو وأرسل صوراً عنها إلى ممثلي الدول الأجنبية ، وبما جاء فيها : « .. ولو كانت الشعوب تعيش اليوم كما كانت تعيش في القرون الوسطى ، يوم كان الحق للقوة وكان السيف هو الحكم في الاختلاف ، لكان تصرفكم منطبقاً على القوانين القائمة ، ولكن الحرب العظمى وقد خضنا غمارها في جانب الحلفاء لنفوز باستقلالنا ، قد بلغت غايتها بإقرار مبدأ الحق ، وسحقت الروح العسكري . وإذا

١ - يوم ميسلون ص ١٦٧ ، سورية والعهد الفيصلي ص ٢١٠

كانت مبادئ مؤتمر الصلح التي أعلنت حرية الشعوب وحقوقها في أن تحكم نفسها بنفسها ، ليست لغواً من القول ، وإذا ظل عهد جامعة الأمم وقد وقع عليه الحلفاء والأعداء ، وهو يلغي الحرب بين الشعوب واستعباد الأمم ، باقياً ومحترماً ، فالقوة العسكرية الفرنسية التي احتلت المنطقة الشرقية التي عهد إليّ بإدارتها إنما تمثل الاحتلال الذي لا يمكن إلا أن يعد أداة للارهاق ، ويجب أن يغير ذلك ^(١) .

وعلى الرغم من احتجاج الملك ، فإنه لم يسعه إلا تنفيذ القرار ، فغادر دمشق إلى درعا ورافقه من أعضاء الوزارة ساطع الحصري ، ثم لحق به عبد الرحمن شهنشدر ، بالإضافة إلى عشرات الزعماء العرب الذين غادروا دمشق . وقد هرع لزيارته قبل مغادرته دمشق عدد كبير من الأصدقاء الأوفياء وفي مقدمتهم البطريك غريغوريوس حداد فالعلماء والوجهاء والعدد الكبير من السوريين العاملين بغيرة وإخلاص في سبيل الملكية والاستقلال ، مقدمين إليهم عواطف المحبة والاحترام ، مما أثار دهشة المحتلين وسائر الأجانب للمنزلة السامية التي يحتلها الملك فيصل في قلوب المواطنين ^(٢) .

وما كاد الملك يستقر في درعا حتى خشيت السلطة الفرنسية من عواقب بقائه في ذلك المركز الاستراتيجي الهام ، واتصاله بالقبائل العربية المحيطة به ، وعزمه على إقامة خط دفاع جديد هناك ، فأبلغته بواسطة علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة الجديدة وجوب مغادرة درعا إلى الحجاز ، وأخذت الطائرات الفرنسية تحلق فوق منطقة حوران وتلقي على الأهليين منشورات تحرضهم فيها على إخراج الملك فيصل « لأن إقامته بينكم تجعل بلادكم هدفاً للقنابل » . . فرأى الملك أن يجنب البلاد كارثة جديدة ، وبأمر إلى مغادرة درعا إلى حيفا للانتقال منها إلى إيطاليا فسويسرة بغية الاتصال بجمعية الأمم ومؤتمر الصلح ، بينما كانت السلطة الفرنسية في سورية تفرض تدابيرها الغاشمة على البلاد ، وتصدر أحكامها التعسفية على رجالها ، فتقضي

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٧٢ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٢٠٥

٢ - سورية والعهد الفيصلي ص ٢١٠

بإعدام ومصادرة أملاك كل من كامل القصاب وعلي خلقي وأحمد مريود ومحمود الفاعور وفؤاد سليم وصبحي الخضرا وصبحي بركات ومنع هارون وشكري الطباع وعمر شاكر وسليم عبد الرحمن وعمر بهلوان وعثمان قاسم وسعيد حيدر وعبد القادر سكر و خليل بكير وحسن رمضان وعادل أرسلان ومحمد اسماعيل ورشيد طليع وعوني عبد الهادي واحسان الجابري والدكتور أحمد قدري ورفيق التميمي وتوفيق اليازجي ورياض الصلح وخير الدين الزركلي ومحمد علي التميمي وبهجت الشهابي ونبيه العظمة وشكري القوتلي وعبد الحلي وباسين دياب وخالد الحكيم^(١).

وفرضت السلطة الفرنسية غرامات حربية ضخمة على المناطق السورية ، فلم يخضع أهل حوران لهذا الأمر ، وتمردوا على الحكومة القائمة ، فرأى رئيس الوزارة علاء الدين الدروبي ان يذهب إلى هناك بنفسه لإلقاء النصائح عليهم ، مستنجباً معه اثنين من وزرائه أحدهما عبد الرحمن اليوسف ، فهاجمهم بعض الحوارة في محطة خربة الغزالة وقتلوا الدروبي واليوسف ، مما أدى إلى زحف قوات فرنسية كبيرة إلى حوران فتكت بسكانها ودمرت الكثير من قراها .

وتألفت إثر ذلك وزارة جديدة على النحو التالي : جميل الإلشي للرئاسة والحربية ، عطا الأيوبي للداخلية ، حقي العظم لرئاسة مجلس الشورى، حمدي النصر للمالية، بديع المؤيد للعدلية، محمد كرد علي للمعارف، شاكر القيم للتجارة والزراعة . وفي عهد هذه الوزارة أصبح المندوب السامي الفرنسي مصدر كل سلطة في الدولة ، وتلاشت السيادة الوطنية التي كانت ممثلة في المؤتمر السوري وفي الحكومة الوطنية التي كانت تستمد ثقتها منه .

إلا ان الملك فيصل كان لا يزال يأمل بالعودة إلى سورية ، مؤمناً بأنه سينتزع حقه في ذلك بالنضال السياسي في المحافل الدولية ، وبالمقاومة الوطنية داخل سورية، ومن أجل تحقيق هذا الغرض أوفد ساطع الحصري إلى تركيا للاتصال بالكهالين

١ - لم تنفذ هذه الاحكام لان معظم الحكوميين كانوا قد غادروا البلاد هرباً من الازهاق الفرنسي ، وقد اضطرت المقاومة الوطنية فيما بعد السلطة الفرنسية الى اصدار عفو عن الحكوميين السياسيين .

ومعرفة مدى المساعدات التي يمكن أن ينالها السوريون منهم في كفاحهم ضد الفرنسيين^(١)، وعهد إلى البروفسور بونفاتي استاذ الحقوق الدولية في جامعة رومة، بأن يضع تقريراً قانونياً عن القضية السورية، وعن الخلاف القائم بينها وبين الحكومة الفرنسية، وطلب من معاونيه تزويده بالوثائق والمعلومات التي يحتاج إليها.

ولكنه ما كاد يتصل بالأوساط الدولية في أوربة حتى أيقن بأن اتجاهات السياسة العالمية قد جعلت عودته إلى سورية مستحيلة، لأن فرنسا تعارض في ذلك معارضة شديدة، وليس في وسع بريطانيا ولا في رغبتها أن تتدخل في هذا الأمر بعد أن سويت القضايا المتعلقة بين الدولتين وفي مقدمتها مسألة الموصل بصورة نهائية.

إلا أن الحكومة البريطانية كانت تتعرض لكثير من اللوم على موقف العقوق والنكران الذي وقفته من الشريف حسين وأنجاله الذين ناضلوا في الحرب العالمية أشرف نضال. ولم يستطع لويد جورج نفسه أن ينكر ذلك، فأنشئ على الملك فيصل ثناء عاطراً أمام مجلس العموم البريطاني في ٢٩ نيسان (أبريل) ١٩٢٠ (١٣٣٩ هـ)، أي قبل الانذار الفرنسي بشهرين ونصف شهر، وقال أنه «لا يمكن لأحد أن يجد رجلاً أكثر استقامة وإخلاصاً منه» كما أن رجال الجيش البريطاني الذين تعاونوا مع العرب في الحجاز وفي فلسطين «كانوا يذكرون في كل مناسبة، الخدمات العظيمة التي أدتها الثورة العربية إلى قضية الحلفاء، وكانوا يشيدون بوجه خاص بذكر روح الاقدام والبسالة التي أظهرها فيصل في أمر تنظيم الثورة وقيادة الجيوش خلال الحرب^(٢)».

وكانت الثورة المشتعلة في العراق أولى الثورات التي تفجرت في البلاد العربية بعد الثورة العربية الكبرى وكانت امتداداً لها واحتجاجاً على نكث العهود والتكرار لمواثيق الشرف. وقد أدرك المسؤولون البريطانيون أن نقمة العرب على بريطانيا بوصفها إحدى دول الحلفاء، بل الدولة التي قطعت العهود للعرب باسمهم، لا بد من

١ - انظر يوم ميسلون ص ١٧٨ - ١٨٤

٢ - المرجع السابق ص ١٩٨

أن تتعاطف اثر الاحتلال الفرنسي لسورية والاطاعة بعروش الملك الذي تعلقت به آمال الملايين في كل أرض عربية . ولقد حدث ذلك فعلاً ، وكانت يوم ٢٤ تموز (يولييه) ، وهو يوم مأساة ميسلون ، بدء تحول جديد في الثورة العراقية أشد فيه ضرامها وقعالى لهيها .

وكان الوطنيون العراقيون قد تنادوا إلى توقيع ثلاث عرائض رفعت إلى الحسين بن علي يطلبون فيها ملكاً للعراق من أنجاله ، ووقع العريضة الأولى علماء الدين ، والثانية زعماء القبائل ، والثالثة الشبان المثقفون ، وحمل هذه العرائض إلى مكة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وقد اتصل أمره بالانكليز قبل سفره فحاولوا القبض عليه وانتزاع العرائض منه ، وكان يضعها داخل جلد مصحف ويطوف بها على الناس لتوقيعها ، فقصد الزبير واختفى بها أياماً ثم صحب قافلة للبدو متجهة إلى نجد وانتقل منها إلى الحجاز حيث قابل الملك حسين وسلمه العرائض ونقل اليه أمنية مواطنيه ، فأكبر ما سمع وقال : « سأكون عند حسن ظن العراقيين ان شاء الله (١) » .

ثم أرسل تلك العرائض إلى نجلة فيصل في باريس ، كي يعرضها على ساسة الدول الكبرى فيها ، برهاناً على إصرار العرب على تحقيق استقلالهم ووحدتهم (٢) . وهكذا ولدت فكرة ترشيح فيصل بن الحسين لعرش العراق ، وأخذت تظهر على المسرح السياسي وتنعكس في الصحافة البريطانية التي رأت فيها استواء العرب وتكفيراً عن تنكر الحلفاء للهاشيميين ، ومحاولة لإخماد بركان الغضب المتأجج في العراق ، احتجاجاً على السياسة البريطانية التي أسفرت عن أهدافها الاستعمارية هناك ، وحاولت اقناع أهل الرأي بانتخاب السير برسي كوكس رئيساً للدولة العراقية ، وجعل هذه الدولة تابعة للحكومة البريطانية في الهند . وكان الكولونيل لورنس قد تقلد منصب مستشار للشؤون العربية في وزارة

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ القسم الثاني ص ٣٠ - ٣١ ، عشت وشاهدت ص ١٠٧ ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٦٣
٢ - الثورة العربية الكبرى - وناثق واسانيد ص ٢٦٦

المستعمرات . ولا ريب في انه كان من مؤيدي ترشيح فيصل بن الحسين لعرش العراق ، تكفيراً عن غدر الانكليز به . ويروي مستر تشرشل في الفصل الذي كتبه عن لورنس في كتابه « عظماء معاصرون » انه لما تولى وزارة المستعمرات في ربيع سنة ١٩٢١ (١٣٤٠ هـ) ، أنشأ فيها ادارة جديدة ضم اليها لورنس ، ثم سافر معه إلى القاهرة وفلسطين حيث اجتمع بجميع الخبراء في شؤون الشرق الأوسط ، ثم قدم إلى مجلس الوزراء اقتراحاً بأن تعوض بريطانيا على العرب عما أصابهم ، وأن ترضي بيت شريف مكة لما بذلوا من تضحيات ^(١) .

غير ان الملك فيصل لم يجر قضية ترشيحه لعرش العراق في بادئ الامر اهتماماً يذكر « وظل يفكر في القضية السورية قبل كل شيء وأكثر من كل شيء .. ولكنه عندما أحاط بعلماً بعد ذلك بخفايا السياسة الدولية ، من سفوح جبال الألب ومن ضفاف البحيرات الايطالية ، وحينما اضطر إلى معالجة القضية العربية بمعناها الشامل بسبب توليه تمثيل الحكومة الحجازية في مؤتمر الصلح للمرة الثانية ، أخذ يفكر في « ملكية العراق » بصورة جدية ، وصار يضع الخطط اللازمة لتحقيقها بصورة تضمن للعراق الاستقلال والتقدم ضماناً أكيداً ^(٢) » بيد انه ظل متردداً في ذلك اعتقاداً منه بأن هذا العرش يعود إلى أخيه عبدالله بناء على قرار المؤتمر العراقي في دمشق ^(٣) ، ولن ينافسه فيه . ولما رأت وزارة الخارجية البريطانية إصراره في هذا الشأن ، طلبت إلى الكولونيل لورنس ان يتصل بالأمير عبد الله للتأكد من انه ليس لديه أي اعتراض على تنصيب فيصل ملكاً على عرش العباسيين ، وقد تأكد لورنس من ذلك لا سيما وان هذا قد وعد الأمير بأن يكون ملكاً على سورية ^(٤) . وعلى الرغم من ان الملك فيصل بدأ يفكر في هذا الموضوع بصورة جدية ، فانه

١ - انظر تفاصيل مؤتمر القاهرة في :

Lawrence d'Arabie, par Bénédict Méchin, pp. 156—163

٢ - يوم ميسلون ص ٢٠٢

٣ - انظر صفحة ٣٥٩ - ٣٦٠ من هذا الكتاب .

٤ - عشت وشاهدت ص ٩٤

كان يؤكد للعاملين معه ان ليس ذلك إلا الخطوة الأولى من مجهوده الوطني ، وانه لن ينسى بيعة السوريين التي في عنقه ، وانه سيتابع العمل للوصول إلى تحرير سورية وتحقيق العهد الذي قطعه على نفسه بتحرير البلاد العربية وتوحيدها^(١) . ويروي يوسف الحكيم ان الملك قال له وهو يغادر دمشق : « لن أنسى سورية ، وسأواصل جهودي لتحقيق أمانها ما جرى في عروقي دم عربي^(٢) » .

واستمرت المفاوضات بين الحكومة البريطانية وفصل بن الحسين حتى شهر آذار (مارس) ١٩٢١ (١٣٤٠ هـ) ، وكانت هذه المفاوضات تسير ببطء وتتردد وحذر شديد من الفريقين ، في محاولة شاقة للتوفيق بين تناقضات السياسة البريطانية ، وبين رغبة بريطانية ومعارضة فرنسية ، وبين وطنية فيصل ومطامع الانكليز .

وفي أواخر آذار (مارس) انتقل الملك فيصل إلى القاهرة ، ثم غادرها إلى الحجاز للاجتماع بالملك حسين ، ثم انتقل من هناك إلى العراق عن طريق البصرة فبلغها في ٢١ حزيران (يونيه) ، وقد جال في مختلف أنحاء العراق يلقي الخطب ويشرح الأوضاع ويعرض الخطط ، فاستقبله العراقيون استقبالا حافلا ، وأقاموا للحفاوة به وتكريمه مختلف مظاهر الزينة والابتهاج .

وفي يوم ١١ آب (اغسطس) قرر مجلس الوزراء المناداة به ملكاً على العراق على أن تكون حكومته حكومة دستورية نيابية ديمقراطية ، ثم قام مجلس الوزراء باستفتاء عام بواسطة لجان ألفتها الوزارة من أرباب الكفايات وأوفدتها إلى سائر أنحاء العراق ، فكانت كل لجنة تدعو الأهلى إلى الاجتماع في مكان تعينه ثم تطلب منهم إبداء رأيهم فيقبلون على البيعة بحماسة منقطعة النظير .

وهكذا انعقد إجماع الشعب العراقي على اختيار فيصل بن الحسين ملكاً له ، وجرى تنويجه في حفلة رسمية أقيمت في بغداد في الثالث والعشرين من آب (اغسطس) سنة ١٩٢١ (١٣٤٠ هـ) وألقى الملك المرتجى بهذه المناسبة خطاباً

١ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٨٠

٢ - سورية والعهد الفيصلي ص ٢٠٣

رائعاً قال فيه : « .. واني لا آلو جهداً بأن أستعين برجال الأمة على اختلاف مذاهبهم وتباين طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم ، فالكل عندي سواء ، لا فرق بين حاضرم وباديهم ، ولا ميزة لأحد عندي إلا بالعلم والمقدرة ، والأمة بمجموعها حزبي لا حزب لي سواها ، ومصصلحة البلاد عامة هي مصلحتي لا مصلحة لي سواها (١) » .

وقد كان ذلك اليوم التاريخي بدء تحول جديد في حياة العراق ، إذ بدأ شكل الحكم يتغير تغيراً ملموساً ، وأخذت البلاد تسير سيراً حثيثاً نحو الاستقلال والسيادة الوطنية والازدهار . ومن أقوال الشعراء في تحية فيصل وتحية العهد الجديد ، قول الزهاوي :

انا محبوك فاسلم أيها الملك	ومصطفوك لعرش شاده الفلك
عرش العراق ضمان للعراق وفي	تأييده الشعب والأحزاب تشترك
الناس من فرح إذ جئت ترأسهم من بعد ما قد بكوا من يأسهم ضحكوا	
هذا السلام يعمّ الرافدين غداً	فلادم بعد هذا اليوم ينسفك
جرى ليلحق ناس بابن فاطمة	حتى إذا تعبوا في جريهم برکوا
من هاشم، من قريش، من ذوائبها	حيث الوشائج والأرحام تشبک
لله يا فيصل ما أنت مورثه	للعرب من شرف في شكره اشتركوا

١ - انظر النص الكامل للخطاب في « اليهود المتعلقة بالوطن العربي » ص ٢٦١

الفصل الرابع والعشرون

عبد الله بن الحسين بن علي دولة عربية في الأردن

كان في عزم الملك فيصل ، حين غادر دمشق ، أن يتخذ من حوران وشرقي الأردن ، مركزاً للمقاومة ومنطلقاً للعودة ، فما كاد يغادر درعا إلى حيفا في طريقه إلى أوربة ، حتى تفرق من صحبه أو التحق به من قادة الحركة العربية بين فلسطين ومصر وأوربة ، وقصد فريق آخر عمان وبقية أنحاء شرقي الأردن .

وكانت شرقي الأردن إحدى محافظات الدولة السورية التي بايعت الملك فيصل ، وأسهمت في الثورة العربية ، وناضت من أجل الاستقلال ، فتنادى رجالها إلى متابعة النضال وتعزيز المقاومة ، وأبدوا شجاعة فائقة في الحركات الثورية التي شهدتها حوران ، وكتب شيوخها إلى الملك حسين يناشدونه ان يرسل أحد أبنائه لقيادتهم وأن يدهم بالسلاح والعتاد .

وانقضت فترة قصيرة ومصير شرق الأردن مجهول ، فقد كانت في عهد فيصل بن الحسين جزءاً من الدولة العربية التي أنشأها ، والتي بسطت فرنسا سلطانها عليها ، ولكن فرنسا تخلت لبريطانية عن هذا الجزء النائي من سورية فدخل في منطقة الانتداب البريطاني على فلسطين ، غير ان السلطة البريطانية لم يكن لها وجود ملحوظ ولم تبدأ بالتدخل الفعلي في شؤون البلاد إلا بعد زوال الحكومة العربية

وانقطاع الصلة بين الأردن ودمشق ، وكانت المخططات البريطانية تقضي بإلحاق هذه المنطقة بفلسطين ، وكانت الأهداف الصهيونية تتلاقى مع هذه المخططات أملاً في توسيع رقعة الوطن القومي اليهودي .

وقد تألفت في أواخر سنة ١٩٢٠ (١٣٣٩ هـ) حكومات أو مجالس محلية في عدد من المدن الأردنية لإدارة البلاد بالتعاون مع معتمدين بريطانيين ، إلا أن هذه الحكومات لم تستطع تأمين حاجة البلاد إلى الأمن والاستقرار والتنظيم ، وكانت الحاجة شديدة إلى حكومة مركزية قوية تسيّر بالشعب الأردني في سبيل التقدم والازدهار .

وخلال تلك الفترة ، وبعد أربعة أشهر من العدوان الفرنسي على ميسلون ، وصل الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان ^(١) . ويرى المؤرخون أن الأسباب التي دعتهم للقدوم إلى معان كثيرة ، منها أن الملك حسين بن علي اعتبر معان تابعة للحجاز كلياً بعد انتهاء الحكم العربي في دمشق ، ومنها أن الوطنيين في شرقي الأردن وعلى رأسهم عودة أبو تايه وسعيد خير قاموا بإرسال عدد من البوقيات إلى الملك حسين على أثر مقتل الوزراء السوريين في خربة الغزالة وعصيان حوران ^(٢) ، يطلبون إليه إيفاد أحد أنجاله كي يتزعم الحركة الوطنية المناوئة للفرنسيين . ومنها أن الأمير عبد الله كان ناقماً على الإنكليز لأنهم حالوا بينه وبين السفر إلى العراق بعد أن بايعه زعماء العراق المقيمون في دمشق ملكاً على العراق يوم بايع زعماء سورية أخاه الملك فيصل ملكاً على سورية . ثم أن الأمير عبد الله كان من بين أنجال الملك الشخص الوحيد الذي يستطيع التفرغ لمهمة كهذه . فالأمير علي كان ولي عهد الحجاز وأمير المدينة المنورة ، بينما كان فيصل في أوروبا ومعه أخوه زيد بعد خروجهما من دمشق ^(٣) . ويقول خير الدين الزركلي في ترجمته لعبد الله بن الحسين : « استولى الفرنسيون على سورية ، فرحل جبهة من شبانها إلى جهات

١ - كانت معان لا تزال تابعة للحجاز ، ثم العتقت بشرقي الأردن بموجب اتفاقات بين الملكين حسين وعلي والأمير عبد الله .

٢ - انظر ص ٤٠٨ من هذا الكتاب .

٣ - تاريخ الأردن في القرن العشرين ص ١٢٢

معان ، وأرقت إلى أبيه الحسين تطلب النجدة لاستعادة أوطانها ، فأرسله أبوه على رأس قوة صغيرة إلى معان ^(١) »

والواقع ان الأمير عبد الله أراد أن يحقق الفكرة التي خالجت الملك فيصل حين غادر دمشق ، وهي اتخاذ شرقي الأردن مركزاً للمقاومة ومنطلقاً لتحرير سورية من براثن الاحتلال الفرنسي . وقد أراد الأمير ان يبلغ بقوة السلاح ، الهدف الذي كان فيصل يسعى لبلوغه عن طريق المفاوضات السياسية .

وقد ساور القلق كلاً من السلطة البريطانية في فلسطين والسلطة الفرنسية في سورية ، لوصول الأمير المفاجيء إلى معان ، ودعوته زعماء البلاد ورؤساء العشائر إلى الاجتماع به ، لما اشتهر به من جرأة وشجاعة ندرتين ، ولدعوته إلى معارضة تجزئة سورية الطبيعية ومقاومة الاحتلال الأجنبي في جميع الأجزاء .

وبادر مظهر رسلان متصرف الساط فأرسل إلى الأمير كتاباً يقول فيه : « لقد بلغ الحكومة الوطنية عزمكم على زيارة شرقي الأردن . ون كانت الزيارة مجرد السياحة فان البلاد ستقابلكم بالترحيب ، وان كانت لأغراض سياسية فالحكومة ستخذ كل الأساليب المانعة لزيارتكم » . فأجابه الأمير على رسالته متحدياً : « نني سأزور الأردن زيارة احتلالية ، وان الحكومة العربية المالكية بسورية هي التي انتدبتني ، فانا الآن أنوب عن جلالة الملك فيصل ، ويجب عليك أن تعلم ذلك ، كما يجب عليك تلقي الأوامر من معان ، وإلا فسيعين غيرك محمك ^(٢) » فلم يكن من مظهر رسلان إلا ان استقل القطار إلى معان ؛ ليعتذر من الأمير ويعرب له عن ولائه .

ويروي محمد علي العجلوني انه لما عاد من سورية إلى الأردن بعد الاحتلال الفرنسي ، ووردت الأنباء بوصول الأمير عبد الله إلى معان ، اتفق مع أحمد مريود وفؤاد سليم وخلف التل وأحمد التل وعدد من الفرسان ، على رسم خطة تمهد لقدم

١ - الاعلام ج٤ ص ٢١٢ .

٢ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٧١ .

الأمير عبد الله بن الحسين إلى بلاد الأردن ، وأخذوا يطوفون أنحاء البلاد ويتنقلون بين عشائرها ، داعين إلى هذا الهدف ، ثم شخص إلى معان وقابل الأمير في خيمة ضربت في فناء إحدى بنايات المحطة ، وقدم إليه الرسائل الموقعة من نخبة من رجال العشائر والسلط وعجلون وفيها يرحبون بمقدمه ويعلمون ولائم للبيت الهاشمي، وقال ان وصوله إلى عمان هو الأمر المنتظر ويبيّن الضرورة الداعية إليه ، فأجاب سموه ان قدومه إلى الأردن يقتصر على اتخاذ الأسباب لجمع الكلمة فيها، وانه يهدف إلى جعل هذه البلاد جسراً يقفز منه إلى سورية بعد أن يعمل على تجهيز حملة قوية ، وتكون الحملة من أهل البلاد مالأً ورجالاً ، فاقترح العجلوني ان يوجه سموه أحد الأشراف إلى عمان ، فان لقي النجاح كان ذلك باكورة التوفيق تمهيداً لانتقال سموه إلى عمان، فارتاح الأمير إلى هذا الاقتراح واستدعى لفوره الشريف علي الحارثي أحد أبطال الثورة ، وعهد إليه بهذه المهمة وعين العجلوني مستشاراً له ^(١) .

وقد انبث دعاة الأمير في البلاد ، وسارت الشائعات بأنه جاء لتجريد حملة على الفرنسيين في سورية ، وخاف الانكليز والفرنسيون نتائج هذا التجمع العربي الجديد ، فأذاعت حكومة فلسطين البريطانية بياناً قالت فيه انها لا تؤيد هذه الحركات العدائية بل تقاومها ، وحشد الفرنسيون قوات كبيرة في درعا وحوران، وكاتبوا الانكليز يستحثونهم على مقاومة الأمير وتطويق حركته ، وأعلن في بريطانيا ان اللورد كيرزون وزير الخارجية أبلغ فيصل بن الحسين ان حكومته تنظر بعين الاستياء إلى الحوادث الجارية في شرقي الأردن ، وطلب منه ان يرسل بوقية بهذا المعنى إلى الملك حسين ^(٢) .

ولبت الأمير الشجاع فترة في معان يوجه البيانات وبوفد الرسل لشرح دعوته وبيان هدفه ، وأخذ الشريف علي بن الحسين الحارثي يتصل بزعماء البلاد وأحرارها داعياً إليهم إلى توحيد الكلمة وتجديد النضال تحت راية الأمير عبد الله .

١ - ذكريات العجلوني ص ١٠٤ - ١٠٧ .

٢ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٦٥ .

وبما قاله الأمير في البيان الذي أصدره في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠م):
 « كل عربي يعلم انكم يا أبناء سورية تستصرون وتستثيرون حمية ليائكم
 مسرعاً ملياً مقبلاً غير مدبر ، ومن حيث قد توات علينا الدعوات وصمت آذاننا
 الصرخات ، فما أنا قد أتيت مع أول من لباكم نشاركم في شرف دفاعكم ، لطرد
 المعتدين عن أوطانكم بقلوب ذات حمية ، وسيوف عدنانية هاشمية .
 » ليعلم كل من أراد اهانتكم وابتزاز أموالكم واهانة علمكم واستصغار كبرائكم ،
 ان العرب كالجسم الواحد إذا شكا طرف منه اشتكى كل الجسم ، وان الله
 سبحانه وتعالى لم يترك الأمة سدى بداد متفرقة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب
 وواهن القول ^(١) . »

وعلى الرغم من طلب السلطات البريطانية من عبدالله بن الحسين البقاء في معان ،
 وتحذيرها الأهليين من الاتصال به والانضمام اليه ، فقد عزم على الانتقال إلى عمان ،
 وذهب عدد من زعماء البلاد إلى معان ليكونوا في ركابه بينهم سعيد خير وسعيد
 المفتي وكامل القصاب وأمين التميمي وعوني القضائي وعوني عبد الهادي وسليمان
 البليسي ومظهر رسلان . وخاطب الأمير مودعيه بقوله :

« كلكم يعلم ما حل بالبلاد ، واننا نرى دماءنا وأموالنا رخيصة في سبيل الوطن
 ونخليصه . ولقد قطعتم الفيا في القفار والتحتم بنا للذود عن البلاد والأعراض .
 وقد كان سعيكم سعيّاً مشكوراً وعملاً مبروراً ، بارك الله فيكم وحيا شعوركم
 الصادق . »

« انني الآن مودعكم وأود أن لا أرى بينكم من يعتري إلى اقليمه الجغرافي ،
 بل أحب أن أرى كلاً منكم ينتسب إلى تلك الجزيرة التي نشأنا وخرجنا منها ،
 والبلاد العربية كافة هي بلاد كل عربي ^(٢) . »

وقد استقبل الأمير في عمان استقبالاً عظيماً ، وتسابق رجال البلاد إلى

١ - انظر النص الكامل للبيان في المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٧٠ .

٢ - تاريخ الاردن في القرن العشرين ص ١٤٢ .

الحفاوة به وتكريمه ، وانعقدت آمال الوطنيين عليه في تحقيق الوحدة العربية وانتزاع الحق العربي ، وعاهدوه على الالتفاف حوله والسير معه ، وطلبوا منه ان يبادل الأمة العهد فقال : « اعلّموا انه ما جاء بي إلا حميتي وما تحمله والذي من العبء الثقيل ، فانا أدرك الواجب عليّ » ، ولو كان لي سبعون نفساً لبذلتها في سبيل الأمة ، ولما عددت نفسي اني فعلت شيئاً^{١١} .

وشرع عبد الله بن الحسين يسلك في عمان سلوكه الحاكم الفعلي ، وقد احتل رجاله المنطقة الأردنية بكاملها ، وأخذت الأوامر تصدر إلى الحكومات المحلية من عمان ، وبادر إلى تعيين عوني عبد الهادي رئيساً لديوانه ، ثم سلمه رسالة إلى المندوب السامي في القدس ينبئ فيها انه إنما قدم إلى عمان لتحرير سورية ، فاضطرب المندوب السامي حين تبلغ الرسالة وطلب من حاملها ان يبلغ الأمير ضرورة عودته من حيث جاء ، فقال عوني عبد الهادي ان الرجوع غير ممكن لأن منطقة شرقي الأردن جزء من مملكة فيصل ، وقد جاء الأمير عبد الله اليها نائباً عن أخيه بعد إلحاح شديد من الأهلين وأصحاب الشأن الأول في الأمر . وكانت المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية قد قرر المجيء إلى القاهرة لعقد مؤتمر تسوّي فيه القضايا المعلقة في الشرق الأوسط ، فطلب المندوب السامي البريطاني من عوني عبد الهادي أن يبلغ الأمير رجاءه بأن لا يحرك ساكناً حتى يصل المستر تشرشل إلى القاهرة . وعاد عوني عبد الهادي إلى عمان وأبلغ الأمير ذلك . وكان التصميم تاماً في عمان على ان يبقى الأمير فيها مهما كانت النتائج^{١٢} .

وجاء تشرشل إلى القاهرة ثم انتقل منها إلى القدس ، ودعي عبد الله بن الحسين إلى الاجتماع به ، فسافر من عمان يرافقه وفد كبير من زعماء العرب بينهم رشيد طليع وعوني عبد الهادي وأحمد مريود وأمين التميمي ومظهر رسلان وغالب الشعلان . ويروي المغفور له في كتابيه « الأمالي السياسية » و « مذكراتي » قصة

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٣ ص ١٢ .

٢ - تاريخ الاردن في القرن العشرين ص ١٤٣ ، انظر ايضاً حديث عوني عبد الهادي في

ملحق الحياة الخاص بالثورة العربية الكبرى .

تلك الرحلة التاريخية والنتائج التي انتهت إليها ، فيقول انه استقبل في السلط باسم المندوب السامي من قبل الايول مارشال سالمون والكونونيل لورنس . وقد قضى تلك الليلة هناك ، وحده لورنس عن الموضوع الذي سيرضه عليه المستر تشرشل ، فهو سيقترح عليه إقناع أخيه فيصل بالذهاب إلى العراق لترشيح نفسه ملكاً عليها ، وسيبادر إلى الاعتراف بالأمر الواقع الذي تم على يدي الأمير عبد الله في شرقي الاردن فيعرض عليه البقاء فيها لإقامة دولة عربية برئاسته ، وأضاف قائلاً .

— المعروف عنك انك تضحي بشخصيتك من أجل وطرك ، فابق وإذا توفقت ستظفر بعد ستة أشهر بوحدة سورية ، وسنزورك في دمشق مهنيين ان شاء الله بتوفيقك لإصلاح ما خرب .

فلم يجبه الأمير بشيء ، وتذاكر بالأمر ليلا مع الشخصيات الوطنية التي ترافقه ، فوافق الجميع على ذلك ، ووجدوا فيه فرصة ذهبية لاستعادة ما سلب وتوحيد ما تجزأ وتفرق .

ولما وصل الموكب إلى أريحا استقبله أعيان فلسطين وعلى رأسهم موسى كازم الحسيني ، وألقيت في هذا الاستقبال الحافل الخطب الوطنية الحماسية ، بما حمل السلطة البريطانية على منع موكب الأمير من التوقف في مدن أخرى .

ووصل الموكب أخيراً إلى القدس ، فاستقبل الأمير استقبالا رسمياً ، ودعي إلى العشاء على مائدة المندوب السامي السر هيرت صموئيل بحضور المستر تشرشل ، وأثناء الطعام قال تشرشل للأمير :

— ماذا وقع في بلدة الشجرة ؟ لقد عصفت هناك عاصفة عصاة فاعتدت وقتلت ، ولقد تلقيت من الحكومة برقيات تشير إلى هذا الحادث الذي يعزى وقوعه إلى تأثيرك .. ولكن لي منكبان ضيخان يحتملان عنك احتجاج الحكومة !..

فأجاب الأمير مبتسماً :

— لم يبلغني خبر هذا الحادث إلا من فخامتكم الآن ، على انني لم أتعهد لأحد بأبي تعهد في معناه منع الناس عن الدفاع عن أوطانهم !
والثفت الأمير إلى غالب الشعلان وسأله عن الحادث ، فقام عن مقعده وحييا

الأمير نحية عسكرية وقال :

— لعلها حركة لصوص غير مقصودة ، أما الهيئات الوطنية فهي في انتظار أوامرك فيما ستفعل !

وفي اليوم التالي عقد الاجتماع الرسمي ، وقد حضره من الجانب البريطاني المستر تشرشل والسر هربرت صموئيل والسكرتير العام لفلسطين السر وندهام ديدس ، ومن الجانب العربي عبد الله بن الحسين وعوني عبد الهادي . قال الأمير : « ففتح الحديث وزير المستعمرات بذكر المقاصد الطيبة التي جمعت بريطانيا والعرب في الحرب ، وبالأمال المنوطة بتلك الروح ، وبذكر التعاون الذي حصل في الحرب ، ثم ذكر جهود بريطانيا في الحيلولة بين حدوث ما حدث بين فرنسا والعرب ، ثم قال : لذلك ولأن انكسار محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين ، وهم حلفاؤها ، فإنها تنصح — وهو يبلغ هذه النصيحة إليّ — بلزوم انصراف الأمير فيصل بن الحسين عن سورية وسفره إلى العراق ليرشح نفسه لملك العراق ، وإن الحكومة البريطانية تعلم أن فرنسا لا تشغل بوجه من الوجوه مع الملك فيصل أو الأمير زيد ... وأنه يجب عليّ أن أساعد على هذا الغرض ، وأؤثر على والذي أن يقبل به ، وأن أؤثر على العراق أن يرضوا بالأمير فيصل ، وأن أبقى هنا في شرقي الأردن على تفاهم معهم ، فأسير بالناس سيرة تبتعد عن تحدي الفرنسيين ، وأنه إذا تم هذا فإنه يؤمل أن تعيد فرنسا النظر في الأمر ، وبالنسبة فإنه يعتقد الاستطاعة بعد ستة أشهر في أن يهيننا بروجوع الشام إلى أيدينا .

« وأما فيما يخص فلسطين ، فنوه بالوعد المنسوب المنسوب إلى بلفور ، وقال أنه لا يستطيع البحث في هذا الشأن لأن الأمر سيتروك للندوب السامي » .
وقد أجاب الأمير بأنه يسره ترشيح أخيه فيصل لعرش العراق وهو كفاء لذلك وسيحض والده على تأييد ذلك ، وأضاف : « أما فيما ينبغي أن أعمله هنا فأنني أوافق على وجهة الرأي ، ولكن لا أستطيع قبوله حتى أعرضه على زعماء البلاد وأحزابهم وهم هنا معي ، ومن غاب فله من يثله ، وأجيئك غداً في مثل هذه الساعة . وأما أهل فلسطين فهم يرفضون وعد بلفور ويصرون على عروبة فلسطين ،

وكذلك هي ، ولا نستطيع ان نرضى بفناء أهل فلسطين من أجل يهود العالم ،
وانهم ليسوا كالنبات أو الشجر كلما قام نبت ، ولهذا شأن يطول . فقال : لقد
أتعبناك ، وانا لنتنظر جوابك في الغد .

« وقد اجتمعت بالذوات الذين معي والذين ذكرت أسماءهم في مقدمة هذا
البحث فوافقوا اجماعاً . وفي الوقت المعين من اليوم الثاني ، أبلغت الخبر ، وتقرر
أن يزور المندوب السامي عمان لوضع الأساس للاتفاق على تشكيل الادارة في
جميع نواحيها ^(١) » .

وهكذا تألفت امانة شرقي الأردن ^(٢) ، بعد أن وعد عبد الله بن الحسين من
قبل قطبين بريطانيين بأنه لن تمضي ستة أشهر حتى تكون دمشق عاصمة ملكه ^(٣) .
ولما كان صك الانتداب على فلسطين ينص على إنشاء وطن قومي لليهود في
فلسطين ، فان بريطانية قدمت في ١٦ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٢ (١٣٤١ هـ)
مذكرة رسمية إلى مجلس جمعية الأمم تطالب استثناء شرقي الأردن من أحكام هذا
النص بما في ذلك النص الذي يحتم تسهيل هجرة اليهود إلى البلاد واستيطانهم فيها ،
وقد وافق المجلس على ذلك ^(٤) .

وقد احتجت الأوساط الصهيونية على ذلك ، وقال لويس نايير أحد أقطابها ان
لورنس حدثه عن مؤتمر القاهرة قائلاً ان العزم عقد في لندن على دمج شرقي الأردن

١ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٧٦ - ١٨٢ ، انظر أيضا حديث عوني عبد
الهادي الذي سبقت الإشارة اليه .

٢ - اعلن استقلال الامارة في سنة ١٩٢٦ وسميت « مملكة شرقي الاردن » وتوج عبد الله
بن الحسين ملكا عليها ، ولما انضمت اليها فلسطين الشرقية في نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٠
دعيت « المملكة الهاشمية الاردنية » .

٣ - لا حاجة الى القول بان تواطؤ السياستين البريطانية والفرنسية ، وظهور النزعات
الاقليمية في العالم العربي ، هما اللذان حالا دون تحقيق هذا الامر .

٤ - تاريخ الاردن في القرن العشرين ص ١٨٦ ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٥ ،
موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٢٤٨ ، بريطانيا والدول العربية ص ١٧٥ ، الدورد المتعلقة
بالوطن العربي ص ٢٢٢ .

وفلسطين وفتح القطرين أمام الهجرة اليهودية ، ولكن مجيء الأمير عبد الله إلى شرقي الأردن وهو بنوي مهاجمة الفرنسيين أفسد علينا الخطة ، ولما كانت الوزارة البريطانية تعارض استعمال القوة لرغبتها في تفادي النفقات المالية ، فلم يبق إلا أن نبحث في حل سلمي ، وكان أفضل حل هو الاتفاق الذي عقدناه مع الأمير ، ولم تكن لنا حرية في اختيار أي حل غير هذا ^(١) .

وهكذا يبدو بجلاء أن عوني عبد الهادي كان على حق حين قال : « إن إنشاء إمارة شرقي الأردن كان عملاً وطنياً مفيداً ، ولولا ذلك لكان من المرجح أن يمتد الخطر الصهيوني إلى هذه المنطقة . ومن المعلوم أن شرقي الأردن لم تستثن من أحكام وعد بلفور إلا سنة ١٩٢٢ بعد انقضاء أكثر من عام على تأسيس الإمارة فيها » ^(٢) .

ومجاري عوني عبد الهادي في رأيه هذا كثير من أقطاب العرب ومؤيديهم ونكتفي هنا بقول مسلم العطار : « لولا المغفور له الملك عبيد الله لكان من المؤكد إلحاق شرقي الأردن بفلسطين وبالوطن القومي اليهودي ، لذلك كان إنشاء الإمارة إنقاذاً لهذه المنطقة من التملك الصهيوني ، وقد رافقت تطور شرقي الأردن منذ أن كانت السلطة الأجنبية تسيطر على مقدرات البلاد ، إلى أن تدرجت نحو الاستقلال التام ، بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها الملك عبد الله والتي لم يكن هناك سياسة أفضل منها في ظروف ذلك الزمن » ^(٣) .

وقد عقدت فيما بعد معاهدة بين الحكومة الإنكليزية وسمو الأمير عبد الله ، اعترف فيها ملك بريطانيا بقيام دولة مستقلة في شرقي الأردن برئاسة أمير شرقي الأردن « بشرط أن تكون دولة دستورية » ، وأهم أحكام هذه المعاهدة أن « سلطات التشريع والإدارة المعهودة إلى صاحب الجلالة ملك بريطانيا كمنتدب على فلسطين ، يقوم بها في هذا الجزء من المنطقة تحت الانتداب المعروف باسم شرقي

١ - لورنس والعرب ص ٢٠٧ .

٢ - ملحق الحياة الخاص بالثورة العربية الكبرى ص ١٢ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٢ .

الأردن ، سمو الأمير عن طريق حكومة دستورية يحددها ويقرها القانون الأساسي لشرقي الأردن^(١) ، وتعددت المعاهدات بعد ذلك بين الدولتين ، والأردن تنتزع في كل معاهدة جديدة مزيداً من المكاسب السياسية الوطنية، وتقترب شوطاً آخر من الاستقلال التام.

١ - بريطانيا والدول العربية ص ١٧٦ ، اليهود المتلفة بالوطن العربي ص ٢٥١ ، الثورة العربية الكبرى ج ٣ ص ٢٦

الفصل الخامس والعشرون صمود الحق الأعززل

لقد وضعت الحرب أوزارها وخمدت نيرانها، وقرر مؤتمر الصلح مصائر الشعوب، فإذا الآمال خيال ، وإذا الموائيق سلاسل واغلال ، ووقف ذلك المنفذ الأعظم والمجاهد الأول ، الملك حسين بن علي ، يطالب الدول الخليفة بعودها ، ويستنجزها عهودها ، فتجيبه بتحطيم الصرح الذي بناه ، وتمزيق الوحدة التي غداها من قلبه وعزيمته وتضحيته ، والاطاحة بالاستقلال الذي كان له هدفاً ومثلاً ..

واعجب ما شئت لشيخ جليل، أحدثت به المؤامرات، وتتابع على الأحداث، ولكنها لم تستطع أن تعجم من عوده ، وتلين من قناته ، وتطفئ الشعلة المتأججة في نفسه ، فظل ثابتاً كالطود في وجه العواصف ، مناضلاً ما وسعه النضال ، مقاوماً ما استطاع المقاومة ، يأبى الانحناء أمام جبروت الحلفاء ، والتراجع أمام الأعباء السياسية ، والحضوع أمام تهديد القوة الغاشمة للحق الأعزل .

لقد كان لا يفتأ ينادي بعروبة فلسطين ، ولا يني محتج على الانتداب ، ويقول انه بدعة استعمارية جديدة ، وان الانتداب على البلاد العربية لا يتفق مع العهود التي قطعت لها ومع أماني شعوبها في التحرر والاستقلال .
وكان لا يكتفم نعمته على دول الحلفاء وفي مقدمتها بريطانية ، لنكشها بالعهود ،

وتكرها للاتفاقات الصريحة المعقودة بينه وبين السرمكهاون . وعبثاً حاولت بريطانية الوصول إلى تسوية مع الملك الغاضب نحطى برضاه وتحقق مطامعها في آن واحد .. عبثاً حاولت حكومة صاحب الجلالة ان تتزع منه ، باللين تارة وبالغنف تارة أخرى ، معاهدة تحقق أهدافها وتثبت أقدامها ، فقد أبى أن يفرط في الامانة المقدسة التي حملها بيدى شريفتين ونفس عزيزة أبية ، واقتحم في سبيلها عباب الأهوال والمحاطر .

ويروي عبد الله بن الحسين ان اللورد اللنبى قد زار جدة لهذا الغرض ، واتمة مباحثات قد دارت بينه وبين الملك حسين في سبيل الوصول الى تلك التسوية المنشودة ، الا انه لا يحدثنا عما دار في تلك المباحثات ويكتفي بالقول : « فسافرنا إلى جدة وكانت زيارة اللورد ، وكانت المباحثات غير المنتجة سوى ازدياد عدم التفاهم ، وكان الموضوع الشام وفلسطين والعراق (١) » .

وبعد اللنبى جاء لورنس ، وكان تشرشل قد أتم مهمته في الشرق الأوسط ، وينقسم عرش العراق الملك فيصل ، ووافق الامير عبد الله على ان يتولى اعادة شرقي للأردن ، فلما عاد تشرشل الى لندن ذهب لورنس الى جدة فوصل في اواخر شهر آب (اغسطس) ١٩٢١ ، وفي اعتقاده انه سيجد الملك الشيخ أكثر ليلاً وتسامحاً بعد أن تولى ولداه عز شين وعربيين واستقل هو بعرض الحجاز ، معتقداً بأن بريطانية قد وفقت بالتزاماتها للعرب .

وكان لورنس يعمل معه من لندن مشروع معاهدة بين الحكومة البريطانية ووجلالة الملك حسين ، فعرضها عليه وطلب منه توقيعها ، وكانت هذه المعاهدة تضمنت للحجاز الحماية والمساعدة مقابل اعترافه بالانتداب على العراق وفلسطين وشرقي الأردن ، وقد سمي الانتداب في المعاهدة مركزاً خاصاً لبريطانية (٢) .

ولما اطلع الملك حسين على هذا المشروع قال : « ولكني لا أجد فيه شيئاً عن

١ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٦٥

٢ - انظر نخب هذا الشروع في : الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٥٩ ، الجهود المتعلقة بالوطن العربي ص ٢٦٥ ، الثورة العربية الكبرى - ولاتى واسانيد ص ١٧٥

فلسطين وعروبته ! ، ثم اقترح ادخال نص بأن فلسطين مستقلة وداخلة في الوحدة العربية ، فاعتذر لورنس بعدم امكان ذلك في الوقت الحاضر مؤكداً انه لا يدخل في دائرة اختصاصه ، واعتذر الملك عن التوقيع وخاطب لورنس في كثير من الغيظ والجفاء ، مصرأ على تنفيذ العهود المقطوعة للعرب بمذاخيرها ، قائلاً : « ان العرب وضعوا قضية بلادهم أمانة في عنقي فليس في وسعي الحياد عن طلب حريتهم . »

واتفقت كلمة الحاشية التي كانت تحيط بالملك في خلال المباحثات ، على وجوب قبول المشروع وتوقيع خشيته مكر الانكليز وغدرهم فلايتأمرون . على الدولة ولا يوقعون بها ، وكان لورنس قد حذر المحيطين بالملك من مغبة الرضى وما سيجر على الحسين من متاعب وخيمة ، ولكن الحسين لم يكن يعرف المساومة في حقوق الوطن ، فاخفقت محاولاتهم رغم الحاحهم الشديد عليه بالقبول ، وأصر على الرضى ، ولما اشتد الضغط عليه ارتقى سلم الدار التي كانوا ينزلون بها في جدة إلى السطح ، وولى وجهه شطر البيت الحرام ، وأقسم بربه ألا يوقعه ، ثم انزوى لوحده لا يكلم احداً ولا يخاطب احداً^(١) ويقول بنواميشان ان الحسين قد أهان لورنس في هذه المقابلة وشتمه وشهر عصاه في وجهه مهدداً بالقائه من أعلى سلم القصر^(٢) .

وعاد لورنس الى لندن يائساً مخففاً ، وكان ذلك آخر عهده في التدخل بالشؤون العربية ، وقد التحق اثر ذلك في الجيش البريطاني برتبة جندي بسيط .

وكان صمود الحسين في رفضه التنازل عن حقوق العرب جديراً بالاعجاب ، لاسيما وان موقفه هذا كان معناه فقدان تأييد بريطانية ومساعدتها له . ويقول فيليبي : « ولم تجد الرشوة والوعيد في زحزحة الرجل العجوز عن موقفه المعارض لسياستنا بصورة عامة في جميع المنطقة . وفي النهاية احس لورنس باليأس فغادر جدة بعد ان اوصى الحكومة البريطانية بقطع المعونة المالية عن الحجاز ، والتخلي عن الحسين

١ - اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ص ٣٥٠ ، الحسين بن علي

والثورة العربية الكبرى ص ١٦٨
Lawrence d'Arabie, P. 162 ٢

ليطف ثمار عناده وصلابته ^(١) ويقول فيليبي أيضاً: « ان الملك حسين رفض رفضاً باتاً ان يعترف بسياسة الوطن القومي اليهودي في فلسطين بأي شكل كان ، وهو الأمر الذي كان الانكليز يسعون لتحقيقه من المعاهدة ^(٢) » .

وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ (١٣٤١ هـ) أصدر المجلس الوطني في تركيا الحديثة قراراً باعلان الجمهورية التركية وانتخب مصطفى كمال رئيساً لها ، وكانت الرغبة متجهة نحو الاحتفاظ مؤقتاً بالخلافة ، فاختر عبد المجيد ابن السلطان عبد العزيز لهذا المنصب بعد أن جرد من جميع السلطات التي كانت له ^(٣) .

وقد أثار ذلك استياء المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، ورأى الأمير عبد الله ابن الحسين ان الوقت مناسب لخطب الخلافة لوأله الحسين ، باعتبارها حقاً من حقوقه ، ولعدم جواز بقاء المسلمين اكثر من ثلاثة أيام بلا إمام ، كما يفهم من وصية عمر ابن الخطاب لأهل شوري البيعة من بعده .

ودعا الأمير عبد الله والده الى زيارة عمان ، فقدم اليها في ١٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ (١٣٤٢ هـ) ، ثم انتقل منها الى « الشونة » مشقياً ولده للراحة والاستجمام ، فتقاطرت الى هذه البلدة وفود من سورية ولبنان وفلسطين ومصر والأردن للسلام عليه ومبايعته بالخلافة . وقد تمت البيعة في ١١ آذار (مارس) سنة ١٩٢٣ (٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ) . وكان الأمير عبد الله أول مبايع باسم شعب الأردن والحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى باسم فلسطين ، ثم تلاهما قضاة المحاكم الشرعية في فلسطين ، وبعض علماء سورية ولبنان ، وخطبوا باسمه على المنابر هناك ^(٤) ، كما تلقى برقية من أحمد زكي شيخ العروبة في مصر يقول

١ - لودنس والعرب ص ٢٥٥ ، العالم العربي ص ٢٧٦ نقلا عن :

Philby : Arabian Days, P. 228

٢ - الثورة العربية الكبرى - وثائق وإسناد ص ٢٧٢ نقلا عن :

Forty Years in the Wilderness, PP. 107 - 108

٣ - الفى المجلس الوطني التركي الخلافة نهائيا بقرار آخر اتخذه في ٣ آذار (مارس) .

سنة ١٩٢٤ وقضى باخراج الخليفة من البلاد .

٤ - اسرار الثورة العربية الكبرى وماساة الشريف حسين ص ٣٥٨

فيها : « اهنيء العرب والشرق برجوع قريش إلى الحياة العملية لاعادة الاسلام سيرته الاولى على يدي سيدي ومولاي الخليفة الأعظم الحسين بن علي أبيه الله ووفقه لاحياء هذا المجد العظيم » .

ومن أقوال الشعراء في هذه البيعة قول بدر الدين الحامد أحد شعراء سورية :

تاج مجد الخلافة انتظما	فوق رأس الخليفة العربي
يا بني هاشم خلافتكم	زتموها بالحق والقضب
يا ربوع الحجاز طبت ثرى	فيك مجدي وفيك خير نبي

وقول الشاعر اللبناني محمد كامل شبيب العاملي :

اليك ملك العرب مني بيعة	مباركة عن أهل صيدا وعامل
أجل بآبعتك اليوم فخر وهاشم	وجارهما آساد حرب ووائل
أبت أن ترى إلالك للعرب ملجأ	وأعظم حام للخلافة كافل

وقد خطب جلالة في الوفود العربية الملتفة حوله فقال : « لا أتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد . لا أقبل الا ان تكون فلسطين لأهلها العرب ، أقول لأهلها العرب . لا أقبل بالتجزئة ، ولا أقبل بالانتداب . ولا أسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهد التي قطعتها للعرب ، وإذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي أطلبه فاني أرفض المعاهدة كلها ، أقول المعاهدة كلها ، ولا أوقع المعاهدة قبل أخذ رأي الأمة »^(٢) .

على هذا النحو كان جلالة يبيت في الوفود العربية التي تقاطرت من كل حذب وصوب ، روح الوطنية والتضحية ، ويحضرها على مقاومة الاستعمار والتعلق بقوميتها ووحدتها ، فخشي الانكليز أن يؤدي وجوده في الاردن إلى قيام اضطرابات معادية

١ - احمد زكي الملقب بشيخ العروبة ص ٢٣٣

٢ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٩٩

لهم في فلسطين ، فأوفد المندوب السامي رسولاً خاصاً هو المستر اليك كوكسبريد إلى الملك حسين ليطالب منه بلطف أن يعود إلى الحجاز، فغادر عمان يصحبه الأميران علي وعبد الله^(١) .

وعاد الحسين إلى مكة ، فدعا ذوي المكانة إلى اجتماع تقرر فيه تأسيس مجلس يطلق عليه اسم «مجلس شورى الخلافة» يضم ٣٩ عضواً من سائر الأقطار الإسلامية والعربية .

ولما عقد مؤتمر لوزان لحل المشكلات المتعلقة بين تركيا ودول الحلفاء^(٢) ، أبرق الملك حسين إلى ناجي الأصيل مندوبه في لندن للسفر إلى لوزان ومقابلة وزير الخارجية البريطانية اللورد كيرزون ، وتذكيره بحقوق العرب ، ومطالبته بالوفاء بالعهود التي قطعت لهم بإقامة دولة عربية موحدة تضم جميع البلاد العربية في آسية باستثناء عدن ، فقابل الدكتور ناجي لأصيل وزير الخارجية البريطانية وأبلغه احتجاج الحسين من جديد ، واتفق معه على إعادة الاتصال به في لندن .

وما لبث الدكتور ناجي الأصيل أن حمل إلى الحسين في أواخر نيسان (أبريل) ١٩٢٣ ، مشروع معاهدة جديدة وضعته وزارة الخارجية البريطانية وعهدت إليه بإطلاع الملك حسين عليه وأبداء رأيه فيه . فأدخل الملك على مشروع بعض التحفظات ، وأعادته مع مندوبه إلى لندن لاتمام المناقشات بشأنه مع وزارة الخارجية . ونشر في ما يلي خلاصة لهذا المشروع :

المادة الأولى - تنص على وجود سلم بين الحكومتين البريطانية والحجازية وعلى منع استعمال بلاد الحكومة الواحدة قاعدة عدوان موجهة ضد الحكومة الأخرى .
المادة الثانية - بتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يعترف باستقلال العرب في العراق وشرقي الاردن والولايات العربية في شبه جزيرة العرب . ما خلا عدن ، وأن

١ - تاريخ الاردن في القرن العشرين ص ٢٢٨

٢ - عقد مؤتمر لوزان للمرة الاولى من ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ إلى ٤ شباط (فبراير) ١٩٢٣ دون أن يسفر عن نتيجة ما ، ثم عقد للمرة الثانية في ٢٣ نيسان (أبريل) وأسفر عن معاهدة الصلح في ٢٤ تموز (يولييه) .

يعضد هذا الاستقلال. وأما في ما يتعلق بفلسطين فقد تعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن لا يجري شيء في هذه البلاد بما يمكن أن يحجب بحقوق العرب المدنية أو الدينية، وأما إذا أبدت هذه الحكومات أو كلها، رغبة في الاشتراك في الجمارك أو خلاف ذلك، بقصد إيجاد حلف فيما بعد، فإن صاحب الجلالة البريطانية يسعى لترويج رغبتهم إذا طلب إليه ذلك المتعاقدون ذوو الشأن. ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية، بالمرکز الخاص الذي جلالته في العراق وشرقي الأردن وفلسطين، ويتعهد بأن يبذل غاية جهده في التعاون مع الجلالة البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد.

المادة الثالثة — يتعهد ملك الحجاز بالمحافظة على العلاقات الودية التي وجدت قبل الحرب بين جلالته وبين حاكم عسير وحاكم نجد.

المادة الرابعة — تتعهد الجلالة الهاشمية، بأن تسعى في تسوية المنازعات بشأن الحدود بين بلاده وحاكمي عسير ونجد، بمخبرات ودية. ويتعهد ملك بريطانيا بأن يسعى في المساعدة بتسوية منازعات كهذه عندما يرغب ذلك.

المادة الخامسة — يتعهد ملك بريطانيا بأن يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد المملكة الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائياً.

المادة السادسة — تنص على تعيين وكيل من قبل الجلالة الهاشمية في لندن، وعلى تعيين وكيل من قبل جلالته في جدة أو أي مدينة ساحلية أخرى. ويجوز للجلالة الهاشمية أن تعين أيضاً قناصل من قبلها في انكلترا والهند، وكذلك يحق لبريطانية أن تعين قناصل في جدة وغيرها من المدن الساحلية كما يرى موافقاً، ويتمتع هؤلاء الوكلاء والقناصل بالامتيازات السياسية والقنصلية العادية.

المادة السابعة — يعترف ملك الحجاز بالترتيبات الصحية والكورنتينات الموضوعة مؤقتاً من قبل الحكومة البريطانية في قمران، قياماً بنصوص الاتفاق الصحي الدولي المعقود في سنة ١٩١٢، وتتعهد بأن تعترف بالتدابير التي قد تتخذ في جدة أو في غيرها من المرافئ الهاشمية، وفقاً لأنظمة يصدرها ملك الحجاز.

المادة الثامنة — تتعهد بريطانيا ألا تتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز

للاعتناء بالحجاج. وتعهد ملك الحجاز بأن يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز .

المادة التاسعة - تنص على تعيين مبلغ محدود يدفعه كل حاج ، وعلى نشر المبلغ الوارد سنوياً .

المادة العاشرة - تنص على الاعتراف بالصفة الهاشمية التي لرعايا الحكومة الهاشمية في بريطانيا ، وكذلك يعترف ملك الحجاز بهذه الصفة للرعايا الانكليز في بلاده .

المادة الحادية عشرة - تنص على تسليم أموال الرعايا البريطانيين ممن يموتون في بلاد جلالته الهاشمية ، إلى المعتمدين البريطانيين في تلك البلاد ، ويتصرف بأموال كهنه وفقاً للقانون الساري في ظروف كهنه .

المادة الثانية عشرة - تنص على حضور قنصل بريطاني ، في المحاكم الهاشمية عندما تنظر هذه المحاكم في قضية يكون فيها احد الرعايا البريطانيين مدعياً أو مدعى عليه ، وعلى تأجيل الحكم إذا رغب المعتمد البريطاني في اجراء التحريات طبقاً للعدالة . ولا تسري نصوص هذه المادة على حالة الرعايا البريطانيين أو الأشخاص الذين يتمتعون بحماية جلالة البريطانية القاطنين في البلاد الهاشمية .

المادة الثالثة عشرة - تنص على تسليم الحكومة الهاشمية الرعايا البريطانيين الذين يلقي عليهم القبض من قبل السلطات الهاشمية ، إلى القناصل البريطانيين ، بشرط أن يعطي هؤلاء ضماناً باحضارهم عند الاقتضاء . ولا تسري نصوص هذه المادة على الرعايا المقيمين بصورة دائمة في بلاد الحكومة الهاشمية خارج جدة وغيرها من المرافئ التي قد تعين بريطانيا قناصل فيها .

المادة الرابعة عشرة - تنص على رؤية دعاوى البريطانيين التي لا تمس فيها مصالح رعايا الحكومة الهاشمية ، من قبل قناصل بريطانيا .

المادة الخامسة عشرة - تنص على تنازل بريطانيا عن جميع الامتيازات والاستثناءات خلاف المنصوص عليه في هذه المعاهدة التي كانت يتمتع بها رعايا بريطانيا ، بمقتضى الامتيازات بين بريطانيا وتركيا .

المادة السادسة عشرة - تنص على اعلام الحكومة الهاشمية المعتمد البريطاني

عندما ترغب في ابعاد احد الرعايا البريطانيين .

المادة السابعة عشرة - تعالج الشروط التي بموجبها تعترف بريطانيا بعلم جلالته
الهاشمية .

المادة الثامنة عشرة - تصرح بأنه لا يجوز لأحد الفريقين الساميين المتعاقدين ان
يعقد معاهدة أو اتفاقاً مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق السامي المتعاقد الآخر .

المادة التاسعة عشرة - تنص على انه لا شيء في هذه المعاهدة ، يبطل أي تعهد
قد تعهد أو يتعهد به في المستقبل ، أحد الفريقين المتعاقدين الساميين ، بمقتضى ميثاق
جامعة الأمم .

المادة العشرون - تنص على تصديق المعاهدة ، وانها نافذة المفعول لمدة سبع
سنوات ، اعتباراً من اليوم الذي توضع فيه موضع العمل^(١) .
أما تحفظات الحسين فقد نوه بها البيان الذي أذاعه بهذا الشأن في مكة خلال
موسم الحج وقد جاء فيه :

« يهمني من جميع الأقطار العربية ما يهمني من امر بيت الله الحرام ، وقد
عرضت عليّ الحكومة البريطانية معاهدة وجدت في بعض موادها ما لا يتفق والعهود
المقطوعة لي ، فعدائتها تعديلاً هاماً نص فيه على استقلال فلسطين استقلالاً تاماً مطلقاً
يحول الفلسطينيين ادارة بلادهم بانفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ،
وبذلك جعلت وعد بلفور في حكم انه لم يصدر وقضي عليه ، وفوق ذلك فقد طلبت
في التعديل انه بعد توقيع المعاهدة يؤمر المندوب السامي لفلسطين ان يصرح
بحضور مندوب من قبلي وأمام ممثلي عرب فلسطين باستقلال الأقطار الفلسطينية استقلالاً
تاماً ، ودخولها صراحة في الوحدة العربية ، طبقاً للعهود البريطانية المقطوعة لي .
وأؤكد لكم انه اذا لم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها ، فلا
يمكن ان اوقع المعاهدة بل ارفضها رفضاً باتاً ، وكونوا على ثقة بأنه لا يمكن ان
يذهب شبر من اراضي فلسطين وانا واولادي احياء على وجه الأرض ، فاننا نحافظ

على اصغر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ، ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة من دمائنا . على كل حال فاني بعد انتهاء أمر المعاهدة سأحضر بنفسي إلى اطراف تلك البلاد . فإذا ورد جواب لندن على مطالبي بالاجاب فاني استشيركم فيما يجب عمله ، وأسير معكم على ما تتفقون عليه . وكونوا على ثقة بأني انظر إلى أهل فلسطين نظري إلى أولادي ، ولا أفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ويهودي وطني ومن يرجع عن الصهيونية في اطماعها البلفورية . وأشهد الله على ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل ^(١) . »

وإلى جانب هذا البيان أوفد الملك حسين الشيخ عباس المالكي أحد علماء مكة إلى القدس ، وألقى البيان التالي في دار اللجنة العربية في ٢٥ آب سنة ١٩٢٤ (١٣٤٤ هـ) :

« سادتي اهل فلسطين الكرام

ابلاغكم سلام سيدي الملك الذي يهيمه من أمركم ما يهيمه من أمر البلد الحرام ، وقد بعثني لأشرح لكم بيانه وأبين لكم ما تتسألون عنه من أمر المعاهدة الحجازية التي تدور المفاوضات لعقدها بين حكومته وحكومة صاحب الجلالة البريطانية ، بعد أن ذكرت الصحف شيئاً عنها أخاف حكومة فلسطين .

سادتي

أقد عرضت بريطانيا المعاهدة على مولاي الملك ، وفي بعض موادها ما لم ينشر له صدره ، فعدها تعديلاً مهماً نص فيه على استقلال فلسطين استقلالاً تاماً يخول الفلسطينيين حق ادارة انفسهم واختيار طريقة الحكم ، فترك هذا التدبير وعد بلفور كأن لم يكن اذ قضي عليه بالموت . وفضلاً عن ذلك فقد اقترح ان يؤذن للمندوب السامي لفلسطين بعد عقد المعاهدة ، وبحضور مندوب من قبله ، بأن يصرح باستقلال البلاد الفلسطينية استقلالاً تاماً مطلقاً ، ودخولها صريحاً في الوحدة العربية ، طبقاً للعمود البريطانية المقطوعة لجلالته . وأكد لكم بأنه اذا لم تقبل بريطانيا ان تكون

١ - المرجع السابق ص ٢٥١ ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ١٨٧

المعاهدة مطابقة للتعديلات الذي اقترحه ، فلا يمكن أن يوقع عليها ، بل يرفضها رفضاً باتاً ، ويؤكد لكم انه ان يذهب شهر من اراضي فلسطين وهو واولاده احياء على وجه الأرض ، وهم يحافظون على اصغر قرية في فلسطين محافظتهم على بيت الله الحرام ، ويريقون في سبيل ذلك آخر نقطة من دماهم .

« ويريد جلالة الملك ان يحضر بنفسه إلى اطراف هذه البلاد، بعد انتهاء المفاوضات في المعاهدة ، فيعقد معكم مؤتمراً ، فإذا كانت المفاوضات انتهت بقبول مطالبه وعقدت المعاهدة ، فيستشيركم في طريقة ما تختارونه من نظام الحكم ، وإذا كانت قد انتهت على غير اتفاق فيستشيركم ايضاً فيما يجب عمله ويسير معكم فيما تتفقون عليه ^(١) » .

وما لبث الملك حسين أن وصل إلى عمان واجتمع فيها بوفد من زعماء فلسطين برئاسة موسى كاظم الحسيني وعضوية امين التميمي وحافظ طوقان وشكري التاجي وعوني عبد الهادي ، وصرح جلالتهم للوفد بقوله انه لا يعاهد عدداً ولا يبرم قراراً بشأن فلسطين قبل أخذ رأيهم ونيل موافقتهم ، وقال لهم انه سينزل على ارادتهم ، ويتبع قراراتهم شريطة ألا تخرج عن دائرة الحكمة والروية ، واقترح عليهم ان يضعوا ميثاقاً وطنياً يضمنونه خلاصة مطالبهم وأمانهم ليعمل على تحقيقه ^(١) .

يقول جورج أنطونيوس : « وكان الملك حسين على ثقة وثيقة بعرب فلسطين وكان متحققاً من صدق مخاوفهم من المستقبل وعمقها . فأنفق جهوداً، ضاعت سدى، وهو يحاول أن يقنع الحكومة البريطانية بقلة جدوى ما نحاوله حين تسعى لتخفيف تلك المخاوف بتحفظات قاصرة . ومضى حسين ، في صلابة استنزفت صبر وزارة الخارجية ، محتج في الرسالة اثر الرسالة بأن دافعه الذي يحفز له ليس دافعاً فردياً أناانياً، وأن موقفه انما يمليه عليه اعتقاده بأن لا سلام في فلسطين للبريطانيين واليهود والعرب ، ما دام لدى العرب ما يدفعهم إلى الظن بأن غاية الصهيونية القصوى انشاء دولة يهودية

١ - المرجع السابق ص ٣٥٢

٢ - اسرار الثورة العربية الكبرى وماساة الشريف حسين ص ٣٥٣ ، الثورة العربية الكبرى - وثائق واسانيد ص ٢٧٥

في وسطهم وعلى حساب أمانهم القومية . ورجا أن تقدم الحكومة البريطانية ضماناً صريحاً لكل حقوق العرب المشروعة لا كذلك الذي جاء غامضاً في نص وعد بلفور، بل بعبارة التأكيد الموجب التي قدمت اليه في كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨ عن طريق القائد هوغارت (١) .

وحدث خلال ذلك ان استقالت وزارة المحافظين ، وتألقت وزارة جديدة من العمال ، فاستبشر أقطاب الحركة الصهيونية لأنهم كانوا يلاقون لدى الهيئات الاستراكية مزيداً من التأييد ، وعاد الدكتور ناجي الأصيل إلى مكة وكان الحسين قد عاد إليها ، حاملاً اليه النص النهائي للمشروع ، ولكن الملك أبي الا أن يدخل عليه تحفظات جديدة ويعيده إلى لندن مصراً على ادخال هذه التحفظات في صلب المشروع .

وتعلق نجله عز الدين على هذا الموقف الصلب بقولها : « وقد أبى الحسين ان يصل إلى اتفاق ، وأصر على ان تفي بريطانيا بالعهد التي قطعتها له . وكان بصورة خاصة ، متشدداً في موقفه من فلسطين . ولم يجانبه الصواب حين فهم انها تدخل في نطاق الدولة العربية المستقلة التي نص عليها الاتفاق الذي عقد بينه وبين بريطانيا . وقد كان من حق الحجاز ، بوصفه احدى الدول المتحالفة ، أن ينضم إلى عصبة الأمم . ولكن لم يتح له الدخول فيها ، لأن الحسين أبى أن يوافق على ميثاق العصبة الذي نص على الانتدابات الانكليزية والفرنسية للبلاد العربية ، وعلى انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين (٢) » .

وقال حافظ وهبة : « وكان موقفه من فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الانكليز . وقد كانت عقيدة الملك حسين ان فلسطين هي جزء من المملكة العربية التي وعد بتشكيلها ، وأن وعد بلفور باطل لمخالفته للعهد والوعود المقطوعة له من بريطانيا (٣) » .

١ - يقظة العرب ص ٤٥٣

٢ - العالم العربي ص ٢٧٦

٣ - جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٠٦

ويعود المؤرخ الانكليزي جورج كيرك هذا الموقف من وجهة نظره بقوله :
 « ان هذا الملك ، مع تقدمه في السن ، ما لبث ان آثر تمسكه بأرائه الاعتبارية على
 انقياده للحكمة التي توحى بها الخبرة الدنيوية ، وانساق إلى مخاصمة بريطانيا .
 وكانت أهم الاعتبارات لديه في ذلك تلك النكبة السياسية التي لحقت بعرب فلسطين
 من جراء تصريح بلفور والوصاية ، ولما لم يمكن الوصول معه إلى تسوية في هذا
 الشأن انتهى الأمر بفقده تأييد بريطانيا ومعونتها ^(١) » .

وقد كان هذا الموقف الرائع الذي أدى الى تحطيم الحسين وقذف به من العرش
 الى المنفى ، كما سنرى في الفصل التالي ، من اصلب المواقف الوطنية في التاريخ ،
 وأهم الكثرين من المناضلين في سبيل وحدة العرب وعروبة فلسطين .

الفصل السادس والعشرون

شيخ قرش

قبل أن يصل الدكتور ناجي الأصيل إلى لندن حاملاً معه النص النهائي لمشروع المعاهدة بين الحسين بن علي والحكومة البريطانية ، والتحفظات الجديدة التي أدخلها عليه ، كانت قوات عبد العزيز آل سعود سلطان نجد تدخل إلى مكة ، فيتنازل الحسين عن الملك لولي عهده الأمير علي ، وتعلن بريطانيا الحياد في المعركة بعد أن تحملت الكثير من احتجاج الحسين عليها وتشهيره بها وقوطها من الوصول معه إلى اتفاق يرضيه ويحقق أهدافها ومطامعها ، وما هي إلا جولة قصيرة حتى ييسط ابن سعود سلطانه على الحجاز وينتقل الملك علي في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) إلى العراق ^(١) .

أما الحسين فكان قد انتقل إلى العقبة في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٤ (١٣٤٣ هـ) ، وما لبثت أن وصلت إلى ميناء العقبة البارجة البريطانية فون فلاور ونزل قائدها فسلم الشيخ الجليل (٢) كتاباً من الحكومة

١ - انظر تفصيل ذلك في « نجد وملحقاته » ص ٣٥٠ وما يليها ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١٨٢ وما يليها .
٢ - كان الحسين يومئذ في حدود السبعين من عمره .

البريطانية تطالبه فيه بمغادرة العقبة خلال ثلاثة أسابيع تجنباً لاضطراب المنطقة وتخرج الموقف بين الأردن وابن سعود .

وتولى الملك غضب شديد ، وهو يرى إلى النهاية الفاجعة التي انتهت إليها صلته بالخليفة الكبرى التي اطمأن إليها ووثق بشرف كلمتها ، وبأدر إلى كتابة رسالة شديدة اللمجة إلى رئيس الوزارة البريطانية قال فيها :

« انني منذ ابتداء النهضة العربية حتى هذه الساعة وانا مخلص في ولائي لحكومة بريطانيا ثابت على مبدئي ، اعتماداً على شرفها ، وبناء على عهودها ومواثيقها الرسمية التي قطعتها على نفسها بمحافظتها على حقوق العرب ، وتأمين الوحدة العربية والتصديق على استقلال العرب ، ومنحها الحرية للشعب العربي الذي اشترك مع حليفته جنباً إلى جنب ، وسفك دماء زهرة الشبيبة من ابنائه ، وضحي بالنفس والنفيس في سبيل الحصول على تلك الغاية الشريفة ، والوصول إلى ضالته المنشودة . كما اني وأقوامي العرب حريصون أشد الحرص على تنفيذ احكام تلك العهود والمواثيق التي كانت اساس النهضة العربية ، دون ان نخل بما يوجب مسؤوليتنا امام محكمة الضمير النزيه . وقد ضحيت بكل شيء ، وتنازلت عن العرش ، وغادرت وطني ، حباً بالسلام وحققاً للدماء ، وأثبتت العقبة لأبرهن للعالم أجمع انه لا مطعم لي سوى اسعاد قومي ، وتحرير بلادتي ، بعد ان قمت بواجباتي ، ولم آلُ جهداً في المحافظة على حقوق العرب ، والسعي وراء الوحدة العربية ، والتمسك بنص المعاهدة وانتظار تنفيذها . ولم اقطع الأمل من الحكومة البريطانية بشأن انجاز وعدها ، والوفاء بعهدتها ، استناداً على شرف تقاليدها . وها اني اليوم مقيم في احدى قرى الحجاز ، معتزلاً العالم ، ومبتعداً عن كل ما من شأنه ان يوجب الشعب وسوء التفاهم ، ولما كان هذا الاعتزال وهذا الابتعاد لم يخلصني من امثال تلك الشوائب ، فلا شك في اني اينما ذهبت لا يخلو الأمر من حدوث شيء لي كما في التبليغات ، الاخيرة وربما كانت أشد هولاً من موقعي الحالي ، إذ لا اضمن منع هياج الشعب العربي وحدث ما لا تحمد عقباه نحو الخليفة وغيرها . ولهذا فاني لا أرى مندوحة من بقائي في مكاني ، وإن شاءت حكومة جلالة الملك فلتبعث بي إلى عالم المربخ فإني مستعد لإنفاذ رأيها

في هذه البعثة في أول دقيقة التبليغ ، أو انها إذا شاءت ورأت عظمتها ان تبعث احدي وسائطها الحربية لتهلكني وعائلتي وخلص الجميع من هذه الغوائل ، فلتفعل ، لاني آليت على نفسي بالا احبهم عن مساعدة ابناء قومي ووطني .

« واني افتخر أمامكم بكوني ما زلت ولا ازال اساعد الحكومة الحجازية بمالي الخاص الذي ادخرته لمستقبلي المجهول ، لأن من لا خير فيه لوطنه ، لا يرجى منه الخير لخلفائه ، وأصدقائه .

« ولي الشرف ايضاً بكوني ثبت على مبدئي ، واخلصت في عملي ، وقمت بواجباتي ، فما عليّ من غيري ، اذا لم يف بوعده ، ولم يقم بانجاز عهوده ، ونفذ مطامعه بقوة مدرعائه ، ورؤوس حرابه ، فهناك يكون الحكم على عمله .

« وفضلاً عن ذلك ، فاني لم اعترف بالانتداب على البلاد العربية من أساسه ، وما زلت احتج على الحكومة البريطانية التي جعلت فلسطين وطناً قومياً لليهود ، وشرقي الأردن تحت الانتداب مأوى للارمن .

« وعليه فاني أكرر جوابي النهائي بكوني لا اعترف بذلك الانتداب من اساسه ، ولا يمكنني مغادرة العقبة إلا بعد ابلاغني لغوه ، وبعدئذ اذهب إلى حيث تريد حكومة الملك ، بشرط أن يكون محل إقامتي في داخل البلاد العربية ، وأن لا اكون مسؤولاً عما عساه قد يحدث من شغب ، أو هياج شعب تطمع نفسه لرفع يد الاستعمار وتجديد النهضة ، فيما إذا مست الحاجة ، وإلا فاني لا ابرح العقبة مهما تكن النتيجة ، ولو أدى الأمر لهلاكى ومحو عائلتي من الوجود . واني لا أقصد بهذا معاداة بريطانيا وسواها ، وانما هي في سبيل انقاذ وطني ، وبني قومي . وكل ما تفعله الحكومة البريطانية بي لما يزيدني شرفاً وفخراً بين شعبي وأقوامي ، حيث يسجل التاريخ لكل منا عمله . وفي هذا بلاغ^(١) .

وكان جواب الحكومة البريطانية على هذه الرسالة ، بل هذه الصرخة ، انها أرسلت إلى ميناء العقبة قبل انتهاء مدة الانذار ، البارجة نيودلهي فرست إلى جانب البارجة السابقة امعائاً في التهديد والتهويل ، فلم يسع العاهل الكبير إلا أن يدعن

١ - المرجع السابق ص ٣٨١ - ٣٨٣ ، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٢١٠

للأمر الواقع ، فنزل إلى الباخرة نيودلهي وهو يردد :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

وكان الملك عبد الله قد توسط لدى السلطات البريطانية بنقله إلى البصرة كي ينقل منها إلى بغداد فيعيش في جوار نجله فيصل ، الا ان الباخرة سارت به الى المنفى في جزيرة قبرص .

ويتفق المؤرخون على انه مهما كانت الأسباب التي أفضت بالحسين إلى هذه النهاية المؤلمة ، فان احدها هو الصلابة التي استند اليها في التمسك بآماله ومعتقداته ، ومنها رفضه ان يسلم نفسه إلى ما كان يعدده خيانة . ولا ريب في انه لو رضي ان يوقع المعاهدة ، في صورتها التي بلغت في المراحل الأخيرة من المفاوضات ، لاحتفظ بعرشه ، ولربما أنهى أيامه متمتعاً بالحكم والطمأنينة ، غير انه ظل وفياً لمعتقداته وضميره ، فتمسك بما اعتبره مسألة انصاف للشعب الذي يمثل ، وفي سياق ذلك نفّر منه حلفاءه ، حتى انه عندما وقعت الواقعة وجد نفسه معزولاً لا صديق له ، وهو يستقبل العاصفة وحيداً^(١) .

والواقع ان بريطانية كانت تشعر منذ البدء انها في تعاملها مع الحسين انما تتعامل مع رجل معدنه من الفولاذ ويصعب عليها ان تكيفه كما تريد، وقد روى عبد الله بن الحسين ان لورنس أرسل اليه في بدء الثورة من يغريه بملك الحجاز « بحجة ان الوالد المرحوم عنود في فكره متمسك برأيه ، فقلت لرسوله - وهو الآن حي يرزق - قل لصاحبك هذا ان ابي سيدي وملكى وبعده الأخ الأكبر وبعده نجله، وسأكتفي انا بلقبى إلى آخر أيامي ، وأما هو فقد خدمني وخدم العرب اكبر خدمة بقوله ان والدك عنود متمسك برأيه، إذ يظهر انهم يطلبون من لا رأي له من الناس كي يعمل لورنس ما يشاء^(٢) » وقد ظل شعور بريطانية بذلك يتطور مع الأيام ، حتى ضاقت به ذرعاً وأصبحت تعدّه ماثراً للازعاج^(٣) .

١ - انظر خطاب قسطنطين يني في « ذكرى الثورة العربية » ص ١١

٢ - عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٤٠

٣ - انظر بقظة العرب ص ٥٥

وفي هذا المنفى الموحش قضى الشيخ الجليل والبطل النبيل ، السنوات الأخيرة من عمره الحافل بجلال الأعمال ، وقد زارته هناك وفود عديدة من أحرار العرب ، فرأته في معتقله أعظم منه في ملكه ، وهو معتصم بالصبر ، واثق بأن الأمة العربية التي ضعى بعرشه وحياته في سبيلها ، ستظل ناهجة نهجه حتى تنال حريتها الكاملة ووحدتها الشاملة .

ويروي السير ستورس الذي كان آنئذ حاكماً لجزيرة قبرص ، في معرض العبارة ، كيف وقف على ضريح كامل باشا الذي شغل أربع مرات منصب الصدر الأعظم للإمبراطورية العثمانية ، في مقبرة جامع صغير بنيقوسيا ، ثم يقول :

« ولكن كامل باشا على الأقل نفى إلى وطنه ، بينما الحسين بن علي ملك العرب وخليفة المسلمين ، والد ملك العراق وأمير شرقي الأردن ، عاش لكي يفقد مملكته في الحجاز ، ثم تنقله دارعة انكليزية من خليج العقبة ، ويسمع له بالإقامة في جزيرة منعزلة حيث لا أحد يعلم عنه شيئاً ، ولا هو يعلم عن أحد ، معتزلاً في حياته ، فكان معضلة للسياسيين العظماء ، أما الصغار فلم يعرفوا شيئاً عنه .

« ولقد وجدته في بيت صغير منفرد ، يحيطه ابنه الأصغر زيد بولاء بنوي قلبي . وقد أثرت في رؤية هذا الأمير الشاب الذي قاد الفياق في الحرب ، وقضى سنة في جامعة « بالبول » ، بانكلترة - يقرأ لوالده شرح البخاري ويرعاه ليلاً ونهاراً . « واشيع ان الملك حسين أحضر معه بضع مئات الألوف من الليرات الانكليزية ولكنني كنت موقناً ان مبلغ المال أقل مما تقدره الاساعة التي تعظم كل صغير^{٩١} وقد انقصته بالتدريج الدعايات والعرائض التي كان يقدمها لأجل قضية فلسطين .

« وكانت الحكومة الانكليزية قد أغدت هدية للملك حسين - حينما كان لا يزال حليفاً مستقلاً - وهي وسام الصليب الكبير ، وقبل ان يصله أضاع بلاده وتاجه ودياره . ولقد رأيت كثيراً من تقلبات الحظوظ ، ولكنني لم أعرف في

١ - يتناقض هذا القول مع ما رواه أمير اللواء محمد علي العجلوني عن الازمة المالية الشديدة التي كان الحسين يعانيها في قبرص ، وكيف كان يتدبر اموره المعاشية من مساعدات يتلقاها من نجليه عبد الله وفيصل (انظر الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٢٢٠) .

حياتي أبدأ ذلك الحد الذي وصلت اليه سخرية القدر حينما قلدت الوسام في دار الكتب
القبرصية العامة، لذلك الشيخ الذي لا يزال - رغم خسارته السلطان - عظيماً مبعلاً^(١)،
وهكذا كان « شرف المنفى » كما يقول الريحاني « أنصع من شرف الملك » ..
ويتابع الريحاني قائلاً :

« .. وفي صفحات المجد صفحة قدسية
لا مساومات ولا معاهدات وأنت في خطر يا فلسطين ..
في سبيلك غصة تذهب بلك ، ومن أجلك وقفة تلوها المنفى
صفحة قدسية يسطرها التاريخ ، تاريخ العرب ، بأنامل الحمد والفخر والجلال ..
في هذه الصفحة عرش الحسين الوطيد
في هذه الصفحة صك الخلود ، خلوده
في هذه الصفحة رسالة للعرب في كل مكان ،
وفي الرسالة : العهد المقدس ، عهد التضامن القومي .
هو رأس الآمال العربية التي تزهو كالربيع كل عام ،
تزهو كالربيع ، وهل تثمر كالصيف ؟
آمال هي القلوب بعينها ، بل هي بأجمعها قلب الأمة النابض الخالد .
وماذا تفعل الأمم الصائلة بقلب أمة ناهضة نائرة ؟
ولكنها أمة مغبونة ، علمها الله البيان ، وأعطاهها روحاً بلا سنان ! .. »
ولما أقعد المرض والشيخوخة ذلك الأسد المبعد عن عرينه ، أذن الأنكليز في
أواخر سنة ١٩٣٠ (١٣٤٩ هـ) بسفره إلى عمان ، وجاء نجلاه عبد الله وفيصل -
فصجاه إليها ، ففضى الأيام الباقية من حياته العظيمة مستسلماً للمرض الذي شل
حركته وهدقواه وأخل جسمه ، وقد شحب وجهه الوسيم وابيض شعره الغزير ،
وغارت عيناه في محجريها فما ترسلان إلا وميضاً خافتاً هو التعبير الصامت عن دفين
الألم والغىظ العظيم .

١ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ص ٢١٧ نقلاً عن :
Orientations, By Sir R. Storrs

وما هي إلا شهور معدودة ، حتى وافته منيته في حزيران (يونيه) ١٩٣١ (١٣٥٠هـ) فلاقى شيخ قریش وجهه به شامخ الرأس عزيز النفس موفور الكرامة ، وحمل إلى بيت المقدس ، تلك البقعة المطهرة المباركة التي افتداهما بعرشه وملكه وحياته لتبقى عربية خالصة أبد الدهر ، ودفن في المسجد الأقصى ، مشيعاً بدموع الملايين من العرب الذين عاش لهم ، وناضل من أجلهم ، وقضى في سبيلهم .
وقد رثاه امين ناصر الدين وفؤاد الخطيب وشفيق جبوري وابراهيم طوقان وامسكندر الحوري وبدر الدين الحامد والجواهري وشبلي الملائط وبما قال شوقي في رثائه :

لك في الأرض والسماء مآتم	قام فيها أبو الملائك هاشم
عبرات الكتاب فيها جوار	وعيون الحديث فيها سواجم
قعد الآل للجزاء وقامت	باقيات على الحسين الفواطم
قم تحدث أبا عليّ النبا	كيف غامرت في جوار الأرقام
لم تبال النيوب في الهام ، خشنا	وتعلقت بالحواسي النواعم
هات حدث عن العوان ، وصفها	لا ترع في التراب ، ما انا لائم
كلنا وارد السراب ، وكل	حمل في وليمة الذئب طاعم
قد رجونا من الغنائم حظاً	ووردنا الوغى فكنا الغنائم
وظللنا من الوعود نشاوى	لم تفق أمة ولم يصح حاكم
قد بعثت القضية اليوم ، ميتاً ،	رب عظم أتى الأمور الأعظم
انت كالخق ألف الناس يقظان	وزاد أئتلافهم وهو نائم
انما الهمة البعيدة غرس	متأني الجنى بطيء الكمان
ربما غاب عن يد غرسته	وحوته على المدى يد قادم
حبذا موقف غلبت عليه	لم يقفه للعرب قبلك خادم

وقال شاعر الأردن مصطفى وهي التل في رثاء العاهل الكبير :

لانت قناتك للمنون وقلتها كانت تلين

فعفا الحمى ممن أعزّ وغادر الأسد العرب
وبقلب عنوان العروبة والحجى ، سكن الوتين
أحرّر الشعب المضم وفأشر الحق الدفين
ومقبل عثرة أمة أعيان النهوض بها القرون
ابن الملوك أبو الملوك وسبط خير المرسلين
يسطيع ان يودي به داء وتأسره منون ؟؟

علمتنا كيف الفناء بحب امتنا يكون
وأعزّ ما ملكت يدان وما يعزّ المالكين
في نصره المثل العلية كيف يجدر ان يهون
غامرت بالتاج الثمين تصون بالعرش المكين :
المسجد الأقصى وحق بني ابيك بفلسطين
لا غرو أولى القبلتين ان اصطفيتك لها خدين
مازلت بين حماها في السابقين الأولين

أصبت أم اخطأت في مسعاك نهج الحسين ؟
شأنان لن يعنى بئلهما مؤرخك الرصين
يكفيه انك كنت عفّ النفس وضاح الجبين
لم تُشرّ إذ (بلفور) سامك موطناً : دنيا بدين

صلّى الإله عليك يا ابن الطيّبين الطاهرين
وعلى الذين قضا بعهدك للعروبة عاملين
في ساحة الشهداء من فيحاء دينهم تدين
في الرمل من بيروت ، في عكا ، في ماض السجون
في الغوطين ، وفي العراق ، وفي مشارف ميسلون
شمّ المعاطس ، مجدهم في المجد منقطع القرن
إن الحسين لفكرة صدر البقاء بها ضنين
لا بالغ كرك الردى منها ولا مرّ السنين

فليتق الله الألى هرعوا اليه يؤبنون
ان الرثاء به أحق من الفقد الفاقدون

وانتظر السير مكماهون سبع سنوات كاملة انقضت على وفاة أبي العرب ، ثم
أذاع بياناً حاول فيه الافتراء على الراحل العظيم ، فقد أرسل في ٢٣ تموز (يولييه)
١٩٣٨ (١٣٥٧ هـ) كتاباً إلى جريدة التيمس اللندنية قال فيه :

« تواترت الاشارات إلى تعهدات مكماهون ، ولا سيما ما يتعلق منها بفلسطين
وقد ورد لها تفسيرات من جانب اليهود ، وأخرى من جانب العرب ، وقد قيل
لي ان متابعة سكوت صاحب التعهد قد يساء فهمه ، فلذلك أرى من الواجب
الادلاء ببيان في الموضوع حاصراً كلامي الآن في المنطقة المختلف عليها ، وهي ذلك
الجزء من سورية المعروف باسم فلسطين ، أكان منوياً أو غير منوي ادخاله في
في الأراضي التي ضمن تعهدي للعرب الاستقلال فيها .

« فأنا اشعر بوجوب التصريح وأصرح نهائياً وبكل تأكيد بأنه لم يكن في
النية عند تأدية ذلك التعهد ، للملك حسين ادخال فلسطين في منطقة الاستقلال الذي
وعد به العرب ، وكنت مقتنعاً كل الاقتناع وقتئذ بأن الملك حسين كان فاهماً
ان فلسطين غير داخلة في ذلك التعهد » .

وقد رد الأمير عبد الله بن الحسين على مكماهون بكتاب أرسله يوم ٢٥ تموز
(يولييه) سنة ١٩٣٨ إلى المندوب السامي بفلسطين طالباً منه اذاعته وابلاغه إلى
الحكومة البريطانية ، ونرى من وفاء البحث ان نتم به هذه السيرة المعطرة باعراف
البطولة والتضحية والمجد :

عزيزي صاحب الفخامة :

« انه لم يدر لي بخلد البتة ان يجرو احد فيعرب عن رأي المرحوم والدي الملك
بعد انتقاله من هذه الدار الفانية إلى جواره سبحانه ، حتى سمعت البارحة في الاذاعة
عن لسان السر هنري ماكماهون ان العهود المقتطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين ، وأن
المرحوم نفسه كان يعرف ذلك . ولما كان لتلك التهمة خطورتها ، وكنت الوحيد
الباقي من النجالة ، كان حقاً عليّ ان اذود عنه واسوغ لنفسني النطق بلسانه فأصرح

بأن تلك العهود كانت تشمل فلسطين ، وإن المرحوم والعرب الذين كانوا على تلك العقيدة الراسخة لم يساورهم فيها ريب ، فوق اني كنت أعلم ذلك عنه في حياته ، وإن فيما دار من مراسلاته مع السر مكماهون ما يعزز حجتي ، ويؤكد صوابها ، ولقد كنت في ذلك الوقت كاتب بسده وامين سره واتولى تلك المذكرات إلى ان انجلت الثورة .

« اني لأرجو بعد ان تطلعوا على بياني هذا ان تتكرموا فتعملوا على تصحيح تلك الاذاعة بثلاث حراً على الحقيقة وعلى التاريخ ووفاء لعظيم من عظمائه ، ان كانت قد انتقل فان على الذين بعده من امثالنا من آله ومن اصداقهم اجمع ان يدفعوا عنه ما لا يمت اليه بصلة ، وفي الاخص ما يختص بكرامته القومية ، واني تأييداً لما ألمعت اليه اذكر ما يأتي :

١ - لقد كانت مسألة الحدود عقبة كؤوداً في المراسلات التي دارت بين المرحوم والدي والسر هنري مكماهون نائباً عن بريطانيا ، وعلى الرغم من كل محاولة لاقناعه بالعدول عنها أو تعديلها فقد أصر على التمسك بها والبت فيها ، فقد قال مكماهون في كتابه المرسل للشيخ حسين ، بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ « اغسطس سنة ١٩١٥ ، ما يأتي :

« اما فيما يتعلق بالحدود فقد يكون مجتناً في مثل هذه التفاصيل - والوقت قصير والحرب قائمة - سابقاً لأوانه ، خاصة وان تركيا ما تزال تحتل قسماً كبيراً من الاراضي التي اشترى اليها في اقتراحكم احتلالاً تاماً .
أما تلك الاراضي ، التي يشير اليها السر مكماهون فهي التي وردت في كتاب والدي اليه ، مع علي افندي اصفر وفي المادة الاولى منه ما يلي :

١ - ان تعترف انكلترة باستقلال البلاد العربية من مرسين - اذنة حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً .

أما جواب والدي على الكتاب السابق للسر هنري مكماهون فكان بتاريخ ٢٩

شوال سنة ١٣٣٣ (١٩ ايلول سنة ١٩١٥) وفيه ما يأتي :

« ان مصالح ابناء ديارتنا كلها تطلب الحدود التي ذكرتها لكم » .

ثم ان جلالتة اشار في ذلك الكتاب بكلمات شديدة اللهجة الى « البرودة » والى « التردد » اللذين ظهرا في كتاب مكماهون ، فيما يتعلق بالحدود ثم قال جلالتة :

« ان هذه الحدود ليست لرجل واحد تتمكن من ارضائه ومفاوضته بل هي مطلب شعب ، يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد » .

وبعد أت أفاض في هذا الموضوع عن « اعتقاد » العرب لثلا « تعارضهم » انكلترة أو احدى حليفاتها فيما بعد ، قال ما نصه :

« ولذلك نرى من واجبنا أن نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن افرنسة في بيروت وسواحلها » .

ولقد أجاب مكماهون على ذلك بكتاب منه مؤرخ في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ (٢٤ تشرين الأول سنة ١٩١٥) فقال :

« انه يؤسفني انكم لاحظتم في كتابي الأخير ، وحديثي عن قضية الحدود شيئاً من البرودة والتردد . وبعد الاعتذار عن ذلك قال :

« فأرسلت كتابكم الى الحكومة البريطانية ، وانه يسرني ان أرسل اليكم البيانات التالية التي أثق كل الثقة انها تفوز برضاكم : ان مرسين واسكندرون وبعض الأقسام السورية غربي دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة » .

ثم قال :

« اما الأراضي التي تستطيع انكلترة العمل فيها بملء الحرية دون ان توقع ضرراً بحليفاتها فرنسة ، فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان أعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم :

١- ان انكلترة مستعدة - على أساس تلك التعديلات - ان تعترف باستقلال العرب ، وتقدم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة » إلى آخر تلك

التعهدات :

ومن هذا ترون فخامتكم ان المقصود بتلك الحدود إنما كان « سواحل لبنان » الذي ندعه لفرنسة أي بيروت وسواحلها « على أمل المطالبة بها بكل تأكيد بعد انتهاء الحرب » . وقد قبل مكهاون ارجاء البحث في تلك الأنحاء إلى فرصة أخرى وشكر الملك العربي على ما أظهره من حرص على دوام التحالف بين الحلفاء . ثم قال في كتابه المؤرخ في ٩ صفر سنة ١٣٣٤ (١٣ كانون الأول سنة ١٩١٥) ما يلي :

« اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانية قد فهمت كل ما ذكرتم ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسة داخلية فيها فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب » . وقد أكد جلالاته ذلك في كتاب منه بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤ (١ يناير سنة ١٩١٦) وأجابه عليه مكهاون بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ (٣٠ يناير سنة ١٩١٦) بقوله :

« اما ما يتعلق في الجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الاساءة إلى تحالف انكلترة وفرنسة » . ومن ذلك ترون ان فلسطين لم يكن في عروبتها شك ، ولم ينكر ذلك عليها أحد ، وان فرنسة لم تكن تطالب بها . ثم انها من البلاد التي تستطيع انكلترة العمل فيها ببلء الحرية دون ان توقع ضرراً بحليفتها فرنسة . واني لأرجو ان تكون هذه البراهين الساطعة التي أدليت بها ناطقة مقنعة بأن فلسطين كانت داخلية في الحدود العربية التي اقترحها شريف مكة ، وان الجدل في أمر الحدود العربية إنما ثار على بيروت وسواحلها « رعاية للحليفة فرنسة » وان البت في أمرها أرجى إلى فرصة أخرى لأنها لم تكن عربية محضة - على رأي مكهاون - ومنها مرسين واسكندرونة .

ثم ان هنالك أدلة ووثائق أخرى وهي تصريح ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ والبرقيات الصادرة من بريطانية إلى والذي وبرقية أخرى (وقد أثبت الأمير في كتابه نصوص

هذه الوثائق ، وهي منشورة في هذا الكتاب) .
وختم رسالته بقوله :

« ذلك ما عنّي لي الالمام به في هذه العجالة وأزيد عليه ان حق العرب في بلادهم فلسطين لا يحتاج إلى وثيقة أو وعد ، فهم أصحاب البلاد وأهلها منذ أجيال وفي اقامة متصلة فيها ، وانهم رغم ما اجتاحتهم من حروب ، ونزل بهم من خطوب ، لم يفرطوا بها ، ولم يتحولوا عنها ، والذي أرجوه من فخامتكم الآن ، هو ان تثقوا ببطلان ما ذكرته الاذاعة من ان العهود المقطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين وانه نفسه كان يعلم ذلك . فان الحقيقة التي لا مريبة فيها هي ما صرحت به وأقمت الدليل عليه ، وهو ان فلسطين كانت داخلة في العهود المقطوعة لوالدي وانه لم يكن يعلم غير ذلك .

وأرجو ان تفضلوا بطريقة من الطرق بتصحيح تلك الاذاعة التي نحتاج عليها ، أو ارشادنا إلى ذلك لنقوم به بالذات ، رعاية لحرمة الأموات وحرصاً على حقائق التاريخ » .

الفصل السابع والعشرون

بين يدي التاريخ

كانت الثورة العربية منعطفاً تاريخياً في حياة العرب ، استأنف التاريخ العربي فيه سيره بعد أن انقطع عدة قرون استطاع الفاتحون أن يهدروا خلالها كثيراً من القيم المادية والفكرية ، ولكنهم عجزوا عن هدر الروح العربي الذي بقي يضطرم تحت الرماد ، فما إن واثته الفرصة حتى تعالى منه اللهب وسطع نوره في الآفاق .

ودراسة هذه الثورة ضرورة قومية لكل عربي يتطلع إلى أفق العروبة الواسع ، لأن هذه الثورة وما رافقها ومهد لها من انتفاضات وبطولات وتضحيات ، هي ينبوع الأول للقومية العربية والوحدة العربية ، وهي الناطم والموجه لجميع حركات التحرر في البلاد العربية خلال النصف الأول من هذا القرن .

ومحن لا نستطيع أن نعي تاريخنا الحديث إذا لم نرجع إلى نقطة الانطلاق فيه ، ولا يسعنا تقييم التطورات السياسية المعاصرة في بلادنا إذا لم نعرف حركة البعث الأولى ، وليس في إمكاننا تنشئة الجيل الطالع على مُثُل الحرية والكرامة والتضحية إذا لم يؤمن هذا الجيل بأن في ضمير تاريخه وتراث شعبه ذكريات تعبق بأعراق البطولة ، وأجساداً تشرق بالعزة والكرامة ، وصفحات تحفل بمواقف العطاء والفداء .

وانه لمن المؤسف أن يعتمد بعض المؤرخين لا إلى إحياء ذلك الماضي المجيد ، بل

إلى طمس أثره العظيم ، وتشويه صورته الجميلة ، ونحطيم أولئك الأبطال السابقين الذين أضرموا شعلة الحرية في بلاد العرب ، وهي تعيش يومئذ في ظلام حالك وليل ممدود الرواق ، فعبّدوا الطريق ، وبذلوا المهج والأرواح ، واختلطت دماؤهم بكل حبة من تراب الوطن ، وكانوا الجسر الذي عبر منه أولادهم وأحفادهم إلى الحياة والنور .

وهكذا عاش الجيل الجديد وهو لا يعرف شيئاً عن حركات البعث التي انتظمت البلاد العربية في مطلع هذا القرن ، وتوجت بالثورة العربية الكبرى ، ثم كانت الثورات التحررية في سورية والعراق والأردن وفلسطين امتداداً لها وقبساً منها . بل ان بعض أبناء هذا الجيل لينظر إلى تلك الحقبة وإلى أبطالها الميامين ، نظرة موهلة في الضلال ، بعيدة عن الانصاف والصواب .

ولا ريب في ان هذه النظرة الخاطئة الظالمة ، هي وليدة النزعات الإقليمية الدخيلة على الحركة العربية ، وصناعة الحركات الشعبية التي ترمي إلى بتر الجذور التاريخية للقومية العربية ، وتشويه كل حركة أصيلة سابقة لها ، لإيهام المأخوذون بذلك الضلال الفكري انها الحركات التي بها يبدأ التاريخ !..

ولكن عبثاً تحاول السحب العابرة ان تطمس نوراً يضيء وتطفئ كوكباً يتألق ، فالحق لا يزبله افتراء أو تضليل ، وسوف يشع النور من تلك الصفحات الخالدة التي سطرها جيل الفداء بكل حبة من قلبه وكل نبضة من دمه ، يوم لم يكن الجهاد مادب وحفلات ، وخطباً تصفق لها الجماهير ، وعرضاً على شاشة التلفزيون ، بل كان تحدياً للموت بكل شكل ولون ، وتعرضاً للمنافي والسجون ، واقتحاماً للأهوال والأخطار . في ذلك الجو الرهيب تنادى أولئك الأبطال إلى الجهاد والكفاح ، وتنافسوا في البذل والتضحية ، وتسابقوا إلى الاستشهاد على مذبح الحرية ، فأيقظوا الأمة من السبات ، ومكنوا في نفوسها محبة الاستقلال والاستماتة في سبيله . ولقد وقفوا في وجه الاستبداد التركي ، ثم وقفوا في وجه الاستعمار الفرنسي والبريطاني ، ففضى بعضهم شهيداً ، وبعضهم ما يزال في الميدان .

لقد كانت ثورة العرب على الدولة العثمانية واجباً قومياً يتعلق بصير الأمة

العربية كلها ، وواجباً ذاتياً يتعلق بمصير كل فرد من أفرادها ، بعد ان استفحل طغيان هذه الدولة ، ووضعت خططها الجهنمية لإبادتهم والقضاء على قوميتهم ، وخنق براعم النهضة قبل أن تزهو وتؤثي ثمارها . « ولولا نشوب الثورة العربية تحت راية الحسين - كما يقول عزة دروزة - لاستمرت المأساة واستفحلت ، وأكلت أضعاف ما أكلت من رجال وشباب ، ولكانت عملية النفي والتشريد اتسعت دائرتها اتساعاً خطيراً^(١) » .

فالثورة كانت ضرورة حتمية ، ولو لم يثر العرب بعد الاضطهاد الذي عانوه والامتهان الذي تذوقوا مرارته ، وبعد أن شاهدوا شبانهم يُعلّقون على المشاق ، وشيوخهم يشردون في العراء ، وأطفالهم يموتون جوعاً ، ومظاهر قوميتهم وكرامتهم تداس وتمتهن ، لكان معنى ذلك انهم قد استطابوا الذل والهوان ، واستناموا للاستبداد والاستعباد ، ولم تبق فيهم روح ثور وضمير يحثج وإرادة تدفع إلى المقاومة وتهيب إلى الجهاد . ولا سيما بعد ان ثارت جميع الأقوام التي تسلطت عليها الدولة العثمانية وسيطرت على مقدراتها في أوربة وآسية ، ولم يبق راضياً مستكيناً سوى العرب .

لقد كانت الثورة واجبة من قبل اعلان الحرب ، ثم تضاعف هذا الواجب وازداد خطورة وأهمية ، حين دخلت تركية الحرب إلى جانب ألمانية ، مراهنّةً بذلك على الجواد الحاسر ، وغدا من الواضح ان بلادها ستكون نهباً للمنتصرين ، وان هؤلاء المنتصرين سيعدون العرب أعداء لهم فيستعمرون بلادهم استعمار الغالب للمغلوب ، وكان التحرر من براثنهم في هذه الحالة من أشق الأمور . فمن الخير للعرب إذن ، وقد قامر الترك بمستقبلهم على هذا الشكل ، ان تتوجه كتابهم إلى النضال من أجل حقهم في البقاء بدلاً من أن تساق إلى القتال في جبال القفقاس والموت في مضائق الدردنيل ، ومن واجبه اعلان الثورة في سبيل حريتهم وقوميتهم ، حتى ولو لم تكن هنالك أية ضمانات أو عهود ، فكيف بالحسين وقد أغدقت عليه بريطانية وهي

١ - حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٤٢

الدولة الكبرى بين دول الحلفاء ، الوعود السخية التي تحمل في طياتها كل ما يصبو اليه وقومه من استقلال بأمرهم وتوحيد لكلماتهم وجمع لشملهم وعزة لقوميتهم ، بعد مئات السنين من خضوع الأمة العربية للمتغلبين المتسلطين .

إنها محاولة انقاذ لشرف العرب وكرامتهم ومستقبلهم ، غامر فيها الحسين بنفسه وأولاده وعشيرته ، بعد أن نال أكثر ما يمكن أن يناله رجل لبلاده ، في ظروف مماثلة لظروفه ، من دول كان النذر سيخفق على ألويتها سواء أشارك العرب في الحرب أو لم يشاركوا فيها . وما أظلم أن يأتي ناقد بعد خمسين سنة صاحبة بالأحداث حافلة بالمفاجآت ، وقد تطورت الأوضاع الدولية ، وتغيرت المثل والمفاهيم ، وأصبحت للعرب مكانة مرموقة وكلمة مسموعة ، فيناقش تلك الوعود ، ويحاسب الحسين على ما قال وفعل ، مشوها الحقائق ومختلفاً الافتراءات لغير سبب يوجبها أو حجة تسندها ، وهو جالس وراء مكتبه راغداً مطمئناً ، دون أن يندخل في حسابه أو يضع في تقديره ، العوامل الدولية والتاريخية ، وظروف الزمان والمكان ، ناسياً أن الحسين لم يكن يملك من القوى سوى قلة من الأنصار تعيش في رهبة الحصار وقلة الذخيرة ونفاد القوات ، ويكفي أن تغلق عليها بريطانية منافذ البحر حتى تبيد .

ومن الواضح أن منشأ المآخذ المزعومة التي تؤخذ على الحسين كون بريطانية قد حنثت بالعهود التي قطعنها له ، ولا ندري ما هي جريرة الحسين في ذلك ، ومتى كان انفتيل يؤخذ مجرم القاتل ؟ أما القول بأنه كان على الحسين أن يعرف سلفاً أن الانكليز لن يفوا بوعودهم ، فهذا قول ينطبق على جميع الاتفاقات والمعاهدات التي عقدها العرب أو غيرهم في سائر العصور . ولم يكن من واجب الحسين أن يفترض هذا الافتراض ، بل كان من واجبه أن يعلن الثورة التي تعيد للعرب شرفهم وكرامتهم وشخصيتهم والتي ما كان أي عربي آخر بقادر على القيام بها ، وأن يدعمها بما يستطيع من عهود ، ولقد قام بهذا الواجب على أكمل وجه ، وبذل جهده الجاهد في تذليل الجامح وتسهيل الوعر ومصانعة العاصفة ، وإن أكبر المتشدين بالوطنية والقومية وهم منها براء ، ما كانوا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من هذا ، بل

ما كانوا يستطيعون أن يفعلوا حتى هذا . وقد رأينا العرب يغفرون لأناس بحجة ان بعض الظروف لم تساعدهم ، ولا يغفرون لآخرين مع ان جميع الظروف كانت مناوئة لهم . ومع ذلك فقد ظل الحسين يلاحق البريطانيين للوفاء بالعهد التي قطعت له ، دون أن يكون لديه من مصادر القوة التي تدعم حقه غير القوة المعنوية الكامنة في عدالة قضيته ، ومثل هذه القوة ما كانت لتستطيع السيطرة على جو فرساي وسان ريمو . وما كان الحسين في ذلك كله بالساعي لمجد يفيد أو مال يصيبه ، وإنما كان همه ومنى نفسه جميعاً أن يوقظ ديار العروبة من رقادها الطويل ، وأن يحطم ما ترسف فيه من أغلال الظلم ، ولقد جنت العروبة من نضاله خيراً كثيراً ، وما جنى من ذلك إلا بجاهة الخطر ومواجهة التشريد والهوان .

ولا شك في ان العرب لو لم يقوموا بثورتهم لما أمكن الحيلولة دون انتصار الحلفاء وهزيمة الأتراك ، فالثورة العربية لم تكن حاسمة التأثير في مجرى الحرب ، وإنما كانت معاونة ورافدة ، لأن الميدان الرئيسي إنما كان في أوربة ، وما كانت تركية لتستطيع الاستمرار في القتال بعد هزيمة ألمانيا والنمسة . ولو حدث هذا دون إعلان الثورة العربية ، لكانت بلاد العرب مسرحاً لاستعمار أشد هولاً مما عانوه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

ورب قائل ان تحالف العرب مع بريطانية قد أدى إلى احتلال بلادهم من قبل الانكليز والفرنسيين ، فلم يزد الأمر على ان استبدلنا استعماراً باستعمار . وهذا تضليل للأمة ونحريف للحقيقة والتاريخ . فان الاحتلال كان واقعاً وحتماً - بعد انتصار الحلفاء - سواء تحالف الحسين مع بريطانية أو لم يتحالف ، ومن المؤكد ان تحالفه معها قد أدى إلى اضعاف وطأة هذا الاحتلال ، وأعطى العرب فوق حقهم الطبيعي في الحرية والاستقلال ، حقاً مكتسباً بوصفهم حلفاء ومقاتلين إلى جانب الدول المنتصرة ، وقد أسهموا في هذا الانتصار ، إذ كانت الوعود التي بذلت له سلاحاً قوياً في نضالهم انتفعوا به في النقاش والجدال والمفاوضة ، وفي اكتساب تأييد الرأي العام العالمي ، وفي نيل ما نالوه بالتالي من أهدافهم القومية في حقبة هي ولا شك حقبة قصيرة إذا قيسَت بعمر الدول والشعوب .

والواقع ان الثورة العربية كانت أول وأشمل نهضة قومية في تاريخنا الحديث ، وقد جاءت في مطالع هذا القرن لتثبت ان مقومات القومية العربية ظلت صامدة في وجه التحديات التي جابهتها والمحن التي عانتها والقوى المدمرة التي تعرضت لها عبر تاريخ طويل ، منذ أن سقطت بغداد بأيدي المغول سنة ١٢٥٨ (٦٥٦ هـ) إلى ان نصبت مشائق الأحرار على يد جمال باشا في بيروت ودمشق سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ (١٣٣٤ و ١٣٣٥ هـ) ، وكانت برهاناً حياً على وعي الأمة العربية لشخصيتها ووحدة مصيرها وعمق الروابط التي تشد جميع خلاياها بعضها إلى بعض .

وإذا كانت القومية العربية قد بدأت بالحركة الرومانتيكية الأدبية التي عملت على احياء اللغة العربية والتاريخ العربي وتراث العرب الفكري ، ثم انتقلت إلى طور العمل السياسي على أيدي الجمعيات السرية والعلمية ، فقد دخلت بفضل الحسين وأبنائه دور الكفاح المسلح ، وخرجت من حيز الأمل إلى حيز العمل ، ومن نطاق النضال الداخلي إلى المسرح الدولي وميدان السياسة العالمية .

لقد استجاب الحسين لنداء الأمة العربية ، واستجابت الأمة العربية لنداء الحسين ، فكانت الثورة العربية التي ألهمت الصحراء وأحالتها نارا متقدة ، معجزة قومية كبرى أعلنت وجود العرب وأعربت عن ارادتهم . ولم يكن عجباً ومستغرباً أن تحقق هذه الثورة بعض أهدافها وتحقق في تحقيق البعض الآخر . وإنما كان العجيب والمستغرب مجرد ظهورها على مسرح التاريخ والعرب يومذاك محاطون بالأعداء والطامعين ، تواجههم أحداث جسام ، وتحيط بهم دول لا ينضب معين قواها ومواردها ، وهم محرومون من جميع أسباب القوة شعباً وجيشاً وسلاحاً ومالاً وتنظيماً وخبرة .

ومع ذلك فقد ناضل أبطال الثورة ، في تلك الظروف الشاقة وبذلك الامكانيات الضئيلة ، نضال الجباة ، ضد خصومهم وحلفائهم على السواء ، وكانت بريطانية تتعاون معهم وتخشاهم في آن واحد ، وكان مكماهون أول من أندر حكومته بأنها إذ تؤيد القضية الوطنية في بلاد العرب وإنما « تعمل عملاً مخفوفاً بأعظم الأخطار وأشد المهالك ، لأن حرية العرب قد تنمو في أحد الأيام فتصير الغول الذي افترس

صانعه في رواية فرنكشتين^(١) . وكانت فرنسة ترى ان انتصارات الثورة كثير في العرب نزعات الوحدة وأما في الاستقلال ، فيجب أن يحدوا منها ما وسعهم ذلك^(٢) ولا تكتم نخوفها من ان تتصل شرارات النهضة العربية بالملايين من رعاياها العرب في شمال أفريقيا^(٣) . فكانت الدولتان الحليفتان تضمان على رجال الثورة بالسلاح الحديث ، وتقتران في العناد تقترأ كبيراً ، فلا تعطياهم منه إلا ما تعتقدان بأنه ضروري للحركات العسكرية المباشرة ، وقد تبين ان بعض هذا السلاح والعناد كان قد استعمل في الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٥ (١٣٢٣ هـ) وقد انفجر قسم كبير منه بأيدي مطلقيه ، وكان يدفعها إلى ذلك خوفها من أن تنتهي الحرب ولدى العرب جيش قوي منظم ومقادير وافية من السلاح ومبالغ كافية من المال ، وكثيراً ما كان الحلفاء يتركون الشوارب العرب في الظروف العصية تحت رحمة الأقدار منتحلين شتى الأعذار لتأخير المساعدات والنجادات^(٤) .

وبعد استيلاء الجيش العربي على العقبة خفف الانكليز من ميلهم إلى مساندة الثورة ، واتجهت خطتهم إلى إبقاء هذا الجيش في مواقعه الراهنة بالحجاز ، ولكن رجال الثورة رفضوا ذلك ، وأصرروا على متابعة الزحف إلى الشمال ، واصطدموا بالضابطين الانكليزيين لورنس وجويس اللذين كانا يحاولان توجيه الجيش العربي نحو الجنوب ، ولم توافق القيادة الحليفة على مطلب قادة الثورة إلا عندما أيقنت بأن رفضها ذلك سيؤدي إلى تمرد الجيش العربي^(٥) . ومن ثم بدأ بين فيصل بن الحسين

١ - عبد الرحمن الشهبندر : لورنس في الميزان ، المقتطف عدد يونيه ١٩٣١

٢ - يفتة العرب ص ٣٩٢ ، موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٢٥٢

٣ - للتوسع في هذا الموضوع انظر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٨٨ ،

ذكريات المجلوني ص ٢٨ و ٦٣ ، يوم ميسلون ص ١٠٥ ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٢٧٥ ، اعمدة الحكمة السبعة ص ٣٤ و ١١٤ ، يفتة العرب ص ٣١٣ ، معارك الحرية فسمي سودية ص ١٤٤

٥ - انظر : ذكريات المجلوني ص ٥٦ ، اسرار الثورة العربية الكبرى وماساة الشريف حسين ص ٢١٩ ، اعمدة الحكمة السبعة ص ١١٦

واللبناني تنافس شديد في الوصول إلى سورية ، وكان كل منها يود أن يسبق الآخر في الدخول إلى دمشق .

وعلى الرغم من هذا كله فقد خرجت الحركة العربية من الحرب العظمى ظافرة ، وغدت بفضل الثورة العربية قوة مادية محسوسة بعد أن كانت فكرة وخيالاً ، وأصبح لها وزنها وحسابها في المجال الدولي ، وكان من نتائجها المباشرة أن استقلت الجزيرة العربية استقلالاً تاماً ، وانحصر ظل الدولة العثمانية عن نجد والحجاز واليمن وعسير دون أن تتعرض لعدوان جديد .

وأراد فيصل بن الحسين أن يضع دول الحلفاء أمام الأمر الواقع ، فاتفق مع أبناء سورية على إنشاء مملكة دستورية مستقلة قامت على دعائم القومية ، وكانت أول دولة عربية وطنية في العصر الحديث ، واحتشد فيها العديد من الكفالات والمواهب العربية ، فغدت دمشق في حياتها الاستقلالية القصيرة دماغ الأمة العربية الناظم لحركاتها الوطنية والموجه لها في سبيل قضية واحدة .

واستطاعت الحكومة الفيصلية على قصر أجلها وبرغم المتاعب الاقتصادية التي كانت تعانيها ، والآثار العديدة التي تركتها الحرب ، وتركها العهد العثماني البائد ، أن تسير في سبيل التنظيم والإصلاح سيراً حثيثاً ، وأن تقوم بأعمال إنشائية رائعة ، وقد أولت التعليم عناية خاصة فأعادت فتح المدارس التي كانت في العهد العثماني ، ومنها مدرسة الطب التي نقلت إلى بيروت أثناء الحرب ، وافتتحت مدارس جديدة ، وأنشأت كلية الحقوق والمجمع العلمي العربي بدمشق ، وشرعت في ترجمة الكتب المدرسية المقررة ، وفي تعريب دواوين الحكومة ^(١) ، وأعدت صفوفاً خاصة لموظفي الحكومة تدريبهم على الانتقال من التركية إلى العربية ، وخلقت نزعة استقلالية أصبحت فيما بعد باعثاً وملهماً للحركات الاستقلالية وثورات التحرر من الاستعمار الأجنبي ^(٢) . وكان ذلك برهاناً حياً على حيوية الأمة العربية واستعدادها

١ - من أطراف ما يروي أن فيصل بن الحسين قد ألف لجنة لترجمة المصطلحات العسكرية من التركية إلى العربية منذ كان يخوض المعركة ويعيش في مضارب بالبادية (ذكريات العجلوني ص ٣٧) .

٢ - انظر « العالم العربي » ص ٢١٤

للتقدم والتطور، ولكن من المؤسف انه لم يكن لدى فيصل بن الحسين الجيش الذي يدعم هذه المنجزات ومجملها .

وقد كان نفوذ الملك فيصل العامل الحاسم في خلق الدولة العراقية الحديثة التي كانت بريطانية تحلم بأن تنشئ فيها حكومة استعمارية برئاسة السربريسي كوكس تلحق بحكومة الهند الانكليزية وتكون من جملة مقاطعاتها^(١) ، وقد بدأ تنفيذ هذه الخطة فعلاً، فألحقت حكومة العراق بحكومة الهند تتلقى منها الأوامر وترجع اليها في شؤونها ، وتدفع جيوش الموظفين المنسوبة إلى العراق ، وجعلت العملة الروبية نقداً له ، وكان معنى ذلك انه صار مستعمرة لمستعمرة . إلا ان انتخاب فيصل بن الحسين ملكاً للعراق ، قد أزال شبح التبعية الهندية عنه ، وما زال جلالة يدأب بالسر على مصالح العراق حتى صهر العنصرات المختلفة ووحيد النزعات المتضاربة ، وتمكن بحكمته ولباقته ومساعدة القادة الخالص من إلغاء الانتداب على العراق وتحقيق استقلاله والاعتراف به في المجال الدولي ، ولم يغمض ناظره في الوقت نفسه عن الأهداف الكبرى التي كانت تنزع إليها الحركة العربية .

وكأنت الصهيونية ترغب في ضم منطقة شرقي الأردن إلى فلسطين، بحيث يشملها وعد بلفور الذي كرسه صك الانتداب ، فاستطاع عبد الله بن الحسين ببسالته وجراته أن ينتزع هذه البقعة من الأرض العربية ، وأن ينتزع معها اعترافاً من بريطانية مؤيداً بقرار من عصبة الأمم بأن وعد بلفور لا يسري على شرقي الأردن، وهكذا أنشأ الملك الشجاع دولة عربية جديدة كانت على الدوام ملجأً لأحرار السوريين والفلسطينيين ، ومنطلقاً لنضالهم ضد الانتداب الفرنسي في سورية والانتداب البريطاني في فلسطين .

وهكذا يبدو بجلاء ان الثورة العربية قد حققت جانباً من أهدافنا القومية وحفزتنا إلى النضال من أجل تحقيق الجانب الآخر ، وإذا كانت لم توفق في تحقيق غاياتها الأساسية في الاستقلال التام والوحدة الكاملة ، فلأنها كانت تفتقر إلى القوة

١ - الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٣ ، موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٢١٣

المادية التي تدعم مثل هذه المطالب الكبرى ، فقد أجبرت دول الحلفاء على منح الدول العربية قسطاً من الاستقلال الذاتي لم تكن على استعداد لمنحه ، وعلى الاعتراف بحقوق كانت من الممكن أن ترفض الاعتراف بها . ولم يكن لفرنسة وبريطانية مطامع قومية في بلاد الشام والعراق كالمطامع التي كانت لتركيا ، فحافظنا في ظل الانتداب على كياننا القومي ولغتنا القومية ، وما هو إلا ربع قرن حتى زال هذا الانتداب نتيجة لتنبه الوعي القومي وتعاظم النضال الوطني ، فاستقلت سورية ولبنان والعراق وشرقي الأردن ، ولو ظلت تركيا تحكم هذه الأقطار لكان كيانها القومي ولغتها العربية مهددين بالزوال . وهذا ما جعل الأمير مصطفى الشهابي يقول في إحدى محاضراته بمعهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية رداً على الافتراء الموجه إلى الثورة الكبرى وإلى قائدها الكبير : « وعلى الرغم من تقولات بعض المغرضين أو الجاهلين أو الخائنين ، فالحسين وأولاده رجال الثورة المعروفون ، وجنودها المجبولون ، قد خدموا العرب خدمات عظيمة لا كفأ لها ^(١) » .

وما الثورات المتعاقبة على الاستعمار ، في سورية والعراق وفلسطين والأردن ، إلا امتداداً للثورة العربية الكبرى وتتمه لها ، ونتيجة لليقظة القومية التي أثارها في النفوس والحاسة الوطنية التي أشعلتها في الصدور . ويتفق المؤرخون على أن المدة الواقعة بين الحربين العالميتين ، تنقسم في البلاد العربية إلى قسمين غير متساويين ولا متشابهين ، ففي الفترة الأولى وهي التي أعقبت الحرب مباشرة كانت الجهود الوطنية التي بذلت في مقاومة الاستعمار الأوربي تتسم بالعنف الثوري الذي يرجع إلى ما تركته الثورة العربية في نفوس العرب من غليان وتوهج . أما الفترة الثانية فكان يغلب على الحركات الوطنية فيها السمة الدستورية . ويقول جورج كيرك : « ان الثورة العربية مهما قيل في أن قيمتها كعملية حرية كانت محدودة ، فان أهميتها في استنهاض الأماني عند المفكرين السياسيين من العرب تفوق كل تقدير » .

وقد كان لذلك من النتائج ما تجلّت آثاره عقب انتهاء الحرب مباشرة^(١) .
 ان مبادئ الثورة العربية ، وبذورها التي ظلت تنمو في الأرض العربية الطيبة ،
 هي التي جعلت وجود الاستعمار الغربي في البلاد العربية متعذراً بل مستحيلاً ، وهي
 التي مهدت للصراع معه والتغلب عليه . ويقول الدكتور أحمد قنبري في ذلك :
 « ان التاريخ يذكر الحسين بطلاً أول للثورة العربية الكبرى ، ومؤسساً أول
 للوحدة العربية المنشودة ، وباعثاً أول للشعور القومي ، ورسولاً أميناً للقضية
 العربية ، اقتدى نفسه وملكه في سبيلها من غير أن يميل ذات الشمال واليمين أو
 تأخذ في الحق لومة لائم .. وإذا كانت انكساراً قد خانت عهده ولم تبرز بالوعود التي
 قطعته له ، فما يلحقه من ذلك نقد أو غيبة ، إذ ما كان لأي كان سواء في مثل
 موقفه أن يستوثق بأكثر مما استوثق . ولطالما خانت السياسة ومارت وضربت
 بالمواثيق عرض الحائط . لقد وضع الحسين لأمته الأسس ، وفتح في وجهها السبل ،
 وعليها استكمال البناء^(٢) . »

*

لقد كانت ثورة مباركة بزغ معها فجر جديد استعادت الأمة العربية في نوره
 شخصيتها المستقلة ومكانتها في التاريخ ، بعد ان أبعدت عن مسرحه أربعمئة عام ،
 وكادت تقص عنه إلى الأبد .. ثورة عربية خالصة انبثقت من ارادة الملايين في
 الحرية والوحدة والايان برسالة القومية العربية الخالدة . ثورة قومية قامت على
 أساس العروبة الصافية الشاملة دون التفتات إلى أي اعتبار اقليمي أو طائفي^(٣) .
 وهكذا غدت دمشق في عهد فيصل بن الحسين عاصمة العروبة كلها لا عاصمة سورية
 وحدها ، فضمت في تلك الأشهر الخالدة من تاريخ سورية رجالات الأمة العربية
 وخيرة شبابها ومفكرها من جميع الأقطار ، وأصبحت كعبة لكل وطني عربي ،

١ - انظر : موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ١٩٧ و ٢٠١

٢ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ٢٨٥

٣ - انظر ما كتبه يوسف الحكيم عن معاملة المسيحيين خلال الحكم الفيصلي بدمشق
 (سورية والعهد الفيصلي ص ٤٤) .

فتوطنها من زعماء العراق ياسين الهاشمي وجعفر العسكري ومولود مخلص وتوفيق السويدي وطه الهاشمي وثابت عبد النور واسماعيل نامق وتحسين العسكري وكثيرون من الضباط والمفكرين الذين بنوا بسواعدهم استقلال العراق .

واجتمع فيها من زعماء سورية الداخلية أمثال هاشم الأتاسي وابراهيم هنانو وسعد الله الجابري وصبحي بركات ومظهر رسلان واحسان الجابري وأحمد مريود والأمير فاعور والأميران بهجت ومصطفى الشهابي وبعض رؤساء آل الأطرش وزعماء جبل الدروز وحوران والبادية ، وكثيرون من المفكرين والأدباء علاوة على رجالات دمشق وشبابها المثقفين الذين شتتهم الحرب وعادوا اليها من تركة مصر وسائر الأقطار .

واستوطنها من رجالات سورية الغربية ولبنان رضا الصلح والأمير عادل ارسلان ورياض الصلح ورشيد طليع والدكتور سعيد طليع وتوفيق الناطور وسعيد حيدر وفؤاد سليم وسعيد عمون ورشيد الحسامي وكثيرون من آل بيهم ومعظم زعماء الدنادشة وبلاد العلويين وجبل عامل وبيروت وطرابلس .

وأقام فيها من رجالات سورية الجنوبية أمثال الحاج أمين الحسيني وعوني عبد الهادي وعزت دروزة ومعين الماخي والشيخ عبد القادر المظفر وأحمد حلمي وصبحي خضرا وكثيرون من آل الحسيني والتميمي وغيرهم .

وعاد اليها من مصر الدكتور عبد الرحمن شهنيدر والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم واسكندر عمون وغيرهم من الشبان الذين اشتركوا في الثورة العربية فضموا جهودهم إلى جهود رجالات دمشق وشبابها أمثال شكري القوتلي ونبيه العظمة وخير الدين الزركلي وفخري البارودي .

وأقبل عليها من استانبول وأوربة يوسف العظمة وساطع الحصري ونجيب شقير وجميل مردم وكثيرون من الضباط والمفكرين السوريين والعراقيين الذين كانوا هناك ، كما ان زعماء الأمة العربية وكبار مفكرها وخيرة شبابها الذين لم يسعدهم الحظ بالاقامة في دمشق كعبد الحميد كرامي وسلطان الأطرش ويوسف السويدي والشبيبي والرصافي وبهم والتميمي كانوا يكثر من التردد عليها وقضاء أيام

وأسابيع فيها ، لمساعدة اخوانهم في مهمة تنظيم الأمة ، وتوطيد أركان الاستقلال ، ومفاوضتهم في الحطة التي يجب انتهاجها لتحقيق هذا الاستقلال ونشر لوائه في جميع الأقطار العربية ^(١) .

ويلاحظ عجاج نويهض ان تعبير « العالم العربي » لم يكن قد شاع وقت ثورة الحسين ولكن تعبير « الأمة العربية » كان يستعمل في معرض الفخر بالعزة القومية التاريخية ، وتراث المجد العربي ، ورمزاً إلى أسواق العرب نحو استئناف الدولة العربية في العصر الحديث . لقد كانت هناك أمة عربية فأمست شعوباً عربية ، وكانت هناك أسواق إلى بني أمية وبني العباس فذابت هذه الأسواق وحلت محلها أسواق إلى دمشق وبغداد وبيروت والقدس والرياض ومكة وصنعاء ، ثم خلقت هذه الأسواق محاور لها في كل بلد وعلى ضفاف كل نهر من بلاد العرب ، ومنطقت بحدود اقليمية ولدت بعد سنة ١٩٢٠ ، وابتدعت الأعلام المزر كشة وأجوزة السفر المبرقعة ، ومرت عشرات السنين والعرب في صراع عنيف بينهم وبين تاريخهم ، هو يقول : اني تاريخ واحد ، وهم يقولون انك تواريخ ^(٢) ..!

والواقع ان تلك الثورة القومية الخالصة التي حررت العرب من النير التركي ، وجعلت من القومية العربية عقيدة حية متطورة ، وكانت باعثاً وملهماً للحركات الاستقلالية وثورات التحرر من الاستعمار الأوربي ، لم تنج من الظلم والتضييل والافتراء ، وبدلاً من متابعة الهدف الذي رسمته والطريق الذي مهدته ، بنفس الروح والحماسة والاخلاص التي انصف بها أبطالها الميامين ، أخذت بعض الأوساط السياسية تعمل لهدر طاقتها في التشكيك بذلك التراث وأولئك الأبطال ، وفي ايقاظ النزعات الاقليمية والنزعات الحزبية والتيارات الشعبية التي وضعت في بعض الأحيان فوق الأهداف القومية الكبرى ، وأحياناً لمحاربة هذه الأهداف . ولكن القافلة تسير برغم الحن والعقبات ، والقومية العربية أقوى من كل شعار

١ - انظر مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٠٦ ، الوحدة العربية ص ١١٦

٢ - انظر مقدمة ذكريات المجلوني ص ٧

مستورد وتيار هدام ، والرسالة العربية باقية على الزمان ينتقل مشعلها من يد إلى يد ويتوارثها جيل بعد جيل ، حتى تحقق الأمة العربية كل أهدافها وأمانها في الحرية والوحدة والسيادة ، وتتطهر الأرض العربية من كل غاصب دخيل .

ويا مجاهد قريش ، إذا كانت حنيت القبر قد احتوت جثمانك الطاهر ، فات الانسان العربي ليطوي على ذكراك حناياه ، وان روحك العالية ومبادئك السامية ، لا تزال خالدة على الدهر ، يسير العرب على هديها ، ويمضون في جهادهم على سناها ، حتى يكتمل النصر .

وما أشبه تراثك الهادي بالدوحة العظيمة ، الذاهبة شموخاً في أغصانها، والمتغلغلة عميقاً في جذورها ، فهي تنبض في كل عرق من عروق الوطن ، مروية بدماء كل شهيد صارع الارهاب والطغيان ، وقارع قوة الوحش بقوة الايمان .

وأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض !

مصادر الكتاب

١ - مصادر ومراجع عربية

- ابراهيم أحمد العدوي (الدكتور) : قادة التحرير العربي في العصر الحديث
ابراهيم جمعة (الدكتور) : القومية العربية أصولها ومقوماتها
ابراهيم الحلو : كفاح القومية العربية في القرن العشرين
ابراهيم شريف (الدكتور) : الأطماع الاستعمارية في الشرق الأوسط
أحمد الشيباني : القومية العربية في النظرية والتطبيق
أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية
أحمد قدرى (الدكتور) : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى
أديب اسحق : الدور
اسطفان البشعلاني : لبنان ويوسف كرم
اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية
أحمد طرابلسي : شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام
أمين الريحاني : ملوك العرب
نجد وملحقاته

أمين سعيد	: الثورة العربية الكبرى
	أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين
أنور الجندي	: الشخصية العربية في الأدب والتاريخ
	أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة
أنور الرفاعي	: جهاد نصف قرن لسمو الأمير سعيد آل عبد القادر الجزائري
أنيس المقدسي	: الاتجاهات الأدبية في النهضة العربية الحديثة
أنيس النصولي	: أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر
	عشت وشاهدت
جبران مسعود	: لبنان والنهضة العربية الحديثة
جميل صليبا (الدكتور)	: الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام
حافظ وهبة	: جزيرة العرب في القرن العشرين
	خمسون عاماً في جزيرة العرب
حسن الحكيم	: مذكراتي
حسين مؤنس (الدكتور)	: الشرق الاسلامي الحديث
حسين النجار (الدكتور)	: رفاة الطهطاوي
حنا خباز	: فرنسا وسورية
خير الدين الزركلي	: قاموس الأعلام
زكي الأرسوزي	: الأمة العربية ، ماهيتها رسالتها مشاكلها
ساطع الحصري	: ما هي القومية
	محاضرات في نشوء الفكرة القومية
	البلاد العربية والدولة العثمانية
	يوم ميلون
سامي الكيالي	: الحركة الأدبية في حلب

- سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى
لورنس والعرب
تاريخ الأردن في القرن العشرين (بالاشتراك
مع منيب الماضي)
الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد
- سمعان الحازن : يوسف كرم في المنفى
طه شرف (الدكتور) : الأحداث العربية في تاريخها الحديث
طه الهاشمي : مذكرات طه الهاشمي
عادل الصلح : سطور من الرسالة
عبد الحميد البطريق (الدكتور) : الأمة العربية
عبد الرحمن البزاز (الدكتور) : هذه قوميتنا
العراق من الاحتلال إلى الاستقلال
- عبد الرحمن الرافعي : شعراء الوطنية
عبد الرحمن الكيالي (الدكتور) : المراحل
عبد العزيز الدوري (الدكتور) : الجذور التاريخية للقومية العربية
عبد العزيز عزت (الدكتور) : الأيديولوجية العربية والمجتمع العربي
عبد الله بن الحسين : مذكراتي
الأمالي السياسية
- عبد الله العلايلي : دستور العرب القومي
عزت عبد الكريم (وآخرون) : تاريخ العالم العربي في العصر الحديث
علي حسن الحروبوطي : المجتمع العربي
علي الشرقي : ذكرى السعدون
علي محمود الشيخ علي : آراء في القضية العربية وذكريات عنها
عمر الدقاق : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث
عيسى المعلوف : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني

غلاب العياشي	: تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب
فارس زرزور	: معارك الحرية في سورية
فايز الغصين	: ذكرى باقي عن الثورة العربية
فخري البارودي	: مذكرات البارودي
فريدريك زريق	: نهضة العرب ، التحرر فالاستقلال فالدولة
فؤاد حمزة	: قلب جزيرة العرب
قدري قلعجي	: السابقون
	عبد الرحمن الكواكبي
	مدحت باشا أبو الدستور العثماني
لويس عوض (الدكتور)	: المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث
ماهر فهمي (الدكتور)	: الزهاوي
مصطفى الشهابي	: محاضرات في الاستعمار
	محاضرات في القومية العربية
محب الدين الخطيب	: الدكتور صلاح الدين القاسمي
محمد أسعد طلس	: تاريخ الأمة العربية
محمد أنيس (الدكتور)	: الدولة العثمانية والشرق العربي
محمد بديع شريف	: النهضة العربية الحديثة
محمد جميل بيهم	: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور
	العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب
	الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
محمد حبيب أحمد	: نهضة الشعوب الإسلامية
محمد حسين	: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر
محمد رفعت	: تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية
محمد ضياء الدين الرئيس	: الشرق العربي والحلقة العثمانية
محمد طاهر العمري	: تاريخ مقدمات العراق السياسية

- محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة
الوحدة العربية
- محمد علي العجلوني : ذكر ياتي عن الثورة العربية الكبرى
- محمد الغزالي : حقيقة القومية العربية
- محمد كامل ليله (الدكتور) : المجتمع العربي
- محمد كرد علي : خطط الشام
- محمد المبارك : الأمة العربية في معركة تحقيق الذات
- محمود البهي (الدكتور) : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي
- محمود الشرقاوي : رواد النهضة العربية
- ميخائيل الصباغ : سيرة ظاهر العمر
- نجلاء عز الدين : العالم العربي
- نجيب أرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء
- نجيب صدقة (الدكتور) : قضية فلسطين
- نديم بيطار : قضية العرب الفلسطينية
- نور الدين حاطوم (الدكتور) : المراحل التاريخية للقومية العربية
- وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي
- ولي الدين يكن : التجارب
- ياسين عرفة : ديوان الثورة العربية
- يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان
- سورية والعهد العثماني
- سورية والعهد الفيصلي
- يوسف عز الدين (الدكتور) : الشعر العراقي الحديث واثار التيارات السياسية والاجتماعية فيه
- يوسف هيكل (الدكتور) : نحو الوحدة العربية

*

- ثورة العرب : نشره أسعد داغر
- الثورة العربية الكبرى : ملحق خاص أصدرته جريدة « الحياة » في ذكرى مرور نصف قرن واشترك في تحريره : نقولا زيادة ، زين نور الدين زين ، عبد الكريم غرابيه ، ناصر الدين الأسد ، سليمان موسى ، قدري قلججي ، نبيه أمين فارس ، عباس الكرد .
- ذكرى الثورة العربية : كلمات أُلقيت في احتفال منظمة النجادة ببيروت سنة ١٩٤٣ ، للدكتور أنيس الصغير وقسطنطين بني ونصري المعلوف وتقي الدين الصلح .
- رسالة في الاتحاد : بأقلام ساطع الحصري وأكرم زعيترو وكامل مروة
- مؤتمر الشهداء : نشره ومهدله يوسف ابراهيم يزبك
- المؤتمر العربي الأول : نشره رشيد رضا
- الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين : أصدرته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
- الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب : أصدرته جريدة « الأيام » في دمشق

٢ - مراجع أجنبية مترجمة الى العربية

- أحمد جمال : ايضاحات سياسية
- مذكرات جمال باشا ، ترجمة علي أحمد شكري
- ارسكين تشايلدرز : الحقيقة عن العالم العربي ، ترجمة خيرى حماد
- ارنست راموز : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي
- توماس ارنولد : الخلافة ، ترجمة جميل معلى
- جاك بولان : وجهاً لوجه مع القومية العربية ، ترجمة غياث حجار
- جورج انطونيوس : يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس

جورج كيرك	: موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ترجمة عمر الاسكندري
جون غلوب	: الفتوحات العربية الكبرى ، ترجمة خيرى حماد
روبير مونتائين	: الوحدة العربية ، ترجمة دار المكشوف
سيتون وليمز	: بريطانيا والدول العربية، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى
فيليب حتي (الدكتور)	: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة الدكتور كمال اليازجي
كارل بروكلمان	: تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة فارس وبعليكي
لودز	: القول الحق ، ترجمة نزيه مؤيد العظم
لورنس	: أعمدة الحكمة السبعة ، ترجمة المكتب التجاري
	: الثورة العربية ، ترجمة كامل صموئيل مسيحة
هانز كوهن	: عصر القومية ، ترجمة عبد الرحمن صدقي

٣ - مراجع أجنبية

- Abouccassan (B) : Le Problème Syrien.
 Azouri (N) : Le Revell de la Nation Arabe dans l'Asie Turque.
 Beroist-Méchin : Lawrence d'Arabie ou le rêve fracassé.
 Bremond (Ed) : Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale.
 Buchard (Charles) : Le Mandat Français en Syrie et au Liban.
 Cheradame (A) : La question d'Orient.
 David (Philippe) : Un Gouvernement Arabe à Damas.
 El Cherif (Ihsan) : La Condition Internationale de la Syrie.
 Gouilby : L'Islam devant le Monde Moderne.
 Jalabert : Syrie et Liban.
 Johamet (René) : Le Principe des nationalités.
 Jung (E) : La Revolte Arabe.
 Khairallah (K.T.) Les Régions Arabes Libérées.
 Lammens (Henri) : La Syrie, Précis Historique
 Mac Lean (Alistair) : Lawrence d'Arabie.
 Müller (Victor) : En Syrie avec les Bédouins.
 Pichon (Jean) : Le partage du Proche-Orient.
 Pichon (Jean) : Sur la route des Indes un siècle après
 Bonaparte.
 Roux (Charles) : France et Chrétiens d'Orient.
 Le livre d'or des troupes du Levant 1918-1936.

فهرس الأماكن والموسسات

« ١ »

الاردن : ١٩٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ -	ابو كمال (بلدة) ٣٠٨ - ٣١٧
٢٦٢ - ٣٠٨ - ٣٤٣ -	الاتحاد العثماني (جريدة) : ٧٣
٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨	أجباد (قلعة) : ٢٢٦
الاسكندرية : ١٩٦	ادلب (بلدة) : ٣٠٥
الاسكندرونة : ٢٠٨ - ٢٦٨ -	أرضروم : ٢٦٨
٢٦٩ - ٢٧٠ - ٤٥١ - ٤٥٢	أرمينية : ٣١٨
الاستقلال العربي (مجلة	أرواد : ٢٦٨ - ٣٦٢
بالفرنسية) : ٨٧	أربحا : ١٤٩ - ٤٢١
الاستانة : ٣٦ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٥ -	ازمير : ١٤١
٤٧ - ٥٧ - ٦٦ - ٧٣ - ٧٥ -	أضنة : ١٧٣ - ٢٠٢ - ٢١١ - ٢١٣
٧٩ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١١ -	اسبانية : ٩٨
١١٢ - ١١٣ - ١١٨ - ١٢٧ -	استراباد (شارع) ٩١
١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٧ - ١٤٠ -	استانبول : ٣١ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٢ -
١٤١ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩ -	٨٨ - ٨٩ - ١٠١ - ١٢٥ - ١٢٨
١٥١ - ١٥٤ - ١٧٥ - ١٧٧ -	آسية : ٣٥
٣٢٨	آسية الصفري : ٢٤٣
البانية : ٢٢٧	أعزاز : ٣٠٤
الروملي : ٣٧٧	أفريقية : ٣٥ - ٤٢ - ١٩٢
الاعتدال (صحيفة) : ٥٠	أقدام (جريدة تركية) : ١٣٢

٢٧٦	اللاذمية : ٢٦٨ - ٢٠٤
اندلس : ٢٨ - ٩٨	المانيه : ٧٦ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٨
انقرة : ١٧٣	١٤٦ - ١٩٢ - ٢٧٢ - ٢٧٩
انكلترة : ٤٣٣ - ٤٥٠ - ٤٥١	٢٨٦ - ٤٥٧ - ٤٥٩
٤٦٥	أماره شرقي الاردن : ٤٢٣ - ٤٢٤
أورفه : ٢٠٢ - ٣٧٠	٤٢٥ - ٤٢٨ - ٤٣٠ - ٤٣١
أوروبا : ١٤ - ٢٧ - ٣٥ - ١٠٣	٤٣٣ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٦٣
١٠٤ - ١٤٤ - ١٦٩ - ١٩٠	٤٦٤
٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٦٥ - ٣٦٦	أميركا (الولايات المتحدة) : ٥١
٣٧٢ - ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٣٨١	٧٥ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤
٤١٥	١٠٦ - ١٤٤ - ١٦٩ - ٢٨٥
أوستريا : ٢٤	٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣٠٨ - ٣٠٩
أوغوز : ٧٢	٣١١ - ٣١٤ - ٣١٩ - ٣٢٢
أيا صوفيا (كنيسة) ٢٨	٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨
أيران : ١٨٦ - ١٩٦ - ٢٧٧ - ٢٧٩	٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٥٢ - ٣٨٠
إيطالية : ٨٦ - ١٥٧ - ٢٧١	٣٩٢
٣٠٦ - ٣٥٢ - ٣٥٨ - ٣٧٠	الاناضول : ٩٤ - ١٠١ - ١٦٤
٣٨١ - ٣٩٢ - ٤٠٦ - ٤٠٧	١٦٨ - ١٧٣ - ١٨٤ - ٢٢٩

« ب »

البارجة نيودلهي : ٤٤٣	الباب العالي : ١٢٥
بافاريا : ٢٤	الباب (بلده) ٣٠٥
البحر الابيض المتوسط : ١٩٦	باريس : ٥٤ - ٦١ - ٨٧ - ٩٠
٢٠٢ - ٣٠٨ - ٣١٧ - ٤٥٠	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٦ - ١٠٧
البحر الاحمر : ٩٣ - ١٩٦ - ٢٠٢	١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٨
٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٦٩ - ٤٥٠	١٣٠ - ٢٣٩ - ٢٨٢ - ٢٨٩
البحر الميت : ٢٤٩	٣٠٣ - ٣١٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥
البحيرات الايطالية : ٤١١	٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥١ - ٣٥٥
بخارست : ٢٤٧	٣٦٤ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٩٢
بدر (موقعة) : ٦٩	٣٩٦ - ٣٩٨ - ٤١٠
برجيك : ٢٠٢	البارجة فون فلور : ٤٤٣

١٥٨ - ١٦٢ - ٢٠٥ - ٢٤٥	برقة : ٧٦ - ٢٢٧
٢٤٨ - ٢٨٣ - ٣٩١	برنامج دمشق : بروكول دمشق :
بغلقين : ٣٤٣	١٩٣ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢١٧
بغداد : ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣	٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٣١
٥٨ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٦ - ٩٣	بروسية : ٢٤ - ٦١ - ١٧٣
٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ١٥٥ - ١٩٢	بروغره دي سالويك (جريدته) : ١٣٥
٢٠٩ - ٢١٣ - ٢١٧ - ٢٣٧	بريطانية : ٣٧ - ٤٣ - ٧٥ - ١٣٣
٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٦ - ٢٧٨	١٣٩ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣
٢٧٩ - ٣٢٨ - ٣٢٨ - ٤١٢	١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧
٤٤٤ - ٤٦٠ - ٤٦٧	١٩٨ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٥
البضاع : ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨	٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٢
٣٤٥ - ٣٨٠ - ٣٩١	٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦
بلاط بكنفهام : ٢٨٤	٢١٧ - ٢٢١ - ٢٤٥ - ٢٦٧
بجيك : ١٣٣	٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٨٠
بلغاريا : ٣٠٩	٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٨
البلغان : ٣٣ - ٣٦ - ١٠٠ - ١٠٨	٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٥
١٣٨ - ١٨٤ - ٢٢٧	٣١٩ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٣٩
بنسنية : ٢٧	٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٥٢
بورسودان : ٢٢٠ - ٢٢٢	٣٦٤ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨
البوسنة : ٧٦ - ٢٢٧	٣٧٠ - ٣٨٠ - ٣٩٦ - ٤١١
بونس ايرس : ٣٥٩	٤١٢ - ٤٢٢ - ٤٢٧ - ٤٢٨
البويب : ١٧ - ٢٥٠	٤٣٢ - ٤٣٤ - ٤٣٦ - ٤٣٨
بئر السبع : ٢٤٦ - ٢٥٠ - ٣٢١	٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٤ - ٤٥٧
بئر درويش : ٢٤١	٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠
بيروت : ٤٣ - ٥٣ - ٧٣ - ٧٦	البصرة : ٣٣ - ٧٦ - ٩٣ - ١٣٨
٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٦ - ٩٣	١٥٥ - ١٧٦ - ١٩٦ - ٢٠٢
٩٥ - ١٠٤ - ١٠٦ - ١٠٧	٢٠٩ - ٣٣٨ - ٤٤٤
١١٩ - ١٢٨ - ١٥٣ - ١٥٥	بصري : ٢٥٠
١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٦	بطرسبورغ : ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٢
١٧١ - ١٧٦ - ١٨٣ - ١٩١	٢٧٣ -
٢١١ - ٢١٣ - ٢٢٥ - ٢٥٨	بعبد : ٢٦٠
٢٦٠ - ٢٦١ - ٢١٣ - ٢٢٥	بعليك : ١٠٦ - ١٠٣ - ١٥٥

بیر بیرین (مقر شیخ الحویطات)	٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٣ -
٢٣٥	٢٦٨ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ -
بیر درویش : ٢٤١	٣٤٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٦٥ -
بیر روحانا : ٢٤١	٣٨١ - ٣٨٨ - ٣٩٢ - ٣٩٤ -
بیت الله الحرام : ٤٣٥ - ٤٣٦ -	٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٦٠ - ٤٦٧ -
٤٣٧	بیت لحم : ٣٢١

« ت »

ترکیة الفتاة (صحيفة في باريس) ٦٣	تبوك : ٢٤١
تصوير افكار (صحيفة) ١٢٩	تجت : ١٩٣
تل شهاب : ٢٤٨	ترکیة : ٣١ - ٥٤ - ٩٩ - ١٣٦ -
تل العرار : ٢٤٩	١٤٦ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٤ -
تل كلخ : ٣٨٨ - ٣٨٦ -	٢٣٣ - ٢٧٢ - ٣٨٠ - ٤٠٨ -
تونس : ٤٣ - ٩٨ - ٢٣٦	٤٣٠ - ٤٣٢ - ٤٣٤ - ٤٥٠ -
	٤٥٧ - ٤٥٦ - ٤٦٤ - ٤٦٦ -

« ج »

جرايلس : ٣٨٠	جامعة باليول : ٤٤٥
الجردونة : ٢٤٧	جامعة روما : ٤٠٩
جرمانا (قرية) ٢٣٤	الجامعة العثمانية : ٣٩٥
جرمانيا : ٢١٢	جبال الالب : ٤١١
جروف الدراویش : ٢٤٦	جبال العلويين : ٣٧٤ - ٣٨٧ -
جرول (ثكنة) ٢٢٦	٤٦٦
الجزائر : ٨٦ - ٩٨ - ١٣٢ - ٢٣٦	جبال طوروس : ٣٩٦
٢٧١ -	الجبل الاسود : ٤٩ - ٩٩ -
الجزيرة : ٨ - ٢٧ - ٢٦٨ - ٢٨٤ -	جبل عامل : ٣٠٣ - ٣٧٤ - ٤٣١ -
٢٧٤ - ٢٥٣	٤٦٦
الجزيرة العربية : ٣٠ - ٤٣ - ٢٣٦	جبل : ٣٠٥
٢٧١ -	جدة : ١٩٠ - ٢٠٧ - ٢٢٧ - ٢٧٣ -
جسر الحابطة (موقعة) ١٦	٢٧٩ - ٤٢٨ - ٤٣٤ - ٤٣٣ -

الجمعية السورية اللبنانية : ٢٨٩	جسر الشغور : ٣٨٨
جمعية النهضة السورية : ٧٥	جسر القرعون : ٣٨٧
جمعية نهضة اللبنانية : ١١٨	جسر بنات يعقوب : ٢٥٩
جمعية العربية الفتاة : ٩٠ - ٩١ -	جمعية الاتحاد والترقي العثمانية :
١٣٠ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤٧ -	٦٢ - ٦٣ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ -
١٢٨ - ١٢٩ - ١٧٦ - ١٧٧ -	٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٩ -
١٨٢ - ٢٣٢ - ٢٥٨ - ٣٠٣ -	٨٨ - ٨٩ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٢٥ -
٣٥١	١٣٥ - ١٤٢ -
جمعية العهد : ٩٠ - ٩٥ - ٩٦ -	جمعية الاخاء العربي العثماني : ٨٨
١٣٧ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٩ -	الجمعية الاصلاحية : ٩٢ - ٩٥ -
١٧٤	١٠٦ - ١٧٧ -
الجمعية العلمية السورية : ٨٠	جمعية البصره الاصلاحية : ٩٤
جمعية عصبة الامم : ٢٨١ -	جمعية بيروت السرية : ٨١
٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٠٩ - ٣٢٠ - ٣٢٨ -	جمعية ترك اوجاغي : ٧١
٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ -	جمعية ترك بلكيش : ٧١
٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٩ -	جمعية ترك درنكي : ٧١
٣٦٧ - ٣٧١ - ٣٧٩ - ٣٨١ -	جمعية ترك يوردي : ٧١
٣٨٥ - ٤٠٧ - ٤٢٣ - ٤٣٨ -	جمعية تركية الفتاة : ٨١ - ٩٢ - ٩٨
٤٦٣	الجمعية الجغرافية بشارع سان
جمعية النهضة العربية : ٨٢	جرمان : ١٠٧
جنين : ٣٢١	الجمعية الخيرية : ٨١
الجوف : ٣٠٨ - ٣١٧	جمعية رابطة الوطن العربي : ٨٧
	الجمعية القحطانية : ٩٠

« ح »

١٩٠ - ٢١٩ - ٢٢٦ -	حارم : ٣٠٥
٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٦ -	حاصبيا : ٣٠٥ - ٣٤٥
٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٢ -	الحجاز : ٢١ - ٣٠ - ١٢٦ -
٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٩ - ٢٥٧ -	١٣٨ - ١٣٩ - ١٥٠ - ١٥٢ -
٢٦٢ - ٢٧٣ - ٢٧٩ - ٢٨٥ -	١٥٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٤ -
٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣٨٣ - ٣٩٠ -	١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٩ -

٤٥٢	٣٩١ - ٣٩٤ - ٣٩٧ - ٤٠٧
الحلبية (قرية) : ٢٣٤	٤١٠ - ٤١٢ - ٤١٦ - ٤٢٩
الحلة : ١٥٥	٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٨
حمص : ١٩٧ - ٢٠٨ - ٢٦١	٤٤٢ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٦١
٢٦٢ - ٣٠٥ - ٣٤٥ - ٣٨٣	حزب (قرية) : ٤٣١
٣٨٨ - ٣٩١ - ٤٥١	حزب الاتحاد والترقي : ٢٣٢
الحمام : ٣٨٦	حزب الاستقلال : ١٨٤ - ٣٠٣
حمص (الاندلس) : ٢٧ - ٢٨	حزب الاصلاح : ١٢٣
حمص (سورية) : ١٥ - ١٩٧	حزب الحرية والائتلاف : ٧٠ - ٧١
٢٠٨ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٣٠١	٩٢ - ٩٤
٣٠٥ - ٣٤٥ - ٣٨٣ - ٣٨٦	لحزب الوطني السوري : ٣٥١
٣٩١ - ٤٥١	٣٥٩
جنين (موقعة) : ٦٩	حزب اللامركزية : ٩٥ - ١٧٧
حوران : ٣٣ - ٩٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩	حزب العهد : ١٨٤
٢٥٠ - ٢٥٢ - ٣٠٠ - ٣٠٢	حصن الاكراد : ٣٠٥
٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٢٥ - ٣٨٨	حلب : ٣٣ - ٥٠ - ٧٦ - ٩٧
٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤١٥ - ٤١٦	١٦٦ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٠٨
٤١٨ - ٤٦٦	٢١١ - ٢١٣ - ٢٣١ - ٢٥٧
الحويطات : ٢٤٤ - ٢٤٧	٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٦٥
حيان (موقع بالاندلس) : ٢٧	٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣١٣ - ٣٢٨
حيفا : ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٣٠٥	٣٣٩ - ٣٤٥ - ٣٨٣ - ٣٨٤
٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٤٤ - ٣٩٦	٣٨٥ - ٣٨٨ - ٣٩٠ - ٣٩١
٤٠٧ - ٤١٥	٣٩٢ - ٣٩٣ - ٤٠١ - ٤٥١

« خ »

خلخلة : ١٤٧ - ٢٣٤	الخابور : ٣٠٨ - ٣١٧
خليج البصرة : ٤٥٠	الخالصة : ٣٨٨
خليج فارس : ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٤٥٠	خان السبيل : ٢٦١
الخليج العربي : ١٩٢ - ١٩٦	خربة الفزالة : ٤٠٨ - ٤١٦
الخليل : ٢٥٠ - ٣٠٥ - ٣٢١	خربوط : ٢٦٨

« د »

٢٥٧ - ٢٥٦ - ٢٥٥ - ٢٥٢	دار الكتب القبرصية العامة : ٤٦٦
٢٦١ - ٢٦٠ - ٢٥٩ - ٢٥٨	دار اللجنة العربية في القدس : ٤٣٦
٣٠٣ - ٣٠٠ - ٢٨٥ - ٢٦٢	دجلة : ٣١٤
٣١٧ - ٣٠٨ - ٣٠٦ - ٣٠٥	الدردنيل : ١٧٤ - ١٨٤ - ٤٥٧
٣٢٦ - ٣٢٥ - ٣٢٣ - ٣١٨	درعا : ٢٣٣ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٢
٣٤٥ - ٣٤٤ - ٣٣١ - ٣٢٨	٤٠٧ - ٣٩٣ - ٢٥٧ - ٢٥٥ -
٣٥٨ - ٣٥٠ - ٣٤٩ - ٣٤٨	٤١٨ - ٤١٥ -
٣٨٣ - ٣٧٩ - ٣٦٥ - ٣٦٠	الدروز (جبل الدروز) : ٣٣ -
٣٩٠ - ٣٨٨ - ٣٨٦ - ٣٨٥	٢٣٣ - ١٨٥ - ١٤٨ - ١٤٧
٣٩٤ - ٣٩٣ - ٣٩٢ - ٣٩١	٤٦٦ - ٣٠٢ - ٢٥٥ - ٢٥٢
٣٩٨ - ٣٩٧ - ٣٩٦ - ٣٩٥	دمشق : ٢٦ - ٢٩ - ٣٢ - ٥٣ -
٤٠٣ - ٤٠٢ - ٤٠١ - ٣٩٩	٨١ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٦ - ٧٣
٤١١ - ٤٠٧ - ٤٠٦ - ٤٠٥	٨٦ - ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢
٤٢١ - ٤١٧ - ٤١٦ - ٤١٥	١٢٤ - ١٢٣ - ٩٣ - ٩١
٤٦٢ - ٤٦٠ - ٤٥١ - ٤٢٣	١٥٥ - ١٥٣ - ١٥٠ - ١٤٧
٤٦٧ - ٤٦٥	١٧٩ - ١٧٦ - ١٧٤ - ١٧١
دمر : ٢٥٥	١٨٣ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٨٠
ديار بكر : ١٧٣ - ٢٨٨ - ٣٢٨	٢٢٢ - ٢٠٨ - ١٩٧ - ١٨٥
دير الزور : ٣٢٨	٢٣٤ - ٢٣٣ - ٢٣١ - ٢٢٥
دير زفران : ٣٢٨	٢٥٠ - ٢٤٩ - ٢٤٧ - ٢٣٧

« و »

٣٢٣ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧٠	راشيا : ٣٤٥ - ٣٨٨
الروضة الشريفة : ٢٦٢	الراين : ٢٤
رومانية : ٣٠٩	رابع : ٢٤٢ - ٢٤٣
الرياض : ٣٠ - ٤٦٧	الرجل المريض : ٣٦ - ٧٥
رياق : ٢٥٦ - ٣٤٨ - ٣٨١	الرملة : ٣٢١ - ٣٤٩
٣٩١ - ٣٨٦ - ٣٨٣	رفع : ٣٠٨ - ٣١٧
ريشون ليزبون (مستعمرة) : ٣٢١	روسية : ١٨٩ - ٢٦٧ - ٢٦٨

« ز »

زراعة : ٢٦٨

الزبداني : ٣٠٥
الزبير (بلدة) : ٤١٠

« س »

٣١٠ - ٣١١ - ٣١٤ - ٣١٥	ساحه النبرج في بيروت : ١٥٦
٣١٧ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٣٢٢	سالونيك : ٦٣ - ٦٦ - ٧٥
٣٢٣ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨	سان ريمو : ٣٧٠ - ٣٧٢ - ٣٧٥
٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢	٤٥٩
٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٧	السلط : ٢٤٨ - ٣٠٤ - ٤١٨
٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١	٤٢١
٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦	سلميه : ٢٦١
٣٤٨ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤	السودان : ٤٢ - ١٤٦ - ١٨٦
٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٤	١٩٣ - ٣٢١
٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩	سورية : ٧ - ١٥ - ٣٢ - ٤٧
٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٤ - ٣٧٨	٤٩ - ٦٤ - ٨٥ - ٩١
٣٧٩ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦	١٠٢ - ١٠٣ - ١١٦ - ١١٧
٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٩٠ - ٣٩١	١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٥
٣٩٢ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٧	١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٥٥
٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩	١٥٦ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥
٤١١ - ٤١٢ - ٤١٥ - ٤١٦	١٦٦ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٣
٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠	١٧٤ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨١
٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٩	١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٨ - ١٩٥
٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦	١٩٨ - ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٣٠
سونينو (ملحق معاهدة) : ٢٧١	٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٤٥
سويسرة : ١٠١ - ٤٠٧	٢٥٦ - ٢٥٩ - ٢٦٣ - ٢٦٨
سيناء : ٤٥٠	٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٧
سيواس : ١٧٣	٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٣٠١
	٣٠٢ - ٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣٠٨

« ش »

٤٦٤	ساظبه ا موقع في الاندلس : ٢٧
التجرة ا بلدة : ٤٢١	النسروان : ٢٥٥
الشرق ا جريدة : ١٨٣	النشام : ٧ - ٨ - ٢١ - ٢٧ - ٣٠ -
الشهباء ا صحيفة : ٥٠	٢١ - ٤٢ - ٤٣ - ٨٣ - ٨٧ -
الشوبك : ٢٤٨	٨٩ - ٩٤ - ٩٥ - ١١٤ - ١٦٣ -
الشونة : ٤٣٠	١٦٦ - ١٨٤ - ٢٠٨ - ٢١٨ -
الشيخ مسكين ا بلدة : ٢٥١	٢١٩ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٤٢ -
	٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٥٠ - ٢٥٦ -

« ص »

٣٢٤ - ٣٢٣ - ٣٠٥ - ٢٦٨ : صور	الصدر الاعظم : ١٤٠ - ١٤٧ -
٣٩٢ -	٢٢٥ - ٤٤٥
صيدا : ١٥٦ - ٢٦٨ - ٣٠٥ -	الصرب : ٩٩ - ٣٠٩
٤٣١ - ٢٢٤	صعد : ٣٠٥
	صنعاء : ٤٦٧

« ض »

عريح كامل باشا في قبرص : ٤٤٥

« ط »

٤٦٦ - ٢٢٤	الطائر ا جريدة : ٩٣ - ١٠٤ -
طرابزون : ٢٦٨	١٠٥ - ١٠٦
طقس : ٢٥٢ - ٢٥٠	الطائف : ٢٤٢ - ٢٤٣
الطفيلة : ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ -	طبرية : ٣٠٥ - ٣٢٢
٣٠٤	طرطوس : ٢٣١
طوران : ٧٣	طرابلس الغرب : ٧٦ - ١٣٨ - ٢٢٧
طوروس : ١٧٤ - ٣٠٨ - ٣١٧	طرابلس الشام : ٢٦٨ - ٣٠٤ -
طولكرم : ١٥٩ - ٣٠٥	٣١٣ - ٣١٦ - ٣٢٣ -

« ع »

عسيرة : ٢٤٢	عسير : ٣١ - ١٢٦ - ١٣٩ - ١٩٠
مجلون : ٤١٨ - ٣٠٥ - ٣٠٤	٣٩١ -
عدن : ٤٣٢ - ٣٩١ - ٢٧١ - ٢٠٢	العقبة : ٢٣٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ -
٤٥٠ -	٢٤٦ - ٢٥٧ - ٣٠٨ - ٣١٧ -
العراق : ٣٣ - ٢١ - ١٥ - ٧ -	٣٩٢ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ -
٤٣ - ٤٧ - ٨٩ - ٩٨ - ١٠٦ -	٤٤٥ - ٤٦١ -
١١٠ - ١١٧ - ١٤٠ - ١٥٤ -	عكار : ٣٠٥
١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٨٤ -	عكة : ٣٢ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٣٠٥ -
٢١١ - ٢١٥ - ٢٣٠ - ٢٣١ -	٣٢١
٢٣٣ - ٢٣٨ - ٢٤٢ - ٢٦٣ -	عمادية : ٢٠٢ - ٢٦٨ -
٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٨٢ - ٢٨٦ -	عمان : ٢٣٣ - ٢٤٨ - ٢٤٩ -
٣٠٨ - ٣١٠ - ٣١٦ - ٣١٨ -	٢٥٠ - ٤١٥ - ٤١٩ - ٤٢٠ -
٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٧ -	٤٢٣ - ٤٣٠ - ٤٣٢ - ٤٣٧ -
٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ -	٤٤٦
٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٦٥ -	عنزة (قرية حسين الاطرش) : ٢٣٤
٣٦٧ - ٣٧٢ - ٣٧٤ - ٣٩٧ -	عيص (وادي) : ٢٤٣
٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ -	ميتتاب : ٣٧٩
٤١٣ - ٤١٦ - ٤٢١ - ٤٢٢ -	عين ابل : ٣٨٧
٤٢٨ - ٤٣٣ - ٤٤١ - ٤٦٤ -	

« غ »

غاليسية : ٣٧٧ - ١٧٤	غلاسكو : ٣٥٦
غزة : ٣٠٥ - ٢٤٦ - ١٥	

« ف »

فارس : ٤٥٠ - ٢٠٣	٣٩١ - ٤٥٩
الفرات : ٢٤٦ - ٩٣٩ - ١٦ - ١٥	فرنسة : ٧٦ - ٩٨ - ١٠٦ - ١٢٣ -
٣١٧ - ٣٠٨	١٣٣ - ١٣٩ - ١٩٥ - ١٩٦ -
فرساي : ٢٤٥ - ٢٨١ - ٢٦٥	١٩٧ - ٢٠٩ - ٢١٥ - ٢١٦ -

٢٢٥ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٤٤	٢١٧ - ٢٢٩ - ٢٤٥ - ٢٦٢
٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٩ - ٢٥٠	٢٦٥ - ٢٦٨ - ٢٨٢ - ٢٨٣
٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٧	٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩
٢٧٨ - ٢٨٦ - ٣٠٠ - ٣٠٣	٣٠٥ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٤
٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٠	٣٢٥ - ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٧
٣١٣ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩	٣٤٨ - ٣٥٢ - ٣٥٨ - ٣٦٤
٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣	٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧٢
٣٣٢ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧	٣٧٣ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٤
٣٤٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٥	٣٨٧ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢
٣٧٢ - ٣٧٤ - ٣٩٢ - ٤١٥	٣٩٣ - ٤٠٩ - ٤١٢ - ٤١٥
٤١٦ - ٤١٧ - ٤٢٢ - ٤٢٣	٤٢٢ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٦١
٤٢٤ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٣٠	فريق خان (مكان) : ٣٨٦
٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٥	الفلاندر : ٢٨٣
٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٤٣ - ٤٤٦	فروق : ١٨٥
٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥٢ - ٤٥٣	فلسطين : ٧٦ - ١٢٨ - ١٥٦
٤٦٣	١٦٦ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٣
الفيحاء : ٨٣ - ٢٥٩	١٧٤ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢١٩

« ق »

قربطية : ٢٧ - ٢٩	القاهرة : ٢٦ - ٢٩ - ٣٢ - ٤٣
القرية (مقر سلطان الاطرش) : ٢٣٥	٥٠ - ٥٣ - ٧٩ - ٩٤ - ١٥٦
القسطنطينية : ٢٨ - ٨٢ - ٨٣	٢٠٨ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢١
قس الناطف (قرية) : ١٦	٢٣٩ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٤١٢
القطرانة (محطة) : ٢٤٨	٤٢٠ -
قمران : ٤٣٣	قبر الرسول : ٢٦٢
قمة البويب : ٢٥٠	قبرص : ٤٤٤ - ٤٤٥
قناة السويس : ١٨٤ - ٢٢٥	القدس : ٢٨ - ١٣٦ - ١٥٠ - ١٨٢
القنيطرة : ٢٥٩ - ٣٠٥	٢٥٠ - ٢٧٦ - ٣٠٥ - ٣٢١
القوقاش : ١٧٤ - ١٨٦ - ٢٢٣	٣٢٢ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٣٦
٢٥١ - ٣٧٧ - ٤٥٧	٤٤٧ - ٤٦٧
قونية : ١٧٣	القدم : (محطة سكة حديد جنوبي
قيصري راق طاع : ٢٦٨	دمشق) : ٢٥٦
القيصرية : ٢٧٢	القدموس : ٢٨٨

« ك »

كورسيكا : ٣٦٢	الكاربات : ١٧٤
الكوفة : ١٧	كرديستان : ٢٦٨
الكويت : ٣٣ - ٢٣٦ - ٢٧٩	الكوك : ٣٣ - ٩٧ - ٢٤٧ - ٢٤٨
كيليكية : ١٧٤ - ٢٦٨ - ٣١٤	٣.٤
٣١٧ - ٣١٨ - ٣٣١ - ٣٤٥	الكسوة : ٢٣٤ - ٤.٥
٣٦٨ - ٣٩٢	الكورة : ٣.٥
	كوت العمارة : ١٥٥

« ل »

٣٥١ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢	اللاذقية : ٣.٥
٣٦٤ - ٣٦٨ - ٣٧٢ - ٣٩٢	لبنان : ٣٢ - ٤٧ - ٦٤ - ٩١
٤٣٠ - ٤٦٤	٩٩ - ١١٩ - ١٥٣ - ١٥٥
لندن : ٢٣٩ - ٢٧٧ - ٢٨٢ - ٣٤٦	١٦٤ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٩١
٣٦٣ - ٣٧٣ - ٣٩٢ - ٤٢٣	٢٦. - ٢٦٣ - ٢٨٩ - ٣.٤
٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٢ - ٤٣٣	٣.٥ - ٣.٦ - ٣.٨ - ٣١٦
٤٣٦ - ٤٤١	٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٤
ليننغراد : ٢٦٧	٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٤٤

« م »

مجلس المبعوثان : ٩ - ٦٢ - ٧٩	ماردين : ٢.٢ - ٣٢٨ - ٣٧٩
١١٥ - ١٤٣ - ١٥٩	مالطة : ٣٤٤
المجمع العلمي العربي : ٤٦٢	ماكولي (مقاطعة بريطانية) : ٢٢
المحيرة : ٣٢٨	المتن : ٣.٥
محطة الحجاز : ٤.٦	مجندل منجر : ٣٨١ - ٣٩٠ - ٣٩٤
محطة الدورة (معان) : ٢٣٥	٤.١ -
محطة القطرانة : ٣٤٨	المجر : ٥١
المخلوان (غرفة) : ٢٢٧	مجلس شورى الخلافة : ٤٣٢

٤١٩ - ٤١٨ - ٤١٧ - ٢٦١ -	بحيط الهندي : ١٩٦ - ٢٠٢ -
معرة النعمان : ٢٦١	٤٥٠
المغرب : ٢١ - ٢٣٦	مداين صالح : ١٤٧
الفرق : ٢٤٩	مدرسة المارستان : ٣١٠
مقدونية : ٦٢ - ٢٢٧	مديات : ٢٠٢
المكسيك : ١٠٤ - ١٠٦	المدينة المنورة : ١٧٩ - ١٨٥ - ١٩٥
مكتب عنبر : ٨٤ - ١٠٦	٢٤٢ - ٢٤١ - ٢٢٥ - ٢١٩ -
مكة : ٥١ - ١٤٣ - ١٥٠ - ١٥١ -	٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٩ - ٢٥٨ -
١٥٣ - ١٥٤ - ١٧٨ - ١٧٩ -	٢٥٩ - ٢٦١ - ٢٨٠ - ٢٨٥ -
١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٠ -	٤٤٦ -
١٩٢ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٨ -	مرسين : ٢٠٢ - ٢٠٨ - ٢١١ -
٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢١٥ -	٢١٣ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ -
٢١٨ - ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٣٨ -	مرسيلية : ٣٤٤ - ٣٤٥ -
٢٣٩ - ٢٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٨ -	مرسية : ٢٧
٤٤١ - ٤٦٧	مراكش : ٣٦٩
مؤتمر بتيمور : ٢٧٧	مرجعيون : ٣٠٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧
مؤتمر لوزان : ٤٣٢	مرمرة : ٨٥
مؤتمر فرنون : ٣٥٣	منصر : ٢١ - ٢٧ - ٣٠ - ٤٣ - ٤٧
مؤتمر القاهرة : ٤٢٣	٥٤ - ٥٨ - ٦٥ - ٧٥ - ١٠٢ -
مؤتمر الصلح : ٣٠٩ - ٣١٣ - ٣٢٢	١٠٦ - ١٢٣ - ١٤٠ - ١٦٥ -
٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٤ -	١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٦ - ١٨٦ -
٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤٠ -	١٨٨ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣ -
٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٥٠ - ٣٥٢ -	٢٣٢ - ٢٧٧ - ٣٢١ - ٤١٥ -
٣٦٥ - ٣٦٧ - ٣٧٢ - ٣٨٠ -	٤٣٠ -
٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٨٧ - ٣٩١ -	المسجد الأقصى : ٤٤٧
٤٠٧ - ٤١١	المقول : ٤٦٠
المؤتمر السوري العام : ٢٨٨ - ٣٠٦	منبج : ٣٠٥
٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٤ - ٣٢٥ -	المنتدى العربي : ١٣٠ - ١٣٧ -
٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٣٤ -	١٥٥
٣٣٦ - ٣٤٣ - ٣٤٩ - ٣٥٢ -	منتزه حديقة البصرية : ٨٣
٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٧٣ - ٣٨٣ -	المنتفق : ٣٣
٣٩٠ - ٣٩٣ - ٣٩٧	معان : ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ -
الموصل : ٩٦ - ١٧٤ - ١٩٦ - ٣٢٨	٢٥٠ - ٢٣٣ - ٢٤٨ - ٢٥٧ -

٤١٦ - ٤٠٣ - ٤٠٢

٣٣٨ - ٣٤٥ - ٤٠٩
ميسلون : ٣٦٨ - ٤٠٠ - ٤٠١ -

« ن »

نجد : ٣٠ - ١٤٦ - ١٦٥ - ١٩٠ -	النادي العربي : ٣٥٠
٢٧٩ - ٤١٠ - ٤٣٣ - ٤٤١	النادي الوطني العلمي في بغداد : ٩٤
النجف : ٣٣	الناصر : ٣٠٥ - ٣٢٢
النيسة : ٥١ - ٧٦ - ٤٥٩	نابلس : ٧٥ - ٩٣ - ٣٠٥ - ٣٢١
نهر الساجور : ٣٨٠	الناقورة : ٢٦٨
نيقوسية : ٤٤٥	النك : ٣٠٥

« ه »

الهند : ٢١٠ - ١٣٢ - ١٨٦ - ١٩٢ -	الهدى (جريدة) : ١١٨
٣٢١ - ٣٣٢ - ٣٤٠ -	الهرسك : ٧٦ - ٢٢٧
	الهرمل : ٣٠٥

« و »

وستفاليا : ٢٤	وادي موسى : ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨
ولاية موش : ٢٦٨	وادي القرن : ٣٨٨
الوهيدة : ٢٤٨	وادي النيل : ٥٦
ويلز (مقاطعة بريطانية) : ٢٢	واشنطن : ٧٥

« ي »

- ١٤٦ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١٢٦	يافا : ١٥٩ - ٢٤٩ - ٣٠٨ - ٣١٤
- ٣٩١ - ١٩٠ - ١٧٤ - ١٦٦	٣٢٢ -
١٩٥	يلدز (قِصر) : ٦٦
٢٦٨ : بيلديز طاغ	اليمن : ٣٠ - ٣١ - ٩٧ - ٩٨

فهرس الاعلام

« ١ »

ابن سعيـد (سليمان بن احمد) :	ابراهيم (حافظ) : ٤١ - ٥٦ -
٢٣٨	٦٥ - ٦٤
ابن سكريـج (موسى احمد) : ٢٣٦	ابراهيم باشا : ٣١ - ٣٢
ابن الشيخ (العربي) : ٢٣٦	ابراهيم باشا (الدكتور حسن) : ٢٣٣
ابن شاكر (ناصر) : ٢٣٨	ابن ابي طالب (الامام علي) : ٢١١
ابن عابد (علي) : ١٩٠	ابن الـايهم (جبلة) : ١٥ - ١١٤
ابن عبد الله (تركي : السعودي) :	ابن تيمية : ٣٠
٣٠	ابن ثابت (حسان) : ٨
ابن عبد الوهاب (محمد) : ٣٠ -	ابن حارثة (المثني) : ٧ - ١٥ -
٣١	١٦ - ١٧ - ١٨
ابن علي (ناصر) : ٢٤٤	ابن حنبل (احمد) : ٣٠
ابن مروان (عبد الملك) : ١٩	ابن الخطاب (عمر) : ١٨ - ٢٨ -
ابن محسن (فتن) : ٢٣٨	٢١١ - ٤٣٠
ابن مزيد (عبد الله) : ١٦	ابن الرشيد (عبد العزيز) : ١٤٦
ابن مسعود (المحدث) : ٢٢٨	ابن سالم (يوسف) : ٢٣٧
ابن هلال (انس) : ١٧	ابن سراج (الشيخ عبد الله) : ٢٣٧
ابن الوليد (خالد) : ٧ - ١٥ -	ابن سعود (عبد العزيز) : ١٤٥ -
١١٣ - ١١٤	١٤٦ - ٢٣٦ - ٣٩١ - ٤٤١ -
ابي الاثل : ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٤٩	٤٤٢

- أبو بكر (الخليفة) : ١٥
أبو تايه (عودة) : ٢٤٤ - ٢٥١ -
٢٥٢ - ٢٥٣ - ٤١٦
أبو رومية (محمود) : ٣٠٤
أبو الريش (خليل) : ٣٠٥
أبو شنب (سيمون) : ١٦٩
أبو شنب (قيصر) : ١٦٩
أبو الفضل (الوليد) : ٣٦٠
أبو اللسل : ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥
أبو اللمع (خليل) : ١٦٩
أبو ماضي (ايليا) : ٢٠ - ٥٩
أبو ناجي (سعيد) : ٣٠٤
الاتاسي (عمر) : ٩١ - ١٦٨ - ٣٠١
الاتاسي (هاشم) : ٣٠٥ - ٣٥٢ -
٣٥٨ - ٣٧٣ - ٤٦٦
الاتاسي (وصفي) : ٣٠٥
الاخطل : ١٩
اده (كميل) : ١٦٩
الادارسة : ٣١ - ١٤٦
الادريسي : ٣٩١
آرثر مولي (ميجر جنرال) : ٢٦٢ -
٣٢١
أوسلان (امين) : ٩٠ - ٩٦ - ١٦٩
- ٣٤٤ - ٣٦٢
أوسلان (شكيب) : ٨١
أوسلان (عادل) : ٤٠٨ - ٤٦٦
أوسلان (محمد) : ٦٦ - ٨٠
أرسكين (ستيورت) : ١٤٢
أرشيدات (عبد الرحمن) : ٣٠٥
الارمنازي (علي) : ٩٠ - ١٥٨ -
١٥٩
ارقش (انطون) : ١٦٩
ارقش (رزق الله) : ١٦٩
- أرنت (موريس) : ٢٤
الازرق : ٢٣٥ - ٢٤٩
الازهري (الشيخ عباس) : ٨٢ -
٨٦
اسحق (اديب) : ٢١ - ٥٣
اسطفان (حبيب) : ٣٩٤
اسطفان (الخوري يوسف) : ٢٦٠
الاسعد (كامل) : ٣٨٨
اسماعيل (محمد - مقدم اركان
حرب) : ٣٤٤ - ٤٠٨
اصاف (جورج) : ١٦٩
اصفر (علي أفندي) : ٤٥٠
الاصيل (ناجي) : ٤٣٢ - ٤٣٨ -
٤٤١
الاطرش (آل) : ٤٦٦
الاطرش (حسين) : ٢٣٥
الاطرش (سلطان باشا) : ٢٥٢ -
٤٦٦
الاطرش (سليم) : ٢٣٤
الاطرش (نسيب) : ١٤٧ - ١٤٨ -
٢٣٤ - ٣٠٠
الاعظمي (احمد عزت) : ٨٩ - ١٦٧
الاففاني (جمال الدين) : ٣٩
اكاسرة : ٨
الالشي (جميل) : ٢٦٠ - ٣٤٤ -
٤٠٦ - ٤٠٨
الالشي (الجنرال) : ٢٥٧ - ٢٥٩ -
٢٦١ - ٢٦٢ - ٣٤٤ - ٣٤٦
٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٩٦
الياس (الخواجة الياس أفندي) :
٢٢٠
امرؤ القيس : ١٠١
امين (احمد) : ٦٩

- ٦٢ - ١٣٢ - ١٧٣ - ١٧٨ -
١٧٩ - ٢٢٥
أوينهايم (البارون) : ١٧٥
أيوب (رشيد) : ١٨٧
أيوب (نجيب) : ١٦٩
الايوبي (شكري) : ٨٨ - ١٧٦ -
٢٦٠ - ٢٦١
الايوبي (صلاح الدين) : ١٧٥
الايوبي (علي جودة) : ٩١ - ٩٦ -
٢٣٢ - ٢٣٥ - ٢٦١ - ٣٧٤
الايوبي (عطا) : ٣٥١
أيستون (الكولونيل) : ٣٩٦
- أمين (حافظ) : ٢٣٨
الامين (محمد) : ٨٦ - ٢٣٧
الانصار : ١٥
انطاكي (تيودور) : ٣٠٤
انطونيوس (جورج) : ٩ - ٤٣ -
٨٠ - ٨١ - ٨٥ - ٩٤ - ٩٥ -
١٤٢ - ١٤٧ - ٢٤٥ - ٢٧٦ -
٢٣٦ - ٤٣٧
الانكليزي (عبد الوهاب) : ٨٥ -
١٦٧ - ١٦٢ - ١٢٨ - ٨٩ -
١٦٨
أنور (عضو جمعية الاتحاد والترقي):

« ب »

- باترو باولي : ٨٩ - ١٦٠ - ١٦٧
باترونو دي مانكي : ٤٠٦
البارودي (عبد الحميد) : ٣٠٥
البارودي (فخري) : ٨٤ - ٩١ -
٣٠٤ - ٣٥٨ - ٤٦٦
البارودي (محمود) : ٢٥٩
الباجه جي (حمدي) : ٩٣ - ٩٦
الباجه جي (مزاحم) : ٧٣ - ٩٣ -
٩٤ - ٩٦
باسيلا (أسعد) : ١٦٩
باناجه (أحمد بن عبد الرحمن) : ٢٣٧
الباني (سعيد) : ٩١ - ١٦٨ -
٢٣٤ - ٢٣٥
باور (الجنرال) : ٢٥٠
بدري بك (أمير اللواء) : ٨١
البجاني (عباس) : ١٠٦
بحري (جورج) : ١٦٩
- البخاري (جلال) : ١٣٠ - ١٦٢ -
١٦٧
البخاري (سليم) : ٨٥ - ١٦٨
البخاري : ٤٤٥
البرازي (خالد) : ٣٠٥
بركات (ثريا بك) : ٣٨٦
بركات (داود) : ١٦٩
بركات (صبحي) : ٣٨٧ - ٤٠٨ -
٤٦٦
بريان (رئيس وزراء فرنسا) : ٣٥٥ -
٣٦٩
بريدي (الياس) : ٣٦٢
بريمون (الكولونيل) : ٢٨٢
البساط (توفيق) : ٨٩ - ٩١ -
١٦١ - ١٦٧ - ٢٢٨
البستاني (أمين) : ١٦٩
البستاني (نجيب) : ١٦٩

بنو صخر (قبائل) : ٢٤٧ - ٢٤٩	البستاني (يوسف) : ١٦٩
البواري (بشارة) : ١٦٩	بسيسو (عاصم) : ١٦٧
بولاد (حبيب) : ١٦٩	البكري (انور) : ٣٥١
بولاد (خليل) : ١٦٩	البكري (توفيق) : ٤١
بولس (دياب سليم) : ١٦٩	البكري (عطا) : ١٤٧ - ١٤٨
البولشفيك : ٢٧٣	البكري (فوزي) : ٩١ - ١٤٦
بولك (رئيس الوفد الاميركي لمؤتمر	٢٧٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٥١
الصلح) : ٣٦٧ - ٣٦٨	البكري (نسيب) : ٩١ - ١٤٧
بونفانتي (البروفيسور) : ٤٠٩	١٨٣ - ١٨٥ - ٢٣٦ - ٢٤٦
بهلوان (عمر) : ٤٠٨	٢٥٢
بيزاني : ٢٥١	البكري (سامي) : ٩١
البيسار (توفيق) : ٣٠٥	بكير (خليل) : ٤٠٨
البيطار (عبد الرزاق) : ٨٥	البلاذري : ١٥
بيشون (وزير خارجية فرنسا) :	البلنيسي (سليمان) : ٤١٩
١٢١	بلس (هوارد) : ٢٨٩
بيكو (جورج) : ٢٦٢ - ٢٦٩ -	بلغور : ٢٧٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧
٣٤٣ - ٢٧٤	٢٧٨ - ٣٠٦ - ٣٠٨ - ٣١٦
بيهم (احمد مختار) : ٩٢ - ١٠٦	٣٢١ - ٣٣٥ - ٣٥٥ - ٤٢٢
١١٨ - ١٢١ - ١٢٩ - ٢٥٩	٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٨ - ٤٣٩
بيهم (اعين) : ٣٠٥	٤٦٣ -
بيهم (الحاج حسين) : ٨٦	بلوم (ليون) : ٣٧١
بيهم (عائلة) : ٢٥٨	بنو امية : ١٩
بيهم (محمد جميل) : ٧٠ - ١٢٨	بنو بكر : ١٥
٣٠٥ -	بنو ثقيف (قبيلة) : ١٦
	بنو جهينة (قبائل) : ٢٤٢

« ت »

تقي الدين (رشيد) : ١٦٩	التاجي (شكري) : ٤٣٧
التل (احمد) : ٤١٧	تشرشل (ونستون) : ٢٨٣ - ٤١١
التل (خلف) : ٤١٧	٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٨
التل (مصطفى وهبي) : ٤٤٧	تغلب (قبيلة) : ١٧

التميمي (زكي) : ٩١ - ٣٠٣	تللو (نايف) : ٩٥ - ١٥٨
التميمي (محمد علي) : ٩١ - ٢٦٠	التميمي (آل) : ٤٦٦
٤٠٨	التميمي (أمين) : ١٢٨ - ٣٠٥
توام (عارف) : ٩٦ - ٣٩٦	٤٣٧ - ٤١٩ - ٣٥١
تولا (الكولونيل الفرنسي) : ٣٥٢	التميمي (بيهم) : ٤٦٦
تويني (الشيخ) : ٣٣	التميمي (رفيق) : ٢٣٦ - ٢٣٤
تيمورلنك : ٣٥ - ٩٧ - ١٦٤	٤٠٨ - ٣٠٥ - ٣٠٣ - ٢٦٠

« ث »

ثابت (ايوب) : ٩٢ - ١٠٦ | ثابت (سليم) : ١٦٩

« ج »

الجزائري (عمر بن عبد القادر) :	جابر (المحدث) : ٢٢٨
١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨	الجابري (احسان) : ٣٦٣ - ٤٠٦
الجزائري (سليم) : ٨١ - ٨٥	٤٠٨ - ٤٦٦
٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٦ - ١٦١	الجابري (سعد الله) : ٣٠٤ - ٤٦٦
١٦٧ - ٢٢٨	الجابري (ياسين) : ٢٣٣
الجزائري (الشيخ طاهر) : ٥٢ -	جبيري (شفيق) : ٤٤٧
٦٦ - ٨١ - ٨٥ - ١٦٧	الجبان (محيي الدين) : ٩٦
الجسر (نوري) : ٣٠٤	الجبمي (علي الحر) : ٨٦
جسر (تل شهاب) : ٢٤٨	الجراح (ابو عبدة) : ١٥ - ١١٣
جعفر باشا (الحاكم العسكري لمنطقة	١١٤ -
حلب) : ٣٣٩	الجرجس (دعاس) : ٣٠٥
جمال باشا (السفاح) : ٦٢ - ١٣٢	جرير : ١٩
١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٥٠	الجريدين (طلال) : ٢٥١
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧	الجريديني (سامي) : ٩٤
١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤	الجزائري (الامير عبد القادر) :
١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٣ - ١٧٤	٨٦ - ٨٧ - ٢٥٨
١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨	الجزائري (الامير مختار) : ٣٩٠
١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ٢٢٥	الجزائري (سعيد) : ١٥٤ - ٢٥٨
٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٥٠	٢٥٩ -

جنون (عبد الرحمن) : ١٦٧ -	٢٥٥ - ٢٧٣ - ٣٧٩ - ٤٦٠ -
چنكيز خان : ٧٢ - ٩٧ - ١٦٤ -	جمال باشا الصغير : ٢٣٣ - ٢٧٢ -
جورج الخامس : ٢٨٣ -	جمال (محمد) : ٢٤١ -
الجواهري (احمد مهدي) : ٤٤٧ -	جمعية (سعد) : ٧ - ١١ -
الجوهري (ابراهيم) : ٨٦ -	جميل باشا (والي حلب) : ٥٠ -
جوهانيه (رينه) : ٢٣ -	جنبلاط (محمود) : ٣٦٢ -
جويس (ضابط انكليزي) : ٤٦١ -	الجندي (صادق) : ٩٦ -

« ح »

الحسين بن طلال : ٥ - ٦ - ١٠ -	الحارثي (الشريف علي) : ٤١٨ -
١١ -	الحاج (نعمة) : ٢١ -
الحسين بن علي (الشريف) : ٦ -	الحاج ابراهيم (رشيد) : ٣٠٥ -
٩ - ١٠ - ١١ - ٤٥ - ١٣٧ -	الحاج محسن (محمد) : ٣٦٢ -
٣٨ - ٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ -	الحافظ (امين لطفي) : ٨٩ - ٩٦ -
١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٧ -	١٦١ - ١٦٢ - ١٦٧ -
١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٤ -	الحامد (بدر الدين) : ٤٣١ - ٤٤٧ -
١٦٣ - ١٧٠ - ١٧٣ - ١٧٩ -	الحايك (الخوري يوسف) : ١٦٩ -
١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ -	حداد (البطريرك غريغوريوس) : ٤٠٧ -
١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ -	حداد (جبرائيل) : ١٦٩ -
١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣ -	حداد (جرجي) : ٨٩ - ١٦٠ -
١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ -	١٦٧ -
١٩٨ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٥ -	الحداد (نجيب) : ٢١ -
٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢١٥ -	حداد (نذرة) : ١٠١ -
٢١٦ - ٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٥ -	حداد باشا (مدير الامن العام) : ٣٤٤ -
٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣١ - ٢٣٢ -	الحراكي (حكمة) : ٣٠٥ -
٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٤٣ - ٢٤٤ -	الحرب الروسية اليابانية : ٤٦١ -
٢٤٥ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٦٠ -	حرفوش (جورج) : ٣٠٥ -
٢٦٣ - ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١ -	الحسامي (رشيد) : ٩١ - ٤٦٦ -
٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ -	الحسن (عبد الحفيظ) : ١٦٩ -
٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ -	حسين (غايد) : ٢٣٨ -
٢٨٤ - ٢٨٥ - ٣٢٨ - ٣٣٩ -	
٣٤٦ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٥ -	

الحكيم (خالد) : ٢٧٥ - ٩٦ - ٩١ -	٣٩١ - ٣٥٨ - ٣٥٧ - ٣٥٦ -
٤٦٦ - ٤٠٨ -	٤١٠ - ٤٠٩ - ٤٠١ - ٣٩٦ -
الحكيم (رشدي) : ٨٤ -	٤١٦ - ٤١٥ - ٤١٢ - ٤١١ -
الحكيم (يوسف) : ٣٦٣ - ٦٥ -	٤٢٨ - ٤٢٧ - ٤١٨ - ٤١٧ -
٤١٢ - ٤٠٥ - ٣٩٦ - ٣٧٣	٤٣٢ - ٤٣١ - ٤٣٠ - ٤٢٩ -
حلمي (أحمد) : ٤٦٦ - ٣٥١ -	٤٤١ - ٤٣٨ - ٤٣٧ - ٤٣٥ -
الحلبي (زكي) : ٢٤٦ - ١٧٤ -	٤٥١ - ٤٤٩ - ٤٤٥ - ٤٤٤ -
الحلبي (عيد) : ٤٠٨ -	٤٥٩ - ٤٥٨ - ٤٥٧ - ٤٥٢ -
الحلفاء : ١٩٦ - ١٩٢ - ١٣٥ -	٤٦٥ - ٤٦٤ - ٤٦٠ -
٢٦١ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ -	الحسيني (صبحي) : ٩١ -
٢٧٦ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٤٢٧ -	الحسيني (أحمد) : ٣٥١ -
٤٣٢ - ٤٥٩ - ٤٦٤ -	الحسيني (آل) : ٤٦٦ -
حمادة (تامر) : ٣٠٥ -	الحسيني (جميل) : ٨٩ -
حماد (حسن) : ١٥٩ - ١٦٩ -	الحسيني (رشدي الامام) : ٩١ -
٢٧٥	الحسيني (سعيد) : ٣٠٥ - ٣٦٣ -
حمادة (خليل) : ٩٠ -	الحسيني (الشيخ تاج الدين) : ٣٠٤ -
حمد (عمر) : ٩١ - ١٥٩ - ١٦٠ -	الحسيني (شكري) : ٨٨ -
١٦١ - ١٦٧ -	الحسيني (عبد القادر) : ٢٢٩ -
الحمصني (قسطنطين) : ٥٦ -	الحسيني (محمد أمين) : ٢٤٦ -
حنين (الياس) : ١٦٩ -	٣٠٥ - ٤٣٠ - ٤٦٦ -
الحويك (سعد الله) : ٣٦٢ -	الحسيني (موسى كاضم) : ٤٢١ -
حيدر (ابراهيم) : ٩١ - ١٠٦ -	الحشمي (رشيد) : ١٦٩ -
حيدر (حسين خليل) : ١٦٧ -	الحصني (خليل تقي الدين) : ٨٦ -
حيدر (سعيد) : ٩١ - ١٦٧ -	الحصري (ساطع) : ١٢١ - ١٥٠ -
٣٠٣ - ٣٠٥ - ٤٠٨ - ٤٦٦ -	٣٥١ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٣٧٩ -
حيدر (صالح) : ٩١ - ١٥٨ - ١٧٨ -	٣٩٦ - ٤٠٢ - ٤٠٧ - ٤٠٨ -
حيدر (صبحي) : ١٣٠ -	٤٦٦ -
حيدر (محمد رستم) : ٩٠ - ١٠٦ -	الحصني (مسلم) : ٣٠٤ -
٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٨٥ -	الحفار (لطفي) : ٨٣ - ٨٤ -
٢٨٩ - ٣٠٣ - ٣٠٥ -	حكومة فلسطين البريطانية : ٤١٨ -
حيدر (يوسف) : ٨٩ - ٩١ -	حكومة الهند : ٤١٠ - ٤٦٣ -
حيدر (يوسف مخير) : ١٦٧ -	الحكيم (أسعد) : ٩١ -

« خ »

الخطيب (الخوري يوسف اسطفان):

٢٤٤

خلقي (علي): ٤٠٨

الخليل (سعد الدين): ٣٠٠

الخليل (عبد الكريم): ٨٩ - ١٠٦

١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٠

١٣١ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧

١٣٨ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

الخوجة (رشيد): ٩٦

الخوجة (صيري): ٩١

الخوري (اسكندر): ٢٠ - ٤٤٧

الخوري (رشيد: الشاعر القروي):

١٩ - ٥٦

الخوري (فارس): ٦٧ - ٨١

١٧٦ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٤٠٥

الخوري (فائر): ١٦٨

خوفير (أبو بكر بن محمد): ٢٣٨

خياط (رشيد): ١٦٩

خير (جورج): ١٦٩

خير (محمد): ٣٠٥

خير (سعيد): ٤١٦ - ٤١٩

خير الله (خير الله): ١٠٦

الخازن (فريد): ١٧٠

الخازن (فيليب): ١٧٠

الخازن (يوسف): ١٦٩

خان (عبد): ٢٣٦

الخرساء (عبد القادر): ٩٠ - ١٥٨

١٥٩ -

الخرامل (قبيلة): ٣٣

خرزل (الشيخ - أمير المحمرة):

٢٣٦

الخضرا (صبحي): ٤٠٨ - ٤٦٦

الخطيب (ابراهيم): ٣٠١ - ٣٠٥

الخطيب (جمال الدين): ١٦٧

الخطيب (ذكي): ٨٤

الخطيب (سيف الدين): ٨٩ -

٩١ - ١٦٢ - ١٦٧

الخطيب (عبد القادر): ١٨٣

الخطيب (فؤاد): ٥٦ - ٩٤

١٦٩ - ١٨٧ - ٢٣٩ - ٣٤٤

٤٤٧

الخطيب (محب الدين): ٨١ - ٨٢

٨٣ - ٨٤ - ٩١ - ٩٤ - ٢٣٨

« د »

دباس (شارل): ١٠٤ - ١٠٦ -

١١٨

الدروبي (غلاء الدين): ٣٥١ - ٣٦٣

٣٧٣ - ٤٠٥ - ٤٠٧ - ٤٠٨

الدرويش (شريف): ٣٠٥

الدعوق (عمر): ٢٥٨ - ٢٥٩

داغر (أسعد): ٨٩ - ١٣٠ - ١٨٤

٣٠٣ - ٣١١ - ٣٩٤ - ٤٠١

دالاديه: ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ -

٣٧١

دوماني (جورج) : ١٦٩	دروزة (عزة) : ٩١ - ١٥١ - ١٦٣
ديدس (السير وندهام) : ٤٢٢	٣٥٨ - ٣٠٥ - ٣٠٤ -
دي روفير (دنيس) : ١٩١	٤٥٧ - ٤٦٦ -
دي ياباب (الكولونيل) : ٤٦١ -	الذردار (هاشم) : ٢٤٧
٢٦٢	الدقاق (عمر) : ٦٥
دياب (نجيب) : ١١٧ - ١٠٦	دلال (جبرائيل) : ٥٩ - ٥٧
دياب (ياسين) : ٤٠٨	الدليمي : ٩٦
	الدوري (عبد العزيز) : ١٢٠

« ر »

رضا (علي) : ١٦٨	الرافعي (صالح) : ١٧٦
الركابي (رضا) : ٩١ - ١٤٨ - ٢٥٩	الرافعي (عبد المجيد) : ٥٦
٢٦٠ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٦٣	الرافعي (عمر) : ١٧٦
رمضان (حسن) : ٣٠٥ - ٤٠٨	رسلان (مظهر) : ٣٠٥ - ٤١٧ -
روتشيلد : ٢٧٢	٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٦٦
الرولة (قبائل) : ٢٥٥	الرصافي (معروف) : ٥٦ - ٥٧ -
الرومان : ٩٩	٥٨ - ٦٣ - ٤٦٦
الروملي : ١٦٤	رضا باشا : ١٠٦١
رونالد ستورز : ١٩٣	رضا (أحمد) : ٦١ - ٦٢ - ٧٠
ريبو (رئيس وزراء فرنسا) : ٣٥٥	رضا (رشيد) : ٩٤ - ١٣١ -
ريجنالد : ١٩٣ - ٢٤٠ - ٢٧٢	٢٣٨ - ٣٠٥ - ٣٧٣ -
الريحاني (أمين) : ١٤١ - ١٤٤ -	رضا (رفيق) : ١٣٥
١٥٠ - ٢٤٠ - ٤٤٦	رضا (سعيد) : ١٦٩
الريسي (منير) : ٧٣	رضا (عبد الله بن علي) : ٢٣٨

« ز »

زريق (سليم) : ١٧٠	الزائق (غالب) : ٣٥٨
زنائيري (يوسف حبيب) : ١٦٩	الزركلي (خير الدين) : ٢٢٧ - ٤٠٨
زكي (أحمد) : ٤٣٠	٤١٦ - ٤٦٦ -
الزواوي (عبد الله) : ١٤١ - ٢٣٨	زريق (أنطوان) : ١٧٠

زهدى (جلال) : ٤٠٥	الزوتيني (عبد الوهاب) : ٨٩
زيادة (الدكتور تقولا) : ٧٠	الزومبي (حسين) : ٣٠٥
زيد (بن الحسين) : ٩١ - ٢٤٢ -	زويتير (عادل) : ٣٠٥
٢٣٦ - ٢٤٩ - ٣٢٨ - ٣٤٧ -	زهار (الياس) : ١٦٩
٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥١ - ٣٩٤ -	الزهاوي : ٥٧ - ٦٣
٤١٦ - ٤٢٢ - ٤٤٥	الزهراري (عبد الحميد) : ١٠٤ -
الزين (عارف) : ١٨٧	١٠٥ - ١٠٦ - ١٢٠ - ١٢٨ -
زينية (الفونس) : ١٦٩	١٣٠ - ١٣١ - ١٣٧ - ١٦٢ -
زينية (خليل) : ١٠٦	١٧٠ - ٢٢٨

« س »

سعيد (أمين) : ١٢٩ - ٣٩٦	سالمون (الايرل مارشال) : ٤٢١
السعيد (حافظ) : ٩٥ - ١٥٩	سايكس (مارك) : ٢٦٢
السعيد (نوري) : ٩٦ - ٢٥١ -	سايكس بيكو (معاهدة - اتفاقية) :
٢٥٣ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٧ -	٣٩١ - ٢٦٩ - ٢٧٢ - ٢٧٣ -
٢٨٥ - ٣٦٧ - ٣٧٣ - ٣٨١	٢٧٥ - ٢٨٢ - ٣٠٨ - ٣١٦ -
السقاف (محمد بن علوي) : ٢٣٨	٣٢١ - ٣٤٣ - ٣٤٧
السقاف (علوي بن أحمد) : ١٤١	ستورز (السير رونالد) : ١٤٦ -
السكاكيني (خليل) : ٢٣٤ - ٢٣٥	٤٤٥
سكر (عبد القادر) : ٤٠٨	سراج (عبد الحميد) : ١٤١
سلام (سليم) : ٩٢ - ١٠٦ - ١١٨	سراج (الشيخ عبد الله) : ٢٣٨
١٢٩ - ٣٠٥ -	سردست (راسم) : ٣٩٥
سلام (عائلة) : ٢٥٨	سرسق (اسكندر) : ١٦٩
سلطان (عثمان) : ٣٠٥	سرسق (عائلة) : ٢٥٨
سلوم (رفيق رزق) : ٩١ - ٨٩ -	سرسق (يوسف) : ١٢٨ - ٢٥٨
١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨	سركيس (سليم) : ٤٧ - ٦٤
سليم (فؤاد) : ٤٠٨ - ٤١٧ - ٤٦٦	سري (عبد القادر) : ٩٦
سليم (السلطان) : ٢٦ - ١٧٥	السعد (حبيب باشا) : ٢٦٠
سليم باشا (والي دمشق) : ١٨٣٠ :	السعدون (الشيخ سعدون) : ٣٣
٣٢	السعدي (عبد الفتاح) : ٣٠٥
سليمان (سعيد باشا) : ٣٠١	سعود الكبير : ٣٠

السوسي (المهدي) : ٣١	سليمان القانوني : ٢٧ - ٣٢
السوري (سليمان) : ٣٠٤	سمعان (فيليب) : ١٦٩
السويدي (توفيق) : ٩١ - ١٠٦ -	سنلوس (ليمان) : ٢٤٨ - ٢٥٦
٤٦٦ - ٣٦٠ - ٣٥٩ - ١١٧	٢٦١ -
السويدي (ناجي) : ١٢٨	السوسي (محمد بن علي) : ٣١
السويدي (يوسف) : ٩٣ - ٤٦٦	السوسي (الشريف أحمد) : ٧٦
	٢٢٣ - ٢١٧ -

« ش »

الشعلان (نواف) : ١٤٧ - ١٤٨	شارم (جبرائيل) : ١٩١
الشعلان (نوري) : ٢٤٩ - ٣٠٠	الشالجي (حميد) : ٩٦
شعيب (محمد كامل) : ٤٣١	شاكر (عمر) : ٤٠٨
شقيير (نجيب) : ١٣٠ - ١٦٧ -	الشاوي (سليمان) : ٣٣
٤٦٦	الشاوي (عزت) : ٣٠٤
شمر (قبائل) : ٢٤١	الشبيبي (عبد القادر بن علي) : ٢٣٨
الشمعة (رشدي) : ٨٩ - ١٦٢ -	الشبيبي (محمد رضا) : ٢٣٨ -
١٦٧ - ١٦٨	٤٦٦ - ٤١٠
الشمعة (سليم) : ١٦٨ - ١٦٩	شتوان (يوسف) : ٨٨
الشميل (شبلي) : ١٦٩ - ٩٤	الشرباصي (علي بن عبدون) : ٢٣٨
شميل (مارپوس) : ١٦٩	الشرتوني (محبوب الخوري) : ٢٠
الشنطي (محمد) : ٨٩ - ١٦٢ -	١١٨ -
١٦٧	شرف (طه) : ١٣٩
شكري بك (مدحت) : ١٢٥	شرشالي (مصطفى) : ٢٣٦
شكسبير : ٢٢	شريف (أحمد) : ٩٦ - ٢١٥
شهاب (فايز) : ٣٠٥ - ٣٤٤	الشريف (عبد الرحمن) : ٣٠٥
الشهابي (اسماعيل) : ٩١	الشريف (شريف) : ٩٦
الشهابي (بهجت) : ٩١ - ٤٠٨ -	الشرقي (محمد) : ٩١ - ١٤٨ -
٤٦٦	٣٠٥
الشهابي (عارف) : ٨١ - ٨٣ -	الشنطي (زكي) : ٢٤٧
١٨٤ - ١٦٧ - ١٦١ - ٩١ - ٨٩	شعراوي (آغا) : ٢٣٦
٢٢٨ -	الشعلان (غالب) : ٤٢٠ - ٤٢١

الشوا (رشدي) : ٣٠٥	الشهابي (مصطفى) : ٨٠ - ٨١ -
الشواغرة (رشدي) : ٩١	٨٢ - ٩١ - ٩٢ - ٩٦ - ١٥١
الشريجي (شكري) : ٩١ - ٢٤٢	١٨٤ - ٢٨٢ - ٤٦٤ - ٤٦٦
شوقي (أحمد) : ٤١ - ٤٤ - ٦٤	الشهابي (فائز) : ٩١ - ٣٠٣
٦٥ - ٦٧ - ٤٤٧	الشهبندر (عبد الرحمن) : ٨٥ -
شوكت (محمود) : ٦٣ - ٦٦ - ١٧٤	١٤٨ - ١٧٥ - ١٧٦ - ٢٧٥ -
الشويري (الياس) : ٣٦٢	٣٧٣ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٤٠٣ -
	٤٠٧ - ٤٦٦

« ص »

١٦٧ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٤٦٦	صادق (الشيخ عبد الحسين) : ٣٠٠
الصلح (رياض) : ١٦٧ - ٣٠٥ -	الصاحب (الشيخ أسعد) : ٣٠٠
٤٠٨ - ٤٦٦	الصباح (جابر المبارك) : ٢٣٦
الصلح (عادل) : ٨٥	الصبان (حسن) : ٣٩٦
الصلح (عفيف) : ٣٠٥	صبري (اسماعيل) : ٤١ - ٦٥
الصلح (منح) : ٨٥	صبري (حسين) : ١٦٧
الصلح (مختار) : ٢٧٥	الصفار (اسماعيل) : ٩٦
الصلبي (سعيد) : ٣٠٤	صفوت باشا (وزير الخارجية
صموئيل (يوسف) : ١٦٩	العثمانية ١٨٧٦) : ٣٦
صموئيل (هربرت) : ٤٢١ - ٤٢٢	صلاح الدين (البرنس) : ٧٠
صوايا (جورج) : ٣٥٩	الصلح (أحمد باشا) : ٨٦
الصيادي (أبو الهدى) : ٣٩	الصلح (رضا) : ١٥٦ - ١٥٨ -
صيدناوي (يوسف سمعان) : ١٦٩	

« ض »

الضياء الدين (محمد) : ٦٧	الظاهر (عبد الله) : ١٧٠
----------------------------	---------------------------

« ط »

١٧٣ - ١٥٦	طيارة (احمد) : ٧٣ - ٨٩ - ٩٢ -
طليح (رشيد) : ٣٤٩ - ٣٥١ -	١٦٦ - ١٦٢ - ١٦٧
٤٠٨ - ٤٢٠ - ٤٦٦	الطباع (شكري) : ٤٠٨
طليح (سعيد) : ٣٠٥ - ٤٦٦	الطباخ (محمد اسماعيل) : ٩٦
طعمة (الياس) : ٢٠ - ٥٦	الطبراني- (المحدث) : ٢٨
طنين (جريدة) : ٦٩ - ١٢٣ -	الطبري (الشيخ طاهر) : ٣٠٥
١٢٤	الطرابلسي (اسعد رشيد) : ٨١
طوقان (ابراهيم) : ٤٧٧	الطرابلسي (امجد) : ٦٥
طوقان (حافظ) : ٤٣٧	طراد (عائلة) : ٢٥٨
الطويل (صبحي) : ٣٠٥	طلال : ٢٥٢
طيارة (سليم) : ١٦٧ - ٢٥٩	طلعت (باشا) : ٦٢ - ٧٩ - ٩٨ -
طيء (قبيلة) : ١٧	١٢٥ - ١٢٧ - ١٣٢ - ١٣٥ -

« ع »

٤٠٨ -	العارف (عارف) : ٣٠٥
عبد الحميد الثاني (السلطان) : ٣٦	العابد (عزت) : ١٦٩
٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٤٤ - ٤٧	عابدين (مسلم) : ١٥٨
٥١ - ٥٥ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤	عابدين (محمد ابو الخير) : ٣٠٠
٦٥ - ٦٦ - ٨٤ - ٨٨ - ١٤٢	عابد (مفتي المالكية) : ١٤١
١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٥	العاشار (اسكندر) : ٩٣
عبد العظيم (الشيخ) : ٣٠٥	عازوري (نجيب) : ٥٤ - ٨٧
عبد العزيز (السلطان) : ٣٦	العاقل (يوسف) : ٣٠٥
عبد الكريم (فؤاد) : ٣٠٥	عالبة : ٩٩ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٦
عبد الله (ابن الشريف حسين) :	العاص (عمرو بن) : ١٥
٤٥ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٩	عاطف : ٢٤١
١٥٢ - ١٩٢ - ٢٣٧ - ٢٣٨	العباسيون : ٢٨ - ٤١١
٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٦١ - ٢٦٤	عبد الإله (الشريف) : ١٤٢
٣٢٨ - ٣٦٠ - ٤١٢ - ٤١٥	عبد الرحمن (سليم) : ٩١ - ٢٣٣
٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٩ - ٤٢٠	٢٣٤ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٩٤

- عريفان (: ٢١٠ -
العريسي (عبد الفني) : ٧٣ - ٨٢
- ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٣ - ٩١ -
- ١٦٧ - ١٦٣ - ١٦١ - ١١٨
٢٢٨ - ١٧٧
عز الدين (نجلاء) : ٤٣٨
العسكري (جعفر) : ٩٦ - ٤٦٦
العسكري (تحسين) : ٤٦٦
عسيران (الحاج علي) : ٨٦
المسلي (حكمة) : ٢٣٥
المسلي (شكري) : ٧٩ - ٨١ -
٨٥ - ٩٠ - ٩٣ - ١١٨ - ١٢٨
- ١٦٢ - ١٦٧ - ١٦٨ - ٢٢٨
المسلي (عبد اللطيف) : ٢٣٥
المسلي (علي) : ٣٥١
المسلي (لطفى) : ٢٣٥
المطار (مسلم) : ٤٢٤
العظم (رفيق) : ٩٤ - ١٣١ - ١٦٩
٢٧٥ -
العظم (حقي) : ٩٥ - ١٥٨ - ١٦٩ -
٤٠٨
العظم (صلاح الدين) : ٨٤
العظم (شفيق أحمد المؤيد) : ١٦٧
العظم (عبد القادر) : ٣٠٣
العظم (محمد فوزي) : ٣٠٠ - ٣٠٤
العظيمة (يوسف) : ٣٥١ - ٣٤٩ -
٣٧٣ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٧ -
٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ -
٤٦٦
العظيمة (زكي) : ٢٦٠
العظيمة (نبه) : ٤٠٨ - ٤٦٦
العفيفي (محمد) : ٩١
العقبى (الشاذلي) : ٢٣٦
- ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ -
٤٢٨ - ٤٣٢ - ٤٤٤ - ٤٤٦ -
٤٦٣ - ٤٤٩
عبد الله (الشريف - امير مكة) :
١٤١
عبد المجيد (السلطان) : ٣٦
عبد المجيد (ابن السلطان عبد
العزیز) : ٤٣٠
عبد المسيح (جورج) : ١٦٩
عبد الملك (فؤاد) : ٣٦٢
عبد المطلب (محمد) : ٦٥
عبد النور (ثابت) : ٤٦٦
عبد الوهاب بك : ٢٢٨
عبد الهادي (ابراهيم القاسم) :
٣٠٥
عبد الهادي (سليم) : ٩٠ - ٩٤ -
١٥٨ - ١٥٩
عبد الهادي (عوني) : ٩١ - ١٠٣ -
١٠٦ - ٢٨٥ - ٢٨٩ - ٣٤٥ -
٣٥٢ - ٣٦٧ - ٤٠٨ - ٤١٩ -
٤٢٠ - ٤٢٢ - ٤٢٤ - ٤٣٧ -
عبيد (سليم يوسف) : ٢٣٤
عبود (مارون) : ١٩
العثموني (خليل) : ٣٠٤
المجلوني (محمد علي) : ٢٤٧ -
٢٣١ - ٢٥٢ - ٣٩٤ - ٤١٧ -
٤١٨
العجم (محمد) : ٩٠
العجم (محمود) : ١٥٨ - ١٥٩
عجيل (قبائل) : ٢٤٢
عنزة (سعيد) : ١٦٨
عرب السردية : ٢٣٥
عريفان (الشيخ محمد بن عارف بن

عمون (اسكندر) : ٩٤ - ١٠٦ -	عقل (خليل) : ٣٦٢
١١٤ - ١١٦ - ١٦٨ - ٣٥١ -	عقل (سعيد) : ٨٩ - ١٦٠ - ١٦٧
٤٦٦	العكي (الشيخ ابراهيم) : ٣٠٥
عمون (داوود) : ٢٨٩	علي أفندي : ٢٠٣ - ٢٠٤
عمون (سعيد) : ٤٦٦	علي (ابراهيم) : ٢٣٨
عنزة (قبائل) : ٢٥٥	علي اديب (ناجي) : ٣٠٥
العوا (صفوت) : ٩٠	علي (تحسين) : ٩٦ - ٣٧٤
عودة (يوسف) : ٢٥٩	علي (الشريف : ابن عبد الله) : ١٤٢
عون (الشريف) : ١٤١	علي بن الحسين (الشريف) : ١٥٤
عوني بك (حسين) : ٨١	١٨٢ - ٢٣٢ - ٢٤٢ - ٢٤٣
عويشق (الياس) : ٣٠٤	٢٦١ - ٤١٦ - ٤٣٢ - ٤٤١
العايشي (أحمد) : ٣٠٥	العلي (الشيخ صالح) : ٣٤٣ - ٣٨٧
عيد (جان) : ١٦٩	العمر (ظاهر : والي عكا) : ٣٢
العيسى (يوسف) : ٣٠٥	عنتره (مسرحية) : ٥٤ - ٥٥

« غ »

الفصين (فايز) : ٢٣٦	غانم (خليل) : ٦٣
الفلايني (الشيخ مصطفى) : ٢٦٠	غانم (شكري) : ٥٤ - ١٠٤ - ١٠٦
غلمية (مراد) : ٣٠٥	١٢٠ - ١٦٩ - ٢٨٩
غلوب باشا (الجنرال) : ١٧	غانم (نعمة الله) : ١٦٩
غليوم الثاني (امبراطور المانية) : ١٧٤	غالب باشا : ٢٤٣
١٧٥ -	غبريل (نسيب) : ٣٨٨
غنطوس (فارس) : ٣٨٨	غراي (اللورد - وزير خارجية
غنيم (محمود) : ٥٦	بريطانية) : ٣٥٥
غناجة (نجيب) : ١٦٩	غرزوزي (الدكتور) : ١٦٩
غوايه (الجنرال) : ٤٠٦	غزة (روفائيل) : ١٦٩
غورو (الجنرال) : ٣٤٦ - ٣٤٧ -	الغزالي (علي رضا) : ٩٦
٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٦٢ - ٣٧٩ -	الغزالي (والي دمشق) : ٣٢
٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٩٧ - ٣٩٨ -	الغزي (رشدي) : ١٦٧
٤٠١ - ٤٠٦ -	الفساسنة (قبائل) : ٨ - ١٥ -
	١١٤

« ف »

- ٢٢٥ - ١٨٩ - ١٨٥ - ١٨٢
 - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢١ - ٢٢٦
 - ٢٤٢ - ٢٣٧ - ٢٣٦ - ٢٣٥
 - ٢٤٩ - ٢٤٨ - ٢٤٦ - ٢٤٤
 - ٢٥٥ - ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥٠
 - ٢٦٠ - ٢٥٩ - ٢٥٧ - ٢٥٦
 - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦٢
 - ٢٨٤ - ٢٨٢ - ٢٨١ - ٢٧٣
 - ٣٠٣ - ٢٨٩ - ٢٨٨ - ٢٨٥
 - ٣١٨ - ٣١٦ - ٣٠٨ - ٣٠٤
 - ٣٣٤ - ٣٣٣ - ٣٢٩ - ٣١٩
 - ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٣٤٧ - ٣٤٦
 - ٣٥٤ - ٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٥٠
 - ٣٦٥ - ٣٥٩ - ٣٥٨ - ٣٥٧
 - ٣٧٩ - ٣٧٨ - ٣٧٤ - ٣٧٣
 - ٣٨٥ - ٣٨٣ - ٣٨١ - ٣٨٠
 - ٣٩٦ - ٣٩٥ - ٣٩٣ - ٣٩٢
 - ٤٠٠ - ٣٩٩ - ٣٩٨ - ٣٩٧
 - ٤٠٨ - ٤٠٦ - ٤٠٣ - ٤٠٢
 - ٤١٢ - ٤١١ - ٤١٠ - ٤٠٩
 - ٤١٧ - ٤١٦ - ٤١٥ - ٤١٣
 - ٤٢٨ - ٤٢٢ - ٤٢١ - ٤١٨
 - ٤٦٢ - ٤٦١ - ٤٤٦ - ٤٤٤
 ٤٦٥ - ٤٦٣
 فيلبي : ٤٢٩ - ٤٣٠

الفاتح (محمد) : ٢٨
 فاخوري (محمد) : ٢٥٩
 الفاخوري (سامح) : ٣٤٤
 فارس (أمين بييه) : ٢٧٧
 القاعور (محمد) : ٣٠٥ - ٣٨٦
 القاعور (محمود) : ٤٠٨
 فاعور (الامير) : ٤٦٦
 فالودون (فيكونت اوف) : ١٩٨
 فان جينيت (ارنولد) : ٢٣
 فايد (توفيق) : ٩١
 فخري باشا : ٢٢٥ - ٢٤٣ - ٢٦٢
 فخري بك (حامد) : ٢٤٧
 فرانسوا الاول : ٢٧
 فرحات (الياس) : ٢٠ - ٣٥٩
 الفرزدق : ١٩
 فرنكشتاين : ٤٦١
 فريجة (محيي الدين) : ١٦٧
 الفهر (حمزة بن عبد الله) : ٢٣٨
 الفقير (تحسين) : ٣٩٥
 فكري (عبد الله) : ٤١
 فلوريه (جان) : ٣٦٨
 فيخته : ٢٣
 فيصل (ابن الشريف حسين) : ٤٥
 - ٩١ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ -
 - ١٥٠ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨١ -

« ق »

قريش : ١١٥ - ٤٣١	القاسم (ابراهيم) : ١٦٧
قزما (امين) : ٩٠ - ١٦٨	قاسم (عثمان) : ٤٠٨
قسطموني : ١٧٣	القاسمي (جمال) : ٨١ - ٨٥
القصاب (كامل) : ٩١ - ٢٣٨	القاسمي (صلاح الدين) : ٨٣ - ٨٤
٢٧٥ - ٣٩٥ - ٣٩٩ - ٤٠٨	قاصوف (ميشيل) : ٦٣٢
٤١٩ - ٤٦٦	القاضي (نور الدين) : ٩٠ - ١٥٧
القصار (بشير) : ٩١	قحطان : ٢٠ - ٩٧ - ١٦٣
القضائي (احمد) : ٣٠٤	قديري (احمد) : ٩٠ - ١٤٨ - ١٦٧
القضائي (عوني) : ٤١٩	١٧٦ - ١٧٧ - ١٨٤ - ٢٣٢
قطان (نجيب) : ١٦٩	٢٨٥ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣١٠
قطان (الشيخ يوسف) : ٢٣٨	٣٤٤ - ٣٧٩ - ٣٩٦ - ٤٠٠
القلطجي (عبد الحميد) : ١٧٦	٤٠٨ - ٤٦٥
٣٦٣ - ٣٤٩	قديري (تحسين) : ٩١ - ٢٣٤
قلعجي (قديري) : ٦ - ٧ - ٨	٢٣٦ - ٣٤٤
قنباذ (صالح) : ٨١	القدسي (جلال) : ٣٠٤
القولتي (شكري) : ٩١ - ١٧٦	قدورة (صلاح الدين) : ٣٠٥
٣٠٣ - ٤٠٨ - ٤٦٦	قرنفل (حسن) : ٢٥٩
قيصر روسية : ٢٦٨	قريصاتي (جورج) : ١٦٩
القيم (شاكر) : ٤٠٨	قريصاتي (نجيب) : ١٦٩

« ك »

كرم (يوسف) : ٨٦ - ٨٧	كاظم (يحيى) : ٩٦
الكرمي (سعيد) : ١٥٩	كامل (مصطفى) : ٤١
كليمنصو : ٢٥٧ - ٢٨٢ - ٢٨٣	كتشنر (اللورد) : ١٤٦ - ١٩٣
٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩	٢٠٤
٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٨٥ - ٣٩٠	كحيل (يوسف) : ١٦٩
كمال (مصطفى) : ٦٢ - ٢٦١	كرامي (عبد الحميد) : ٤٦٦
٤٣٠	كردعلي (محمد) : ٧٣ - ٨١ - ٨٥
كمال (نامق) : ٦٨	٣٩٥ - ٤٠٨
	كرم (ادوار) : ١٦٩

كوكسبرايد (اليك) : ٤٣٢	كنعان (حافظ) : ٩١ - ٢٣٣
كيرك (جورج) : ٤٣٩ - ٤٦٤	كنعان (سليمان) : ٣٦٢
كيرزون (اللورد) : ٣٤٦ - ٣٦٥	الكواكبي (عبد الرحمن) : ٥٠ -
٣٧٣ - ٤١٨ - ٤٣٢	٥١
كيخيا (احمد) : ١٢٨	كورتواليس (كولونيل) : ٢٦٢
الكيلاني (عبد القادر) : ٣٠٥	كوس (الكولونيل) : ٢٦٢ - ٣٤٨
الكيلاني (عطاء) : ٨١	كوكس (السير برسي) : ٤١٠ -
الكيلاني (مصطفى) : ١٦٧	٤٦٣

« ل »

٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٣٥٢	للحام (احمد) : ٣٩٦
٤١٠ - ٤١١ - ٤٢١ - ٤٢٣	لجنة كرايس (لجنة الاستفتاء
٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٤٤ - ٤٦١	الاميركية) : ٣٠٤ - ٣٠٦ -
لوني : ٣٧١	٣١٣ - ٣٤٣ - ٣٦٥
لويد جورج : ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧	لطف الله (ميشال) : ١٦٩
٣٥٦ - ٣٦٥ - ٤٠٩	لسان الحال (صحيفة) : ٦٤
ليان (الفريد) : ١٦٩ -	للنبي : ٢٥٠ - ٤٢٨ - ٤٦٢
لينادو (يوسف) : ٣٠٤	لودز : ١٩٢
لينين : ٢٧٢	لورنس : ٢٣٧ - ٢٤٦ - ٢٥٠ -

« م »

المجالي (الشيخ قدر) : ٣٣	المارديني (عارف) : ٨٨
المجتهد (محمد) : ٣٠٤	المارسلينز (نشيد) : ٤٨
محرم (احمد) : ٤٤ - ٦٥	مارك (السير) : ٢٦٩
محمد (الرسول) : ٥ - ١١٣	مالكي (علي) : ٢٣٧
محمد علي (والي مصر) : ٣٠ -	مالكي (الشيخ عباس) : ٤٣٦
٣١ - ٣٢	ماضي (معين) : ٩١ - ٣٠٥ -
محمد رشاد (السلطان) : ٦٦ -	٤٦٦
١٣٨ - ١٥٦	المتنبي : ٥١

- المسيح : ٢٨٢
 مشاقة (خليل) : ١٦٩
 المشورة (صحيفة) : ٦٢
 المشير (جريدة) : ٤٧
 المصري (عزيز علي) : ٤٥ - ٧٦ -
 ١٧٥ - ١٧٤ - ١٦٩ - ٩٥
 ١٩٣ - ٢٣٢ - ٢٣٧ - ٢٣٨
 المعري (ابو العلاء) : ٥٩
 المعتصم : ٣٥
 المعني (فخر الدين الثاني) : ٣٢
 المعري (محمد) : ٢٣٤
 المفوش (فرحان) : ١٤٧
 المظفر (الشيخ عبد القادر) : ٤٦٦
 مظلوم (سليم) : ١٦٧
 مطر (نسيم) : ٢٥٩
 مطران (حبيب) : ١١٣
 مطران (خليل) : ١٩ - ١٦٩
 مطران (نذرة) : ١٠٣ - ١٠٦
 المفتي (سعيد) : ٤١٩
 مفرج (اسعد) : ١٦٩
 مفرج (توفيق) : ٣٠٥
 المفلح (صالح) : ٣٠٥
 المفيد (جريدة) : ٧٣
 المقتبس (جريدة) : ٧٣
 المقدسي (انيس) : ٥٥ - ١٧٠
 ١٨٨
 مقصود (الياس) : ١٠٦
 مكاندور (القائد) : ٢٦٢
 مكرزل (نعوم) : ١٠٦ - ١١٨
 مكماهون (السير هنري آرثر) :
 ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٦ - ١٩٧
 ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٨
- محمود الثاني (السلطان) : ٣٦
 محمود باشا (الداماد) : ٧٠
 محمود (عبد الهادي) : ٣٠٤
 المحمصاني (محمد) : ٧٣ - ٨٢ -
 ٩١ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٦
 ١٥٧ - ١٧٨ - ٢٦٠
 المحمصاني (محمود) : ١٥٧ - ١٥٩
 ١٧٨ - ٢٦٠
 المحمصاني (فاطمة) : ٢٦٠
 محيو (امين) : ٣٨٨
 مخلص (مولود) : ٩١ - ٩٦ - ٢٤٦
 ٤٦٦ -
 مدحت باشا : ٣٦ - ٣٧ - ٤٩ -
 ٥٤ - ٦٢ - ٨١
 المدانات (عيسى) : ٣٠٤
 المدفعي (جميل) : ٩١ - ٩٦ -
 ٢٦٠ - ٣٧٤
 مراد (الحاج سعيد) : ٣٠٥
 مراسلات الشرق (مجلة) : ٥٤
 مردم (جميل) : ٩١ - ١٠١ - ١٠٤
 ١٠٦ - ٤٦٦ -
 مردم بك (احمد مختار) : ٢٣٤
 مردم بك (راشد) : ٣٥١
 مردم بك (سامي باشا) : ٣١١
 مردم بك (عثمان) : ٨٢
 المرغني : ١٤٦ - ١٩٣
 المرعشلي (فاتح) : ٣٠٤
 المرسيني (جمال) : ٢٥٦
 المرزبان (القائد الفارسي) : ١٨
 مريود (احمد) : ٩١ - ٣٠٣ - ٤٠٨
 ٤١٧ - ٤٢٠ - ٤٦٦
 مسرة (المطران جراسيموس) : ٢٦٠

مود (الجنرال : ٢٧٨	٢١٠ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥
موردالك (الجنرال : ٢٥٧	٢١٦ - ٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٣
مورني (الاميرال : ٣٤٣	٢٤٥ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٦٧
موسى (سليمان : ١٨٥ - ٣٤٣	٢٧٢ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٣٤٦
٢٨٢	٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٥٠ - ٤٥١
موسى (نجيب : ١٦٩	٤٥٢ - ٤٦٠
مؤنس (حسين : ١٨	مكولي (المؤرخ البريطاني : ٢٢
المؤيد (أحمد : ٢٣٦	ملتن : ٢٢
المؤيد (بديع : ٢٥٨ - ٣٥١ - ٤٠٨	ملحس (صدقي : ٩١
المؤيد (شفيق : ٧٩ - ٨٨ - ١٦٢	ملحمة (ادمون : ١٦٩
٢٢٨ - ١٦٨	ملك بريطانية : ٤٢٤
المؤيد (صادق : ٨٨	الملاط (شيلي : ٤٤٧
المؤيد (فايز : ٢٣٦	المناصفي (أحمد : ٩١
مهران (القائد الفارسي : ١٨	المنادوب السامي البريطاني في
الميدا (فرحن : ١٤٧	القدس : ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢
ميسر (أمين : ٩١	٤٢٣ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٤٩
ميسر (عبد الوهاب : ٩١	المنادوب السامي الفرنسي : ٤٠٨
ميشان (بنوا : ٤٢٩	منصور (الشريف محسن بن أحمد
الميكادو : ٣٧٠	منصور : ٢٢٧
ميليران : ٣٥١ - ٣٧٣	منصور باشا : ١٩٠
	مناذرة (قبائل : ٧ - ٨

« ن »

النجار (ابراهيم : ١٦٩	ناصر (الشريف : ٢٤٦ - ٢٥٠
النحوي (عبد الرحمن : ٣٠٥	٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦١ - ٣٥١
نخلة (أمين : ١٩	ناصر الدين (أمين : ٤٤٧
نديم (محمود : ٣٠٥	الناطور (توفيق : ٩١ - ١٦٧
النديم (عبد الله : ٤١	٣٠٣ - ٣٤٤ - ٤٦٦
نعمان (الدكتور ثابت : ٣٤٩	نامق (اسماعيل : ٤٦٦
نعمة (زيد مصطفى : ٣٤٩	نامير (لويس : ٤٢٣
نعمة (مصطفى : ٣٩٦	نجا (الشيخ مصطفى : ٢٦٠

النصر (حمدي) : ٤٠٨	نمير (قبيلة) : ١٧
النشاشيبي (رافب) : ٣٠٥	نفاع (رشيد) : ٣٠٥
النشاشيبي (علي) : ٩٠ - ٩٥	نهيص (جريدة) : ٧٣ - ٩٤
٩٦ - ١٦٢ - ١٦٧	نوبلومير : ٣٧٠ - ٣٧١
التقاش (بشير) : ٩١	نوري (بديع) : ٩٤
النقيب (محيي الدين) : ١٢٨	نويهص (عجاج) : ٤٦٧
النقيب (طالب) : ٩٣ - ٩٤ - ١٤٣	نبازي : ٦٢
نمر (فارس) : ٨١ - ١٦٩	أنيل (حكمه) : ٣٠٤

« ه »

هارون (منح) : ٣٠٥ - ٤٠٨	هاك (الكابتين - حاكم رحلة
هاشم (ابراهيم) : ٩١	العسكري) : ٣٨٠
هاشم (بنو) : ٤٣١	الهاني (يوسف بشارة) : ١٧٠
الهاشم (كامل) : ١٦٧	هرقل : ١٥
الهاشمي (طه) : ٩٦ - ٤٠٠ - ٤٦٦	انهيل (مسعود) : ١٧٠
الهاشمي (ياسين) : ٩١ - ٩٦	هنانو (ابراهيم) : ٣٠٥ - ٤٦١
١٣٨ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٨٥	هوغارث : ٢٧٤ - ٢٧٨ - ٤٣٨
٢٣٣ - ٣٠٣ - ٣٤٩ - ٣٩٣	هولاكو : ٣٥ - ٧٢ - ٩٧ - ٢٧٨
٣٩٤ - ٣٩٥	هبردر : ٢٢

« و »

وائل (قبائل) : ٤٣١	٣٥٥ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٧
الوائلي (شبيب باشا الاسعد) : ٨٦	٣٨٠
وصفي (مصطفى) : ٩٦ - ٣٩٦	وهبة (حافظ) : ١٤٢ - ٤٣٨
ولسن (رئيس الولايات المتحدة) :	وهيب باشا (والي الحجاز) : ١٣٩
٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩	١٥٤ -
٣٠٦ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣٥٣	

« ي »

يحيى (زكي) : ٣٠٥	اليازجي (توفيق) : ٤٠٨
يزبك (يوسف ابراهيم) : ١٩	اليازجي (الشيخ ابراهيم) : ٤٨ -
يكن (ولي الدين) : ٥٧ - ٦٥ - ٧١	٥٠ - ٤٩
يني (قسطنطين) : ١٦٩	اليافي (الشيخ عبد القادر المظفر) :
اليوسف (عبد الرحمن) : ١٢٨ -	٣٠٣
٤٠٨ - ٤٠٦ - ٣٥١ - ٣٠٤	اليافي (فريد) : ١٦٨
اليونان : ٩٩ - ٣٠٩	ياي (الكابتن) : ٣١٠
	يحيى (الامام) : ١٤٦ - ٣٩١

مَوْضُوعَاتُ الْكِتَابِ

ص

٥

الى جلالة الحسين بن طلال

٧

مقدمة : بقلم دولة الاستاذ سعد جمعة

١٢

الفصل الاول : نشأة القومية العربية

ثورة الشريف حسين منطلق التاريخ العربي الحديث (١٣)
- الفكرة القومية في بلاد الغرب (١٤) - شواهد من اشعار
المسيحيين العرب في تمجيد الشعور القومي (١٦) - محنة
العرب بالاستعمار العثماني (٢٥) - حركات المقاومة للتخلص
من الاستعمار العثماني (٢٩) - دعوة المصلح محمد بن عبد
الوهاب (٣٠) - دعوة المصلح محمد بن علي السنوسي (٣١)
- حركة محمد علي الكبير (٣١) - حركات التمرد الشعبي
في سورية (٣٢) - ثورة فخر الدين المعني في لبنان (٣٢)
- ثورة الشيخ ظاهر العمر في عكا (٣٢) - ثورات العراق
والاردن (٣٣) .

٣٥

الفصل الثاني : ذلك الليل الطويل

بدء حركات الاصلاح في نظام دولة الرجل المريض (٣٥) -

صفحة

ما عانتها البلاد العربية من الحكم العثماني في نهاية القرن التاسع عشر (٣٨) - الانشقاق بين تيار الوعي القومي العربي ضد الاتراك وتيار التحرر من الاستعمار البريطاني في مصر والسودان (٤٠) .

٤٧ الفصل الثالث : المفكرون العرب رواد القومية العربية

سليم سركيس (٤٧) - ابراهيم اليازجي (٤٨) - عبد الرحمن الكواكبي (٥٠) - الشيخ طاهر الجزائري (٥٢) - اديب اسحق (٥٣) - شكري غانم (٥٤) - محاولة السلطان عبد الحميد محو اللغة العربية من اوساط التعليم ورد الفعل القومي العربي ضدها (٥٥) .

٦١ الفصل الرابع : الفجر الكاذب

نشوء جمعية الاتحاد والترقي ودعم العرب لها (٦٢) - فرحة العرب بدستور عام ١٩٠٨ (٦٣) - افاقة العرب على خدعة الفجر الكاذب (٦٦) - سقوط عبد الحميد (٦٦) - من الرابطة العثمانية الى العرقية الطورانية (٦٨) - الخطوط الرئيسية في الحركة الطورانية (٦٩) - رجال الاتحاد والترقي يفرضون سياسة التنريك (٦٩) - تعزيز القومية الطورانية (٧٢) - الدول العربية تتقاسم تركة الرجل المريض (٧٥) .

٧٩ الفصل الخامس : المنظمات والجمعيات العربية

اشتداد الخلاف بين العرب وزعماء الاتحاد والترقي (٨٠) -

صفحة

أول جمعية سرية عربية (٨٠) - جمعية النهضة العربية في
استانبول ودمشق (٨٢) - حديث عادل الصلح عن الحركة
الاستقلالية العربية عام ١٨٧٢، ١٨٥٠ - جمعية رابطة الوطن
العربي في باريس (١٨٧٠) - جمعية الاخاء العربي بعماني في
استانبول (٨٨) - المنتدى العربي في الاستانة (٨٩) -
الجمعية القحطانية في استانبول (٩٠) - جمعية الامه
العربية الفتاة في باريس (٩٠) - الجمعية الاصلاحية في
بيروت ٩٢ - جمعية البصرة الاصلاحية والنادي الوطني
العلمي في بغداد (٩٤) - جمعية العهد (٩٥) - مفتطات من
مناشير الجمعيات السرية العربية (٩٦) .

١٠١

الفصل السادس : المؤتمر العربي في باريس

نداء الجالية العربية في باريس في الدعوة لعقد مؤتمر عربي
(١٠٢) - عبد حميد الزعمراني يوضح أهداف المؤتمرين
(١٠٤) - مفهومان للقومية العربية في المؤتمر (١٠٦) -
خطاب عبد الغني العريسي في افتتاح المؤتمر (١٠٧) -
الخطباء يؤكدون أصالة الرابطة القومية (١١٣) - العرب
يطلبون الإصلاح لا الانفصال (١١٥) - لماذا يهاجر السوريون
من وطنهم (١١٦) - قرارات المؤتمر (١١٩) - خطاب
شكري غانم في ختام المؤتمر (١٢٠) - فرنسا تبنت خطة
التأمر على الاصلاحيين العرب (١٢١) .

١٢٣

الفصل السابع : الاتراك يمزقون آخر الوائيق

الصحف الاتحادية تحمل على مؤتمر باريس (١٢٣) -
اتفاقية الاستانة مع زعماء مؤتمر باريس بشأن المطالب
العربية (١٢٥) - كلمة طلعت بك بعد توقيع الاتفاقية (١٢٧)
- العرب يطلبون عدم بيع اراضي فلسطين للجانج (١٢٨)

صفحة

- الحكومة الاتحادية تكيد للاصلاحيين العرب (١٢٩) -
- الخلاف يدب بين الاصلاحيين (١٣١) - النزعة العرقية
- التركية تطفئ على كل نزعة اصلاحية (١٣٢) - الاستانة تلجأ
- للبطش والارهاب لاختاد الروح القومية لدى العرب (١٣٥).

١٣٧

الفصل الثامن : الشريف حسين هو الامل

- فراق حاسم بين زعماء العرب وزعماء الاستانة (١٣٧) -
- العرب ينصحون الاستانة بعدم دخول الحرب الى جانب
- المانية (١٣٨) - الشريف حسين رمز للطموح القومي العربي
- (١٣٩) - لمحات من سيرة الشريف حسين (١٤٠) - النواب
- العرب يبايعون الحسين على زعامة النضال (١٤٤) - أمين
- الريحاني يصور شخصية الشريف حسين (١٤٤) - رسالة
- قادة الحركة العربية في سورية الى الشريف (١٤٦) -
- فيصل بن الحسين يتعرف على قادة الحركة العربية في
- سورية (١٤٧) - زعماء العرب بدمشق يعتبرون الشريف
- ممثلاً للشعب العربي ومخولاً بمفاوضة الانكليز (١٤٩) -
- عوامل عديدة تحفز الحسين لاعلان الثورة (١٥١).

١٥٣

الفصل التاسع : في ظلال المشانق

- البطش والارهاب في لبنان (١٥٣) - في الحجاز وفي
- العراق (١٥٤) - في سورية (١٥٥) - الديوان العرفي بعاليه
- يقضي باعدام احرار العرب (١٥٦) - القافلة الاولى من
- الشهداء (١٥٧) - القافلة الثانية من الشهداء (١٥٩) -
- القافلة الثالثة من الشهداء (١٦٢) - وصية عبد الغني
- العريسي للعرب (١٦٣) - بيان جمال باشا حول جريمته
- (١٦٦) - ان العرب يبكون شهداءهم (١٧٠).

صفحة

١٧٣

الفصل العاشر : امانة قومية في يد الحسين

خطة ارهابية لافناء القوميات غير التركية (١٧٣) - عبد الرحمن شهبندر يفادر دمشق (١٧٥) - شكري القوتلي يحاول الانتحار في السجن (١٧٦) - صمود المناضلين العرب حيال التعذيب الوحشي (١٧٧) - الحسين يطلب من جمال باشا العفو عن المساجين السياسيين بدمشق (١٧٨) - الامير فيصل يسعى في دمشق لتخفيف وطأة التعذيب عن المساجين (١٨٠) - فيصل يصرخ : طاب الموت يا عرب (١٨٣) - زعماء العرب يطلبون اعلان الثورة من الحجاز (١٨٥) - تطور الحركة العربية من عهد التعبئة الروحية الى عهد الاستعداد العملي للثورة بقيادة الحسين (١٨٦) .

١٨٩

الفصل الحادي عشر : حوار الاسد والشعب

الدوافع التي حملت الحسين على اعلان الثورة (١٨٩) - تنبه أوروبا الى انتشار الوعي القومي في البلاد العربية (١٩٠) - بريطانية تدرك أهمية مساندة العرب في وجه النفوذ الألماني (١٩٢) - بريطانية تبدأ اتصالات واسعة مع زعماء العرب (١٩٣) - تبادل الرسائل بين الحسين ومكماهون (١٩٣) - الامور التي تم الاتفاق عليها بين الحسين والانكليز (١٩٥) .

٢٠١

الفصل الثاني عشر : مراسلات الحسين ومكماهون

مذكرة الحسين الاولى الى مكماهون (٢٠١) - مذكرة مكماهون الاولى الى الحسين (٢٠٣) - مذكرة الحسين الثانية الى مكماهون (٢٠٥) - مذكرة مكماهون الثانية الى الحسين (٢٠٨) - مذكرة الحسين الثالثة الى مكماهون

صفحة

- (٢١٠) - مذكرة مكماهون الثالثة الى الحسين (٢١٣) -
- مذكرة الحسين الرابعة الى مكماهون (٢١٥) - مذكرة
- مكماهون الرابعة الى الحسين (٢١٦) - مذكرة الحسين
- الخامسة الى مكماهون (٢١٨) - مذكرة مكماهون الخامسة
- الى الحسين (٢٢١) .

٢٢٥

الفصل الثالث عشر : الثورة العربية

- اعلان الثورة وتحرير مكة (٢٢٦) - منشور اعلان الثورة
- (٢٢٧) - اصداء انتشار انباء الثورة في الوطن العربي (٢٣٠)
- فوج من احرار العرب يرحلون الى الحجاز (٢٣٢) - آل
- سعود وآل الصباح يعلنون تأييدهم للثورة (٢٣٦) - عرب
- افريقية الشمالية يعلنون تأييدهم للثورة (٢٣٦) - حديث
- لورنس عن تأجيج الروح القومية (٢٣٧) - وجهة نظر
- الحسين في القضية القومية (٢٣٨) - زعماء العرب وعلماء
- مكة يبايعون الحسين ملكا على العرب (٢٣٨) .

٢٤١

الفصل الرابع عشر : العرب في المعركة

- ججم القوات التركية في الحجاز عند بدء الثورة (٢٤١) -
- ججم الجيش العربي وتسليحه (٢٤٢) - الهجوم العربي على
- المدينة والطائف (٢٤٣) - الامير فيصل يزحف نحو الشمال
- (٢٤٤) - دور العرب في نجاح الحملة البريطانية على
- فلسطين (٢٤٥) - بدء تحرير سورية (٢٤٨) - البريطانيون
- يحولون بين العرب والنصر (٢٥٠) .

٢٥٥

الفصل الخامس عشر : غروب الحكم العثماني في البلاد العربية

- تحرير دمشق (٢٥٥) - استقبال الامير فيصل في دمشق

صفحة

- (٢٥٩) - رضا باشا الركابي يؤلف حكومة دستورية (٢٥٩)
- تحرير سورية الشمالية (٢٦١) - تصريحات النبي للامير
فيصل (٢٦٢) .

٢٦٧ الفصل السادس عشر : الاعيب السياسة البريطانية

البريطانيون يفاوضون الفرنسيين على اقتسام البلاد
العربية (٢٦٧) - معاهدة سان بطرسبورغ (٢٦٧) - معاهدة
سايكس بيكو (٢٦٩) - بريطانية تمنح اليهود وعد بلفور
(٢٧٢) - الحسين يفضب من وعد بلفور وبريطانية توارب
(٢٧٣) - الزعماء العرب يحتجون على معاهدة سايكس بيكو
ووعد بلفور (٢٧٥) - نوري السعيد يلخص موقف العرب من
المؤامرة البريطانية على فلسطين (٢٧٧) .

٢٨١ الفصل السابع عشر : الامير فيصل في مؤتمر الصلح

تأمر فرنسا على فيصل في باريس (٢٨١) - الصراع السري
بين الفرنسيين والانكليز على مطامعهم في البلاد العربية
(٢٨٣) - افتتاح المؤتمر ونزعة الرئيس ولسن للحرية
والسلام (٢٨٥) - بريطانية وفرنسة تحققان في المؤتمر
مأربهما باقرار الوصاية (٢٨٦) - فيصل والزعماء العرب
يحتجون على المؤامرة (٢٨٨) .

٢٩١ الفصل الثامن عشر : على مفترق التاريخ

استقبال فيصل في بيروت وخطابه فيها (٢٩٢) - خطاب
تاريخي لفيصل في دمشق يلخص جميع مراحل القضية
العربية (٢٩٤) - زعماء سورية ولبنان يبايعون فيصل على

صفحة

متابعة الجهاد (٣٠٠) - فيصل يدعو لانتخاب مجلس نيابي
لمواجهة لجنة الاستفتاء الدولية (٣٠٣) - تأليف هيئة
المؤتمر السوري العام من ممثلين عن سورية ولبنان
وفلسطين (٣٠٤) - وصول لجنة الاستفتاء الأميركية الى
دمشق (٣٠٥) - قرار المؤتمر السوري العام (٣٠٦) - أميركة
لا تتدخل بشؤون بلاد خارجة عن حدودها (٣١٠) .

٣١٣

الفصل التاسع عشر : تقرير لجنة كراين

دراسات ومعلومات وارقام تسجل حقيقة الاوضاع والاماني
العربية (٣١٣) - توصيات اللجنة بشأن سورية ولبنان
(٣٢٩) - توصيات اللجنة برفض البرنامج الصهيوني (٣٣٤)
- توصيات اللجنة بشأن العراق (٣٣٧) .

الفصل العشرون : المؤتمر السوري يعلن استقلال سورية بحدودها الطبيعية ٣٤٣

بدء الثورات الشعبية ضد المحتلين (٣٤٣) - لويد جورج
يدعو فيصل الى باريس (٣٤٤) - الانكليز يبيعون سورية
بزيت الموصل (٣٤٥) - الامير فيصل في لندن وباريس
(٣٤٦) - الاتفاق المؤقت بين فيصل ووزارة الخارجية
الفرنسية (٣٤٧) - الجنرال غورو يرفض تنفيذ الاتفاق
(٣٤٨) - اضطرابات وثورات شعبية واصطدامات مع
القوات الاجنبية (٣٤٨) - عودة فيصل الى بيروت (٣٤٩) -
خطاب فيصل في النادي العربي بدمشق (٣٥٠) - تأسيس
حكومة مجلس المديرين بدمشق (٣٥١) - تأسيس الحزب
الوطني السوري (٣٥١) - خطاب فيصل في المؤتمر
السوري (٣٥٢) - المؤتمر السوري يقرر اعلان استقلال
سورية بحدودها الطبيعية وتنصيب فيصل ملكا عليها (٣٥٤)
- زعماء العراق يعقدون مؤتمرا في سورية وينادون بالامير

صفحة

عبد الله ملكا على العراق (١٣٥٩) - موقف مجلس ادارة جبل
لبنان من استقلال سورية (١٣٦٠) .

٣٦٣

الفصل الحادي والعشرون : اكلوبة اسمها الانتداب

رضا الركابي يؤلف وزارة الشيوخ المعندين (٣٦٣) -
رسالة الملك فيصل الى الرئيس ولسن (١٣٦١) - فرنسا
وبريطانية لا تعترف بمقررات المؤتمر السوري (٣٦٥) -
المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم « الانتداب - ا » (٣٦٧) -
مناقشات البرلمان الفرنسي حول الانتداب (٣٦٨) - بركة
النور الدينبي الى الملك فيصل (٣٧٢) - رسالة ميران الى
فيصل (٣٧٣) - هشم الاناسي يؤلف حكومة دفاع وطني
(٣٧٣) - آخر خطاب للملك فيصل في سورية (٣٧٥) -
آراء لزعماء سوريين بالملك فيصل (٣٧٨) - فيصل يحتج
على عدوان الجيش الفرنسي (٣٨٠) .

٣٨٣

الفصل الثاني والعشرون : عاصفة على دمشق

الجنرال غورو يوجه « انذارا » للملك فيصل (٣٨٣) -
دمشق تدرس انذار غورو (٣٩٣) - اوضاع الجيش السوري
(٣٩٣) - بريطانية تنصح فيصل بقبول انذار غورو (٣٩٦) -
مجلس الوزراء السوري يقرر قبول الانذار الفرنسي (٣٩٦)
- الجيش الفرنسي يبدأ زحفه على دمشق (٣٩٨) - طه
الهاشمي يصف الايام الثلاثة التي سبقت معركة ميسلون
(٤٠٠) - يوسف العظمة في ميسلون (٤٠٣) .

الفصل الثالث والعشرون : فيصل بن الحسين على عرش العباسيين ٤٠٥

تأليف وزارة علاء الدروبي (٤٠٥) - غورو يطلب من الملك

صفحة

فيصل مغادرة سورية (٤٠٦) - أحكام فرنسية تمسقية
ضد الزعماء السوريين (٤٠٧) - أهالي حوران يقتلون
الدروبي واليوسف (٤٠٨) - تأليف وزارة جميل الألشي
(٤٠٨) - اتجاهات السياسة العالمية تجعل عودة فيصل
الى سورية مستحيلة (٤٠٩) - زعماء العراق يطلبون احد
انجال الحسين ملكا عليهم (٤١٠) - اجماع شعب العراق
على تنصيب فيصل (٤١٢) .

الفصل الرابع والعشرون : عبد الله بن الحسين ينشئ دولة عربية ١٥٤ في الاردن

محافظة شرقي الاردن السورية تناشد الحسين ارسال احد
انجاله لقيادتها (٤١٥) - الامير عبد الله في معان (٤١٦) -
علي بن الحسين الحارثي رسولا من الامير عبد الله الى
سكان الاردن (٤١٨) - استقبال الامير في عمان (٤١٩) -
اجتماع الامير مع تشرشل في القدس (٤٢٠) - تأسيس
امارة شرقي الاردن (٤٢٣) .

الفصل الخامس والعشرون : صمود الحق الاعزل ٢٧٤

صمود الحسين في رفضه التهاون بحقوق العرب (٤٢٧) -
الانكليز يحاولون استرضاء الحسين (٤٢٨) - الحسين يرفض
عروض الانكليز (٤٢٩) - زعماء العرب يبايعون الحسين
بالخلافة الاسلامية (٤٣٠) - مشروع معاهدة ١٩٢٣ بين
الحسين والانكليز (٤٣٢) - تحفظات الحسين حيال مشروع
المعاهدة (٤٣٥) - بيان مندوب الحسين في دار اللجنة
العربية بالقدس (٤٣٦) - تشدد الحسين في موقفه من
عروبة فلسطين ورفض وعد بلفور (٤٣٨) .

صفحة

٤٤١

الفصل السادس والعشرون : شيخ قریش

الحسين يسافر الى العقبة بعد استيلاء عبد العزيز آل سعود على الحجاز ١٤١١هـ - الحسين يوجه رسالة شديدة اللهجة الى رئيس وزراء بريطانيا (١٤٤٢) - البارجة نيودلهي تنقل الحسين الى منفاه في قبرص (١٤٤٣) - احاديث عن « شرف المنفى » (١٤٤٥) - الحسين يسافر الى عمان بعد أن اقعده الشيخوخة (١٤٤٦) - وفاة الحسين (١٤٤٧) - فرية جديدة لكماهون ١٤٤٩ - الامير عبد الله يرد على الفرية (١٤٤٩) .

٤٥٥

الفصل السابع والعشرون : بين يدي التاريخ

حكم التاريخ على الثورة العربية الكبرى ، ومنطلقاتها ووقائعها ، ورد على افتراءات المفرضين .

٤٦٩

مصادر الكتاب

٤٧٧

فهرس الاماكن والمؤسسات

٤٩١

فهرس الاعلام

أهم الأسماء الواردة في هذا الكتاب

حافظ إبراهيم - عبد العزيز ابن سعود - محمد ابن عبد الوهاب - عودة أبو تايه - أبو اللسل - أيليا أبو ماضي - عمر الاتاسي -
 هاشم الاتاسي - أمين أرسلان - شكيب أرسلان - عاتل أرسلان - محمد أرسلان - علي الارمتازي - الشيخ عباس الازهري -
 الخوري يوسف اسطفان - محمد اسماعيل - ناجي الاصيل - سلطان باشا الاطرش - نسيب الاطرش - أحمد عزت الاعظمي -
 جميل الانثي - محمد الامين - جورج انطونيوس - عبد الوهاب الانكليزي - فخري البارودي - حمدي الباجه جي - أحمد بن
 عبد الرحمن باناجه - جورج بحري - شكري الايوبي - صلاح الدين الايوبي - علي جودة الايوبي - جلال البخاري - سليم
 البخاري - صبحي بركات - توفيق البساط - عطا البكري - فوزي البكري - عمر بنهلوان - توفيق البيسار - أحمد مختار بيهم -
 أمين بيهم - الحاج حسين بيهم - محمد جميل بيهم - رشيد تقي الدين - أحمد القل - أمين التميمي - رفيق التميمي - أيوب ثابت -
 أحسان الجابري - سعد الله الجابري - الأمير عبد القادر الجزائري - سعيد الجزائري - زكي التميمي - محمد علي التميمي - عمر
 بن عبد القادر الجزائري - سليم الجزائري - الشيخ طاهر الجزائري - نوري الجسر - جعفر باشا - أمين لطفي الحافظ - بدر
 الدين الحامد - جرجي حداد - ندره حداد - جورج حروفش - رشيد الحسامي - أحمد مهدي الجواهري - الحسين بن طلال -
 الشريف الحسين بن علي - أحمد الحسيني - جميل الحسيني - رشدي الامام الحسيني - سعيد الحسيني - عبد القادر
 الحسيني - محمد أمين الحسيني - موسى كاظم الحسيني - خليل تقي الدين الحصني - لطفي الحفار - خالد الحكيم - يوسف
 الحكيم - ناصر حمادة - حسن حماد - عمر حمد - سعد الله الحويك - إبراهيم حيدر - سعيد حيدر - صالح حيدر - محمد رستم
 حيدر - يوسف حيدر - فريد الخازن - يوسف الخازن - عبد القادر الخرساء - إبراهيم الخطيب - سيف الدين الخطيب - فؤاد
 الخطيب - محب الدين الخطيب - عمر الداعوق - عبد الكريم الخليل - أسكندر الخوري - رشيد الخوري - فارس الخوري - سعيد
 خير - شارل دباس - علاء الدين الدروبي - عزة دروزة - جبرائيل دلال - مظهر رسلان - معروف الرصافي - أحمد رضا -
 رشيد رضا - خير الدين الزركلي - نجيب دياب - رضا الركابي - أمين الريحاني - عبد الله الزواوي - عبد الحميد الزهراوي -
 يوسف سرسق - سليم سرقيس - بن الحسين زيد - أمين سعيد - حافظ السعيد - خليل السكاكيني - سليم سلام - رفيق رزق
 سلام - فؤاد سليم - الشريف أحمد السنوسي - عبد القادر بن علي الشيبيني - محمد رضا الشيبيني - محبوب الخوري
 الشرتوني - أحمد شريف - محمد الشريقي - غالب الشعلان - توفيق السويدي - نواف الشعلان - نوري الشعلان - نجيب
 شقير - رشدي الشبعة - سليم الشبعة - شبلي الشميل - محمد الشنطي - عارف الشهابي - مصطفى الشهابي - عبد الرحمن
 الشهبندر - جابر المبارك الصباح - اسماعيل صبري - أحمد باشا الصلح - رضا الصلح - رشدي الشوا - شكري الشرجي -
 رياض الصلح - عادل الصلح - عفيف الصلح - منق الصلح - مختار الصلح - أحمد طبارة - أمجد الطرابلسي - عارف العارف -
 نجيب عازوري - سليم عبد الرحمن - رشيد طليع - سعيد طليع - الياس طعمة - ابن الشريف حسين عبد الله - عوني عبد الهادي
 - محمد علي العجلوني - محمود العجم - عبد الغني العريسي - الحاج علي عسيران - شكري العسلي - رفيق العظم - حقي العظم
 - محمد فوزي العظم - يوسف العظمة - نبيه العظمة - الشريف علي بن - الحسين - شكري غانم - أسكندر غموني - الشيخ
 مصطفى الغلاييني - محمد القاعور - ابن الشريف حسين فيصل - صلاح الدين القاسمي - نور الدين القاضي - عبد الحميد
 كرامي - محمد كرد علي - كامل القصاب - عبد الحميد القلاطجي - قدري قلنجي - شكري القوتلي - عبد الرحمن الكواكبي -
 الشيخ عباس مالكي - عبد القادر الكيلاني - مصطفى الكيلاني - محمد الحمصاني - محمود الحمصاني - مولود مخلص -
 جميل المدفعي - جميل مردم - سامي باشا مردم بك - عزيز علي المصري - خليل مطران - أنيس المقدسي - نعيم مكرزل -
 الشريف ناصر - توفيق الناطور - بدیع المؤيد - شفيق المؤيد - علي النشاشيبي - طالب النقيب - طه الهاشمي - ياسين الهاشمي -
 مصطفى وصفي - عجاج نويهض - حافظ وهبة - الشيخ إبراهيم اليازجي - الشيخ عبد القادر المظفر النيافي - ولي الدين يكن -
 عبد الرحمن اليوسف